

The Ohio State University



3 2435 01400 1945

D158H361911

001

Kitab al-akhbar al-saniyah fi al-Hu

OHIO STATE
UNIVERSITY
LIBRARIES

WARREN

AR

270.46

AR

270.46

Apr 5 '99

Oct 31 '38

WITHDRAWN



٤٢٤٩٥٧
كِتَابُ

الْحِكْمَةِ السَّنِيَّةِ

The crusades

by
Seed Hariny.

فِي

الْحَرْبِ الصَّلْبِيَّةِ

بِأَيْدِي

سَيِّدِ عَلِيِّ الْحُسَيْنِيِّ

(حقوق الطبع والترجمه محفوظه)

(كل نسخة لم تكن منصوبه بختنا لا تمتد ويحاكم صاحبها)

سنة ١٣٢٩

مطبعة النيل بمصر

الطبعة الثانية

D158

H36

1911



الاصولى البارع محمود بك أبو النصر

المحامى الوطنى الشير


محمود بك أبو النصر

المحامى الوطنى الشير

محمود بك أبو النصر

اهداء الكتاب

* (الى حضرة العالم العامل محمود بك أبو النصر المحامي) *

خدمت الآداب العربية والشريعة الإسلامية أستاذًا في دار
العلوم وفي مدرسة العلوم الشرقية بباريس ثم عدت الى مصر تعمل
على خدمتها مع العاملين الصادقين فيكنت في كل اطوار حياتك
مثال الكمال ومظهر الحكمة والاستقلال نعم عرفت فيك من
صفات الرجولية ومزايا العلم والفضل ما جعل لشخصك الكريم
في نظر عارفك منزلة خاصة بين منازل رجالنا المخلصين في خدمة
العلم والآداب والامة والدين لذلك اخترت ان  كتابي
هذا باهدائه اليك فتقبلاه قبولا حسنا فما هو الامنك واليك وك

المؤلف

سيد علي الحريري

808870029

1190



المؤلف سيد علي الحريري

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

بعد حمد من لا یحمد سواه وهو الحمید المجدید . الذی خلق الخلق فسواه وحکم فیہ بما یشاء ویرید . والصلاة والسلام علی سیدنا محمد وعلی آله وصحبه أجمعین

اما وقد نفذت الطبعة الاولى من کتابی هذا (الاخبار السنیة فی الحروب الصلیبیة) فقد وجب علی الشکر لمواطنی الذین نظروا له بعین الاکبار والاعظام وان کان هو فی نظری أقل من أن ینال منهم مانال وهاأنا الآن قد أعدت طبعه للمرة الثانية غیر آل جهداً فی اخراجه علی أحسن ما یكون وكأوثق ما أرخ المؤرخون ولکی تكون وقائعه أوقع فی النفس وراسخة فی الذهن قد أضفت لیه شیئا کثیرا من صور الوقائع ورسوم الملوك والمحارین ممن وردت کرامهم به من المسلمین والصلیبیین مما زاده روتقا وبهاء فاذا لاتی منهم ما أومله من القبول کان ذلك حسبي والمأمول وک

(کاتبه)

سید علی الحسینی

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين . الذي جعل تاريخ الاولين عبرة للآخرين . ومراة
لكل عاقل فطين . أحمدته على ما أسبغ من الانعام والافضال . ومن به من
الاحسان والنوال . ونصلي على رسوله ونبيه . وخيرته من خلقه وصفيه
سيدنا أبي القاسم محمد بن عبد الله ذي الشرف الباذخ . والفضل الشامخ
والعلم الراسخ . صلى الله عليه وعلى الملائكة المقربين . وعلى الانبياء
والمرسلين . ما طلع كوكب وبرزغ هلال . وعلى آله وصحبه وعترته أجمعين
صلاة وسلاماً دائماً متلازمين الى يوم الدين . أما بعد فانه لا يخفى على
كل انسان أهمية الحروب الصليبية التي جرت في الاجيال الغابرة .
وتحريضات البابوات والاكليروس اهل أوروبا بمحاربة المسلمين وما جرى
للمسلمين من اغتصاب بلاد الشام بحجة تخليص القدس من ايدي الاسلام
وما أعقب ذلك من اتحاد المسلمين واستخلاص البلاد من الصليبيين وما
جرى لأولئك الصليبيين من المصائب والهلاك والفشل والارتباك
وحيث ان ملوك أوروبا الآن حصل منهم تعصب على دولتنا العلية
حرسها الله بما يشابه ما فعلوه أولئك الغابرون حتي قال سلطاننا الاعظم
وخاقاننا الانخم المحفوظ بالسبع المثاني (عبد الحميد الثاني) ان أوروبا
تحاربنا الآن حرباً صليبية تحت شكل سياسي
وحيث اننا معشر قراء اللغة العربية لم يوجد بلغتنا كتاب يحتوي على
الحروب الصليبية لمعرفة حقيقتها بل انا نجد البعض منها موجوداً في كتب
التواريخ خالياً عن معرفة أسبابها والمخرضين عليها وكيفية نتائجها ولذلك باشرت
تأليف هذا الكتاب وسميته (الاخبار السنوية في الحروب الصليبية) وقد عنيت في
ضبط هذا الكتاب المشتمل على الثمانية حروب صليبية مبيناً كل حرب منها على حدته
موضحاً أسبابها والمخرضين عليها وسفر عساكرها وما فعله الصليبيون من المحاربات

مع الملوك المسلمين وقد أوضحت أيضاً تواريخ ملوك الاسلام المعاصرين هذه
الحروب الذين لهم شأن مع الصليبيين من ابتداء سنة ٤٩٠ هجرية التي فيها
دخل الصليبيون سوريا لغاية سنة ٦٩٠ هجرية التي انقضى فيها الصليبيون
من سوريا بأسلوب بسيط خالياً من التعقيد والتطويل الممل

غير انى وان كنت لست من رجال هذا الفن ولكن طمعي في فضل
حضرات أساتذته هو الذى شجعتني على تقديم كتابي هذا بين أيديهم ليكون
مشمولاً بنظرهم السامى واقتبالهم تألبنى هذا بصدر رحب ونظرهم اليه
يعين الرضا اذ العصمة للنبي وحده معترفاً أمامهم باني جمته من جملة كتب
مطولة مثل تاريخ مصر الحديث وابن الاثير وأبى الفدا والروضتين وتاريخ
الحروب المقدسة الذى عربه مكسيموس مظالم وتاريخ سوريا وغيره
ولكنى أرغب الى من يثر لى على خطأ ان يذنبني اليه فاشكر سعيه وأثنى
عليه . أو يعذرنى فان أعقل الناس أعذرهم للناس ولا أقول ان كل خطأ سهو
جرى به القلم بل أعترف ان ما أجهل أكثر مما أعلم وماتمام العلم الاله وحده
الذى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم

وانى اتضرع الى الله فاطر السموات والارض من فؤاد مخلص وقلب
صادق أن يهب الدولة العلية القوية الابدية والنصر السرمدى ليعيش
العثمانيون والمسلمون مدى الدهر في سؤدد ورفعة وأن يحفظ لنا حامى
حماها جلالة السلطان الاعظم والخليفة الاكبر الغازى (عبد الحميد الثانى)
وان يحفظ لمصر في ظل جلالته عزيزها المحبوب وأميرها الممظم سمو
الخديوى (عباس حلمى باشا الثانى) وولى عهده المكرم محمد عبد المنعم انه
ربى سميع مجيب

تحريراً بمصر القاهرة في شهر ربيع الاول سنة ١٣١٧ وشهر يولييه

(سيد علي الحريرى)

سنة ١٨٩٩



أسباب الحروب الصليبية

كان رجل فقير يسمى بطرس المولود باميان من اعمال بيكارديه إحدى مقاطعات مملكة فرانس قد انقطع للتعبد ولبس ثوباً رهبانياً من الصوف الخشن وأقام بمغارة يتعبد فيها ثم تركها وتوجه مع جماعة يقصد زيارة بيت المقدس فاما وصلوا الى المدينة المقدسة ووجدوها في حكم المسلمين صار بطرس يبكي وينتحب ثم تقابل مع البطريرك سمعان وتحدثاً ملياً فاخبره البطريرك عن كيفية استيلاء المسلمين على بيت المقدس الذي هو قبر المسيح وان الحكم منهم طالما ظلموا قومه ثم تمسقا وهما يبكيان ووعده بطرس السائح البطريرك بأنه سيعمل جهده في حمل أهل أوروبا لتخليص بيت المقدس من المسلمين

ثم غادر بيت المقدس راجعاً الى روميه وهناك طلب مقابلة البابا أوربانس الثاني ولما مثل بين يديه وأخبره بما قاله بطريرك القدس وعده بالمساعدة التامة أمراً أياه بالتوجه الى جميع بلاد أوروبا لاجل تحريض الاهالي على ذلك وخرج هذا الرجل من لدن البابا وأخذ يجول في بلاد فرانس وبعض ممالك أوروبا راجعاً على بغل قاصداً يئذيه على الصليب منادياً بحرب الصليب في الطرقات والازقة والكنائس والاديرة منادياً بان مسيحيي الشرق يقاسون المذاب الواناً تحت حكم المسلمين مزكياً أقواله بوصفه جبل صهيون ومكان الجماعة وبستان الزيتون وقد كان أحياناً يستعجب بعض مسيحيي الشرق الذين كان يقابلهم ببلاد أوروبا



وكانت الناس تتقاطر اليه مزدحمين حوله مقبلين ارديته فارشين الاعشاب
 في الارض لير عليها متخاطفين أجزاء وشاح بغله بمنزلة ذخائر لهم ملقبية بقديس
 ونبي باكين معه على شقاء اورشليم (بيت المقدس) متعهدين بصرف
 موجوداتهم وخبراتهم وحياتهم لاجل انقاذهم من الاسر والهوان
 وفي أثناء ذلك ارسل ملك القسطنطينية المدعو اليكسيوس كومنينوس
 وقدأ الى البابا أوربانس الثاني يطلب منه الاغاثة لان الاتراك اغاروا على بلاده
 وكان قد ارسل وفوداً الى ملوك أوروبا بخصوص ذلك أيضاً طالباً منهم المبادرة
 لحمايته مقررراً لهم في نظير ذلك جميع ما بنجز ان مدينته

﴿ مؤتمر مدينة بلاصانس بايطاليا ﴾

ولما تحقق جناب البابا من استمرار دعوة بطرس السايح أمر بانعقاد مؤتمر
مدينة بلاصانس حيث اجتمع مع مئتا اسقف مع رؤساء أساقفة وأربعة آلاف
الكيريكي وثلاثون الفاً من العلمانيين وهذا المؤتمر انعقدت جلساته في البريه
في مكان سهل واسع بالقرب من المدينة وكانت أعين الشعوب متجهة الى وفد
الملك اليكسيوس متمجبين للملابسهم الفاخرة الشرقية وصاغين الى أصواتهم
الملتزمة المعونة من ملوك المغرب بان يوجهوا قوة أسلحتهم لمساعدة القسطنطينية
ولا تقاذ بيت المقدس وشرع البابا بتحرير بعض الجميع باتحاد قواهم واتفاق عزائمهم
نحو هذه القضية المقدسة فقبلوا جميعاً الاوامر واعدين بانهم بعد أيام قليلة
يجتمعون تحت بيارق الصليب لذهابهم الى بلاد فلسطين للحرب المقدسة باتفاق
عام بينهم

ثم لم تمض أيام قليلة علي هذا المؤتمر حتي سكن تأثيرهم لانه اعتراهم الخوف
من ترك بلادهم وأوطانهم والذهاب الى بلاد وأقاليم مجهولة عندهم وهكذا
لم تحصل ثمرة من المؤتمر لانه لم يتقرر فيه تحديد كيفية محاربة المسلمين ولان البابا
لم يبق في استطاعته تحرير بعض وحث الشعوب التي حوله لانقسام أهالي بلاد النمسا وقام
خريق منهم ضد الكرسي الرسولي . وأهالي الاقاليم الشمالية كانوا منشغلين
باهتمام في صد البربر عنهم وكانوا قابلي الميل الى هذه الحروب ومملكة اسبانيا
كانت تحت حكم المسلمين . وبلاد الانكليز كانت وقتئذ ضعيفة محتاجة لحماية
بلادها التي فتحها ملكها غوايا لموس بعساكره الموجودة في ولايته ولذلك لم يجد
البابا امامه غير بلاد فرانسوا

﴿ مؤتمر مدينة كليرمون بفرانسوا ﴾

فاجتاز البابا اوربانس بلاد ايطاليا ودخل مملكة فرانسوا وعقد مؤتمراً في

مدينة كليرمون في شهر نوفمبر سنة ١٠٩٥ فتقاطرت اليه جميع الشعوب من
 أمراء ورؤساء كنائس ووفود ملوك وغيرهم حتى امتلأت المدن والقرى
 حول تلك المدينة بوفود الشعوب وكانت الخيام والمضارب منصوبة في الحقول
 لماوى الكثيرين منهم وكان ذلك في فصل الشتاء والبرد شديد الزمهرير وفي
 الجلسة العاشرة من هذا المؤتمر اجتمعوا في قصر المدينة وكان بطرس السابج
 جالسا بجانب البابا وهو الذى فتح الخطاب معدداً الشدائد التي يعانيها أهالى
 بيت المقدس قائلاً انه شاهد هناك المسيحيين مقيدين بالسلاسل الحديدية وانه
 نظر قبر المسيح محتقراً مهاناً وان زواره يتكبدون الذل ثم قام البابا وخطب
 قائلاً

(أيها المسيحيون ان تلك الارض المقدسة بحضور شخص المخلص فيها
 وتلك المغارة المرعية المختصة بفادينا وذاك الجبل الذى عليه تألم ومات من
 أجلنا وذلك الضريح الذى تنازل لأن يدفن فيه ضحية للموت كلها اصبحت ميراثنا
 لشعب غريب وغاب كل بهاءها الاصلى وهيا كلها قد خربت وأشعة نورها
 الساطعة تحوات الى ظلام حالك وهى تستحق الندب الشديد والبكاء . ولم يعد
 لله من معبد داخل المدينة المقدسة الخصوصية والمشرق الذى هو المهد والينبوع
 المقدس لايماننا لم يعد مشهداً الا لافتخارات أعمال المسلمين وجهات أسيا
 الاكثر ثروة وغناء قد التحقت بالظلام الى الكره والفقير المهين . وانطاكية
 وافسس ونيقية قد صارت مدن الاسماعيليين والأتراك قدمدوا ولا يهتم الى
 حدود هاليبوتوس لابل الى أبواب القسطنطينية . ومن هناك ذراع هؤلاء
 الشعوب الشديد يهدد بان يستولى على كل ممالك الغرب)

ثم ان البابا وجه خطابه الى الحاضرين من وفود الطوائف قائلاً لهم هل
 ان مشهداً مثل هذا يترك قلوبهم باردة وغير حساسة . ثم وجه خطابه الى
 أهل فرانساً قائلاً أيها الطائفة الفرنساوية العزيزة لدى الله . ان كنيسة المسيحيين

قد وضعت رجاها مسنداً على شجاعتكم فانا الذي أعرف جيداً تقواكم وكفائتكم بالشجاعة والغيرة . وقد اجتزت الجبال الالبية وحضرت لكي انذر بسلام الله في وسط بلادكم . وهكذا أخذ يحنهم مذكراً ايهم بشجاعتهم القديمة وما أنتم كلامه حتى وضع ضباط المساكر أيديهم على سيوفهم وأقسموا بان يبادروا الى انقاذ المسيحيين

فلما تأكد البابا من نجاح مرغوبه اردف خطابه بقوله . لقد آن الزمان الذي فيه تحولون ضد الاسلام تلك الاسلحة التي اتخذتموها حتى الآن ضد بعضكم لاخذ النار لانفسكم من أبناء جنسكم عن بعض اهانات فالحرب المقدسة المعتمدة الآن ليست هي لاخذ النار عن الاهانات ضد البشر بل عن الاهانات الصادرة ضد الله . وليست هي لاكتساب مدينة واحدة فقط بل هي أقاليم أسيا بجملتها مع غناها وخزائنها التي لا تحصى فاتخذوا محجة القبر المقدس . وخلصوا الاراضي المقدسة من أيادي المختلسين وأنتم أملاكوها لذواتكم فهذه الارض كما قالت التوراة تفيض لبناً وعسلاً الخ . ثم قال يا أيها الشجعان اذهبوا متسليحين بسيف مفاتيحي البطرسيه واكتسبوا بها لذواتكم خزائن المكافآت السماوية الابديه . فاذا أنتم انتصرتكم على اعدائكم فالملك الشرقي يكون لكم قسماً وميراثاً . وأما اذا قتلتكم فلكم المجد لأنكم تموتون في المكان الذي فيه مات يسوع المسيح . وهكذا صار

يخطب ويحث

ثم أخرج علامة الفدا المقدسة (صليب الخلاص) وقال احملوه على عواتقكم أو على صدوركم وليشرف فوق أسلحتكم وفي رؤوس سناجقكم (أي اعلاكم) ثم قام الكردينال غريغوريوس تالياً بصوت عال صورة اعتراف عام وعند نهايتها مد اليها ايديه ومنح الجميع البركة ثم قام ادهماردي مونتيلا اسقف مدينة بوى وطاب الى البابا الاذن له بان يكون أول من يجاهد في سبيل الله ثم استلم من يد البابا سنجق الصليب

فاتبه عدد عظيم من رؤساء الكنائس ومن القواد المختلفي الرتب متحالفين
على المحاربة وكذلك الامراء استلموا من البابا سنجق صليب آخر ثم ان
جميع الذين كانوا حاضرين في هذا المجمع علقوا على صدورهم صلبانا حمراء
واخذوا لنفسهم اسم (صليبيين) كما انهم لقبوا الحرب التي شرعوا فيها (حرب
الصليب المقدس) وأظهر البابا اغتمامه من عدم مسيره بشخصه أمامهم وقال انه
اناب عنه اسقف بوى المتقدم ذكره

وقرر المجمع أيضاً عدة امتيازات للصليبيين كاعفائهم من دفع العوائد
وتغيره وقرر اشهار الحرب على بلاد فلسطين . ولما عاد الاساقفة الى
ابرشياتهم اجتهدوا في صنع سناجق الصليبان وكانوا يقدمونها الى جماهير المسافرين
الى هذه الحرب



البابا اوربانوس الثاني

وأخذ البابا أوربانس ينتقل في بعض أقاليم فرانس وعقد الجمعيات في مدن
روان وطورس ونسيماس باذلا عنايته في نجاح هذه الحروب وامتدت هذه الدعوة
الى البلاد الاورباوية الاخرى فاخذ الناس يرسلون أولادهم مع العساكر من
الانكليز والنمسا وايطاليا واسبانيا
ومما ساعد على ذلك أيضاً انه حصل قحط ببلاد أوروبا عدة سنوات
مترادفة نتج عنه فيها مجاعة عظيمة وكثرت الاصوص وصارت مدنهم وقراهم
لا تتحملهم فاندك بادرروا نحو اراضى المشرق المخصبة التى يشير اليها الكتاب
المقدس بقوله تدر لبناء وعسلا وخصوصاً لانهم سمعوا عن كثرة غناء بلاد آسيا
وخزائنها فاضحت بلادهم أمامهم كأنها منفى وصار المشرق أمامهم كأنه وطن وكان
للرؤساء يومئذ غايات فدعوا الناس الى النزو فبادروا اليه جاهلين ما وراء ذلك
واجتمعوا ليسيروا ناعاجا الى الذبح في بلاد غريبه

* (الحروب الصليبية الاولى) *

كان المجمع المنعقد في مدينة كليرمون قد ضرب ميعاداً للسفر العساكر
الصليبية الى الحرب عيد السيده في ١٥ اغسطس سنة ١٠٩٦ وعند حلول
شهر مارس أخذوا باعداد المدد ونصب الخيام وتجهيز الخيول والبغال
والاسلحة والسناجق فتألفوا كتائب وجيوشاً وساروا على غير ترتيب ولا نظام
وكان فيهم من يحمل الزاريق ومنهم من يحمل الحراب وكثيرون عزل بالاسلح
وأكثرهم مشاة ومعهم عائلاتهم من نساء وأولاد وكانوا بلا قائد يسير أمامهم
لان الامراء والرؤساء الذين كانوا يلزمهم ان يقودوهم أعطوهم ميعاداً
للمقابلة في القسطنطينية فسارت الجيوش وأمامها قائدها بطرس الساجج راجياً
بقلته ثم انه قسم جيشه الى قسمين أحدهما سار بقيادته والثانى عين عليه أحد
ضباط فرنسا المسمى ولتر أو (غوتيار)

وسار قسم غوتيار مجتازاً بلاد فرنسا ثم بلاد المانيا ليأتي هنكاريًا طريقاً
 للقسطنطينية عاصمة الروم فلما تبطنوا بلغاريا قل زادهم فطفقوا يمشون في
 البلاد يهبون ويسلبون وهم في أمن مما يحذرون حتى بلغوا بلغراد العاصمة
 فهاجوها ولكن الاهلين نشطوا لمقاتلتهم وقتلوا منهم كثيرين وبددوهم وكان
 ما فعلوه في أهل بلغاريا شاهد عدل على ان مقصدهم بمحاربة الاسلام ليس
 الا النهب والسلب وان كان ظاهره لغايات دينية يأبى التقى أن يعترف بها ثم ان
 ولتر المذكور جمع باقي جيشه وخرج من بلغاريا الى القسطنطينية التي بلغوها
 بعد شهرين بعد ما قاسوا اتعاباً ومشقات وهناك الملك اليكسيوس أقامهم عنده
 حين حضور الآخريين

وسار الجيش الذي بقيادة بطرس السابح ولما وصل الى حدود هنكاريًا
 بلغه ماجري للقائد غوتيار فحزن لذلك وعزم على الانتقام فهجم على مدينة
 ساملين وقتل أربعة آلاف من أهاليها . ولما بلغ خبر هذه المقتلة أهل هنكاريًا
 استعدوا لقتاله بقيادة ملكهم لولومان . وعند وصول جيش بطرس اليهم
 هجموا على هذا الجيش الصليبي وبددوه وقتلوا أكثره ولجأ بطرس الى الفرار
 هو ومن نجا من القتل ودخلوا بلاد بلغاريا وهناك عند مدينة ينصا هجم عليهم
 البلغاريون وشتتوهم وهكذا ساروا هاربين الى مدينة القسطنطينية

ثم انه سار أيضا جيش صليبي آخر من بلاد النمسا تحت قيادة غوشالك
 الكاهن بالاطنيات يتبع بطرس السابح وأخذوا يعتدون على الاهالي في مسيرهم
 فموقبوا بمثل ما عوقب به الذين تقدموهم

ثم سار أيضا جيش صليبي رابع من بلاد ريزوموسيل تحت رئاسة
 الكونت اميلوك وهذا الجيش لم يبرح وطنه الا بعد ان قتل جميع اليهود
 ظلماً وعمل أعمالاً فاحشة لا تحتملها الانسانية التي يدعون بزحفهم لتجدتها
 ولما وصل الى هنكاريًا هجم عليهم الهنكاريون وقتلوا معظمهم وهرب الباقي

﴿ دخول الصليبيين أسيا وهلاك هذه الجيوش في نيقية ﴾

لما وصلت بقايا جميع الجيوش المذكورة الى مدينة القسطنطينية اجتمعت لدى الملك اليكسيوس كومنينوس وكان عددهم مائة ألف محارب نقلهم بمرابيه من القسطنطينية الى وراء البوسفور وهناك تفرقت كلهم واختلفوا في أمرهم فلذلك تركهم بطرس ورجع الى القسطنطينية ثم بلغ أمرهم الى قليج ارسلان بن سليمان بن قطلمش صاحب قونية وبلاد الروم فجمع عسكر الاسلام واحتاط بهم من كل جهة فاعمل المسلمون فيهم السيف حتى أفنواهم عن آخرهم وكان ذلك بالقرب من مدينة قونية ولم ينج منهم باهرب الا قليل وكذلك قتل القائد ولتر او (غوتيار) الفرنساوى مجروحاً سبعة جراح في فخذه وهكذا لم يبق من هذه الجيوش التي نقلت من أوروبا الى أسيا في سهل قونية الا أجسام بالية من طوائف مختلفة وهذه كانت النهاية التعيسة لما ذكر أخلاقها رديئة كما قاله المؤرخ (برنردوس الخازن الفرنساوى)

وأما بطرس الساج فانه لما رجع الى القسطنطينية أخذ يشكو بمرارة من الصليبيين لعدم اطاعتهم أوامره ولذلك صار يسميهم لصوصاً وقد أقسم بأنه لا يفتر عن عزمه حتى يشاهد حروباً صليبية أخرى .

﴿ الحملة الثانية من الحروب الصليبية الاولى ﴾

لما بلغ سكان أوروبا ما حل بالحملة الاولى شملهم الحزن والغم الشديد وافتكروا في الانتقام واعتمدوا على السفر الى البلاد الشرقية تحت رياسة غودافرو دي بوليون دوك دي لورين السفلى المولود في براينت وكان هذا

الرئيس ميجلا معظماً عندهم شجاعاً ذا رأى ومعه عدد وافر من قواد فرنسا
وبلاد النمسا كأوسطا كيوس (من بلونيا) وبودوين واخوته وأولاد عمه
بودوين روبروك وبودوين حاكم هانوت وعزنييل حاكم دي هاش وجرارد
وبطرس دي طول وهو كز دي سانبول وابن انجلران دوك دي لوران
وساروا جميعاً برأ قاصدين القسطنطينية وكان مسيرهم من بلاد ألمانيا بغاية
الادب والقناعة ولذلك لم يمرض لهم أحد في طريقهم

وسار جيش آخر عن طريق ايطاليا تحت رئاسة هو كز حاكم فرمندواس
أخي ملك فرنسا ومعه رو بارتوس الملقب بكورتهوز حاكم ولاية نور منديام
وروبارتوس أكذ والى مقاطعة فلاندره الملقب بحربة المسيحيين . واستفانس
دالى بلواز وكاتريز الذى كان ممتداً في ديوان شورى الحرب لفظنته وسار
هذا الجيش متأخراً عن سابقه فاجتاز جبال الالب نحو بلاد ايطاليا ولما
وصلوا مقاطعة لو كابلهم البابا أوربانس الثانى وباركهم ومن هناك ساروا
الى بوليا يقصدون سفرهم بحراً

ومرورهم بايطاليا أجزأ الايطاليين الى السفر غيرة وبمقدمتهم بوهيمند
أمير تارانت فاشترك في المسير مع الجيش البحرى وكان بقيادته أهالى بوليا
وغيرهم من بلاد كلابريا وسيسيليا ومعه ريكاردوس أمير سالارنوس وأخوه
رانولف وروبارتوس دي هوس وروبارتوس دي سور وفال وهر مفرو
دى مونتيك

وسار جيش ثالث من إقليم فرنسا الجنوبي تحت رياسة ادهاردى مونتيل
(أسقف بوى) وبقيادة رايموند كونت دي سلت ودى طولوز وكان ادهار



هذا قد اقامه البابا رثيسا كنائسيا على الجيوش الصليبية وهو اول من استلم
 سنجق الصليب وكان هذا القسم من أهالي غاز كونيا ولانكادوك واليموزين
 وافرنيا والبروفانس وبصحبتهم أيضا هرقل كنت دي بولنيك وغوليافوس
 دي ساريان وروجار كونت دي فواكس وغوليا موس سيد مونت بلير
 ورايموند بالآت وريمون كنت دي أورانج وغيرهم كثيرون وأساقفة اب
 ولورين وأورانج مع رئيس اساقفة طوليد وكانوا حملة الصليبان وكان مسير
 هذا الجيش من جبال الالب وبلاد لومبار ديا والفربول متقدماً نحو حدود
 المملكة اليونانية بمشقات عظيمة من اقاليم دالماسيا

﴿ ما جرى للصليبيين في القسطنطينية ﴾

كان الملك اليكسيوس ملك القسطنطينية قد ارسل وفوداً الى ملوك
 أوروبا يستغيث بهم لمساعدته ضد المسلمين ولما بلغه قرب حضور هذه الجيوش
 الكثيفة خاف منهم على بلاده وندم على ما فرط منه ثم ابتداء بتدبير الحيل لكي
 الصليبيين وكان الجيش البحري برئاسة هوكنز حاكم فرمنداوس أخي ملك
 قرانسا قد قرب ولكن هذا القائد غرق مركبه على شواطئ الابيروس فخرج

سالماً فارسل اليه حاكم دوراتسيوس احد عماله لاجل ان يهنئه بالسلامة ولما
 قرب للقسطنطينية بالاكرام والاحتفال أمر بسجن هذا القائد بصفته أسيراً
 ظاناً انه بجبس أخى ملك فرانساعنده بصفة رهينة يأمن غائلة الجيوش
 القادمة

وكان غودافرو رئيس الجيش البري الاول قد باع مدينة فليبوبوليس
 وسمع بأسر أخى سلطان فرانس وحبسه فاغتاز غيظاً شديداً وأخذ يعامل
 أهل البلاد بصفة اعداء محاربين فقراً كثيرهم الى القسطنطينية للاحتماء بها
 ولما علم الملك بما جرى لبلاده خاف خوفاً شديداً وارسل يطلب من قائد
 الجيوش الصليبية الكف عن القتال متمهداً له بما يطلب وانه ينك أسر
 المسجون عنده ولذلك رضى قائد الجيوش وكف عن الحرب وسار قاصداً
 القسطنطينية بصفة سلميه

اما الملك اليكسيوس فانه احضره وركز لديه واخذ يعتذر اليه ويهاديه
 تملقاً حتى انه جذب قلبه وطلب منه القسم على الطاعة له وحفظ الامانة
 بالخضوع لاوامره وبعدم الانحراف ضده وبذلك اشترى عتقه من الاسر
 وانطلق الى الجيوش الصليبية فعند اجتماعهم بهم أخبرهم بقسمه فلما علموا بانه
 يلزم الاطاعة بموجب هذه الشروط لملك غريب اغتازوا غيظاً شديداً ورفضوا
 هذا الامر معتمدين على مقاومته

وهذا الرفض أغضب الملك اليكسيوس الذى عزم على ان يجهلهم بطيعونه
 غصباً بواسطة الجوع ولذلك أمر بقطع الملائق مع الجيوش الصليبية وأمر
 بمنع الاهالى من بيع المأكولات لهم غير ان هذا رأى لم يأت بفائدة لان
 القائد غودافرو اتحد مع باقى رؤساء جيشه وقرروا الهجوم على جميع القرى
 وأخذ ما يوجد فيها من القوت وهكذا كانت الجيوش الصليبية تهجم بشراسة
 كلية على أهل القرى وتهدب موجوداتهم حتى امتلأت مضاربهم من كل نوع

وحيث انه كان قد قرب عيد الميلاد فاجلالا له كفوا عن القتال ودارت
 المخابرة بأمر الصالح الذي تم على ان الملك يقدم لهم المؤونة
 وكان بوهيموند أمير تاراتا قد سولت له نفسه محاربة القسطنطينية
 والاسـتيلاء عليها ولذلك زحف نحوها بمساكره ولما قرب من مدينة
 دوراتسيوس بعث رسولا الى غودافرو القائد العام بما عزم عليه وبهزمه على
 الاتحاد معه غير ان هذا القائد رفض هذا الرأي ووبخه عليه . ولما علم ملك
 الروم بما دبره بوهيموند اجتهد بان يكتسب صداقة غودافرو ومحبة الامراء
 الذين برفقته لينجوا من الفائلة ولمنع الريبة به قد أرسل ابنه يوحنا الى معسكر
 الصليبيين كرهن وحينئذ آمن غودافرو ودخل القسطنطينية ونزل في قصر
 الملك واعجب غودافرو وأمرأؤه بالقسطنطينية وبنائاتها الفاخرة وزيناتها كما
 أعجب الملك وأهل المدينة بحسن ملابس الامراء الصليبيين الفاخرة المزينة
 بالذهب والماس ثم ان الملك قابلهم ببشاشة تامة معانقا اياهم الواحد بعد الواحد
 وكانوا ينحنون أمام العرش الملوكي الشرقي ويسلمون جاثين على ركبهم باحترام
 ثم خاطبهم الملك قائلا أرغب منكم يا حماة المسيحيين ان تحموا بلادنا من
 الاعداء فوعده هؤلاء الامراء بان يردوا له جميع البلاد التي كانت تحت
 حكمه وبان يعطوه كل ما يستولون عليه وفي نظير ذلك حلف الملك لهم بانه
 ينعف الصليبيين بكل الوسائط الممكنة له وديلا على ذلك أهدهم هدايا
 فاخرة وأصدر أوامره الى جميع رعاياه بان يقابلوا الصليبيين بالموودة ويقدموا
 الى مضاربهم المؤن وبهذه التصرفات حصل السرور للطرفين ولكن الملك
 كان الخوف لم يزل في نفسه فلذلك أشار على غودافرو بان يكون مسير الجيش
 الى أسيا من وراء البوسفور وهكذا سافرت المساكر الصليبية من طرق
 وعرة أضاعت فيها زمانا طويلا ذهب بحماستهم .

✽ الصليبيون في آسيا واستيلاؤهم على قونيه ✽

لما انتقلت العساكر الصليبية الى أسيا ساروا في سهول الاراضى الشرقية التي كانت مخضرة يانعة بالانهار في زمن الربيع فزحفت الى مدينة قونيه عاصمة بلاد الروم وكانت تحت حكم قاييغ ارسلان بن سليمان وكان شجاعاً عاقلاً فلما بلغه خبر قدوم هؤلاء الصليبيين جمع عساكر كثيرة لرد هجماتهم وكان من جمعهم من العساكر يبالغ مائة ألف وأما عدد الصليبيين فكان مائة ألف من الخيالة وخمسة آلاف من المشاة وكانت قونيه محاطة بجبال عالية ومحاطة من جهتها القبلىة والغربية ببهيرة اسكانيوس فلما بلغت الجيوش الصليبية حاصرتها من كل جهة ونصبوا مضاربهم حولها وكانت كل طائفة منهم على حدة تميزاً لها وهاها سنجق صليبي وبعد حصار المدينة عدة أيام خرج قاييغ ارسلان المذكور بعساكره من جهة الجبال مهاجماً الصليبيين وكانت هجماته المذكورة على جيش غودافر والقائد العام وعلى جيش رايوند دي طولوز حتى انه قهرهم الى آخر مضاربهم وحينئذ هجمت عليهم باقى طوائف الصليبيين واشتد القتال الى آخر النهار وانهمزمت العساكر الاسلامية الى الجبال وكان ذلك في سنة ٤٩٠ هجرية .

وفي صباح اليوم الثانى لهذه الواقعة هجم قاييغ ارسلان بعساكره على الصليبيين واستمروا فى قتال عظيم وقد أظهرت العساكر الاسلامية من الشجاعة والحيل الحربية ما أدهش الصليبيين كما رواه مؤرخوهم ولكن الكثرة تغلبت على الشجاعة فانتصر الصليبيون على المسلمين فى هذا اليوم وهربت عساكر الاسلام الى الحدود والاستمداد للمهاجمة والمدافعة وكانت المدينة لم تنزل محصورة بعساكر الافرنج الذين ركبوا عليها المنجنيقات وأخذوا يرشقونها تباعاً بسرعة الى ان هدموا سورها وكانت العساكر الاسلامية من داخل

المدينة ترميهم بنبال مسمومة وكانت ترمى أيضاً الصليبيين الذين كانوا يطلعون فوق السور بجبال مرشوقة بكلايب حديد وبذلك قتلوا كثيرين من الصليبيين وكان يوجد رجل شركسي كل يوم يظهر فوق السور ويرمي الصليبيين بالنشاب الذي كان يصيبهم ويهلكهم حتى أزعجهم وفي يوم من الأيام عند ظهور هذا الشجاع على السور جاءت نبله من يد غودافرو فدخلت صدره فماتته في الحال وكانت المدينة لم تزل في حصار لان جهتها القبليية والغربية كانت في مأمن من الصليبيين ثم رأوا البحيرة قد امتلأت بمراكب الصليبيين الواردة من القسطنطينية وحينئذ وقع الرعب في عساكر الاسلام وفرحوا الصليبيون وشددوا الحصار وكانت زوجة قايج ارسلان داخل البلد فخرجت هاربة مع ولديها في مركب صغير فشر بهم الصليبيون ولحقوهم حتى قبضوا عليهم ولما بلغ هذا الخبر الى عساكر الاسلام خافوا وكان الملك اليكسيوس قد أرسل فرقة من جيشه صلبة الصليبيين لحصار قونية ولكنه لم يزل خائفاً منهم أرسل فرقة أخرى سرية تحت رئاسة أحد قواده المسمى بوطوميت لاجل الاستيلاء على قونية لتكون له فهذا القائد عمل كل جهده حتى دخل المدينة وهناك اجتمع مع الامراء المسلمين وعرفهم بان هؤلاء الصليبيين اذا امتلكوا المدينة يقتلونهم عن آخرهم واستحسن لهم ان يسلموها الى الملك اليكسيوس وفعلا تم هذا الاتفاق.

وأما الصليبيون فكانوا قد عزموا على الهجوم على المدينة بكل قوتهم لاجل استيلائها فاشعروا الا وسناجق الملك اليكسيوس على أسوار المدينة فانبعثوا لذلك واشتدوا غيظاً من معاملة هذا الملك المخادع خصوصاً لكونه أمر بالافراج عن زوجة ملك المسلمين وولديها واحسن معاملة الاسرى المحبوسين ولكن الصليبيين كتموا غيظهم وكان مدة حصار قونية مايزوف عن الخمسين يوم واقاموا مدة يسيرة حول مدينة قونية للاستراحة وبعدها قسموا

الجيش قسمين سارا بين القسم الاول والثاني مسافة قليلة واجتازوا جبال
أفريقية الصغيرة تاهين في الوديان قاصدين سوريا ولم يدم معرفتهم الاراضى
حصل لهم مشقة عظيمة وخصوصاً لعدم المياه وحرارة الجو
وكان القسم الاول تحت رئاسة بوهيموند وتانكريد ودوك نورمنديا انتهى
الى وادى مخصب عند نهر غورغوني وأقام مضاربه الاستراحة وفي صباح
اليوم الثاني وجدوا غباراً قد علا وثار وانكشف عن عساكر الاسلام بقيادة
ملكهم قليج أرسلان فاستمد هذا القسم للمدافعة فجمع الاولاد والنساء في
القلب والعساكر المشاة محتاطة بهم وأما الخيلة فانقسموا ثلاث فرق فاحدهم
كان برئاسة تنكريد والثاني برئاسة دوك دي نور منديا والثالث برئاسة
والثالث كان برئاسة بوهيموند أمير تارانثا رئيس هذا القسم. ولما تقاربت
العساكر الاسلامية اصطفت صفوفها وهجمت على الصليبيين هجمة شديدة ثم
تكاثرت عليهم الصليبيون وزحزحوهم عن مواضعهم ثم انهم ارتدوا عليهم
وأخذوا يرمونهم بالنشاب حتى ان خيولهم كانت تتساقط من الجراح وهجموا
بقوة على الصليبيين حتى بددوهم واستولوا على مساكنهم وأخذوا منهم
نساءهم وصاروا يقتلون فيهم قتلاً شديداً حتى أفنوا أكثرهم وقتل غوليام
أخو تنكريد وغيره من الامراء مع ما أظهروه من الشجاعة خصوصاً
بوهيموند الذي كان هجم على ملك المسلمين يريد قتله ولكن الملك هجم عليهم
وأثنهم بالجراح والقتل ثم ان أحد قواد الصليبيين المدعو روبرتوس دوك
دي نور منديا استجمع بعض عساكره وهجم على المسلمين وتبعه تنكريد
وريكارد أمير سالرنور واسطفانوس كونت دي بلواز وباقي القواد واستخلصوا
منهم النساء وصارت الطائفتان في قتال ونزال وهجوم ودفاع الى ان كل
الصليبيون وفروا هاربين وحل بهم عطش شديد من ارتفاع الحرارة وهكذا
كانت الدائرة على الصليبيين

ثم علا الغبار وبان عن عساكر القسم الثاني للصليبيين الذي كان تحت
 رئاسة غودافرو دي لورين القائد العام ورايموند وغيره الذي بلغهم خبر القسم
 الاول فاسرعوا بالمسير حتى لحقوهم علي آخر رهق من الحياة وحينئذ اصطفت
 عساكرهم قلب وجناحين فكان علي اليمين غودافرو وكونت دي فلانديو
 وكونت دي نافار وعلي اليسرة بوهيموند وتكريد وروبارتوس دي نور منديا
 وكان علي القلب رايموند وحملوا علي عساكر المسلمين حملة شديدة انتهت بفرار
 العساكر الاسلامية الي الجبال واستولى الصليبيون علي مضاربهم وأخذوا
 ذخائرهم وقد اشتهرت هذه الواقعة بواقعة رويله ونهر غورغوني

ثم سار جميع الصليبيين جيشاً واحداً قاصدين سوريا مارين في الجبال
 والوديان المعطشة وكان قايحج أرسلان قد سبقهم ببقايا جيشه يحرق المزروعات
 والكروم لئلا يجدوا شيئاً يأكلونه وهكذا حصل فان ما كولاتهم قد فرغت
 وصاروا يأكلون البقول الناشفة التي يلتقطونها من الارض وعدموا المياه بالكلية
 حتى ان البهائم ماتت منهم في الطريق وكنت تجد الرجل منهم ماشياً علي أقدامه
 حاملاً أمتعه علي ظهره وكذلك آلات الحرب فان العساكر حملتها علي ظهورها
 وكاد العطش يهلكهم لانه كان يموت منهم في اليوم الواحد نحو الخمسمائة من
 العطش والجوع وكذلك قد عدم منهم ما كان معهم من كلاب وخنزير وطيور
 كاسرة وساروا كذلك الي ان وصلوا الي وديان بسيديا وأقاموا للاستراحة
 وهم في غاية الظمأ . وكان لاحدهم كلب فغاب عنه يبحث علي ماء ثم رجع
 الكلب وجسده مبلول فعلموا بانه وجد ماء فاتبعوا الناحية التي رأوا الكلب عائداً
 منها وهناك وجدوا نهراً جارياً واشدة عطشهم انكبوا علي النهر يشربون بغير
 حساب حتى ان البض منهم ماتت من ذلك والبعض مرض ثم ساروا في طريقهم
 مارين ببلاد الارمن

✽ وصول الصليبيين الى طرسوس واختلافهم ✽

ففي أثناء مسير الصليبيين حصلت لهم بعض مصائب منها ان غودافرو كان خرج من جيشه للترهة وفيما هو سائر اذ سمع صوت رجـل يستغيث من خلفه فالتفت اليه فوجده رجلاً صليبياً طاملاً متاعه على ظهره ويتبعه دب هائل فزل هذا القائد عن فرسه لاجل ان يقتل الدب فسل سيفه وأراد الهجوم على الدب الذي بادته واراد ان يفتـرسه ووقع القائد تحته ثم انتصب قائماً ورفع يده بالسيف يريد قتله فجرحه السيف جرحاً بليفاً ثم لحقه احد القواد وقتل الدب وحمل غودافرو الى المعسكر ولكن لكثرة الدم الذي سال منه حصل له مرض شديد كاد يهلكه

ومنها انه كان انفصل من الجيش الصليبي قائدان وهما تنكريد وبودوين أخو غودافرو لاجل ان يلحقوا عساكر المسلمين الهاربين وهكذا ساروا منترقين حتى وصلوا مدينة طرسوس وكان السابق تنكريد وكان أهل المدينة أكثرهم من المسيحيين وحين سمعوا باخبار الصليبيين فرحوا بهم ولما وصل اليهم تنكريد فتحووا له أبواب المدينة التي دخلها بدون حرب ووضع على أسوارها سناجقه ثم وصل بودوين الى المدينة ووجد اعلام تنكريد عليها فحصل له غيظ شديد وأمر برفع علم تنكريد ووضع علمه ولذلك حصلت بينهما محاصرة وأخيراً قررا ان يجعل الرأي في ذلك لانتخاب أهل البلد ولكون تنكريد هو أول من وصل الى البلد ودخلها فلذلك انتخبوه ثم ان بودوين هددهم وخوفهم بالمقاب ففتحوا له أبواب البلد فطرح علم تنكريد في الخندق ووضع علمه على السور فحصل هرج عظيم بين الجيشين أي الجيش الايطالي الذي تحت قيادة تنكريد والجيش الفرنسي الذي بقيادة بودوين وكادوا ان يقتلوا لولا ان تنكريد كتم غيظه وطاب من جيشه المساعدة والكف عن

المخاصمة والمقاتلة ثم أخذ جيشه وسار الى ان وصل الى مدينة موبسواسطيه
 وكان بوهيموند قد أرسل شردمة من عساكره تباع الثمانمائة نفر في أثر تنكريد
 فلما وصلت هذه الشردمة الى طرسوس ووجدوا علم بودوين طلبوا المبيت
 داخل المدينة وفي الصباح يرحلون الى تنكريد فابى بودوين مبيتهم داخل
 البلد ولذلك نصبوا خيامهم خارج البلد وباتوا هناك وفي منتصف الليل هجمت
 عليهم جماعة من الاتراك فأفروهم عن آخرهم ولما بلغ هذا الخبر الى داخل
 المدينة اجتمع المسيحيون سكان البلد وانقضوا على المسلمين وذبجوهم بدون
 شفقة

وأما بودوين فانه خاف من هذا الحادث الفظيع خصوصاً لكونه هو
 السبب في ذلك فابقى بطرسوس جانباً من عساكره لاجل حمايتها وأخذ الباقي
 سائراً في أثر القائد تنكريد الى ان بلغ مدينة موبسواسطيه ولما اقتربت
 الجيوش من بعضها وكان خبر مقتلة الثمانمائة ايطالي بلغ جيش تنكريد طلبوا
 محاربة بودوين فمنعهم قائدهم فأوسعوه شتاً وسباً ونسبوا له الجبن وأخيراً التحم
 الحيشان واقتتلا وانجلى الواقعة عن انهزام تنكريد وجيشه لقلته وكثرة عدوه
 ودخلوا المدينة

ولما أصبح الصباح تناسوا ما جرى لهم بالأمس وطلبوا الصلح الذي
 تم بينهم بمناقحة تنكريد وبودوين بعضهما امام جيوشهم وتحالفاً معاً ثم ان
 تنكريد صار يضع يده على البلاد التي يمر عليها حتى بلغ حكم اسكندرونه
 ومنها رجع الى المعسكر العام ظانراً منصوراً غانماً أسلاباً كثيرة فاقبله الجيش
 العام بالاكرام والاحترام وهنأوه وأما بودوين فانه لما وصل الى المعسكر
 العام قوبل بنتور ولأموه على أفعاله خصوصاً أخوه القائد العام فانه أنبهه
 خصوصاً لقتل الشردمة البادية انذكر وكان بودوين قد تصاحب مع أمير أرمني
 اسمه انكراس الذي كان دائماً يصحبه مفضلاً له عدم المسير مع الصليبيين

والاستقلال بمملكة أسيوية مخبراً إياه بان البلاد الكائنة على شطوط نهر
الفرات مخصبة جداً وأكثر سكانها مسيحيون والجميع مستعدون لتسليمها إلى
من يحضر من قواد الصليبيين ولذلك عزم في نفسه على انفصاله من الصليبيين
والاستقلال بهذه البلاد وانتهز فرصة لومه من الجيش وترذيله وانفصل عنهم ومعه
ألف و ٥٠٠ عسكري مشاة ومائتا فارس

✽ اخبار بودوين على شطوط نهر الفرات ✽

لما انفصل بودوين من الصليبيين وصحبه انكراس الارمني لم تدم صحبتهما
لان انكراس الارمني لما وجد ان بودوين قد امتلك مدينة طور باسال
ومدينة رافاندال واحتص بهما لنفسه يسس وانفصل عن بودوين الذي كان
كلما يصل الى بلد من شطوط نهر الفرات كانوا يقابلونه ويعظمونه حتى انه
امتلك أكثر البلاد بدون حرب وترك بعض عساكره حفظاً لسيادته الى
ان وصل الى مدينة (الرها) التي كانت تحت حكم أمير يوناني اسمه
ثاودورس من لدن ملك الروم وكان يدفع الجزية في كل سنة الى المسلمين
ولما بلغ سكان هذه المدينة قرب وصول الصليبيين اليهم فرحوا فرحاً شديداً
وخرجوا لملاقاة بودوين ومن معه (لان الباقي معه من عساكره كان مائة خيال
فقط) متوسلين اليه ومحافينه بالدخول الى مدينتهم وحمايتها من المسلمين فهذا
القائد قبل مطالبتهم وسار معهم الى ان دخل المدينة

وكان الامير ثاودورس حاكم المدينة لا يريد دخول هذا القائد الى مدينته
ولكن خوفه من عصيان رعيته ألجأه على الترحاب به والترانف له . وأما
بودوين فلما وجد أهل المدينة يطلبون حمايته ولم يقرروا على امتلاكه لما قال
انه لا يمكنه ان يحمي بلداً لم تكن له ولذلك ستركها . فلما علم أهل البلاد بذلك
اجتمعوا لديه وطلبوا منه عدم ترك مدينتهم ولما نظر ذلك ثاودورس قال

له اني رجل كبير مسن ولم يكن لي ولداً وارث فارجو ان تكون بصفة ابن
لي وتكون ورثتي الوحيد ولما سمع ذلك بودوين وعلم بان سيكون بعد
موت ثاودورس ورثاً لمدينة الرها بل لجميع شطوط الفرات فرح فرحاً
شديداً ووعد بان يحمي تحت سيفه مقاطعة قد اُضحت ميراثاً له بعد زمان
قليل يمر ثم انه اتفق مع أهل البلد وقتلوا ثاودورس بعد محاصرته بالقلمة
وطالبه الامان منهم فخافوه ورموه من فوق السور ثم قطعوه قطعاً

﴿ محاصرة الصليبيين انطاكية وامتلاكها ﴾

سارت الجيوش الصليبية قاصدة سوريا مارة بالمدن الآتية وهي: ايكاونيا
وهيراكليا • وقيسارية كياروكيا • وتيانا • وفوزقون • ومرعش وكان أهالي
هذه المدن اذا وصلت اليهم اخبار الصليبيين يخرجون من مدنهاهم ويقابلونهم
بالاكرام ويسلمون لهم مدنهاهم بدون حرب • وكانت شدة الحرارة وصعوبة
الطريق قد أثبتتهم خصوصاً في جبال الشيطان التي هي فيما بين فوزقون
ومرعش ثم باغوا جبل طاوروس وجبل أمانوس الى ان وصلوا انطاكية في
سنة ١٠٩٧ الموافقة سنة ٤٩١ هجرية وكان الحاكم على هذه المدينة باغيسيان
أصغر أولاد الملك شاه الساجوقي فلما باغاه خبر الصليبيين أمر باقفال المدينة
والاستعداد للحصار وكان الممر الوحيد الى سهل انطاكية على جسر فوق
نهر العاصي وعلى جانبي ذلك الجسر برجان محصنان فيهما كثير من الرجال
فحاربهما الا فرنج أولاً وأخذوهما ثم دنوا من انطاكية ونصبوا خيامهم فكان
القائدان بوهيموند وتنكريد على العساكر الايطالية امام باب القديس بولص
وعلى يمينهم العساكر الزماندية والبريطونية والفلامندية وأما الفرنسيون
الذين بقيادة روبرتوس هو كزدي فار مندياور وبارنوس كونت دي شارتيه
فكانوا بالجهة البحرية امام باب الكلب وأما غودافرو والكونت دي طولوز

وادهماردي مونتيل فانهم كانوا على جسر نهر العاصي فمقدوا مجلساً حكماً
 فيه بوجوب محاصرة انطاكية وأخذوا الأهبة للقتال وأما عساكر الاسلام
 المحصورون داخل الاسوار فلم يبديوا حراكاً ولم يظهر منهم مقاتل واحد فوق
 الاسوار والابراج ولذلك استخف بهم الافرنج وأخذوا يذبذبون التحفظ
 وانكفوا جميعاً على التلذذ بالملاهي وبنضارة ذلك المكان وطفقوا يرتكبون
 كل القبائح والرزائل بينما كان المحصورون في المدينة يتأهبون للدفاع عن
 ذمارهم ويستعدون كل الاستعداد حتي غنموا فرصة انشغال أعدائهم بالذات
 والمعاصي وخرجوا من المدينة وأوائك متفرقون في القرى فهجم المسلمون
 عليهم هجمة الاسود فانكسر الافرنج انكساراً كبيراً وبعد ذلك حدثت معارك
 كثيرة بين المحاربين كان النصر فيها حليفاً للمحصورين وفقدت مؤونة
 الافرنج فظهر عدم درايتهم للعيان بسوء الادارة التي أخذت تؤثر فيهم وشمروا
 حينئذ بنقص الأهبة الحربية فاقاموا أبراجاً لصدم الابراج التي على المدينة
 وصمموا على تدقيق الحصار وتشديده بحيث يقطعون المدد عن المدينة ولم
 يتمكنوا من تنفيذ ما ربههم الي ان وقعوا في الارتباك ودهمهم فصل الشتاء
 وحل بهم مرض البرداء واشتد فيهم حتي مات كثيرون واشتد الحال جداً
 حتي كثيرين من الذين وسموا أنفسهم ظاهراً بسمة دينية مقدسة وباطناً
 يافكار النهب والسلب وارتكاب ماظهر نموذجاً فروا هاربين للتخلص من
 مشاق الحروب الشرقية ومن غريب الامور ان بطرس الساج المبادي بتلك
 الحرب كان أول الهاربين الا ان الامير تنكر بدأدركه وأعادته وأقسم بدوام
 مرافقة الذين قادهم للحرب أما المحصورون فاقاموا بكل أنواع الحكمة واصول
 الدفاع وكان لهم جواسيس من السريان يعرفون بواسطتهم كل ما يحدث في
 معسكر الأعداء ولذلك قرر بوهيموند ان يصير التدقيق بالبحث عن الجواسيس
 ومتى وجد واحداً منهم يذبح ويطبخ لحمه أو يشوى ويؤكل ولا شك ان هذا

الامر في غاية البربرية وبذلك قد انقطعت الاخبار عن المسلمين وفي اثناء ذلك
بعث المستعلى بالله العاوي من مصر وفداً الى الافرنج يعرض عليهم الصلح
والمسألة وانه يرجع اليهم الكنائس التي شيدها المسيحيون وان يحامي عنهم
ويفتح أبواب بيت المقدس للزوار بشرط ان يدخلوها بلا سلاح ولا يقيم
الواحد منهم فيها أكثر من شهر واذا رفضوا ذلك فالخليفة مستعد لان يعقد
مخالفة من المسلمين لصدهم فلم يحتفل الافرنج بعقد الصلح مع انه خوهم
المقصد الذي ادعوا انهم يحاربون لاجله ولم يرغبوا حجب دماء العباد والرجوع
الى اوطانهم سالمين بل اجابوا الوفد باستعدادهم للحرب غير مباين بما
يصادفونه من قوة الاسلام وكان صاحب حلب وغيره من أمراء البلاد قد
بعثوا بالامداد من الجنود لنجدة انطاكية



وعلم الافرنج بذلك فساروا اليهم قبل ان يدركوا المدينة وحاربوهم
فانكسر المدد وقتل الافرنج منهم عدداً غفيراً وبعثوا برؤوس كثيرين منهم
الى الوفد المصري ورموا رؤوس أخرى الى المدينة وجرت مواقع كثيرة
كان النصر فيها تارة للمسلمين وطوراً للصليبيين وأخيراً طلب أهل المدينة

هدنة فجددوا فيها الذخائر والمهمات وتمادى الحال ولم ينل الا فرنج أربابا
سما لان الشقاق كان سائداً بينهم وكان بوهيموند بود ان يتولى على انطاكية
لغيرته من بودوين والى الرها وبذل في ذلك عناية عظيمة حتى أسعفه شخص
اسمه فيروز أصله أرمني واعتنق الديانة الاسلامية وكان يحبه باغسيان ولذلك
قلده أميراً على ثلاثة أبراج كبيرة وكان هذا الرجل من التقلب وحب الرفعة
والمال على جانب عظيم لذلك عقد مع بوهيموند شروط التسليم بالخيانة
وكشف كل منهما مكنونات ضميره ثم جمع بوهيموند الامراء وقواد الجيش
واعلمهم بانه يلزمهم أخذ المدينة بنوع الخيانة والرشوة بالمال فعارضه القواد
خصوصاً الكونت دى طولوز وبعد ذلك ببضعة أيام شاعت الاخبار بقدم
كربوغا صاحب الموصل بالوف من الرجال لجددة المدينة فخاف الا فرنج وخطب
فيهم بوهيموند بوجوب استعمال الخيانة لامتلاك المدينة فاذعنوا لذلك وفي
تلك الليلة اجتمع بوهيموند بفيزوز الخائن واتفقا على وقت تسليم المدينة
وانفصلا وفي آخر اليوم الثاني جمع الا فرنج خيامهم وانسحبوا عن ساحتهم
بالطبول والصرخ نحو بيت المقدس حتى تواروا عن العيون ثم قفلوا راجعين
بهدو حتى بلغوا البرج الذي كان فيه فيروز فاقام ذلك الخائن بفظائمه حتى
قتل بيده أخاه الذي لم يكن عالماً باتفاقه وخاف منه ان يشهر بالصليبيين
فيصيح على الخفرا فيبادر بقتله ثم ادلى سلم من جلد فتعاق به شخص اسمه
بايمان من عساكر بوهيموند الى ان صعد البرج وأراه جثة أخيه المقتول ثم
اتبعه بوهيموند وكونت دى فلاندر وغيره وامتلكوا الثلاثة أبراج بعد ان
أمرهم فيروز بقتل أخيه الثالث الذي كان على برج آخر وامتلكوا سبعة غيرها
بعد ان قتلوا حراسها وكسروا الابواب ودخلوا المدينة فملكوها وكان ذلك في
٣ يونيو سنة ١٠٩٨ بعد حصار تسمية شهر وقتك الصليبيون بالاهالي فتكا
قريباً ليلاً ونهاراً حتى انهم كانوا يهجمون على البيوت ويقتلون من فيها ماعدا

حيوت المسيحيين الذين كانوا يضعون عليها الصليب للتمييز ومن قر من عساكر
الاسلام كانوا يلحقونهم في الحقول والاحراش ويقتلونهم (وهكذا تكون
حياة الانسانية) وفر باغيسيان فقتله بعض الارمن وجاؤا برأسه الى انطاكية
أما القلعة فكانت لم تنزل بيد المسلمين واقام بوهيموند رايته في أعلى برج في
المدينة دلالة على استيلائه عليها ومن هذا الوقت قد استنصر فيروز الخائن
وأجبه بوهيموند

﴿ محاصرة المسلمين انطاكية وظهور الحرب المقدسة ﴾

أقام الصليبيون بانطاكية ثلاثة أيام وعلي قول ابن خلدون ثلاثة عشر
يوماً وهم في فرح وسرور لاستيلائهم على المدينة فأولموا الولائم وصرفوا
أوقاتهم بالملذات والملاهي وفي اليوم الرابع من حلولهم فيها جاء قوام الدين
كربوغا صاحب الموصل الى مرج دابق بالشام واجتمعت عليه العساكر فكان
معه دقاق بن تيش وطرطرين اتابك وجناح الدولة صاحب حصص وأرسلان
تاش صاحب سنجار وسقمان بن ارتق وغيرهم من الامراء المسلمين وجمعوا
ما كان هناك من الترك والعرب وبادروا الى انطاكية وحاصروها واضطرب
الافرنج وخافوا وأخذ الضيق منهم كل مأخذ فلم يعد عندهم زاد ولم يكن لهم
يد لاستجلاب المدد لان القرى الواقعة بجوار انطاكية كانت قد باتت مدمرة
من نتائج الحرب ولذلك تضايق المحصورون جداً وامسى حالهم تديساً وبمدة
وحيزة نفذ كل القوت والذخيرة حتى التزم الافرنج ان يأكلوا البهائم واضطرب
كثير منهم الى الشجادة فكانت ترى كثيرين من الامراء منهم كونت دي
فلاندرايطوف الازقة يطلب الصدقة وفر كثير من المحصورين طلباً
للتجاة من الموت جوعاً وهكذا مضت مدة أيام على هذا المنوال فخارت
قوى الجنود وضعفت وكان المسلمون يعلمون ذلك فلما رأى الامير بوهيموند

أمير ترانتا وانطاكية كسل أصحابه وتقاعدهم أحرق دورهم قصاصاً لهم ولكن
 لسان اللهب تجاوز حده فامتد الى جهات ساء الامير حرقها الا ان تلك النار
 لم تحرك حماسة قوم اقدمهم الجوع الشديد والضعف ولذلك صارت الكهنة
 والامراء وبعض الناس يقصون انهم رأوا أحلاماً ونبوءات تفيد ان الصليبيين
 سيغلبون أعداهم وذلك لتدب الحمية في قلوب أولئك الكسالى وتوصلاً لما
 يريدون قال كاهن من أهل مرسيليا جنوبي فرانس اسمها بطرس برتولوني
 ان القديس اندراوس الرسول ظهر له في الحلم ثلاث مرات وقال له اذهب الى
 كنيسة أخي بطرس بانطاكية وهناك بقرب الهيكل الملوكي تجد الحربه الحديد التي
 طعن بها جنب المسيح مدفونة في الارض وانه بمجرد حمل هذه الحربه أمام
 جيش الصليبيين يحصل له النصر .

ثم انتخب اثني عشر شخصاً من الاعيان والكهنة ليكونوا شهوداً على
 اكتشافها ولم يسمح لاحد من الجنود والاهالي بحضور الحفر الذي اشتغلوا به طول
 النهار وهم يدققون البحث فلم يجدوا شيئاً والابواب مغلقة عليهم وبعد الغروب نزل
 الكاهن بنفسه وأحضرها
 أما الحربه ففيها أقوال لان المؤرخين الاكبريين يقولون انها معجزة
 الهية وغيرهم يقولون ان الافرنج لما رأوا وهن عزائم جنودهم وانهم لا ينشطون
 بلا محرك فمال دبروا هذه الحيلة فنجحت نجاحاً عظيماً على انه بعد حين يسير
 انكشف الغطاء عن أعين كثيرين وبات جمهور غفير من الناس لا يركنون اليها ولا
 يصدقون بها

(نقلنا هذا بدون ابداء رأينا فيه وهو مجمل ما كتبه حضرة الفاضل
 جورجى افندى يني في كتابه تاريخ سوريا وكذلك ما جاء بكتاب (الحروب
 المقدسة الجزء اول)

وحينئذ فرح الصليبيون بهذه الحرب واجتمعوا في الكنائس واقسموا
 جميعاً بمداومتهم على الحروب وارسلوا بطرس الساخ الى صاحب الموصل
 يطلبوا منه المقاتلة في الحرب فوعدهم بالحرب وفي ثاني يوم خرج الصليبيون
 جميعاً وهجروا على جيش الاسلام وكان كربوغا جالساً في خيمته طائناً بان
 المسيحيين قادمين الى طلب الصالح ثم التفت الى القلعة فوجد الراية التي عليها
 سوداء فعرف بان القوم جاؤا مهاجمين فاندهل واذا بكثيرين من جماعته يركضون
 صرتمشين وأخبروه بان الصليبيين خرجوا عليهم مرتين جنودهم اثني عشر
 فرقة تحت رئاسة قوادهم هو كزوغودافرو وروبارتوس دي نورمنديا وادهار
 دي مونتيل وتنكريد وبوهيموند وان رايموندي اجيلاس يحمل الحربة
 أمامهم فامر الامير كربوغا بترتيب الجيش وأمر كل من صاحب حلب والشام
 ونيقيه بان يكمنوا وراء عساكر المدو لينموهم عن انطاكية وبعد قتال شديد
 وهجوم ودفاع كاد ينتصر فيه المسلمون ولما كان في الاسلام من النفرة
 لصاحب الموصل تمت هزيمتهم وكان كربوغا في أوائلهم وذلك في ٢٩ يونيه
 سنة ١٠٩٨ وغنم الافرنج غنائم لا تحصى وجمعوا مالا غزيراً فمادوا الى انطاكية
 بثروة عظيمة ثم ان من كان في القلعة لما علموا بهزيمة الجيوش الاسلامية
 القوا سلاحهم وسلموها فوقع بين بوهيموند أمير انطاكية وبين الكونت دي
 طولوز نشور وخصام بشأن تملكها ثم انتشبت في الصليبيين الامراض الوبائية
 حتى مات منهم كثيرون ومات أيضاً القائد ادهماردي مونتيل أسقف بوي ودفن في
 كنيسة ماري بطرس محل وجود الحربة ثم ساروا الصليبيون الى معرة النعمان
 وحاصروها حتى كلوا ثم امتلكوها واخلشوا في استباحتها

﴿ مسير الصليبيين من انطاكية قاصدين بيت المقدس ﴾

بعد مضي نحو الستة شهور من استيلائهم على انطاكية ساروا الى جهة

سوريا العليا واجتازوا مقاطعة قيسارية وحمص وكانت أهالي البلاد
تقابلهم بالترحاب تلافياً لعدائهم وهكذا ساروا مسرعين الى ان وصلوا مدينة
اركاس الكائنة عند سفح جبل لبنان فرفض أهاليها تسليمها ولذلك حاصرها
قسم من الصليبيين تحت قيادة راييموند وتتكريد والدوك دي نورمندا وعساكر
الكونت دي طولوز

وقسم آخر من عساكر فلاندر وهولاندا وانكلترا وبوهيموند سار
الى ان وصل الى اللاذقية وهناك رجع بوهيموند الى انطاكية ونلايته واعداء
اياهم بان يتبعهم فيما بعد ويذكرهم عند أسوار بيت المقدس
وقسم ثالث برئاسة غودافرو واسطاكيوس سار الى ان وصل الى جيلة التي
على شط البحر قريبة من اللاذقية وحاصرها بقوة

وقسم رابع برئاسة راييموند دي طوران حاصر طرطوز وامتلكها بعد
هروب أهلها فالقسم الاول بعد محاصرته مدينة اركاس كما ذكر لم يتمكن من
أخذها ففي آخر شهر مايو سنة ١٠٩٩ فقد صبرهم فساروا نحو فلسطين فقابلهم
أمير مدينة طرابلس وبعد ان حاربوه وتغابوا عليه صالحهم على مال وساروا
قاصدين بيت المقدس ثم تقابل جميع الصليبيين وساورا معاً الى ان وصلوا الى
عكا وحينئذ خرج واليها الذي كان تابعاً لخليفة مصر وأعلمهم بانه مستعد
لتسليمهم المدينة عند ما يستولون على بيت المقدس ولذلك تركوه الى ان
وصلوا عمواس القديمة وهناك قاباهم وفد من أهالي بيت لحم وطلبوا اغاثتهم
فتوجه معهم الأمير تنكريد ليلا ومعه ثمانمائة نفر الى ان دخلها ليلا
ووضع رايته عليها ثم ارتجع ولحق بقومه وهكذا ساروا الى ان وصلوا الى
مدينة اورشليم



﴿ محاصرة الصليبيين لبيت المقدس واستيلاؤهم عليه ﴾

كان بيت المقدس تابعاً لمملكة مصر السعيدة وكان الحاكم عليه افتخار الدولة من قبل الخليفة المستعلي بالله العالوي وكان قد أمر ببناء ما تمهد من السور وقت استيلاء الافضل بن بدر الدين قائد الجيوش المصرية من الامير سقمان بن ارتق واستمداداً بما يلزم للحصار ولما وصلت الصليبيون الى المدينة انعقد مجلس مشورتهم وقرر حصار بيت المقدس فكان كما يأتي في شمال المدينة دوك دي نورمديا وكونت دي فلانديرا وتسنكريد أي من باب هيردوس الى باب القديس اسطفانوس وكان غودافرو واسطاكيوس وبودوين دي جورج حول جبل الجبلجيه من باب دمشق الى باب يافا وكان الكونت دي طولوز ورايمود دي أورانج وغايوم دي مونت بلير وغاسطون دي بيراعلي بين غرافرو على جبل صهيون قبلي المدينة الى الغرب وهكذا أقيم الحصار مدة من الايام ثم انهم هجموا هجمة قوية على سور المدينة القديم بقصد هدمه فاخذ فريق منهم يهدم السور وفريق يدافع الى ان هدموا معظمه ودخلوا منه وارادوا هدم السور الداخلي فما أمكنهم ثم افتكروا في كيفية استيلاؤهم على المدينة وأخيراً قرروا بان يتسلقوا السور بالسلام الجلد والجلال التي معهم بكثرة وأخذوا يرمون السلام على شرافات السور فتعلق به وبهذه الوسيلة صعد الى السور منهم كثيرون ولما نظروهم عساكر الاسلام هجموا عليهم باعلى السور واقتتلا الفريقان ودارة الدائرة على الصليبيين الذين فروا الى معسكرهم بواسطة السلام أيضاً ومن هذا الوقت افتكروا بانه يلزمهم منجانيقات للقذف بها على السور والمدينة فاخذوا يبحثون على الاخشاب اللازمة لذلك حتى انهم هدموا منازل القرى المجاورة للمدينة وأخذوا اخشاب السقوف وكان ذلك في فصل الصيف وفي شدة الحر وعدم وجود مياه كافية لسقيهم لان حاكم المدينة كان أمر بهدم الصهاريج التي بالخارج

فناهم ظمأ شديداً لان نهر سلوان الذي كانوا يستقون منه كانت مياهه شحيحة
ولم تكن تجري دائماً

وكانت قد وردت أخبار للصليبيين تبشرهم بان قد جاءتهم المراكب تحمل
ذخائر وغيرها من جنوى فشملمهم الفرح والسرور وسار منهم قسم لاجل
استحضار ذلك ولما توجهوا الى ناحية جوبه وجدوا مراكب الاسلام قد
داهمت مراكبهم وحرقتها وكان ذلك بعد اخراج الذخائر الى البر ثم انهم
نقلوا هذه الذخائر مع آلات الحرب ومن حضر معهم من المهندسين وتوجهوا
الى بيت المقدس وكان أيضاً احد أهالي سوريا قد دل الصليبيين على حرش
بعيد عن المدينة بمسافة ثلاثين ميلا في جبل بين وادي شيخيم ووادي السامرة
فانطلق منهم قسم الى هناك وقطعوا اخشاب الحرش وحملوها على عربات
نجرها البقر ولذلك صنعوا ثلاثة ابراج من الخشب كل برج ثلاث طبقات حتى
صارت الابراج أعلى من سور البلد وعمد على الابراج جسر ولذلك فرح
الصليبيون فرحاً شديداً ثم عقدوا مجلس مشورتهم ايعينوا يوم الهجوم وكيفيته
وهذا المجلس قرر تغيير مواضع الحصار فنقلوا الابراج الخشبية الى شرقي
المدينة عند باب سيدار تحت رئاسة دوك دي لورين وأقاموا المنجانيقات
والاكباش تحت رئاسة تنكريد وروبارتوس من باب دمشق والبرج المقرن
الذي دعى فيما بعد ببرج تنكريد

وفي يوم الخميس ١٤ يولييه سنة ١٠٩٩ هجم الصليبيون هجمة شديدة
على كل جهات المدينة خصوصاً الابراج الخشبية التي كانوا يجرونها بمجمل
الى أى جهة يريدونها وكانت مملوءة بالمحار بين تحت رئاسة غودافرو وأخيه
اسطايوس وبودوين دي بورغ اللذين كانا بالبرج الاعلى وكانوا يصدرون
أوامر الحرب من أعلاه هذا البرج فيهمجمون بالابراج على أسوار المدينة
وكذلك رؤساء المنجانيقات كانوا يتابعون الرمي بها بسرعة وعساكر الاسلام

تقابلهم كالأسود ولا يبالون من هذه الهجمات وكانوا يرمون الصليبيين بالمواد
المتهبة ومشتعلة بالزيت وكانت مركبة على الأبراج آلات حربية كبيرة لصد
هجمات الصليبيين وظل الفريقان في هجوم ودفاع طول اليوم المذكور بدون أن
يظهر النصر لفريق منهم

وفي صباح اليوم الثاني بادر الفريقان للمحاربة واشتدت هجمات
الصليبيين على المدينة ولكن حسن دفاع المسلمين منهم من التقدم إلى السور
فكان المسلمون قد وجهوا قوتهم ضد من في البرج الأعلى الذي كان فيه
غودافرو ومن معه حتى أنهم قتلوا أكثر عساكر دوك دي لورين وكان
وايموند من ناحية المدينة القبلية مع جماعة يباشروا أعمالهم الحربية بصورة
عديمة الوصف وكان تنكريد وروبارتوس من الجهة الشمالية وهكذا صار
القتال منتشراً بينهم وكان الانتصار لجيش المسلمين إلا أن الصليبيين رموا ناراً
من الأبراج الخشبية على آلات الحرب المركبة على السور فالتهمت وزادها
الريح التهاباً وتطاير الشرار والدخان على عساكر الإسلام فاضطروا للتأخر
عن الأسوار ولذلك نزل دوك دي لورين وغودافرو من الأبراج ومعهم
عساكرهم إلى الأسوار وصاروا يقتلون من المسلمين من يجدوه ثم اتبعهم كثير
من عساكر الصليبيين الذين كسروا باب القديس اسطفانوس بالفؤوس والمعاول
ودخلت منه باقي العساكر الصليبية وكان ذلك في ١٥ يوليو سنة ١٠٩٩ لسبع
بقيين من شعبان سنة ٤٩٣ وكانت مدة حصار المدينة أربعين يوماً ثم ان
العساكر الصليبية فتكوا بالمسلمين فتكاذريماً وصاروا يقتلون الرجال والنساء
والكبار والصغار والبنين والبنات وقتلوا داخل المسجد ما ينوف عن سبعين
الفاً من المجاورين فيهم العلماء والزهاد والعباد حتى كانت الجثث ملقاة في
الازقة والأسواق وأخذوا من المسجد نيفاً واربعين قنديلاً من الفضة زنة
كل واحد ثلاثة آلاف وستمائة درهم و ١٥٠ قنديلاً من الصغار وتوراً من

الفضة زنته أربعون وطلاشامياً وغير ذلك مما لا يحصى واعتصم باقي الاسلام
بمحراب داود عليه السلام حتى استأمنوا وخرجوا ليلاً الى عسقلان وكان
السبب في ذلك انه انمقد مجلس مشورة الصليبيين وقرر بان يقتل كل مسلم أو يهودى
باق في المدينة فخرج المسلمون بعد الاستئمان والتجأ اليهود الى كنيسهم فخرقوا
الصليبيون جميع الحي بما فيه الكنيس ومن فيها



وبعد ذلك انمقد مجلس مشورتهم لانتخاب أحدهم ليكون ملكاً على بيت
المقدس وبعد مجادلات ومعارضات تم انتخاب أربعة وهم غودافرو ورايموند
ودوك نورمانديا وتسكريدواخيراً عينوا لجنة من الكهنة وغيرهم عددها عشرة
لاجل ان ينتخبوا واحداً من الأربعة المذكورين فانهقدت اللجنة وقررت انتخابه

القائد غودافرو ولما أرادوا تتويجه ليكون ملكاً على بيت المقدس أبي ان
يلبس التاج قائلاً لا يمكنه ان يضع علي رأسه تاجاً من ذهب مرصعاً بحجارة
كريمة في بلد توج فيها المسيح با كليل من شوك وأبي ان يلقب بملك القدس بل
(بمحمي قبر المسيح)

* (واقعة عسقلان وانتصار الصليبيين فيها) *

بعد ان تملك الصليبيون بيت المقدس وصل صريح الاسلام الى الخليفة المقتدى
ببغداد مستغيثين به فارسل وفداً الى السلطان بر كيارق مؤلف من أبي محمد
الدامغاني وأبي بكر الشاشي وأبي القاسم الزنجاني وأبي الوفاء بن عقيد وأبي
سعد الحلواني وأبي الحسين بن السماك فساروا الى بر كيارق يستصرخونه
للمسلمين فانتهوا الى حلوان (غير حلوان مصر) وبلغهم مقتل نجل الملك
البارسلان وفتنة بر كيارق مع أخيه محمد فرجعوا وكانت قد وصلت الاخبار
الى مصر فاضطربت وأصبحت تخشى أن يصيبها مثل ذلك فسار أمير الجيوش
الافضل الى سوريا لمحاربة الصليبيين وكانت أخباره وصلت الى بيت المقدس
فخرج غودافرو ومعه تسكريدوا الكونت دي فلانديرا وروبارتوس دي نورمانديا
ورايموندي طولوز وبتريق أورشليم الجديد ارنول وساروا قاصدين الجيوش
المصرية الذين قابلوهم بجوار مدينة عسقلان وهناك اقام كل من الفريقين خيامه
واصطفت العساكر لكل فريق قلباً وجناحين واقتتل الجيشان قتالاً شديداً
كان النصر فيه للصليبيين وانهمزمت العساكر الاسلامية بعد ان قتل أكثرها
ودخلت مدينة عسقلان ثم بعد انتهاء هذه المعركة رجعت الجيوش الصليبية
الى أورشليم مسرورة لحصولهم على النصر وأمامهم الطبول تعزف

* (انتهاء الحروب الصليبية الاولى وسفرهم الى أوطانهم) *

بعد النصر الذي حصل للصليبيين في سهل عسقلان ورجوعهم الى بيت

المقدس حصل شقاق بين أمراء الاسلام على انه كان الواجب في مثل هذه الاحوال ان يتحدوا يداً واحدة لمقاومة الاغراب لكنهم جاؤا بالعكس فانقسمت الآراء وتشقت القوات تحارب بعضها بعضا لاسباب واهيه . ولما علم الصليبيون بانه لم يوجد أحد من المسلمين يحاربهم طلبوا الرحيل الى أوطانهم تاركين مدينة اورشليم وفيها غودافرو والامير تنكريد الذين رغبوا ان تكون وطناً جديداً لهم يقضوا فيه باقى ايام حياتهم وهكذا انتقضت الحروب الصليبية الاولى التي استمرت أربع سنوات استولوا فيها على بلاد الروم الشرقية أى بر الاناضول والارمن وانطاكية وبيت المقدس وأكثر بلاد سوريا وبلاد ما بين النهرين (أي حكومة بودوين المستقلة) ولما رجع باقى الجيوش الصليبية الى ممالكهم باوروبا ومقاطعاتهم جاءت اهلها اليهم فرحين بمقابلتهم ولما علموا بان الصليبيين جميعهم (ماعدا البعض الذى سافر الى وطنه) قد قتلوا ودفنوا في آسيا أخذوا اينديون ويولولون حتى انه لم يخل عائلة من نواح وبكاء وكذلك سافر بطرس السائح الى دير على نهر موزا واقام هناك الى ان مات

* (الحروب الصليبية الجديدة) *

بعد وصول الصليبيين الاول الى بلادهم اتقدت الغيرة بين رؤساء العساكر الذين كانوا اقاموا باوروبا ولم يسافروا معهم وتلك عزموا على تجريد حملة ثانية والتوجه الى البلاد الشرقية كي يتحصلوا على الانتصار والامتلاك مثل من سبقوهم فلذلك حملوا الصليبان كمادتهم وتجمعوا من كل مملكة فكان من مملكة فرانسأ أخو سلطانها واسطفانوس كونت دى بولوز تحت رئاسة غويليوم التاسع كونت دى بواير ومن ايطاليا الكونت دى بلاندراس البرتوس وانسلموس رئيس اساقفة مدبولان بجيوشهم الكثيرة العدد ومن مملكة النمسا الكونت كونراد قائد جيوش الملك انريكوس وفولف الرابع دوك دى

بافيريا والامير ايضا وصرغرا دي أوستريا وغيرهم وسار الجميع بجيوشهم
الكثيفة الى ان وصلوا الى القسطنطينية فلاك القسطنطينية الكسيوس خاف
من غوائل الصليبيين فاستدعى رايموند دي طولوز الذي كان وقتئذ والياً على
اللاذقية من قبله ولما حضر رايموند المذكور منع الصليبيين من العيث ووعدهم بأنه
سيكون راندهم في طريق أسيا الصغرى ثم انهم عبروا الى البراثاني وهناك انقسموا
ثلاثة أقسام

فالقسم الاول كان برئاسة رايموندي سان جيلاس ودوك دي بورغونيا
والكونت دي شارتراس ورئيس أساقفة مدبولان والكونت دي بلاندراس وكان
رئيس أساقفة مدبولان حاملاً الذخيرة المقدسة وهي ذراع القديس امبراتيوس
التي جاءها من أوروبا ورايموند كان أخذ معه الحربة المقدسة التي وجدوها
بانطاكيه فهذا القسم الذي كان مؤلفاً من مائة ألف عسكري بعد ان أخذ
مدينة ايكوريه قام لمقاتلته سلطان نيقية وبلاد الروم الامير قايج أرسلان
وبصحبه صاحب الموصل الامير كربوغا فجمعوا جيوشهم وهجموا على هؤلاء
الصليبيين هجمة صادقة واشتبكت المعركة بين الجهتين في أرض هاليس وبعد
قتال شديد فازت المساكر الاسلامية بالنصر وشتتوا الصليبيين وبددوهم
فقرروا هار بين في القفار الى قرب مدينة سينوبيا حيث تقابل كل من الكونت
دي بلواز وفر ايموند دي سان جيلاس ودوك بورغونيا وجمعوا حولهم
فضلات قليلة من باقي جيوشهم . وأما القسم الثاني فكان برئاسة الكونت
دي نافر وسار متقدماً في المسير الى مدينة اينكوريا قاصدين مدينة
هيراكليا وهناك صادفتهم مساكر الاتراك المذكورون قبله وحملوا عليهم الى
ان بددوهم عن آخرهم

وأما القسم الثالث البالغ قدره مائة وخمسين ألف مقاتل تحت رئاسة الكونت
دي بواثير والدوك دي بافيريا وهو كز دي فرمندوس فبعد ان امتلكوا مدينتي

فيلو مليون وساماليا ساروا نحو مدينة سنسكون مجتهدين في اتحادهم بعسكر
القسم الثاني واذا بعساكر قايح ارسلان وعساكر الامير بوغالا اسلامية قد حملوا
عليهم واقتتل الفريقان وكانت معركة مخيفة لان عساكر الاسلام اعموا في
الصلبيين السيف حتى قتلوهم عن آخرهم ولم ينج منهم أكثر من ألف شخص
وفر الكونت دي فرمندوس من هذه المعركة مجروحاً الى ترسوس حيث
مات هناك واما دوك دي بافيرا وكونت دي بواير فتاها هاربين من مكان
لاخر حتى دخلا انطاكية التي كان قد سبقهم اليها كونت دي نافار هارباً وهناك
اجتمع بقايا الصليبيين الذين نجوا من هذه الوقائع وكان عددهم عشرة آلاف
قاصدين مدينة اورشليم أي القدس ثم حصلت لهم وقائع أخرى باراضى
فلسطين بقرب مدينة الرمله انكسر فيها الصليبيون بأيدي عساكر الاسلام
وفي هذه الواقعة قتل دوك بورغونيا والكونت دي بلواز ثم ساروا قاصدين
أوطانهم مخذولين وسيأتي بيان هذه الواقعة سنة ٤٩٦ هـ وسنة ١١٠٢ أفرنكية
مع العساكر المصرية

﴿ محاصرة غودافرو مدينة ارسور ﴾

بمدان تملك القدس غودافرو كما تقدم صار يرتب أحكامه كما يتراءى له
وصدر أمره بان كل شخص يضع يده على منزل أو أرض يجرها سنة كاملة
ويوماً تكون له ما كان طلقاً شرعياً وكذلك كل من غاب عن عقاراته سنة
ويوماً تؤخذ منه ولا يكون له حق فيها مطاقاً ثم انه رتب جزية على الامراء
المسلمين الذين كانوا قد خضعوا له مثل أمراء قيساريه وغيرها وأيضاً صدقوة
العرب شمالى نهر الاردن ثم سار الى مدينة ارسور وحاصرها حصاراً شديداً
لانها لم تخضع له ولما كان الحصار صعباً جداً على المدينة وكان أهل المدينة
أخذوا جيرارد دي افسناس أسيراً ثم انهم أدلوه بحبل أمام غودافرو وصرخ

طالباً من غودافرو ان يبقي حياته بواسطة رجوعه عن هذه المدينة وعدم حصارها فاجابه غودافرو على الفور بانه لو كان أخوه اسطاكيوس نفسه وطلب ذلك ما أمكنه قط وقال له الاحسن ان تسلم نفسك للموت بدل اخوانك الصليبيين ثم بعد ذلك قتلوه ثم ان غودافرو شدد الحصار على المدينة ولكن هذا الحصار لم يكسبه شيئاً لان آلات حربه حرقت عن آخرها بواسطة النار التي قذفت عليهم من داخل المدينة وحينئذ غودافرو قطع الامل من الاستيلاء على هذه المدينة ورفع الحصار عنها ورجع الى القدس

* اجتماع الامراء الصليبيين بالقدس وانتخاب قانون لحكومتها *

بعد رجوع غودافرو الى القدس أتته الاخبار بان عدداً عظيماً من أهل بيزا وجنوى التابعين لاطاليا برفقة رئيس أساقفة بيزا ديارتوس بصفته نائب بابوى والاسقف اريانوس قاصدين القدس للزيارة في عيد الميلاد ثم حضر أيضاً الى القدس كل من بوهيموند أمير انطاكية وبودوين أمير الرها ورايموند دي طولوز وكثيرون من القواد والرؤساء ثم ان غودافرو افتر بان يعمل قانوناً لحكومته لترتيبها وتنسيقها فاعتم فرصة وجود الامراء المذكورين فمقد جمعية في قصره الكائن في جبل صهيون بالقرب من كنيسة قبر المسيح وأعلمهم بما أصر عليه من ترتيب الحكومة بقانون يبين حقوق السلطان والموظفين والاشراف (القواد) والرعية كلا منهم بما يخصه ويلزمه فعينوا ثلاثة دواوين فالديوان الاول يعقد برياسة السلطان وتكون أعضاؤه القواد لاصدار الاحكام والترتيبات الشاملة لجميع الرعية. والديوان الثانى يكون رئيسه قائمقام القدس وأعضائه أعيان المدن الكبار لكل مدينة عضو ويكون اختصاصه النظر في الايرادات والمصروفات وترتيب الحقوق والتدابير المدنية. والديوان الثالث للقضاء وهو يختص بالدعاوى التي ترفع على الشرقيين ويكون رئيسه أحد قضاة

البلاد لاصدار أحكامه بما يطابق عوائدهم وهكذا انتهى هذا المجلس وقد حفظوا أصل القرار داخل كنيسة القيامة ثم تعين ديارتوس رئيس أساقفة بيزا بطريركا على القدس خلفاً لارنولد بطريركها المتوفي

* (موت غودافرو سلطان القدس) *

بعد انتهاء مجلس الامراء المذكور سافر كل منهم الى محله ثم توجه غودافرو مع تنكريد بجيشهما الى طبرية وامتلكوها واقام تنكريد حاكماً عليها ثم رجع غودافرو الى القدس وبعد أيام قليلة حصل له مرض شديد فجمع حوله القواد والكهنة وحرصهم على اتمام واجباتهم وأخذ عليهم الاقسام بدوام محاربتهم المسلمين ودوام محاماتهم عن البلاد التي امتلكوها لآخر حياتهم وبعد أيام قليلة فاضت روحه في ١٨ يوليو سنة ١١٠٠ فبكاه الجميع لما كان موصوفاً به من العدل واحتفلوا بجنائزه ودفنوه باكرام بحذاء جبل الجلاجله بكنيسة القيامة بالقرب من قبر المسيح (كاعتقادهم) وقبره هناك يزوره الزوار الغربيون الآن

* (انتخاب بودوين سلطاناً للقدس) *

بعد موت غودافرو طمع في هذه الوظيفة ديارتوس البطريرك وارسل الى بوهيموند بانطاكيه لمساعدته على ذلك ثم جمع القواد والرؤساء وعقدوا مجلساً لاجل انتخاب سلطان عليهم بدل المتوفي مقدماً نفسه لهذه الوظيفة السامية وحينئذ اهل المجلس رفضوا تعيينه عليهم سلطاناً وكذلك بوهيموند أرسل اليه برفض المساعدة ثم ان هذا المجلس قرر باتحاد الآراء انتخاب بودوين ملك الرها وشقيق غودافرو ليكون سلطاناً عليهم ثم أعلموه بذلك فقبل هذا الانتخاب وعين بدله ابن عمه بودوين دي بورغ ملكاً على ما بين النهرين (الرها) وسار هو قاصداً القدس ومعه جيشه فتقابل مع دقاق أمير

دمشق وجناح الدولة أمير حمص بعيداً عن بيروت بمقدار تسعة أميال وتحاربوا
وانتهت الحرب بهزيمة المسلمين وسار بودوين الى ان وصل الى القدس ودخلها
باحتراف عظيم اقامه له أهل المدينة

ثم ان بودوين اراد ان يوسع مملكته فأخذ جيشه وسار قاصداً مدينة
عسقلان ليمتلكها وبعد قتالها انهزم راجعاً الى القدس وشرع في تنويجه
بيت لحم ولبس التاج الملوكي وكان الامير تنكريد والي طبرية لم يعترف
بتملك بودوين على القدس لما بينهما من العداوة القديمة التي ظهرت بناحية
طرسوس كما تقدم وكان بودوين يرغب مصالحة تنكريد ولكونه سلطاناً لم
يسمح بالتنازل وطلب الصلح من تنكريد غير ان المصالحة تمت بينهما عند
مقابلتهما معاً بميناء حيفا فتصافحا وتمانقا ولكون بوهموند امير انطاكية قد
وقع اسيراً في يد المسلمين كما يأتي في أخباره وظلت انطاكية خالية من حاكم
فيئذ تعين تنكريد حاكماً على انطاكية

ثم انه جاءت سراكب من ناحية جنوى مشحونة بالعتاكر الذين وعدهم
بودوين بانه يحارب معهم وكل ما يملكه من الغنائم يعطيهم ثلثه وكل بلد يملكها
يجعل لهم فيها طريقاً باسم اهالي جنوى ثم سار معهم وامتلك مدينة ارسور
(لعلها ارسوف) سنة ١١٠١ التي لم يقدر اخوه غودافرو على امتلاكها ثم سار
وانتصر على مدينتي اوباتريدا وقيساربه ثم سار قاصداً عسقلان وكانت مصر
قد ارسلت جيشاً بقيادة سعد الدولة فسار الجيش وما زالوا حتى التقوا بالجيوش
الصليبية عند اسوار عسقلان فخاربوها فارجعوا على اعقابها

* (خلافة الأمر باحكام الله وواقعة عسقلان) *

في يوم الثلاثاء ١٧ صفر سنة ٤٠٥ هـ توفي الخليفة الملوي المستعلي بالله
بالقاهرة بعد ان حكم سبع سنوات وشهرين وله ولد اسمه المنصور لم يبلغ

السادسة من عمره بوصاية شاهين شاه الذي كان وصياً على المستملى أيضاً وكان قد عهد اليه ان يلقبه عند مبايعته بالآمر باحكام الله ففعل وكان ذلك موافق سنة ١١٠١ أفرنكيه ثم بعث الافضل أمير الجيوش بمصر ابنه شرف المعالي بالمساكر الي عسقلان فتقابل مع بودوين ملك القدس بالرملة وكان معه بقايا الجيوش الصليبية الثانية الذي كان قد هلكهم قليج ارسلان وكربوغا كما تقدم برئاسة كل من فولف الرابع دوك دي بافيرا وغيلوم التاسع كونت دي بوانسير وجفرو دي باندوم وهو كزدي لويز ينان وادواس دوك دي بورغونيا واستفانوس كونت دي بلواز واورين كونت دي باري واشتبك بينهم الحرب وقتل من الصليبيين في الحرب استفانوس كونت دي بلواز وادواس دوك دي بورغونيا واورين دي باري وقع أسيراً ثم مات واختفى بودوين في الشجر ونجا الي الرملة مع جماعة من زعماء الافرنج فحصرهم شرف المعالي خمسة عشر يوماً حتى أخذهم فقتل منهم أربعمئة وبعث ثلثمائة الي مصر ونجا بودوين الي يافا ووصل في البحر جوع من الافرنج للزيارة فندبهم بودوين للفرز وسار بهم الي عسقلان وهناك حاربوا الرملة التي كانت استولت عليها عساكر الاسلام وامتلكوها ورجع بودوين الي القدس

* (بوهيموند أمير انطاكية وما جرى له) *

في سنة ١١٠١ وقع بوهيموند أسيراً بيد الاسلام وسارت انطاكية خالية من حاكم الي ان حصل الصلح بين بودوين وتتكريد كما تقدم وتعيين تتكريد حاكماً على انطاكية ثم في سنة ١١٠٣ نجا بوهيموند من الاسر بعد ان اقام بالاسر سنتين ونصفاً وأتى الي انطاكية وكان بوهيموند مستقلاً بانطاكية لا يعترف بسيادة القدس على مدينته ولذلك تحارب مع الملك الكسيوس ملك الروم مرات كثيرة كان النصر بينهم سجالاً تارة الي بوهيموند وتارة الي ملك

الروم ثم ان بوهيموند اتحد مع بودوين دي بورغ ملك الرها وجوسلين دي
 كورتناى وتكريد لىي يحاربوا مدينة حران الكائنة بين النهرين وساروا
 الى ان وصلوا حران وكادوا يملكونها فحينئذ وقع الخلاف بينهم لان كلا
 منهم كان يريد امتلاكها باسمه حتى كادوا ان يحارب بعضهم بعضاً وبينما كانوا
 في هذه المناصمة واذا بمساكر اسلامية اتتهم من الموصل وماردين فضربوا
 عليهم حصاراً من كل الجهات وحملوا عليهم حملة صادقة كادت ان تبيدهم عن
 آخرهم فوقع بودوين دي بورغ أسيراً وكذلك جوسلين عند الامير سقمان
 وأما بوهيموند وتكريد ففرامن الموت هارين الى ان وصلوا مع القليلين
 الذين نجوا من الذبح الى انطاكية . ثم ان بوهيموند وجد نفسه واقماً بين
 قوتين لاقدرة له عليهما ولا يمكن ان يحمي نفسه منهما وهما الكسيوس ملك
 الروم من جهة والمساكر الاسلامية من جهة أخرى فاضطر الى الهرب الى
 أوروبا كي يحرك أهل الغرب الى معاونته وليكى يخفى عن أعدائه هذا التدبير
 الذى عزم عليه قد اشاع عن نفسه بانه مات واختفى في مكان مجهول في سنة
 ١١٠٤ وبعد ذلك لبس ثوباً محزناً ونزل في مركب وسار من وسط مراكب
 ملك الروم بدون معلومية أحد به الى ان وصل مدينة كورفو وصعد من
 المركب الى البر وأرسل يقول الى القائد الرومى بان يخبر ملكه بان بوهيموند
 قد قام من الموت وعن قريب يشاهده فى القتال ثم وصل الى ايطاليا وانطرح
 على اقدام البابا بسكوال الثانى وطلب منه المعونة والمساعدة فقبله البابا وسلمه
 سنجق (علم) القديس بطرس الرسول ووعد بالاسعاف ثم سار بوهيموند
 الى ان وصل الى مملكة فرنسا فصادف في البلاط الملوكى استقبالا عظيماً وأكرمه
 ملك فرنسا فيليب الاول اكراماً زائداً وزوجه ابنته قسطنسا سنة ١١٠٦ ثم
 جهزه ملك فرنسا بجيوش كثيرة وقد استحصل أيضاً على جيوش اسبانية ثم
 سار الى ان وصل ايطاليا فتبعه جيش عظيم ثم انه نزل بالمراكب من مدينة

باري باقليم نابولي التابع مملكة ايطاليا ثم انه طلع على بلاد الروم وحاصر مدينة
 دورالسيوس سنة ١١١١ وأما بودوين دي بورغ ونسيبه جوسلين فبهذا أسرها
 خمس سنوات رجما الى ولايتهما وكان أخذها جكر مس من سقمان الذي أسرها
 ثم أخذها جاولي ملك الموصل وأطلقهما بشروط منها ان يطلق الاسرى المسلمين
 الذين ببلادهما وان يمدوه بنفسهما وبمساكرهما متى احتاج الى ذلك وعلى مال
 دفعاه قدره ثلاثون ألف دينار

✽ استيلاء الافرنج على عكا ✽

ان بودوين اراد اتساع مملكته خصوصاً ببلاد الساحل لتتصل ببلاده ببلاد
 أوروبا فلذلك عزم على محاربة مدينة عكا وامتلاكها فجمع جيشه وجيش
 جنوى الذي كان قادماً للزيارة بمراكبه وطلب اليهم بودوين المساعدة في
 الحرب ولهم ثلث المكسب فسار بهم وبرجاله قاصداً مدينة عكا فلما وصل
 حاصرها برأ بجيشه وحاصرها بجزراً بمراكب الجنويين البالغ عددها سبعين
 مركباً وكان ذلك سنة ١١٥٤ الموافقة سنة ٤٩٧ هجرية وكانت عكا في ذلك
 الحين تابعة لمصر وحاكمها يدعى زاهر الدولة ويلقب بالجيوشي لانه كان من
 اتباع أمير الجيوش وطال امد الحصار حتى مل الصليبيون الانتظار وبعد
 حصول معارك كثيرة اظهر فيها المسلمون شجاعة عجيبة وانتهى الامر بان
 طلب الامير زاهر الى بودوين الصلح على تسليم المدينة بشرط ان يخرج المسلمون
 بامتعنتهم فقبل بودوين ذلك منهم واعطاهم اماناً ولذلك رموا له مفاتيح المدينة
 من فوق السور واما الجنويون الذين كانوا بالمراكب فانهم لما نظروا غنى أهل المدينة
 لم يعتبروا الامان الذي اعطاه بودوين وهاجموا على أهل البلديسلبون ويقتلون وأخذ
 يودون يتوسل الى الجنويين ليمتنعوا عن الفتك بأهل المدينة فما أمكنه وفر

الأمير زاهر إلى مدينة دمشق ومنها إلى مصر

﴿ محاصرة مدينة طرابلس ﴾

كان رايوندي دي طولوز (مؤرخو العرب يقولون صنجيل) قد لازم حصار طرابلس وزحف إليه قليج ارسلان صاحب بلاد الروم فظفريه وعاد رايوندي مهزوما وفي سنة ٤٩٥ هـ الموافقة سنة ١١٠١ م حاصر المدينة رايوندي وشد الحصار وأعاناه أهل الجبل والمسيحيون من أهل سوادها ثم صالحه الأمير نجر الدولة ابن عمار صاحبها على مل وخيل ورحل عنها رايوندي إلى طرسوس فحاصرها ومالكها عنوة واستباحها ثم سار إلى حصن الطومار وصاحبه ابن العريض فامتنع عليهم وقتلهم رايوندي فهزموه وأسكروه وأسروا زعيما من زعماء الأفرنج افتداه رايوندي بمشرة آلاف دينار وألف أسير

وفي سنة ٤٩٧ هـ الموافقة ١١٠٣ م سار رايوندي وقد جاءت أمداد الأفرنج بجرأ إلى طرابلس فحاصرها برأ وبجرأ فلم يجد فيها مطمعا فعاد عنها إلى جبيل وتسلمها بالأمان من صاحبها ابن صليحه ثم سار رايوندي المعروف عند العرب بصنجيل إلى طرابلس فحاصرها وبني بالقرب منها حصناً وبني تحته وبضاً وهو المعروف بحصن صنجيل فخرج ابن عمار صاحب طرابلس فأحرق الرض ووقف رايوندي على بعض سقوفه المحروقة فأنخف به فرض وبقي عشرة أيام ومات فحمل إلى القدس ودفن فيه ودامت الحرب بين أهل طرابلس والأفرنج خمس سنين وظهر من صاحبها ابن عمار صبر عظيم إلى أن قتل الإقوات وافقر الأغنياء

وفي سنة ٥٠١ هـ الموافقة سنة ١١٠٧ م توجه نجر الدولة أبو علي بن عمار من طرابلس إلى بغداد مستنفرأ لما حل بطرابلس وبالشام من

الأفرنج واجتمع بالسلطان محمد ملك شاه وبالخليفة المقتدر فلم يتحصل منهما على فائدة فماد إلى دمشق وأقام عند طغتكين ثم احتفى أهل طرابلس بخليفة مصر الأمر بأحكام الله فحماهم وبعث الأفضل إلى طرابلس أحد أوليائه وتملكها باسم خليفة مصر وأرسل إليها بعد ذلك عمارة بحرية تدفع عنها الصليبيين فتأخر وصولها لما كسرت الريح لها إلى أن أتى بارتراندين رايونند من أوروبا بممارة بحرية قوية فحاصر المدينة ودخلها عنوة في ١١ ذي الحجة سنة ٥٠٣ الموافق ٢ يولييه ١١١٠ وقتل قسماً من أهلها واستعبد القسم الآخر وصارت طرابلس ملكاً لبارتراندين رايونند دي طولوز

* (باقي ولاية بودوين الأول على القدس) *

استقر بودوين في مملكته بعد سفر أهل بيزا وجنوى بمرأيتهم مستقلاً ببلادهم مدافماً عنها صاداً هجمات المسلمين الذين كانوا قد استولوا على بلادها وكادت أن تنصب أعلامهم فوق جبل صهيون نفسه ولكنها جاءت امداد الصليبيين إلى بودوين فأضعفته وردت المسلمين عن بلادهم ثم سار بودوين إلى بيروت وحاصرها براً وبحراً شهرين في سنة ١١١٠ فملكها بالسيف وقتل منها نفراً كثيراً وطارت شهرة الانتصارات الصليبية إلى أقصى بلاد أوروبا حتى جاء إلى القدس ماينوف عن عشرة آلاف عسكري نروجي بقيادة ملكهم سيفور بن ماينوس الثالث في عمارة مؤلفة من مئتي مركب وكانت قد خرجت هذه العمارة من مملكة نروج في شمالي أوروبا وسارت في البحر المحيط (لعله الأوقيانوس الاطلانطيكي) تامة ثلاث سنوات إلى أن وصلت إلى مدينة يافا سنة ١١١٠ فلما علم بودوين بوصولهم ذهب لملاقاتهم واستحلفهم بأن يجاهدوا معه فقبل سيفور طلبه هذا بدون مكافئة سوى قطعة من خشب صايب الصليبوت وساروا إلى أن وصلوا إلى القدس وبعد أيام قاموا قاصدين مدينة صيدا

فحاصروها مدة ستة أسابيع أظهر أهلها في أثناءها الشجاعة والقوة
وأخيراً امتلكها الصليبيون وغنموا منها غنائم عظيمة اقتسمها كل من
يودوين ملك القدس وسيفور ملك النروج وأخذ الملك سيفور قطعة من
صليب الصليبوت وسافر الى بلاده فرحاً مسروراً بهذه الذخيرة المقدسة التي
وضعها في كنيسة دورتيم

ولما رجع يودوين الى عاصمة ملكه علم بان جيرفيز حاكم طبريه قد
وقع أسيراً في أيدي المسلمين فشمله الحزن الشديد لانه كان يحبه محبة
عظيمة وبعد ذلك وردت رسل من عسكر المسلمين الى يودوين يطلبون
منه فدية حبيبه المذكور وان تكون الفدية ان يرد اليهم عكا ويافا وغيرها
فرد يودوين الجواب اليهم قائلاً اني بطيب خاطر أفديه منكم بمال عظيم
أدفعه لكم وأما البلاد فلا أعطيها لكم ولو كانت فدية عن أخي نفسه أو
عن جميع الامراء الصليبيين ولما رجعت الرسل الى دمشق بهذا الجواب
قتلوا جيرفيز ومن معه

وفي سنة ١١١٢ مات تنكريد قائم مقام انطاكية فحزن عليه يودوين وبقي
الامراء الصليبيين ثم حصل تغير في الجو ونزل ضباب هيبى أحرق المزروعات
وبسبب ذلك حصل قحط ومجاعة ثم حصلت زلازل شديدة هدمت جملة مدن
من إقليم كليشيا وكذلك الابراج التي حول سور مدينة الرها وقلعة مدينة
حلب قد اندكت وهدمت باندفاع مخيف وقد هدمت كنائس وعمارات شاهقة
في مدينة انطاكية من أساسها وكذلك الباب البحري وأبراجه وفي أواخر
سنة ٥١١ خرج يودوين ملك القدس لافتتاح مصر بجيش غنير فوصل الفرما
فاستولى عليها وذبح أهلها وأحرق جوامعها وهم الى مصر فداهمه مرض حمه
على العود واجتمعت حوله جميع الامراء والقواد فآخذ يشجعهم ثم حلفهم بان
لا يدفوه في أرض غريبة وطلب منهم نقل جثته ودفنها بالقدس بجوار أخيه

ثم أمر خدامه بكيفية دفنه وسألوه عن يكون عاينهم سلطانا بعده فاجابهم بانه قد ترك هذا التخت لشقيقه اسطا كيوس اذا كان يرغب في الاقامة بفلسطين والايكون لابن عمه بودوين دي بورغ أمير الرها ومات في سنة ١١١٨ وهو راجع الى القدس قبل ادراك العريش فزعوا أحشائه ودفنوها في مكان لا يبعد كثيراً من العريش في وسط أرض رملية وأقاموا على قبره حجراً كبيراً ولا يزال ذلك المكان معروفاً الى ايامنا هذه باسم رمال بردويل (وهو تحريف لفظ بودوين والبعض يقول بغدوين) أما جثته فحملوها الى بيت المقدس ودفنوها هناك بجوار أخيه غودافرو

* (جمعيات الرهبان الصليبيين) *

كانت قبل استيلاء الصليبيين على القدس جمعية هناك باسم (ضياف الغربا) وهذه الجمعية تمتلك نزلاً أو فندقاً لاجل اقامة الغرباء من زوار القدس وكانت هذه الجمعية تقدم لازوار المأكل ولما استولى الصليبيون على المدينة أوسعوا نطاق هذه الجمعية واكتبوا لها بمبالغ مالية وأضافوا على عملها معالجة الجرحي وتنازل كثير من الشبان عن ميراثهم لهذه الجمعية مثل رايوند دي بوي ودودون دي كومباس من أهالي دوفينه وغسطون من مدينة بردواس وكونون دي مونت من مدينة أوفرينا ثم تشكلت بالمدينة جمعية باسم الهيكلين كاسياني بيانه

ثم أنشئت كنيسة عظيمة باسم القديس يوحنا المعمدان تابعة لجمعية ضياف الغربا وأنشئت أيضاً فنادق لاجل اقامة المرضى والجرحي ومنازل لاجل سكن أعضاء الجمعية الذين من وظائفهم معالجة المرضى والجرحي الذين تلقبوا باسم رهبان القديس يوحنا المعمدان وكانوا يقبلون فقراء الزوار بهذه الفنادق ويقدمون لهم ما يلزمهم من أكل ولبس وغيره من أنواع الخدم بغاية الشرف

والممنونة بدشاشة تامة وفي سنة ١١٠٤ حينما كانت هذه الجمعية تحت رئاسة
رايموند دي بوي أضيف على شروطها بأنه يجب على الاعضاء الخدمة العسكرية
فكانت هذه الجمعية من أكبر الجمعيات وساعدت حكومة الصليبيين المساعدة
التامة لان أعضائها كانوا يحاربون في وسط صفوف الصليبيين برأية خصوصية
شقتين بيضاء وسوداء ثم يتوجهون الى الفنادق لاجل عيادة المرضى وخدمة
الزوار الفقراء وبهذه الصفة انتشرت هذه الجمعية في ممالك أوروبا وعين من
أعضائها من يتجول في أوروبا لاجل جمع الصدقات والتبرعات وآخرين
لاجل تحصيل إيراداتها الخصوصية وذلك جميعه للانفاق على الجمعيه ومستلزماتها
أما الجمعية الثانية المسماة بجمعية الهيكلين فانها تأسست سنة ١١١٨ من تسعة
أشخاص فرساويين وكانت شروط هذه الجمعيه هي ان تحمي جميع الزوار
الواردين من أوروبا الى القدس ومحاربة المسلمين ثم تبهم عدد وافروتأيدت
هذه الجمعيه من الامراء والملوك وتخصص لها انعامات سامية من الاحبار
الرومانيين وصارت جمعية رهبانية عسكرية وكان السبب في تسميتهم هيكلين هو
ان بودوين الثاني الذي سيأتي ذكره شيد لها منزلا كبيرا كدير فوق دثار
هيكل سليمان وكان علم هذه الجمعيه مكتوبة عليه هذه الالفاظ الداووديه
(لا لنا يارب .. لانا .. لكن لاسمك أعط المجد) وكان لهذه الجمعيه شأن
كبير في محاربة الاسلام

* (في ولاية بودوين الثاني) *

بعد دفن جثة بودوين الاول اجتمع جميع قواد المساكر ورؤساء
الكنائس وقرروا تعيين بودوين دي بورغ أمير الرها سلطاناً عليهم حسب
وصية بودوين الاول وأعلنوا بودوين المذكور في الرها فقبل هذا التعيين
وتنازل عن اماره الرها الى جوسلين دي كورتناي وترك أمرها وسافر

الى القدس فقابلوه باحترام عظيم وأجلسوه على تخت ملكه وتسمى باسم
بودوين الثاني

* وفاة الامام المستظهر بالله العباسي وخلافة ولده المسترشد بالله *

في سادس عشر ربيع الآخر سنة ٥١٢ هـ توفي الامام المستظهر بالله
أمير المؤمنين أبو العباس أحمد بن المقتدى بأمر الله وكان عمره ٤١ سنة
و ٦ أشهر و ٦ أيام وخلافته اربع وعشرون سنة وثلاثة أشهر واحدى عشر
يوماً وحكم فى أيامه ثلاثة سلاطين خطب لهم ببغداد من السلجوقيين وهم
أخو ملكشاه تاج الدولة تنش وركن الدولة تكياروق بن ملكشاه وأخوه
غياث الدين محمد بن ملكشاه وكان المستظهر كريم الاخلاق ابن الجانب
مشكور المساعى محب العلم والامراء وكان يسارع الى أعمال البر حسن
الخط جيد التوقيع ولما توفي صلى عليه ولده المسترشد بالله وبعده بويغ
لولده المسترشد بالله أبو منصور الفضل بن أبي العباس أحمد بن المستظهر وكان
ولى عهد قد خطب له ثلاث وعشرين سنة فبايمه أخواه وهما أبو عبد الله
محمد وأبو طالب العباس وعمومته بنو المقتدى بأمر الله وغيرهم من العلماء
والامراء والقضاء والاعيان وكان المتولى لاختد البيعة القاضى أبو الحسن
الدامغاني وكان نائباً عن الوزارة فاقره المسترشد بالله عليها ثم عزله عن نيابة
الوزارة واستوزر أبا شجاع محمد بن الريب أبي منصور وزير السلطان محمود

* واقعة ايلغازي مع الصليبيين بحدود انطاكية *

فى سنة ٥١٣ سار الافرنج الى نواحي حلب ونازلوها واخربوها ولم يكن
محب من الذخائر ما يكفيها شهراً واحداً وخافهم أهلها ولو مكنوا من القتال
لم يبق بها أحد لكنهم منعوا من ذلك وصانعوا الافرنج أهل حلب على ان
يقاسموهم املاكهم التي بباب حلب وكان الامير ايلغازي صاحب حلب ببلد

ماردين يجمع العساكر والمتطوعة للغزاة فاجتمع عليه نحو عشرين ألفاً وكان معه اسامة بن المبارك بن شبل الكلالي والامير طغان ارسلان بن المكر صاحب بدليس وارزن فسار بهم الى الشام عازماً على قتال الافرنج بناحية انطاكية فلما علم بذلك روجار دي سيسليا النوصى على ابن بوهيموند صاحب انطاكية ارسل الى بودوين الثاني ملك القدس يطلب مساعدته ولكن قبل ورود ملك القدس اليه سار بجيشه البالغ ثلاثة آلاف فارس وتسعة آلاف راجل فزلوا قريباً من الاثارب بموضع يقال له تل عفرين بين جبال ليس لها طريق الا من ثلاث جهات وقد ظن الافرنج بانها لا يمكن للمسلمين السلوك اليهم لضيق الطريق فاخذوا الى المطاولة وارسلوا الى ايلغازي يقولون له لا تتبع نفسك بالمسير الينا فتحن واصلون اليك فاعلم اصحابه بما قالوه واستشارهم فيما يفعل فاشاروا بالركوب من وقته ففعل ذلك وسار اليهم ودخل الناس من الطرق الثلاثة فلم يشمر الافرنج الا واوائل المسلمين قد غشيتهم فحمل الافرنج حملة منكرة وجرى بينهم حرب شديدة واحاطوا الافرنج من جميع جهاتهم واخذهم السيف من سائر نواحيهم فلم يفلت منهم غير نفر يسير وقتل الجميع واسروا وكان في جملة الاسرى ماينيف عن سبعين فارساً من مقدميهم حملوا الى حلب فبذلوا في نفوسهم ثلثمائة ألف دينار فلم يقبل منهم وقتل روجار وحمل رأسه وكان ذلك في منتصف شهر ربيع اول سنة ٥١٣ هـ موافقة سنة ١١٢٥ م

ثم جاءت الجيوش الصليبية التي كان طلب روجار مساعدتها كما ذكر تحت رئاسة بودوين الثاني ملك القدس ومعه أمير الرها وطراباس فهجموا على العساكر الاسلامية هجمة شديدة خصوصاً رجال جمعية يوحنا المعمدان انتهت بهزيمة العساكر الاسلامية وبعث ذلك رجع بودوين الى القدس وكذلك جوساين سار الى جهة طبرية فكبس طائفة من طيء يعرفون ببني

خالد فاخذهم واخذ غنائمهم وسأطهم عن بقية قومهم من بني ربيعة فاخبروه
انهم من وراء الحزن بوادي السلالة بين دمشق وطبرية فقدم جوساين مائة
وخمسون فارساً من أصحابه وسار هو في خمسين فارس على طريق آخر
ووعدهم الصبح ايكبسوا بني ربيعة فوصلهم الخبر بذلك فارادوا الرحيل فمهم
أميرهم وكانوا في مائة وخمسين فارساً فوصلهم المائة وخمسون من الافرنج
معتقدين ان جوساين قد سبقهم أو سيدركهم فاضل الطريق وتساوت القوتان
فاقتلوا وطعنوا العرب خيولهم فجملوا اكثرهم رجاله فقتل من الافرنج سبعون
واسر اثنا عشر من مقدميهم بذل كل واحد في فداء نفسه مالا جزيلاً وعدة
من الاسرى واما جوساين فبلغه خبر الواقعة وهو ضال الطريق فسار الي
طرابلس فجمع بها جمعاً وسار الي عسقلان فاغار على بلدها فهزمه المسلمون
هناك فماد مغلولاً

* (قتل الافضل بن بدر الجمالي وزير مصر) *

في الثالث والعشرين من رمضان سنة ٥١٥ قتل أمير الحيوش الافضل بن
بدر الجمالي وهو وزير الحاكم بأمر الله خليفة مصر وكان قد ركب الي خزائن
الاسلح ليفرقه على الجنود على جاري العادة في الاعياد فسار معه عالم كثير
من الرجال والخيالة فتأذى بالغيار فامر بالبعد عنه وسار منفرداً ومعه رجالان
فصادف رجلاين بسوق الصياقله فضرباه بالسكاكين فجرحاه وجاء ثالث من
ورائه فضربه بسكين في خاصرته فسقط عن دابته ورجع أصحابه فقتلوا الثلاثة
وحملوه الي داره فدخل عاياه الخليفة وتوجه له وسأله عن الاموال فادله
عليها فاما توفي الافضل بقي الخليفة في داره نحو اربعين يوماً والكتاب بين
يديه والدواب تحمل وتنقل ليلاً ونهاراً ووجد له من الاعلاق النفيسة والاشياء
القليلة الوجود مالا يوجد مثله لغيره واعتقل اولاده وكان عمره ٥٧ سنة وكانت

وزارته ثمانيا وعشرين سنة منها آخر أيام المستضى، وجميع أيام الأمر بحكم
الله ثم ولي بعده أبو عبد الله بن البطائحي ولقب المأمون وتحكم في الدولة

* محاربة بلك بن بهرام مع جوسلين أمير الرها وأسرهم *

في سنة ٥١٥ الموافقة سنة ١١٢١ م سار بلك بن بهرام ولد أخي
إيلغازي إلى مدينة الرها فحصرها وبها الأفرنج وبقي على حصرها مدة فلم يظفر
بها فرحل عنها فجاءه رجل تركاني وأعلمه أن جوسلين صاحب الرها وسروج
قد جمع الأفرنج وهو عازم على كبسه وكان قد تفرق عن بلك أصحابه وبقي
في أربعمائة فارس فوقف مستعداً لقتالهم واقبل الأفرنج ولكن من لطف الله
أن الأفرنج وصلوا إلى أرض قد نضب عنها الماء فصارت وحلاً ففاصت
خيولهم فيها فلم تتمكن من الإسراع مع ثقل السلاح والفرسان فرماهم
أصحاب بلك بالنشاب فلم يفلت منهم أحد وأسر جوسلين وصهره غاليران
وكلوهم بالحديد وطالب من جوسلين أن يسلم الرها فلم يفعل وبذل في فداء
نفسه أموالاً جزيلة وأسرى كثيرة فلم يجبه إلى ذلك وحملوهما إلى قلعة
خرتبرت وسجنوهما بها وأسر أيضاً جماعة من فرسانهم المشهورين
فسجنوا معهم

* محاربة بلك مع بغدوين ملك القدس وأسرهم *

في سنة ٥١٧ الموافقة سنة ١١٢٣ م جمع بغدوين رجاله وسار قاصداً
مدينة خرتبرت بديار بكر للاستيلاء عليها وتخايص جوسلين من الأسر وكان
ملك محاصراً قلعة كركر فبلغه مجيء بغدوين فرحل إليه والتقى واقتتلا فانزح
الأفرنج وأسر ملكهم بغدوين ومعه جماعة من أعيان فرسانهم وسجنوا
بقلعة خرتبرت مع جوسلين ومن معه

ثم اجتمع نحو خمسين ارمنياً وتحالفوا على تخليص ملك القدس من الاسر
فغيروا ملابسهم واخفوا سلاحهم تحتها ودخلوا قلعة خرتبرت منفردين الى أن
ساروا من الداخل وهناك اظهروا اسلحتهم وأخذوا يقتلون العساكر حراس
السجن وكسروا قيود المسجونين وأرادوا خلاصهم ونصبوا علم الصليبيين على
القلعة فباغتتهم العساكر الاسلامية وحاصروا القلعة بما فيها ولم يتمكن أحد
من الهرب الا جوسلين أمير الرها وظل بودوين ومن معه في السجن وأما
الحمسون ارمنياً فذبحوا عن آخرهم وكان بلك صاحب القلعة قد توجه الى
حران ولما بلغه ماجرى بالقلعة عاد في عساكره اليها وحصرها كما ذكر وأما
جوسلين فانه اقسم بان لا يخلق ولا يشرب الخمر حتى يتوجه لزيارة القدس
ويسعى في تخليص الاسرى

* (ورود أهل البندقية للاشتراك مع الصليبيين) *

لم يشترك أهل البندقية في المحاربات الماضية مع الصليبيين لكونهم يشتغلون
بالتجارة ولما رأوا ان أهل بيزا وجنوى قد توجهوا الى بلاد فلسطين
وانتصروا وربحوا غنائم كثيرة تفوق على ارباح التجارة أخذتهم الغيرة
واستعدوا وتجمعوا تحت رئاسة الدوك مخايل مقدم مشيخة البندقية بعمارة
بحرية مركبة من واحد وعشرين مركباً وساروا الى أن وصلوا الى عكا
وهناك طلعوا وساروا في البر قاصدين القدس فاحتفل بهم ثم عقد مجلس
المشورة وقرر محاربة العساكر الاسلامية فحاصروا مدينة صور وذلك بعد
مداورات كثيرة لعدم اتفاقهم على المحاصرة هل تكون على صور أو على مدينة
غسقلان فاخيراً اقرروا على محاصرة صور كما تقدم

* (استيلاء الصليبيين على مدينة صور) *

كانت مدينة صور للخلفاء العلويين بمصر الى سنة ٥٠٦ فلما عزم ملك

الافرنج على محاصرتها خافه اهلها فارسلوا الى اتابك طغتكين صاحب دمشق
 يطلبون منه ان يرسل اليهم أميراً من عنده يتولى أمرهم ويحميهم وتكون
 البلد له فسير اليهم عسكرياً وجعل عليهم والياً اسمه مسعود وكان شهماً شجاعاً
 عارفاً بالحرب ومكايدها وسير اليهم ميرة ومالا فرقه عليهم فطابت نفوس أهل
 البلد ولم تزل الخطبة للخليفة الأمر وكتب الى الأفضل بمصر يعلمه بما كان
 ويقول انه متى وصل اليها من مصر من يتولاها ويذب عنها سلمتها اليه ويطلب
 ان الاسطول لا ينقطع عنها بالرجال والقوة فشكره الأفضل على ذلك واثنى
 عليه و صوب رأيه وجيز اسطولاً وسيره الى صور فاستقامت احوال اهلها
 الى سنة ٥١٦ بعد قتل الأفضل فسير اليها اسطولاً وأمر المقدم على الاسطول
 أن يقبض على الامير مسعود والى صور ويتسلم البلد منه وكان السبب في ذلك
 ان اهل صور اكثروا من الشكوى منه الى الأمر باحكام الله ففسار الاسطول
 الى ان رساعند صور فخرج مسعود اليه للسلام فلما صعد الى مركب المقدم
 قبض عليه واعتقله ونزل الى المدينة وتسلمها وعاد الاسطول الى مصر وفيه
 الامير مسعود فاكرم واحسن اليه وأعيد الى دمشق واما الوالى المصرى
 فانه راسل طغتكين يخدمه بالدعاء والاعتضاد وان سبب ما فعله هو شكوى
 اهل صور فاحسن طغتكين الجواب وبذل له نفس المساعدة وفي ربيع أول
 سنة ٥١٨ قدم الصليبيون تحت رئاسة غويليوم وكييل سلطنة القدس وبطريك
 القدس ويونص صاحب طرابلس والدوك مخايل المقدم على أهالى مشيخة
 البندقيه وحاصروا مدينة صور براً وجاءت مراكب البندقيه وحاصرتها بحراً
 ولم يكن لأهالى صور من الحمية والنشاط ما كان لسلفائهم أو لمسلمي المدن
 الاخرى لان الغنى الذى حازته صور من تجارتها قاد أهلها الى التعميمات
 والرخاء فكانوا يصرفون أيامهم بالسرور والملاهي دون الاعتناء بالتمرن على
 الحرب والقتال ولولا بسالة الجنود الشامية والمصرية لما بقيت المدينة أمام

الافرنج يوماً واحداً وكتب أهل المدينة الى خليفة مصر يطلبون منه المدد
وكذلك طفتكين صاحب دمشق فلم يأتهم أحد فثابروا على الدفاع وكانت
الافرنج محيطة بها من كل جانب ونصبوا عليها ابراجاً من خشب ومنجانيقات
وأخذوا يضربونها ليلاً ونهاراً وأهل المدينة يقاتلون ويدافعون عن أنفسهم
وأرسلوا ثانية يطلبون النجدة من خليفة مصر وملك دمشق فلم يجداهم لأن
الافرنج أرسلوا أمير البندقية للمحافظة من جهة البحر لمنع خليفة مصر عن
إرسال النجدة وأرسلوا صاحب طرابلس يترصد طريق البر فجاء طفتكين
بالجيوش الشامية فصد عن عبور النهر ولازم من بالمدينة القتال فقلت الاقوات
وكان الجوع قد بلغ من المحصورين مبلغاً عظيماً فراسل حينئذ طفتكين أمراء
الصلبيين في الصلح وقرر الأمر علي ان يسلم المدينة اليهم ويمكنوا من بهامن
الجند والرعية من الخروج بما يقدرون عليه من أموالهم ورحالهم وفتحت
أبواب المدينة وملكها الافرنج بعد حصار خمسة شهور وفارقها أهلها ونصبت
أعلام الافرنج على المدينة وزينوها باغصان الزيتون والاقمشة وكان ذلك في
سنة ١١٢٤ م

* محاصرة الصليبيين لمدينة حلب واستيلاء البرسقي عليها *

بعد استيلاء الصليبيين على مدينة صور كما تقدم طمعوا وقويت نفوسهم
ورأوا الاستيلاء على بلاد الشام وأكثرها من حشد الجيوش ثم وصل اليهم
ديس بن صدقه صاحب الحلة فأطمعهم في حلب وقال لهم ان أهلها شبيمة
وهم يميلون الى من أجل المذهب فمتي رأوني سلموا الي البلد وقال لهم اني
أكون نائباً عنكم ومطيماً لكم فساروا معه اليها وحاصروها وقتلوا قتلاً شديداً
وبنوا لهم بيوتاً تقيمهم من الحر والبرد فلما رأى أهلها ذلك ضعفت
نفوسهم وخافوا الهلاك وظهر لهم من صاحبها تمر تاش الوهن والمعجز وقلت

المؤمن عندهم قرأوا ان يكتبوا البرسقي صاحب الموصل لاجل ان يحميهم لما
وجدوا فيه من القوة فأرسلوا اليه يستجدونه ويسألونه المجيء اليهم ليسلموا
البلد اليه فجمع عساكره وقصدهم وأرسل الى من بالبلد وهو في الطريق يقول
انني لا أقدر على الوصول اليكم والافرنج يقاتلونكم الا اذا سلمتم القلعة الى نوابي
وصار أصحابي فيها لانني لا أدري ما يقدره الله تعالى اذا أنا لقيت الافرنج فان انهزمت
منهم وليست حلب بيد أصحابي حتي أحتدي انا وعسكري بها لم يبق منا احد وحينئذ
تؤخذ حلب وغيرها فاجابوه الى ذلك وسلموا القلعة الى نوابه فلما استقر وافيها
واستولوا عاينها سار بعساكره فلما أشرف عليها ونظره الافرنج رحلوا عن البلد
بدون حرب فاراد من في مقدمة عسكره ان يحمل عليهم ففتمهم وهكذا صارت
حلب تبعاً للبرسقي صاحب الموصل من عمال السلطان محمود وكان ذلك في شهر
ذي الحجة سنة ٥١٨

* (في خلوص بودوين الثاني ملك القدس من الاسر) *

وفي هذه السنة أيضاً تم الاتفاق على فك أسر بودوين الثاني ملك القدس
بمال عظيم دفعه وتوجه الى مملكته وأقام بها وكان هو أحسن الافرنج حظاً بهنده
المملكة لكثرة توافد أهل أوروبا بالمساعدة ضد المسلمين من سكان المانيا والنمسا وبلاد
البندقية وأهل بيزا وجنوى وخصوصاً أهل فرنسا ولما قامت به جمعيات الرهبان
جمعية القديس يوحنا المعمدان التي كان رجالها يلبسون الثياب الحمراء وجمعية
الهيكلين التي كان رجالها يلبسون الثياب البيضاء

* استيلاء البرسقي على كافر طاب *

في سنة ٥١٩ جمع البرسقي عساكره وسار الى الشام وقصد كافر
طاب وحصرها فلما كان من الافرنج وسار الى قلعة عزاز وهي من أعمال

حلب من جهة الشمال وصاحبها جوساين فحصرها فكاتب جوساين الافرنج
فاجتمعوا عن آخرهم من فارس وراجل فلقبهم البرسقي واقتتلوا قتالاً
شديداً انهزم فيه المسلمون وقتل منهم ما ينوف عن ألف وأسر كثير وعاد
البرسقي الى حلب فخلف بها ابنه مسعود وعبر الفرات الى الموصل ليجمع العساكر
ويعود الى القتال

﴿ قتل المأمون بن البطائحي وزير خليفة مصر الأمر ﴾

في رمضان سنة ٥١٩ اتفق المأمون بن البطائحي وزير الخليفة بمصر
مع الامير جعفر أخي الخليفة الأمر بأحكام الله ليقتل أخاه الأمر ويجمعه
هو خليفة وتقررت القاعدة بينهما على ذلك فسمع بذلك أبو الحسن بن
أبي اسامة وكان خصيصاً بالأمر مقرباً منه وقد ناله من الوزير أذى واطراح
فحضر عند الأمر وأعلمه الحال فقبض على وزيره أبا عبدالله البطائحي الملقب
بالمأمون وصلبه واخوته وهذا جزاء من قابل الاحسان بالاساءة وكان هذا
الوزير كريماً واسع الصدر قتالاً سفاكاً للدماء وكان شديد التحرز كثير
التطلع الى أحوال الناس من العامة والخاصة من سائر بلاد مصر والشام والعراق
وفي أيامه كثر الغمازون

* (اخبار الاسماعيليين وامتلاكهم قلعة بانياس) *

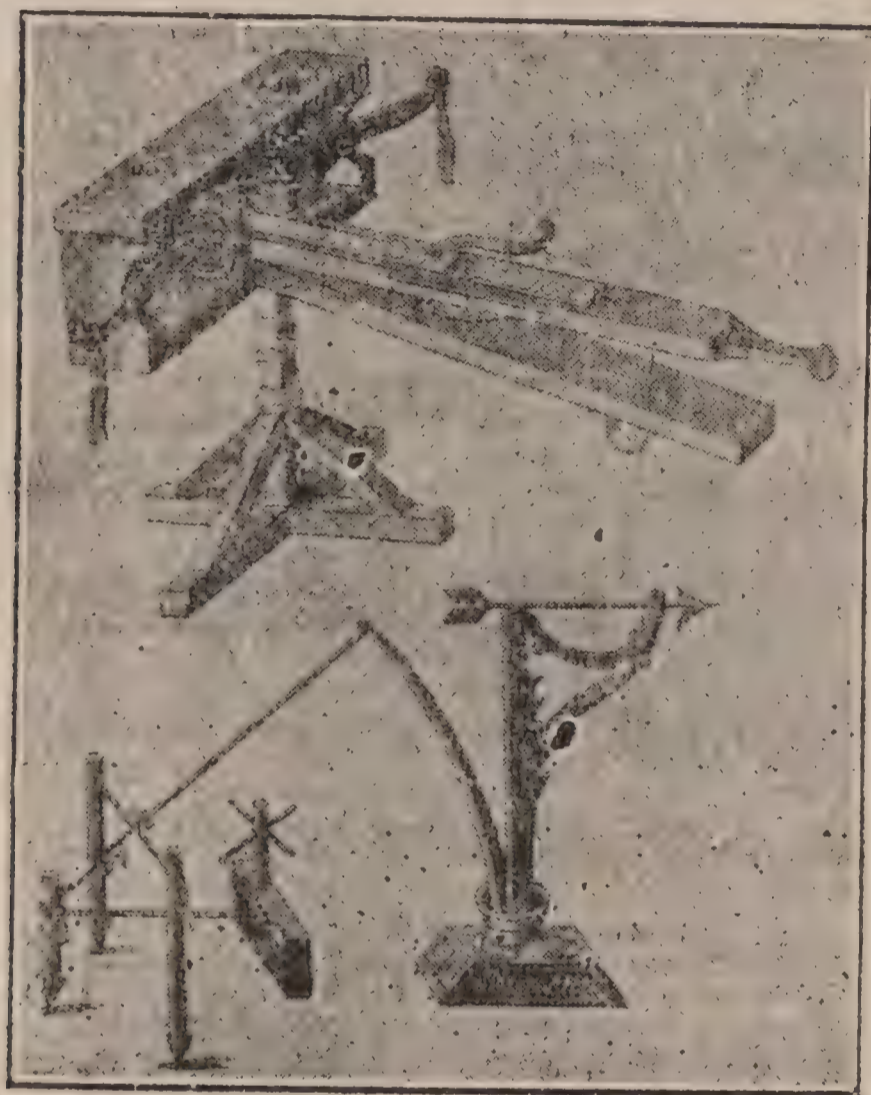
في أثناء ذلك نشأت طائفة الباطنيين ويدعوهم بعض المؤرخين بالخشاشين
لانهم كانوا يكثرون من تدخين الخشيش ويدعوهم البعض بالاسماعيليين نسبة
الى اسماعيل رئيسهم وهم فئة جمع بينهم التعصب والطمع . وكان اسماعيل
يترصده فرصة للغزو والنهب فلما رأى الدول القوية منشغلة بالحرب في أنحاء
المشرق وضع يده على بعض القرى الجبلية بجوار دمشق ثم جعل يناهض الصائديين

في حاربهم تارة ويصالحهم أخرى الى ان انتهى به الامر فاقام حكومته بين
 ظهرانينهم وابتني حصوناً منيعة أرهبت الولاة المسيحيين وخلفاء الاسلام
 فاجبرهم على دفع جزية معلومة وقاية من فتكهم بحياتهم لانه كان متفتناً في القتل
 بطرق سرية على يد بعض رجاله الدهاة وفي سنة ٥١٩ كان الرئيس عليهم بهرام
 ابن أخت الاسد اباذي بعد قتل خاله المذكور وكان طغتكين صاحب دمشق
 قد أخذه عنده لاجل المعاضدة به وباتباعه فيئذ أعان عداوته فكثير أتباعه
 من كل من يريد الشر والفساد وأعانه الوزير أبو طاهر بن سعد المرغيناني قصداً
 للاعتقاد به على ما يريد فمظم شره واستفحل أمره وصار أتباعه اضعافاً عما
 كانوا ثم ان بهرام رأى من أهل دمشق فظاظة وغلظة عليه فخاف عاديتهم
 فطلب من طغتكين حصناً يأوي اليه هو ومن اتبعه فإشار الوزير بتسليم قلعة
 يانيس اليه فسامت له فلما صار اليها اجتمع اليه أصحابه من كل ناحية فمظم حينئذ
 خطبه وحلت المحنة بظهوره

* محاربة طغتكين اتابك مع بودوين الثاني *

في سنة ٥٢٠ اجتمع بودوين الثاني ملك القدس بجميع عسكره وعساكر
 الجمعيات الرهبانية المارذ كرههم وساروا الى نواحي دمشق فنزلوا بمرج الصفر عند
 قرية يقال لها شقحب بالقرب من دمشق فمظم الامر على المسلمين واشتد خوفهم
 وكاتب طغتكين اتابك أمراء التركمان من ديار بكر وغيرها وجمعهم وكان هو قد
 سار عن دمشق الى جهة الأفرنج واستخلف بها ابنه تاج الملوك بوري فكان
 بها وكما جاءت طائفة أحسن ضيافتها وسيرها الى أبيه فلما اجتمعوا سار بهم
 طغتكين الى الأفرنج فالتقوا أوأخرذي الحجة واقتلوا واشتد القتال فسقط
 طغتكين عن فرسه فظن أصحابه انه قتل فانهزموا وركب طغتكين فرسه
 ولحقهم وتبعهم الأفرنج وبقى التركمان فلم يقدرُوا ان يلحقوا المسلمين في الهزيمة

فتخلفوا فلما رأوا فرسان الافرنج قد تبعوا المنهزمين وان معسكرهم وراجلهم
ليس له مانع ولا حام حملاوا على الرجلة فقتلواهم ولم يسلم منهم الا الشريد
ونهبوا معسكر الافرنج وخيامهم وأموالهم وآلاتهم وجميع ما معهم وعادوا الى
دمشق سالمين لم يفقد منهم أحد



(صورة من جنائيات لرمي النبال)

ولما رجع فرسان الافرنج من أثر المهزومين وراوا رجالتهم قتلى وأموالهم
منهوبة ساروا منهزمين لا يلوي الاخ على اخيه وكان هذا من أغرب الحروب
اذ ان طائفتين تهزمان كل واحدة من صاحبتهما

✽ في الاختلاف الواقع بين الخليفة المسترشد بالله

العباسي والسلطان محمود ✽

في هذه السنة حصل نفور بين يرتش الزكوى شحنة كية بغداد (محافظة
 المدينة) وبين نواب الخليفة وتهذه الخليفة فيها تخاف الزكوى على نفسه
 فسار عن بغداد الى السلطان محمود في رجب وشكا اليه وحذره من
 الخليفة واعلمه بانه قد قاد العساكر ورأى الحروب وقويت نفسه ومق لم تعاجله
 زاد قوة وجمماً وحينئذ يتعذر عليك ما هو سهل الآن فتوجه السلطان نحو
 العراق فارسل اليه الخليفة يخبره بضعف البلاد وأهلها بسبب ديبس وافساد
 عسكره فيها وان الغلاء قد اشتد بالناس لدمم الغلات والاقوات ويطاب منه
 ان يتأخر في هذه المرة الى ان تنصاح حال البلاد ثم يعود اليها وبذل له على
 ذلك مالا كثيراً فلما سمع السلطان هذه الرسالة قوى عنده ما قرره الزكوى
 وأنى ان يتأخر وسار اليها مجدداً فلما بلغ الخليفة الخبر عبر هو وأهله وحرمه
 ومن عنده من أولاد الخلفاء الى الجانب الغربي في ذي القعدة مظهر الغضب
 والانتزاع عن بغداد ان قصدها السلطان فلما خرج من داره بكى الناس
 جميعهم بكاء عظيماً لم يشاهد مثله فلما علم السلطان ذلك اشتد عليه فارسل
 يستعطف الخليفة ويسأله العود الى داره فاعاد الجواب انه لا بد من عودك
 هذه الدفعة فان الناس هلكوا بشدة الغلاء وخراب البلاد وانه لا يرى في
 دينه ان يزداد ما بهم وهو يشاهدهم فان عاد السلطان والارحل هو عن
 المراق فغضب السلطان لقوله ورحل نحو بغداد واقام الخليفة بالجانب الغربي
 فلما حضر عيد الاضحى خطب الناس وصلى بهم فبكى الناس لخطبته وارسل
 عفيفاً خادمه وهو من خواصه في عسكر الى واسط ليمنع عنها نواب السلطان
 فارسل اليه عماد الدين زكي بن اقسنقر فاقتتلوا وانهمزم عسكر عفيف وقتل
 منهم مقتلة عظيمة واسر مثلهم وتغول عماد الدين زكي عن عفيف حتى
 نجوا لمودة كانت بينهما ثم ان الخليفة جمع السفن وسد بها ابواب دار الخلافة
 سوى باب النوبي وأمر حاجب الباب ابن الصاحب بالمقام فيه لحفظ الدار

ووصل السلطان بغداد في عشرين الحجة ونزل بباب الشماسية ودخل بعض
 عسكره الى بغداد ونزلوا في دور الناس فشكا الناس الى السلطان فامر بخروجهم
 وصارت المخابرة بين السلطان والخليفة بشأن الصلح والعسكران أمام بعضهم
 ولم يحصل منهم خلاف مناوشات صغيرة ثم ان جماعة من عسكر السلطان
 دخلوا دار الخلافة ونهبوا التاج وحجر الخليفة أول المحرم سنة ٥٢١ وضح
 أهل بغداد من ذلك فاجتمعوا ونادوا النزاة فاقبلوا من كل ناحية ولما رآهم
 الخليفة خرج من السراشق والشمسية فرق رأسه والوزير بين يديه وأمر
 بضرب الكوبات والبوقات ونادى باعلا صوته (ياهاشم) وأمر بتقديم
 السفن وانصب الجسرو عبر الناس دفنة واحدة وكان له في الدار ألف رجل
 محتفين في السراذيب فظهروا وعسكر السلطان مشتغلون بالنهب فاسر منهم جماعة
 من الامراء ونهب العامة دار وزير السلطان ودور جماعة من الامراء ودار
 عزيز الدين المستوفي وقتل منهم خاق كثير في الدروب (الحواري والازقة)
 ثم عبر الخليفة الى الجانب الشرقي ومعه ثلاثون ألف مقاتل من أهل بغداد
 وأمر بحفر الخنادق فحفرت بالليل وحفظوا بغداد من عسكر السلطان ووقع
 الغلاء عند العسكر واشتد الامر عاينهم وكان القتال كل يوم عند أبواب البلد
 وعلى شاطئ الدجلة وعزم عسكر الخليفة على ان يكبسوا عسكر السلطان
 فقدر بهم الامير ابو الهيجاء الكردي صاحب اربل وخرج كانه يريد القتال
 فالتحق هو وعسكره بالسلطان وكان السلطان قد أرسل الى عماد الدين
 بواسطة بالحضور اليه ومعه جميع المساكر في السفن وعلى الدواب في البر فلما
 قارب بغداد أمر كل من معه في السفن وفي البر بلبس السلاح واظهار
 ما عندهم من الجلود فانتشرت المساكر وماؤا الارض براً وبحراً فقابلهم السلطان
 وفرح بعماد الدين وعزم على قتال بغداد والجد في ذلك في البر والبحر فلما
 رأى الخليفة المسترشد بالله ذلك وخروج أبي الهيجاء من عسكره أجاب الى

الصالح وترددت الرسل بينهما فاصطاحا واعتذر السلطان مما جرى وكان
 حليما يسمع سبه باذنه فلا يماقب عليه وعفا عن أهل بغداد جميعهم وكان أعداء
 الخليفة يشيرون على السلطان باحراق بغداد فلم يفعل وقال ان الدنيا لا تساوي
 قمل مثل هذا ولما عزم السلطان على المسير من بغداد نظر فيمن يصلح ان
 يتولى شحنة العراق يأمن معه من الخليفة فاختر امرائه واعيان دولته فلم
 ير فيهم من يقوم بهذا الامر الا عماد الدين زنكي فاستشارهم في ذلك فصدقوا
 عليه وقالوا (لا يصح لذلك واعادة ناموس العراق ولا تقوى نفس احد على
 ركوب هذا الخطر غير عماد الدين) فاسند اليه الولاية مضافة الى ماله من
 الاقطاع وكان ذلك في ربيع الآخر سنة ٥٢١ هجرية

﴿ وفاة عز الدين البرسقي وولاية عماد الدين زنكي الموصل ﴾

(ومحاصرة الصليبيين حلب)

في سنة ٥٢١ توفي الامير عز الدين مسعود بن البرسقي وهو صاحب
 الموصل وكان موته بعد محاصرة مدينة الرحبة واستيلاءه عليها بساعة واحدة
 وقام بعده أح له صغير واستولى على البلاد مملوك للبرسقي يعرف بالجاولي
 ودبر أمر الصبي وأرسل للسلطان يطلب ان يقرر البلاد على ابن البرسقي
 وبذل الاموال الكثيرة في ذلك وكان الرسول القاضي بهاء الدين أبو الحسن
 على بن القاسم الشهرزوري وصالح الدين محمد أمير حاجب البرسقي وكانا
 يخافان جاولي ولا برضيان بطاعته وتصرفه ولما وصلا الى السلطان اجتمع
 صلاح الدين ونصير الدين جقر النائب عن عماد الدين وكان بينهما مصاهرة
 وذكر له صلاح الدين ماورد بخصوصه وأفشى سره فخوفه نصير الدين من
 جاولي وقبح له فماله وتحدث معه في ولاية عماد الدين ثم توجهوا الى السلطان
 وأبلغوه ان ديار الجزيرة والشام قد تمكن الفرنج منها وقويت شوكتهم بها

قاسم تولوا على أكثرها وقد أصبحت ولايتهم من حدود ماردین الى عریش
 مصر ماعدا البلاد الباقية بيد المسلمين وكان البرسقي مع شجاعته يرد تمديهم على
 البلاد الاسلامية ومذ قتل ازداد طمئنتهم وان ولده صغير ولا بد للبلاد من
 شهم شجاع يذب عنها ولذلك قد أنهينا الحال لمنع اللوم عنا خوفاً من حصول
 خلل فاستشارهما الساطان فيمن يصلح للولاية فذكر اعماد الدين فاجاب
 السلطان الى توليته لما يعلمه من كفايته فاحضره وولاه البلاد كلها وكتب
 له منشوراً بذلك وسار وامتلك البلاد وفي اثناء ذلك كانت قد ضعفتم ولاية
 حلب بعد البرسقي فسمع الافرنج بذلك فسار اليها جوسلين صاحب الرها
 بعساكره وحاصر حلب فصونع بمال فماد عنها ثم وصل بعده صاحب
 انطاكية في جمع من الافرنج فخذق الحلبيون حول القلعة فمنع الداخل والخارج
 اليها من ظاهر البلد وأشرف الناس على الخطر العظيم الى منتصف ذي الحجة
 سنة ٥٢١ وكان عماد الدين قد ملك الموصل والجزيرة فسير الى حلب
 الامير سنقر دراز والامير حسن قراقوش وأقام الامير حسن قراقوش والياً
 عليها ولاية مستعمارة الى ان وصلها عماد الدين زنكي فخرج الى أهل حلب
 فالتقوه واستبشروا بقدومه ودخل المدينة واستولى عليها ورتب أمورها
 وكان ذلك في شهر محرم سنة ٥٢٢ وجعل عماد الدين في رئاسة حلب أبا الحسن
 علي بن عبد الرزاق ولولا ان الله تعالى من على المسلمين بملك أتابك عماد
 الدين زنكي ببلاد الشام لملكها الافرنج لانهم كانوا يحصرون بعض البلاد الشامية
 واذا علم ظهر الدين طغتكين بذلك جمع عساكره وقصد بلادهم وحصرها
 وأغار عليها فيضطر الافرنج الى الرحيل للدفاع عن بلادهم فقدر الله تعالى
 انه توفي هذه السنة في ٨ صفر سنة ٥٢٢ فخلا لهم الشام من جميع جهاته
 من رجل يقوم بنصرة أهله فلطف الله بالمسلمين بولاية عماد الدين

* قتل الاسماعيلية بدمشق واتحادهم بالافرنج *

في هذه الاثناء قد زاد أمر الاسماعيليين أو الباطنيين وملك رئيسهم بهرام عدة حصون منها القدموس وغيره وكان بوادي اليتيم من أعمال بعلبك أصحاب مذاهب أخر مختلفة من النصيرية والدرزية والمجوس وأميرهم اسمه الضحاك فسار اليهم بهرام سنة ٥٢٢ وحصرهم وقتلهم فخرج اليه الضحاك في ألف رجل وكبس عسكر بهرام ووضع السيف فيهم وقتل منهم عدداً عظيماً وقتل بهرام وانهمزم الباقون وعادوا الى بانياس على أقبح صورة وكان بهرام قد استخلف في بانياس رجلاً اسمه اسماعيل فقام بمده وجمع شمل من عاد اليه وعاضده المزدقاني ثم انه أقام بدمشق انساناً اسمه ابو الوفاء بدل بهرام فقوى أمره وعلا شأنه حتى صار نفوذه أكثر من نفوذ صاحبها تاج الملوك ثم ان المزدقاني راسل الافرنج ليسلم اليهم مدينة دمشق ويسلموا اليه مدينة صور واستقر الأمر بينهم على ذلك وتقرر بينهم ميعاد لتنفيذ ذلك وهو يوم جمعه ذكروه وقرر المزدقاني مع الاسماعيلية ان يحتاطوا ذلك اليوم بابواب الجامع فلا يمكنون أحداً ان يخرج منه ليحجىء الافرنج ويملكوا البلد فباع الخبر تاج الملوك فاستدعى المزدقاني اليه فحضر وخلا معه فقتله تاج الملوك وعلق رأسه على باب القلعة ونادى في البلد بقتل الباطنية فقتل منهم ستة آلاف نفس وكان ذلك في منتصف رمضان سنة ٥٢٣ وكفى الله المسلمين شرهم وثامت هذه الحادثة بدمشق على الاسماعيلية خاف اسماعيل والى بانياس ان يثور به وبمن معه الناس فيهلكوا فراسل الافرنج وبذل لهم تسليم بانياس اليهم والانتقال الى بلادهم فاجابوه فسلم القلعة اليهم وانتقل هو ومن معه الى بلادهم ولقوا ذلاً وهواناً وتوفى اسماعيل في أوائل سنة ٥٢٤ وكفى الله المسلمين شرهم

﴿ محاصرة الصليبيين دمشق وانهمز امهم ﴾

لما باغ الفرنج قتل المزدقاني والاسماعاويه بدمشق عظم عليهم ذلك
وتأسفوا لعدم تملكهم دمشق وعمتهم المصيبة فاجتمع بودوين الثاني ملك القدس
وصاحب طرابلس وصاحب انطاكية وغيرهم ومن وصل اليهم في البحر من
التجار والزوار ورهبان الجميات وزحفوا بجيش عظيم على دمشق ليحصروها
ولما سمع تاج الملوك صاحبها جمع العرب والتركان ووصل الافرنج الى المدينة
ونازلوها وأرسلوا الى اعمال دمشق لجمع الميره والاغارة على البلاد فلما سمع
تاج الملوك ان جمعا كثيرا سار الى حوران لتهبه سير اميرا من امرائه اسمه
شمس الخواص في جمع من المسلمين اليهم وكان خروجهم في ليلة شاتية كثيرة
المطر ولقوا الافرنج في الصباح فواقعوهم واقتلوا وصبر بعضهم لبعض فظفر
بهم المسلمون وقتلوهم فلم يفلت منهم غير مقدمهم وأربون رجلا وأخذوا
مامهم وهي عشرة آلاف دابة موقرة وثلاثمائة أسير وعادوا الى دمشق ولم
يسهم جرح فلما علم بذلك بودوين ومن معه اتى الله في قلوبهم الرعب فرحلوا
عنها شبه المنهزمين واحرقوا ما تعذر عليهم حمله من سلاح وميره وغير ذلك
وتبعهم المسلمون والمطر شديد والبرد عظيم يقتلون كل من تخلف منهم فكثرت
قتلاهم وكان نزولهم ورحيلهم في شهر ذي الحجة سنة ٥٢٣

﴿ فتح عماد الدين زنكي حصن الاثارب ومحاصرة قلعة حارم ﴾

في سنة ٥٢٤ سار عماد الدين زنكي بمسكره قاصداً حصن الاثارب
ومحاصرته لشدة ضرره على المسلمين وهذا الحصن بينه وبين حلب ثلاثة
فراسخ وكان من به من الافرنج يقاسمون حاب على جميع أعمالها الغربية
وكان أهل حلب معهم في ضر وضيق شديد فقد كانوا يغيرون عليهم
وينهبون أموالهم فلما رأى عماد الدين ذلك صمم على حصر هذا الحصن

قسار اليه اينازله فلما علم الافرنج جمعوا فارسهم وراجاهم لما يعرفوه من
 قوة عماد الدين وشدة بأسه ولم يتركوا مما بطقتهم شيئاً الا استنفذوه فلما
 فرغوا من أمرهم ساروا نحو عماد الدين فاستشار أصحابه فيما يفعل فاشاروا
 كلهم بالمواد عن الحصن لان انباء الافرنج في بلادهم خطر فقال لهم عماد
 الدين ان الافرنج هتي رأونا قد عدنا من وجهم طمعوا وساروا في أثرنا
 وخربوا بلادنا ولا بد من لقاءهم على كل حال ثم ترك الحصن وتقدم اليهم
 فالتقوا واصطفوا للقتال وصبر كل فريق لخصمه واشتد الامر بينهم الى ان
 انهزم الافرنج شر هزيمة ووقع كثير من فرسانهم في الاسر وقتل منهم خلق
 كثير وظفر المسلمون وتقدم عماد الدين الى عسكره بالانجاز وقال هذا
 أول مصاف عملناه معهم فلندققهم من بأسنا ما يبق رعبه في قلوبهم ففعلوا ما
 أمرهم ولما فرغ المسلمون من ظفرهم عادوا الى الحصن فتساموه عنوة
 وقتلوا وأسروا كل من فيه وأخربه عماد الدين ثم سار منه الى قلعة حارم
 وهي بالقرب من انطاكية وكانت للافرنج فحصرها فبذل له أهلها نصف
 دخل بلد حارم وهادنوه فاجابهم الى ذلك وعاد عنهم وقد فرح المسلمون
 بتلك الاعمال وضعفت قوى الافرنج وعلموا ان البلاد قد جاءها ما لم يكن
 لهم في حساب وصار منتهى قصدهم حفظ ما بأيديهم بعد ان كانوا قد طمعوا
 بتملك جميع البلاد

* (وفاة الأمر باحكام الله وخلافة الخليفة لدين الله بمصر) *

في ثاني ذي القعدة سنة ٥٢٤ خرج خليفة مصر الملوي الأمر باحكام
 الله أبو علي بن المستعلي الى منتزه له فلما عاد وثب عليه الباطنية فقتلوه وكانت
 مدة ولايته تسعاً وعشرين سنة وخمسة أشهر وكان عمره نيفاً وأربعاً وثلاثين
 سنة وهو العاشر من الخلفاء الملويين أو المهديين ونسبتهم بذلك لانهم أولاد

المهدي عبيد الله الذي ظهر بسلمجماسه وبني المهديّة بافريقيّا ولما قتل لم يكن له أولاد ذكور فكان الحق بالخلافة لابن عمه عبد المجيد بن القاسم بن محمد وبما ان أرملة الخليفة المتوفى كانت حاملاً لقب عبد المجيد بنائب الملك الى ان يروا ماذا يكون المولود فوضعت ابنة فبويغ بالخلافة عبد المجيد ولقب بالحافظ لدين الله وكان مولد الحافظ بمسقلان فاستوزر أبا علي أحمد بن الانضل بن بدر الجمالي فاستبد بالامر وتغلب على الحافظ وقام بالوزارة حق القيام

* (وفاة جوسلين صاحب الرها) *

كان جوسلين من الافرنج الذي حاربهم عماد الدين زنكي بمحصر الحصن حتى امتلكه منهم عنوة فاصابه حجر من أحد أبراج الحصن فجرحه ولما عاد الى الرها بلغه ان الامير مسعود أتى بهسا كره وحاصر أحد حصونه التابعة له فامر بجمع عسا كره وسار بهم محمولا على عربية وقبل ان ينزل على الحصن المحصور بلغه ان الامير مسعود قد رفع الحصار وعاد الى بلاده وبعدها مات جوسلين وهو بالعربية فارجموه الى الرها ودفنوه هناك وكان ذلك في سنة ٥٢٥ الموافقة سنة ١١٣١ م فحزنوا عليه حزناً شديداً

* (وفاة بودوين الثاني ملك القدس) *

وفي تلك السنة أيضاً مرض بودوين الثاني ملك القدس فامر بان ينقل الى جوار قبر المسيح وهناك مات بين ذراعي ابنته ميليسيندا وزوجها فولك الذي أوصى له بالملك بعده فحزن عليه الصليبيون جميعهم لما كان له من المنزلة العظيمة عندهم وكانوا يحبونه كثيراً لمدهل بينهم ولكونه كان آخر الامراء الصليبيين الذين جاؤا فلسطين مع غودافرو من مملكة قرانسا وكان

هذا الملك قد حكم الرها مدة ثمانى عشرة سنة وحكم القدس بعد ذلك
اثنى عشرة سنة وكان شجاعاً ووقع فى الاسر مرتين

*** (فى تملك فولك دى الينو على القدس) ***

بعد وفاة بودوين الثانى ملك القدس كما تقدم احتفلوا بتويج فولك دى
الينو ملكا على ولاية القدس حسب وصية حميه المذكور وكان فولك قد قدم
من بلاد فرنسا على عهد بودوين بعد الزيارة وهو ابن فولك ريشين بارتراد
دى مونت فورت ففى اثناء اقامته فى القدس أنفق على مائة محارب من ماله
وكان يترأسهم فى اثناء محاربة المسلمين فيظهر فى القتال شجاعة عظيمة فلذلك
أحبه بودوين الثانى وأزوجه ابنته ميليسيندا ولم يكن لبودوين ولد ذكرى
الملك فوعده بانه بعد مماته يكون هو الوريث الوحيد لملكه القدس فحصل
لهذا الشاب سرور عظيم لزواجه ولو رآته هذا الملك الذى تم له فى سنة

١١٣٩ م وسنة ٥٢٥ هـ

*** وفاة السلطان محمود ***

فى هذه السنة أيضاً توفى السلطان محمود بن محمد بهمدان وكان عمره نحو
ثمان وعشرين سنة وكانت ولايته أربعة عشر سنة تقريباً وكان حليماً كريماً
عاقلاً عادلاً كثير الاحتمال وطاب السلطنة بعده ولده داود بن محمود وأخوه
مسعود وسلاجوق شاه ابنا محمد وعمهما سنجر بن ملكشاه ومعه طغرل بن
السلطان محمد فجرت بينهم حروب واختلافات كثيرة ظفر فيها سنجر بن ملكشاه
ومعه طغرل بن السلطان وخطب لابن أخيه طغرل بالسلطنة فى همدان واصفهان
والرى وسائر بلاد الحيل

* استيلاء شمس الملوك على بانياس *

في سنة ٥٢٧ طمع الافرنج في شمس الملوك صاحب دمشق ابن تاج الملوك وعزموا على نقض الهدنة التي بينهم فتعرضوا لاموال جماعة من تجار دمشق في مدينة بيروت وأخذوها فشكا التجار الى شمس الملوك فراسلهم في اعادة ما أخذوه وكرر القول فيه فلم يردوا شيئاً فحملته الانفة من هذه الحلة والغيظ فجمع عسكره وتأهب ولا يعلم أحد مراده ثم سار وسبق خبره أواخر المحرم ونزل على بانياس أول صفر وقاتله لساعته وزحف اليه زحفاً متتابعاً وكانوا غير متأهبين وليس فيه من المقاتلة من يقوم به وقرب من سور المدينة وترجل بنفسه وتبعه الناس من الفارس والراجل ووصلوا الى السور فنقبوه ودخلوا البلد عنوة والتجأ من كان من جنود الافرنج الى الحصن وتحصنوا به فقتل في البلد كثيراً من الافرنج وأسروا كثيراً ونهبت الاموال وقاتل القلعة قتلاً شديداً ليلاً ونهاراً فملكها رابع صفر بالامان وعاد الى دمشق فوصلها في سادسه ولم يعلم فولك ملك القدس بحصار بانياس أمر بجمع جيشه ليسير لنجدتها فأتاه خبر فتحها فالفي أمره السالف

* محاربة فولك ملك القدس نائب حلب *

في صفر سنة ٥٢٧ سار فولك ملك القدس بجيوشه الى أطراف حلب فتوجه اليه الامير اسوار نائب حلب فيمن عنده من العسكر وانضاف اليه كثير من التركان فاقتتلوا عند قنسرين فقتل من الطائفتين جماعات كثيرة وانهمزم المسلمون الى حلب وتردد ملكهم في أعمال حلب فماد اسوار وخرج اليه فيمن معه من العسكر فوقع على طائفة منهم فارتع بهم وأكثر فيهم القتل والاسر فماد من سلم منزماً الى بلاده وانجبر ذلك المصاب بهذا الظفر ودخل اسوار حلب ومعه

الاسرى ورؤوس القتلى وكان يوماً مشهوداً ثم خرج بعد ذلك طائفة من الافرنج
من الرها وقصدوا أعمال حلب للاغارة عليها فسمع بهم اسوار نخرج اليهم ومعه
الامير حسان البعلبكي فاقوموا بهم وقتلوهم عن آخرهم وأسروا من لم يقتل
ورجموا الى حلب سالمين

✽ استيلاء شمس الملوك على حصن شقيف

تيرون ونهبه بلاد الافرنج ✽

في شهر محرم سنة ٥٢٨ سار شمس الملوك اسماعيل صاحب دمشق الى
حصن شقيف تيرون وهو في الجبل المطول على بيروت وصيدا وكان بيد
الضحاك بن جندل رئيس وادي التيم قد تغلب عليه وامتنع به والضحاك
المذكور هو رئيس النصيرية والادرعية والمجوسية وكان يلعب المسلمين
والافرنج ويحتوى بكل طائفة على الاخرى فسار شمس الملوك اليه وأخذه
منه عنوة فمظم أخذه على الافرنج لان الضحاك لا يتعرض لشيء من بلادهم
المجاورة له فخافوا شمس الملوك فجمعوا عساكرهم فلما اجتمعت ساروا الى
حوران وأخذوا يخربون وينهبون القرى وكان شمس الملوك لما بلغه تجمع
الافرنج قد جمع الجموع وحشد الجيوش والتف عليه جمع كثير من التركان
ونزل بازاء الافرنج وجرت مناوشات ثم ان شمس الملوك نهض ببعض عسكره
وجعل الباقي قبالة الافرنج وهم لا يشرون وقصد بلاد طبرية والناصره وعكا
وماجاورها التابعة للافرنج فهب وخرب واحرق وامتلات ايدي من معه
من الغنائم واتصل الخبر بالفرنج فانزعجوا ورحلوا في الحال بغتة وطلبوا بلادهم
وأما شمس الملوك فانه عاد الى عسكره على غير الطريق الذي سلكه الافرنج فوصل
سالمًا وأما الافرنج فلما رأوا بلادهم خراباً أرسلوا الى شمس الملوك بتجديد
الهدنة فهادنهم

﴿ قتل الخليفة المسترشد بالله و خلافة الراشد بالله ﴾

في شهر محرم سنة ٥٢٩ توفى السلطان طغرل بن محمد بن ملكشاه نخرج السلطان مسعود بجيشه وخرج الخليفة المسترشد بالله بجيشه والتقياعاشر رمضان وتجاربا فانهمز جيش الخليفة وأخذ هو اسيراً ومعه جماعة كثيرة منهم وزيره وقاضي القضاء والامراء وسير السلطان الامير بك ايه المحمودى شحنة الى بغداد فوصلها في آخر رمضان واستولى على جميع املاك الخليفة فهاجت عامة بغداد و حاربوهم ثم ترددت الرسل بين الخليفة والسلطان مسعود على تقرير قواعد الصلح فتصالحا على مال يؤديه الخليفة وان لا يعود الى جمع المساكروان لا يخرج من داره ثم وصل خبر بقدم الامير قزان خوان رسولا من السلطان سنجر فتأخر مسير الخليفة وخرج الناس مع السلطان مسعود الى لقاء الامير وفارق الخليفة بمض من كان موكلاه فقصدته اربعة وعشرون رجلا من الباطنه ودخلوا عليه فقتلوه وجرحوه وطعنوه نحواً من عشرين طعنة ومثلوا به فجدعوا أنفه وأذنيه وقتل معه نفر من أصحابه كان ذلك في يوم الاحد ١٧ من شهر القعدة من السنة المذكورة وكان عمره ثلاثاً وأربعين سنة وثلاثة أشهر وكانت مدة خلافته سبع عشرة سنة وستة أشهر وعشرين يوماً وكان شهماً شجاعاً فصيحاً حسن الخط جيد الفكر وبمدوفاه بويغ بالخلافة ابنه الراشد بالله أبو جعفر المنصور وكان أبوه قد بايع له بولاية المهدي في حياته ووجدت له البيعة بعد قتله يوم الاثنين السابع والعشرين من شهر القعدة المذكور وكتب السلطان مسعود الى شحنة بغداد ان يبايع له بالخلافة وحضر الناس البيعة وكان حاضراً بيعة واحد وعشرون رجلا من اولاد الخلفاء وبايع له الشيخ أبو النجيب ووعظه وبالغ في المواعظه

* غزو العساكر الاتابكية بلاد الافرنج *

في شعبان سنة ٥٣٠ اجتمعت عساكر اتابك زنكي تحت قيادة الامير اسوار فآبته بحلب وقصدوا بلاد الافرنج على حين غفلة منهم ففاجؤا اللادقيه ولم يتمكن أهلها من الانتقال عنها والاحتراز فنهبوا منها ما لا يحيط به الوصف وقتلوا وأسروا وكان الاسرى سبعة آلاف اسير ما بين رجل وامرأة ومائة ألف رأس من الدواب وما بين فرس وبغل وغيره وأما ما سوى ذلك من الاقمشة والحلى فيخرج عن الحد وأحرقوا بلد اللادقيه وما جاورها ولم يسلم منها الا القليل وخرجوا الى شيزر بما معهم من الغنائم سالمين وفرح المسلمون بذلك فرحاً عظيماً ولم يقدر الافرنج على شيء يأخذون به النار

* خلع الخليفة الراشد بالله وخلافة المقتدي لامر الله *

في سنة ٥٣٠ اجتمع على الخليفة الراشد جماعة وحنوالة الخروج من بغداد لمحاربة السلطان مسعود فاجابهم الى ذلك وظهر منه تنقل في الاحوال وتلون في الاراء وقبض على جماعة من اعيان أصحابه وخافه الباكون ثم تقدم السلطان مسعود وحصر بغداد واستظهر عليها فخرج الخليفة الراشد ملتجئاً الى زنكي في البر الغربي فسار به الى الموصل ودخل السلطان مسعود بغداد واستقر بها وأمر فجمع القضاة والشهود والفقهاء وعرض عليهم اليمين التي حلفها الراشد بالله للسلطان مسعود وفيها بخط يده (انى متى جندت أو خرجت أو لقيت أحداً من أصحاب السلطان بالسيف فقد خذت نفسى من الامر) فافتوا بخروجه من الخلافة فعملوا محضراً وذكروا فيه ما ارتكبه من أخذ الاموال واشياء تقدح فى الامامه وكتبوا الفتوى بخلافة واحضروا القاضى أباطاهر الكرخى فشهدوا امامه بذلك فحكم بفسقه وخلافة ثم ان شرف الدين الوزير ذكر للسلطان أبى عبد الله محمد بن المستظهر فامر باحضاره من المكان الذى يسكنه

ولما حضر جلس في الميمنة واتفق معه السلطان والوزير ثم حضر الامراء وارباب
 المناصب والقضاء والفقهاء وبايعوه بالخلافة وكان ذلك في ثامن عشر ذي الحجة
 ولقب (المقتنى لامر الله) وسبب هذا اللقب انه كان رأى النبي صلى الله عليه وسلم
 قبل أن يولي الخلافة ستة أيام وهو يقول له ان هذا الامر يصير اليك فاقتنى بي
 فلقب بذلك

* استيلاء المسلمين على حصن وادي ابن الاحمر *

في رجب سنة ٥٣١ سار الامير نزاوش مقدم عسكر دمشق الى طرابلس
 الشام فاجتمع معه كثير من الفزاة المتطوعة والتركمان فلما سمع بهم الدوك
 يونس صاحب طرابلس سار اليهم في جموعه وحشوده فقاتلهم فانهزم وعاد
 الفرنج الى طرابلس في حالة سيئة لان فرسانهم وشجعانهم قتلوا بالامداد وانهب المسلمون
 من بلادهم أكثرها وحصروا حصن وادي ابن الاحمر وضيقوا عليه فلما كوه عنوة
 ونهبوا ما فيه وقتلوا المقاتلة وأسروا الرجال فاقتدوا أنفسهم بمال جزيل وعاد
 المسلمون الى دمشق

* استيلاء زنكي على قلعة بعيرين *

في شوال سنة ٥٣١ سار اتابك زنكي من حمص وحصر قلعة بعيرين
 وهي للفرنج تقارب مدينة حماه وهي من أمنع الحصون وأعزها فلما انزل عليها
 قائدها انجمع الافرنج فارسهم وراجلهم وساروا بقضهم وقضيضهم وملوكهم الى اتابك
 زنكي ليرحلوه عن بعيرين فلم ير حل وصبر لهم الى ان وصلوا اليه فلقبهم وقاتلهم
 أشد فتل رآه الناس وصبرا الفريقان وانجالت اواقعة عن ذرية الافرنج وأخذتهم
 سيوف المسلمين من كل جانب واحتمي ملوكهم بحصن بعيرين لقربه منهم
 فحصرهم المسلمون ومنع اتابك زنكي كل شيء حتى الاخبار فكانوا من داخله

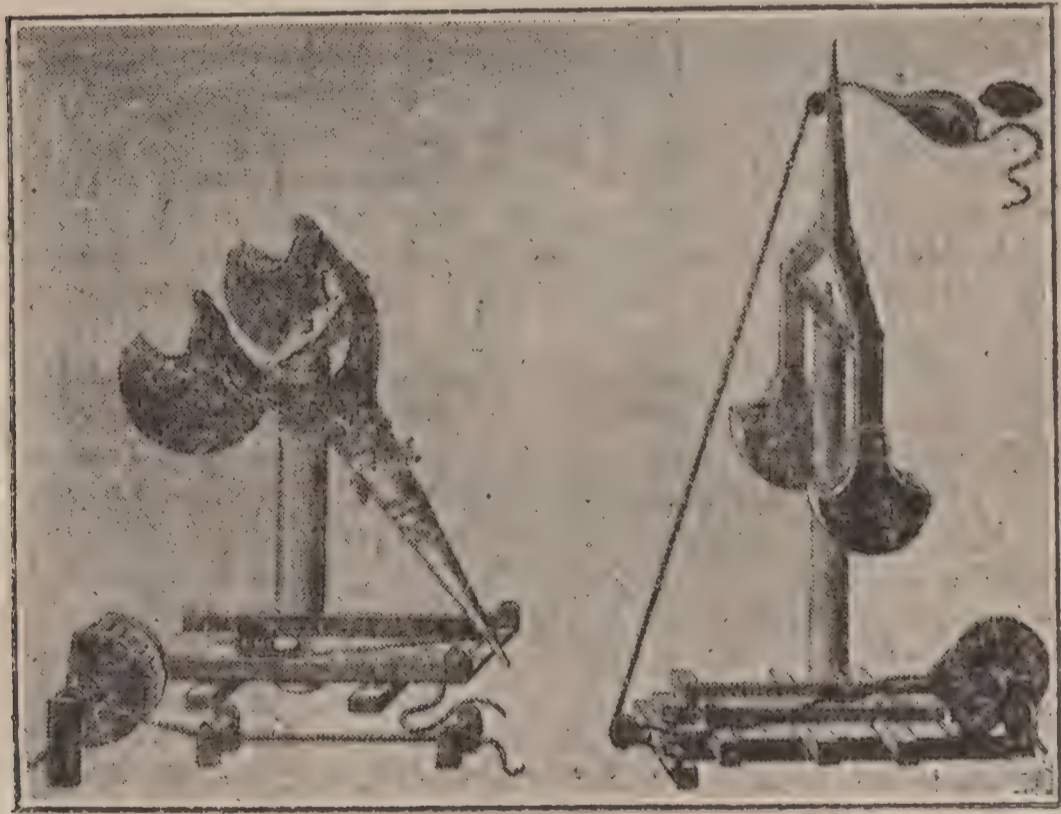
لا يعلمون شيئاً من أخبار بلادهم لشدة ضبط الطرق وهيبته على جنوده ثم ان
القيسيين والرهبان ساروا الى بلاد الروم وجميع بلاد النصرانية مستنفرين
على المسلمين وأعلموهم ان زندي اذا أخذ بعين ومن فيها من الافرنج ملك
جميع بلادهم في أسرع وقت وان المسلمين ليس لهم منه الا قصد البيت المقدس
فخرج ملك الروم (بالقسطنطينية) ومعه كثير من عساكره ومن النصرانية
وساروا على الصعب وقصدوا الشام لتخليص حصن بعين وأما زندي فانه صبر
في قتال الافرنج فصبروا وقت عليهم الميرة والذخيرة لانهم كانوا غير مستعدين
ولم يكونوا معتقدين ان أحداً يقدر عليهم بل كانوا يتوقعون ملك باقي البلاد
الشامية فلما قلت الذخيرة طلبوا الامان والتسليم ولما سمع زندي بقرب ملك
الروم واجتماعه بمن بقي من الافرنج أعطي لمن في الحصن الامان وقرر
عليهم تسليم الحصن ودينع ٥٠ الف دينار يحملونها اليه فاجابوه الى ذلك
فخرجوا وسلموا اليه فلما فارقوه بانهم اجتمع من اجتمع بسببهم فقدموا على
التسليم حيث لا ينفهم الندم وكان زندي في مدة حصاره فتح المعرة وكفر طاب
عن الافرنج

✽ في مسير ملك الروم يوحنا كومنينوس الى بلاد الشام ✽

في سنة ٥٣١ خرج الملك يوحنا كومنينوس ملك الروم بالقسطنطينية
قاصداً بلاد الشام لنجدة الافرنج كما تقدم فسار من البحر الى ان وصل بلاد
الارمن التابعة لابن ليون الارمني فاستولى على بعضها ثم صار الى انطاكية
فوصلها في شهر القعدة سنة ٥٣١ فحصرها وضيق عليها وبها صاحبها الامير
رايموند ثم تردت الرسل بينها فتصالحا ورحل عنها ولما دخلت سنة ٥٣٢
سار الملك يوحنا المذكور الى بلاد الشام وقصد بزاعه فحصرها وهي مدينة
لطيفة على ستة فراسخ من حلب فمضى جماعة من اعيان حلب الى اتابك

زنكي وهو محاصر حص فاستغاثوا به واستنصروه فسير معهم قسما من عسا كره
 فدخلوا حلب ليمعواها من الروم ان حاصروها ثم ان ملك الروم قاتل بزاعه
 ونصب عليها المنجانيقات وامتلكتها بالامان في الخامس والعشرين من رجب
 ثم غدر باهلها فقتل منهم وأسر وسبي وكان عدد من جرح فيها من اهلها
 خمسة آلاف وثمانمئة نفس وتنصر قاضيها وجماعة من اهلها عددهم
 نحو اربعمائة نفس واقام ملك الروم عشرة ايام يطلب من اختفى فقبل له ان
 جمعا كثيرا من الاهالي قد اختبأ بالمغائر فاشمل علي فوهاها النار واهلكهم
 ضيقا بالدخان ثم رحلوا الى حلب بخيلهم ورجلهم فخرج اليهم احداث حلب
 فتقاتلوا قتالا شديدا فقتل من الروم وجرح خاق كثير وقتل بطريق جليل
 القدر عندهم وعادوا خاسرين فرحلوا الى قلعة الانارب فخاف من فيها من
 المسلمين في التاسع من شعبان فهربوا عنها فملكها الروم وتركوا فيها سبايا بزاعه
 والاسرى ومعهم جمع من الروم يحفظونهم ويحمون القلعة وساروا فلما سمع
 الامير اسوار نائب حلب بذلك رحل فيمن عنده من العساكر الى الانارب
 فوقع بمن فيها من الروم فقتلهم وخلص الاسرى والسبي وعاد الى حلب وأما
 الملك يوحنا فانه قصد قلعة شيزر لانها من امنع الحصون وحصرها لعلمه
 بانها لم تكن لزنكي فلا يكون له في حفظها اهتمام لانها كانت للامير ابي العساكر
 سلطان بن علي منقذ الكناني فنصب عليها ثمانية عشر منجنيقا فارسل
 صاحبها الى زنكي يستجده فسار اليه فنزل على نهر العاصي بينها وبين حماة
 فكان يركب كل يوم في عسا كره ويسير الى شيزر بحيث يراه ملك الروم
 ويرسل سرايا تخطف من يخرج من عسا كرههم للميرة والنهب ثم يعود آخر
 النهار وكان الروم والافرنج قد نزلوا شرقي شيزر فارسل اليهم زنكي يقول
 لهم انكم قد تحصنتم بهذه الجبال فاخرجوا عنها الى الصحراء حتى نلتقي فان

ظفرتم أخذتم شيزو وغيرها وان ظفرت بكم ارحت المسلمين من شركم وكان
لم يكن له بهم مطمع اكثرتم وانما كان يفعل هذا ترهيباً لهم فاشار الافرنج
على الملك يوحنا بلفانه وقتله وهونوا أمره فقال لهم الملك اتظنون ان معه
من المساكر ماترون وله البلاد الكثيرة وانما هو يريدكم قلة من معه لتطعموا
وتصحروا له (أى تخرجوا له في الصحراء) فحينئذ ترون من كثرة عسكره
ما يعجزكم وكان اتاك زنجي مع هذا يرسل افرنج الشام ويحذرهم ملك الروم
ويعلمهم انه ان ملك بالشام حصناً واحداً اخذ البلاد التي بأيديهم منهم وكان
يرسل ملك الروم يتهدده ويوهمه ان الافرنج معه فاستشعر كل واحد من
الافرنج والروم بالخوف من صاحبه فرحل ملك الروم عنها في رمضان سنة ٥٣٢
وكان مقامه عليها اربعة وعشرين يوماً



(صورة منجنيقات لرمى الحجارة بدل مدافع اليوم)

وترك المنجنيقات وآلات الحصار بحالها فسار زنجي خلفهم وظفر
بعائفة منهم في ساقه العسكر فغنم منهم وقتل وأسر وأخذ جميع ما
خلفوه ورفعوه الى قلعة حلب وكفى الله المؤمنين القتال وكان المسلمون بالشام

قد اشتد خوفهم وعلموا ان الروم ان ملكوا حصن شيزر لا يبق لمسلم منهم
مقام لاسيا مدينة حماه لغربها ولما يسر الله تعالى هذا الفتح مدح الشعراء
اتابك زنكي فاكثروا منهم أبو المجد المسلم بن الخضر بن المسلم بن قسيم الحموي
يقصيدة منها

بزمك أبها الملك العظيم	تذلك الصواب وتستقيم
ألم تر ان كلب الروم لما	تين انك الملك الرحيم
فجاء يطبق الفلوات خيلا	كأن الجحفل الليل البهيم
وقد ترك الزمان على رضاه	فكان لخطبه الخطب الجسيم
فحين رميته بك في خميس	تيقن ان ذلك لا يدوم

ولما عاد ملك الروم الى بلاده نزل أتاك الى حصن عرقة وهو من
أعمال طرابلس فحصره وفتحته عنوة ونهب ما فيه وأسر حاميته من الافرنج
وخربه وعاد سالماً غانماً

* محاصرة زنكي دمشق واستيلاء الافرنج على بانياس *

في سنة ٥٣٤ سار عماد الدين اتابك زنكي في ربيع الاول الى دمشق
فنزل بالبقاع وأرسل الى جمال الدين محمد صاحبها يطلب منه تسليم دمشق
واختيار أي بلد يدها فام يحبه الى ذلك فرحل وقصد دمشق فنزل على
داريا في تلك عشر ربيع الاول فالتقت الطلائع واقتتلوا وكان الظفر لمسكر
زنكي وعاد الدمشقيون منهزمين وقتل كثير منهم ثم تقدم زنكي الى الموصل
فزل هناك ولقيه جمع كثير من جندي دمشق فقاتلوه فانهم الدمشقيون
وأخذهم السيف فقتل منهم وأكثر وأسر كذلك ومن سام عاد جريحا وهدد
البلد ذلك اليوم بالاخذ وان يملك لكن زنكي أمسك عنه عشرة أيام وتابع
الراسل الى صاحب دمشق وبذل له بملك وحصن وغيرها مما يختاره من

البلاد فمال الى التسليم فمنعه أصحابه وخوفوه عاقبة فماله فلما لم يسلموا عاد
 القتال والزحف ثم ان جمال الدين مرض وتوفي ثامن شعبان فطمع زنكي
 حينئذ في البلد وزحف عليه زحفاً شديداً ظاناً وقوع الخلاف بين المقدمين
 فيبلغ غرضه وكان ما أمله بعيداً وتولى بعد جمال الدين مجير الدين آبق ولده
 وتولى ترتيب دولته معين الدين انز فاحسن التدبير ولما رأي ان زنكي
 لا يفارقهم راسل فولك ملك القدس واستدعاه الى نصرته لدفع زنكي عن
 دمشق واعدأ اياه بانه يحصر بانياس ويسلمها للافرنج وخوفه من زنكي اذا
 ملك دمشق فأيقن بصحة قوله وعلموا ان ملكها لا يبقى لهم معه بالشام مقام
 فلما سمع بذلك زنكي سار الى حوران خامس رمضان عازماً على قتال الافرنج
 قبل وصولهم دمشق ولما سمعت الافرنج خبره لم يفارقوا بلادهم ولما راهم
 كذلك عاد الى حصر دمشق ونزل بعذراشمايها سادس شوال وأحرق عدة
 قرى من المرج والنوطة ورحل عائداً الى بلاده ثم وصلت الافرنج الى دمشق
 واجتمعوا بصاحبها فسار معين الدين انز بعسكره الى قلعة بانياس وهي في
 طاعة زنكي ليحصرها ويسلمها للافرنج وكان واليها قد سار قبل ذلك منها
 باسبوع الى مدينة صور للاغارة عليها فنازلها معين الدين وقائها وضيق على
 من بها ومعه طائفة من الافرنج فاستولى عليها وسلمها الى الافرنج فلما سمع
 بذلك زنكي فرق عساكره للاغارة على حوران وأعمال دمشق وسار هو
 فنازل دمشق سجراً ولم يعلم به أحد من أهلها فلما أصبح الناس وراوا عسكره
 خافوا وارتجت البلد واجتمع العسكر والمامة على السور وفتحت الابواب
 وخرج الجند فقاتلوه فلم يتمكن زنكي من الاقدام في القتال لقلة جنوده لان
 عساكره كانت متفرقة ولما اجتمعت عاد بها الى بلاده

* (وفاة فولك ملك القدس وتولية ولده بودوين الثالث) *

في سنة ٥٣٧ المواقفة سنة ١١٤٢ توفي فولك دي الينو ملك القدس وكانت وفاته في سهل مدينة عكا حيث كان راكباً جواده فسقط عن ظهره عند جماحه فمات وله ولدان أكبرهما اسمه بودوين وعمره ثلاث عشرة سنة والثاني اسمه امورى فاستحق ولده الاكبر الولاية وتسمى بودوين الثالث تحت وصاية والدته ميليسيندا الى ان بلغ الرابعة عشرة سن رشده حسب عادتهم وأصبح بعدئذ بودوين ملكاً حراً

* (فتح زنكي مدينة الرها والبلاد الجزرية) *

كان صاحب مدينة الرها جوسلين الاول قد توفي فجلس على تختها ولده جوسلين الثاني وكان شجاعاً ما كراً يغير على البلاد الجزرية ويمتلكها فاراد اتابك زنكي محاصرة مدينة الرها ولملمه بانه متى قصد حصرها اجتمع فيها الافرنج فيمنعوه ويتعذر عليه ملكها لما هي عليه من الحصانة فاشتغل بمحاربة ديار بكر ليوهم الافرنج انه غير متفرغ لقصد بلادهم فلما رآه جوسلين الثاني مشغولاً بمحاربة ملوك ديار بكر اطمان على بلاده وفارق مدينة الرها وعبر الفرات الى البلاد الغربية فجاءت عيون اتابك اليه وأخبروه بما كان قنادى في معسكره بالرحيل وان لا يتخلف عن الرها أحد من غديومه وسار بالعساكر الى ان وصل الى مدينة الرها فحاصرها ونازلها وقايلها ثمانية عشر يوماً باللات الحصار التي كان قد أحضرها من حلب وكان معه أبراج خشبية تملو عن سور المدينة وقدم النقبين فنقبوا سور البلد وح في القتال خوفاً من اجتماع الافرنج والمسير اليه واستنقاذ البلد منه فسقطت البدنة التي نقبها النقبون وأخذ البلد عنوة وقهراً وحصر نلقتها فلما كرها أيضاً ونهب الناس الاموال وقتلوا الرجال

فلما رأى اتابك البلد أعجبه ورأى انه لا يجوز تخريب بلد مثلها فأمر بالمدادات في المساكر برد ما أخذوه من الأسرى من رجال ونساء الى بيوتهم واعادة ما غنموه من أثاثهم وأمتعتهم فردوا جميع ذلك عن آخره ولم يفقد منه شيء فمادت البلد على حالها الاول وجعل فيها عسكرياً يحفظها ثم سار اتابك زنكي فتسلم مدينة سروج وسائر الاماكن التي كانت بيد الافرنج شرقي الفرات ماعدا البيرة فانها حصينة منيعة وعلى شاطئ النهر فسار اليها وحصرها وكانوا قد اكثروا ميرتها ورجالها فبقي على حصارها الى ان وصله خبر قتل نصير الدين نائبه بالموصل فرحل عنها وأرسل نائباً الى الموصل وأقام ينتظر الخبر فخاف من بالبيرة من الفرنج ان يعود اليهم وكانوا يخافونه خوفاً شديداً فأرسلوا الى نجم الدين صاحب ماردين وسلموها اليه فملكها المسلمون

* (قتل اتابك عماد الدين زنكي وتولية اولاده) *

في سنة ٥٤١ حاصر اتابك زنكي حصن جمبر وهو مطل على الفرات وكان بيد سالم مالك المقبل في اليوم الخامس من شهر ربيع آخر قتل الشهيد اتابك عماد الدين زنكي بن اقسنقر صاحب الموصل وبلاد الشام ومدينة الرها وبلاد الفرات الشرقية قتله جماعة من مماليكه ايلانغية وهرخوا الى قاعة جمبر فصاحوا على من بهامن أهلها من المسكر يعلمونهم بقتله وأظهروا الفرحة فدخل أصحابه اليه فأدركوه وبه رمق وفاضت نفسه رحمه الله وكان حسن الصورة أسمر اللون مابيح العينين قد وخطه الشيب وكان عمره يزيد عن الستين ودفن بالرقه وكان شديد الهية على عسكريه ورعيته عظيم السياسة وكان يمنع القوى من ظلم الضعيف محباً لعمار البلاد وكان أشجع خلق الله ورثاه الحكيم أبي الحكم المغربي بقصيدة منها

عين لاتدخرى المدامع وابكي واستهلى دمعاً على فقد زنكي

لم يهب شخصه الردي بعد ان كان له هيبه على كل تركي
خير ملك ذي هيبه وبهاء وعظيم بين الانام بزرك
يهب المال والجياد لمن يمه مادحاً بغير تلكي
أى فتك جري له في الاعاى بعد ما استتج الرها أى فتك
بعد ما كاد ان تدين له الروم ويحوى البلاد من غير شك
وخلف من الاولاد سيف الدين غازى ونور الدين محمود الملك العادل
وقطب الدين مودود وهو أبو الملوك ونصرة الدين أمير أميران وبنياً وبعد
وفاته أخذ خاتمه من يده نور الدين محمود الملك العادل وكان حاضراً معه
وسار الى حلب فلما كان ذلك بإشارة أسد الدين شيركوه وكان حينئذ
يتولى ديوان زنكي ويحكم في دولته جمال الدين محمد بن على وهو المنفرد
بالحكم ومعه أمير حاجب صلاح الدين محمد الباغديانى فاتفقا على حفظ الدولة
وكان مع الشهيد اتابك الملك الب ارسلان ابن السلطان مسعود فسيره الى
الموصل مع جماعة من أكابر دولة أبيه وقال لهم ان وصل اخى سيف الدين
غازى الى الموصل فهي له وأنتم في خدمته وان تأخر فانا أقرر أمور الشام
وأتوجه اليكم وكان سيف الدين غازى بناحية شهر زور وهي اقطاعه من
أبيه وساعده على ذلك جمال الدين واستقر أمر سيف الدين غازى بالموصل
وجعل جمال الدين وزيره وأرسلوا الى السلطان مسعود فاستحلفوه لسيف
الدين فخلف له وأقره على البلاد وأرسل له الخراج وكان سيف الدين هذا قد
لازم خدمة السلطان مسعود في أيام أبيه وكان السلطان يحبه ولذلك لم يتوقف
في تقرير اليمين له

* (عصيان أهل الرها واستيلاء نور الدين عليها) *

لما قتل اتابك زنكي كان جوسلين الثانى صاحب الرها بناحية تل

بأشر وما يجاورها من ولايته فراسل أهلها وعامتهم وحملهم على العصيان والامتناع من المسلمين وتسليم البلد اليه فاجابوه الى ذلك وواعدهم على يوم يصل اليهم فيه وسار في عساكره الى الرها وملك البلد وامتنت القلعة عليه بمن فيها من المسلمين فقاتلهم وأرسل الى جميع الصليبيين بالشام يستنجدهم على المسلمين فباع الخبر الى نور الدين محمود بن زنكي وهو بحلب فسار مجدأ اليها في عسكره فلما قاربها خاف منه جوسلين خصوصاً لعدم ورود احد من الافرنج لنجدته فخرج هارباً عائداً الى بلده ودخل نور الدين المدينة ونهبها وسبي أهلها ففي هذه الدفعة نهبت وخذت من أهلها ولم يبق بها منهم الا القليل وكان ذلك في سنة ٥٤١ وكان قد باع خبر عصيانها الى سيف الدين غازي بن الشهيد اتابك زنكي فسير اليها العساكر وفي أثناء مسيرهم اليها بلغهم خبر استيلاء الملك العادل نور الدين عليها فعادوا

* (ابتداء الحروب الصليبية الثانية) *

(طلب الصليبيين النجدة من البابا ومن ملوك أوروبا)

في سنة ٥٤٢ فتح الملك العادل نور الدين (ارتاج) بالسيف (و حصن باراه وبصرفوت وكفر لاثا) وأخذها من الافرنج الذين كانوا قد طمعوا فظنوا انهم بعد قتل الشهيد يستردون ما أخذ منهم فلما رأوا قوة وبعطش نور الدين علموا ان ما ملوه بعيد وخافوا منه ان يأخذ جميع بلادهم فلذلك اجتمعت رؤساءهم في مدينة القدس وقرروا طلب الاعانة والنجدة من البابا ومن ملوك أوروبا جميعاً ثم أرسلوا وقدأ الى البابا أوجانيوس الثالث الذي كان مقياً في مدينة فيتاريو ولما وصل اليه الوفد وقابله فأعلمه بما جرى على المسيحيين بالشام وان نور الدين اذا دام على قتالهم أفناهم خصوصاً استيلاء المسلمين على مدينة الرها تلك المدينة عظيمة القدر عندهم فبكى البابا وتذكر

ما فعله سلفه البابا أوربانوس الثاني وبما فاز به من ثمرة أعماله فشرع في تحرير الرسائل الى ملوك أوروبا مملوأة بالتحريض والاستحلاف بان ينهضوا لاجل نجدة اخوتهم المسيحيين الذين في المشرق ويخص بالتحريض ملك فرنسا لويس السابع وكذلك ارسل الى القديس برنردوس معلمه رئيس دير كلارفوكس كامبروسيوس وأعلمهم بان مدينة القدس في خطر من سيوف المسلمين فلما وردت رسالة البابا على الملك لويس السابع ملك فرنسا عقد جمعية في مدينة بورغاس من الرؤساء الكنائسيين ومن أشرف المملكة وأبلغهم اعتماده على الحرب المقدسة ثم انه عمل بمشورة القديس برنردوس فأرسل وقدماً الى روميه لمقابلة البابا الذي قابله بمسرة ودعا للملك لويس بالنصر وأرسل منشوراً رسولياً الى المسيحيين جميعهم يحرضهم فيه ويمنحهم الانعامات والاختصاصات جميعها المنوحة من سانه أوربانوس الثاني للصليبيين الاواين وقد اناب عنه معلمه القديم القديس برنردوس فأقامه رئيساً رسولياً للجيش الصليبية وفوض اليه دعوة جميع المسيحيين الى هذه الحرب المقدسة

* (جمعية فينزالاي بفرنسا) *

أمر الملك لويس بمقد جمعية أخرى في مدينة (فينزالاي) الصغيرة من إقليم بورغونيا تحت رياسته ورئاسة القديس برنردوس وحضر هذه الجمعية عدد عظيم من الاكايروس والأشرف والرجال من كل سن ورتبة وكان اجتماع هذه الجمعية في يوم حد الشمانين في سنة ١١٤٦ ميلاديه موافقة سنة ٥٤١ هجرية امام باب المدينة المذكورة وهناك ظهر الملك بالزينة الملائكية وبرنردوس بثوبه الرهباني وجلسا فوق تخت نصب لهذه الغاية ثم انه وقف برنردوس وقرأ بصوت عال المنشور الباباوي وأخبر الشعوب بسقوط امارة الرها بيد المسلمين

فشمّل الحاضرين الكدر وسلوا سيوفهم واعتمدوا على الحرب ولاجل أن يوطدهم على هذه الازمة ويحميهم بالغيرة الدينية خطب فيهم الخطبة الآتية بحروفها قائلاً (أيها السامعون أقوالى لا تنتمسوا بعد الآن بالتهد والدموع صلاح الله التماساً باطلاً ولا تلبسوا المسوح بل تدرعوا بالاسلحة التى تنلب فتمتعة آلات الحرب واضامات السفر والمشقات والاضرار الزمنية وممرات الحرب انما هي اعمال التوبة التى يرسمها الله علىكم فاذهبوا افدوا خطاياكم بالانتصار واستخلاصكم الاماكن المقدسة من الاخطار الملمة بها هو ثمن ندامتكم وتوبتكم عن زلاتكم فلو اتاكم مخبر قائلاً لكم ان الاعداء قد استولوا على مدينتكم أو حصونكم أو اراضيكم واحتطنوا نساءكم وبناتكم للسبى ودنسوا معابدكم فمن منكم عند هذا السماع لا يركض متناولاً اسلحته للمحاربة فهذه المصائب كلها احاققت باخوتكم وشرور اعظم منها زمعة أن تحل على الآخرين أيضاً من اخوتكم عليه يسوع المسيح التى هي عينتكم قاي شىء اذا انتم تنتظرون لى تصلحوا هذا المقدار العظيم من الشرور ولكى تنتقموا عن اهانات مثل هذه كلية الانواع فحينما الرب يستدعيكم الى حماية ميراثه أفهل تظنون ان ذراعه الالهى اضحى الآن اقل قوة من ذى قبل واضعف اقتداراً مما سلف أو انه تعالى لا يستطيع أن يرسل اثني عشر طغمة من الملائكة أو يقول كلمة واحدة بها يكرس اعداء الى التراب وانتم أيها النبلاء الشرفاء المحامون عن الصايب المقدس تذكروا نموذجات آباءكم الذين استنقذوا اورشليم من العبودية واسماهم مكتوبة فى السماء فاهملوا نظيرهم الخبيرات البايده لى تأخذوا رايات الغلبة المديمة الفساد وتكتسبوا ملكاً عديم النهاية) . اه

فصرخوا جميعاً قائلين . الله يريد هذا . الله يريد هذا . وقد اثرت فيهم هذه الخطبة كما اثرت خطبة البابا أو ربانوس الثانى فى مؤتمر كلا رمون . ثم

انطرح الملك لويس على اقدام هذا القديس ملتصقاً منه صليب الحرب وقد
 حرض جميع رعاياه الفرنسيين على اتباع اثره فيها وكذلك زوجته
 (اليونوره) فانها استلمت صليب حرب فاتبهما كونت دي سان جيلاس
 وطولوز. وانريكوس بن طيوا كونت دي شامبانيا وتيادي كونت دي
 فلاندره وغليوم دي نافار ورائود كونت دي طوتار وانياس كونت دي
 سواسون وارشامبود دي بوربون وهو كوز دي لويزيان ثم الكونت دي
 دروكس أخو السلطان والكونت دي بوريان عمه واساقفة نوبون ولانكراس
 وأراس وليزيو وآخرون كثيرون من الرؤساء الكنائسيين على محاربة المسلمين
 وفرح القديس برنردوس من تتويج أعماله بالنجاح وصار ينتقل في مملكة
 فرنسا من مدينة الى أخرى محرراً على الحروب الصليبية في مدينة
 شارتراس تجملت العساكر والاشراف وطلبوا منه أن يكون قائدهم في
 الحرب ولما تفكر هذا القديس ماجرى لبطرس السائح رفض طلبهم هذا
 وخوفه ان يلزمه بذلك حرر رسالة الى البابا أوجانيوس يناشده بان يعفيه
 من ذلك فاتاه الجواب حسب مرغوبه

* تحريض الملك كونراد ملك المانيا باتحاده مع الصليبيين *

ثم ان القديس برنردوس المذكور سافر من مملكة فرنسا قاصداً مملكة
 النمسا يتجول في كل اقليم منادياً بالحروب الصليبية ثم سار الى سبيريالامانية
 وكان منعقداً هناك مجلس عام للمملكة باسم الملك كونراد الثالث فدخل
 القديس الكنيسة التي بها الملك وعظماؤ دولته وشرع بتقديم الذبيحة الالهية ثم
 ابتداءً في القداس وصور المسيح حاضراً والصليب في يده مخاطب الملك كونراد
 بتوبيخ صارم على فتوره فحجل الملك وأقسم بان يلبس ثوب الصليبيين منادياً
 بالحرب المقدسة وكذلك اشراف المملكة ثم اجتمعت جمعية من الرؤساء

الكنائسين في مدينة (راتيسبون) فقررُوا قبول الرسائل المحررة لهم من
 القديس برنردوس بالتحريض على الحروب الصليبية المقدسة وكان من هؤلاء
 اساقفة ياصاف وراتيسبون وفرينجيان ومن العظماء لاديس-لاس دوكدى
 بوهومبا واودا كر أمير س-تريا واراناد كونت دى كارينتينيا وفريد ريكوس
 قسيب الملك كونراد اما القديس برنردوس فانه عاد من المانيا الى بلاد
 فرنسا

* جمعية مدينة اتامبيس بفرنسا والاستعداد لسفر الصليبيين *

لما عقد ملك فرنسا النية على السفر أمر باجتماع جمعية المملكة العامة
 في اتامبيس في شهر فبراير سنة ١١٤٧ لانتخاب نائبا عنه يدبر أمور المملكة
 في غيابه فانتخبوا الانباسوجار رئيس كنيسة القديس ديونيسيوس فرنض
 سوجار قبول هذه الوظيفة ولكن طاعته للاوامر البابوية والملوكية ألزمته
 بقبولها ثم انه حضر هذه الجمعية رسل من الملك روجار ملك بوليا وسيسيليا
 واعدن بان يرسلوا الى الصليبيين مراكب بحرية مع الذخيرة والمؤن وان
 ابن الملك يذهب معهم في المراكب الى الاراضي المقدسة وبناء على هذه المواعيد
 قرروا بعد تردد السفر برا

* سفر الصليبيين واجتماعهم بالقسطنطينية *

ثم ارسل القديس برنردوس الاوامر فكانت تلاقى في المدن على
 الجدران وتلي فوق المنابر بالكنائس بخصوص السفر فاجتمع امير مونت
 فارات والكونت دي مورياما خال لويس السابع وجمعا المساكر الصليبية
 واجتازا بهم الجبال الالبيية وحدود رونا ولومبارديا ونيومونت وكذلك
 الصليبيون الانكليز فانهم نزلوا في المراكب من مينامايكا وساروا قاصدين

الشرق واما العساكر الفرنسية فكان موعدهم بمدينة ماغنيس
والعساكر الالمانية والنمساوية بمدينة رايسبون وقد نزل الملك كونراد
بعساكره في المراكب النهرية مجتازاً نهر الدانوب ذاهباً الى مدينة رايسبون
لاجل تتويج ابنه بتسمية سلطان الرومانيين وترك تدبير المملكة في غيابه الى
الانبا كوربي وسار قسم من عساكره في البر لابسا الخوذات مزينة بريش
النعام والزررد بالحديد الالامع ومدججون بالاسلحة الذهبية

وأما الملك لويس السابع فانه قبل سفره توجه الى كنيسة القديس
ديونيسيوس ليستلم السنجق الشايح الصيت الذي كان ملوك فرانسيس يسيرونه
حرفوعاً امامهم في ذهابهم الى الحروب وكان البابا أوجانيوس الثالث قد حضر
الى فرانسيس وحضر الاحتفال وبيده سلم الملك لويس السنجق القديم مع دبوس
وعذاره علامة لسفره في الحرب المقدسة ثم ودع سوجار وأوصاه بالمملكة
وسار هو وزوجته وفريق من بلاطه من باريس متوجهاً نحو مدينة ماغنيس
حيث اجتمع بعساكره ثم سار منها الى بلاد المانيا ومنها قاصداً القسطنطينية
المحل المين لاجتماع جميع الصليبيين تحت سناجق الحرب المقدسة لينطلقوا
منها الى مقابلة الاخطار العظيمة وطلب الانتصار

✽ اخبار الصليبيين في القسطنطينية ✽

كان جالساً في ذلك الزمان على تخت مملكة الروم التي عاصمتها القسطنطينية
الملك عمانويل الشاب بن الملك اليكسيوس الاول وأخو الملك يوحنا السابق
ذكرة فجاءته أخبار ورود العساكر الصليبية الثانية فخاف منهم على مملكته
وايس له قوة على عمامتهم ثم وصل الملك كونراد ملك المانيا والنمسا بعساكره
وجميع من تبعه من الصليبيين فاتخذ عمانويل كل الطرق والحيل لمنع
فحصل بينهما خصام افضى الى الحرب فكانت المحاربة بين مدينة نيكوبولى

ومدينة ادرينوبولى ثم دارت المخابرة بينهما بواسطة معتمدين من الجهتين
 ولكن خوف الملك عمانوبل من الصليبيين وكدر كوزراد من خيانة
 الروم جعلت المخابرة بدون فائدة الى ان عقد الصلح فاخذ ملك الروم
 يتدبر حيلة يهلك بها عساكر الصليبيين فامر بخلط الدقيق المطحون وغشه
 بالكلس الابيض ليباع الى الصليبيين ثم ضرب تقوداً مغشوشة تشبه الذهب والفضة
 وأمر ان يشتري بها من عساكر كوزراد جميع ما يرغبون ببعه اما الملك كوزراد
 وعساكره فانهم كانوا ناصين خيامهم في سهول (ساليفريا) بالقرب من
 القسطنطينية فهبت عواصف شديدة واعقبها امطار غزيرة فجرت المياه
 من الجبال على المعسكر حتى غرقت خيامهم وامتعتهم ورحلوا قاصدين اراضى
 اسيا

ثم وردت الاخبار الى الملك عمانوبل بقدم الملك لويس السابع ملك
 فرنسا فخرج لملاقاته وفد من عند الملك الروم وقدموا له الاحترام اللائق
 بتقايه فتوجه معهم الى قصر الملك بالقسطنطينية ثم تبعه قواده وكان ملك
 الروم يقدم كل يوم للصليبيين عهوداً وموائيق فى الظاهر ويرسل الى ملك
 ايقونية ببلاد الاسلام يجرضه عليهم مديناً له نوايا الصليبيين وانهم قادمون لاخت
 باقى البلاد من المسلمين فشيروا بذلك فقرر مجلس شورايم بان البلاد التى
 يملكونها وتكون من مملكة الروم لايسلموها الى ذلك الملك والكثره خوف
 الملك عمانوبل من الصليبيين ومن اقامتهم ببلادهم اشاع فى مدينته بان
 الصليبيين الذين بصحبة الملك كوزراد قد انتصروا على المسلمين فاتباعاً
 لهذه الاشاعة الكاذبة فرح الصليبيون وامروا جيشهم بالمسير حالاً لمشاركة
 اخوانهم ثم ساروا الى ان وصلوا الى بحيرة اسكانوس بقرب مدينة نيقية
 واثناء اقامتهم هناك انكسفت الشمس فتشاءموا وخافوا واتفق ان خوفهم هذا
 صادق محله لانه وردت لهم الاخبار بان الملك كوزراد وعساكره كسرهم المسلمون

* (مسير العساكر النمساوية والامانية) *

وكان الملك كونراد من معه من الصليبيين قد استصحب من الروم من يده على الطريق في بلاد آسيا فسار الروم أمامهم وأرادوا توصيلهم من نيقية الى ايقونيا فساروا بهم في الجبال بغير الطريق الحقيقي حتى فرغ ما معهم من الزاد وحينئذ علمت الافرنج بان الروم قد خانوهم ومكروا بهم وأضلوهم بطريق وعرة المسلك بدون زاد ولا ماء ففر الروم وتركوهم عند جبل طاوروس فسار الافرنج بعد ذلك ثلاثا ايام بحمل يرثى لها من التعب والمشقات وعدم الاكل والشرب فظلمت عليهم العساكر الاسلامية وكانوا كالمين لهم بالجبل وانقضوا عليهم كالصواعق من كل ناحية فاحتارت العساكر الصليبية وهي لا تقدر لاعلى الرجوع ولا على التقدم وبعد قتل اكثرهم هرب الملك كونراد وتبعه باقي عساكره ومن سلم من الصليبيين الاخر الى مدينة نيقية فتبعهم المسلمون وقتلوا معظمهم وهم منهزمون ولما وصلوا الى مدينة نيقية قابلهم الملك لويس ملك فرنسا بجيشه ثم جددا التحالف بمحاربة المسلمين والكون الملك كونراد لم يكن له قوة بالمسير صحبة ملك فرنسا فرجع الى القسطنطينية وطلب من ملك الروم مساعدته بمراكبه الى القدس كما يأتي

* (سفر العساكر الفرنسية) *

سار الملك لويس بمسكروه حتى بلغ اراضي برغامما وازمير حيث وردت اليه رسل ملك الروم فلم يلتفت اليهم وسار بمسكروه نحو المشرق وضرب خيامه في واد بالقرب من كابسترا (وهو الآن وادي النزلان) واحتفلوا هناك بعيد ميلاد المسيح ثم ساروا بطريق اللاذقية الى ان بلغوا نهر ليكوس

وهناك أرادت العساكر الاسلامية منهم من عبور النهر ولكن الملك لويس
شجع عساكره ورتبهم وسار بهم بدون مبالاة الى ان وجدوا سهلا فيه اجتياز
النهر فدفعوا أنفسهم برئاسة الكونت انريكوس وتادور بيكوس فعبروا النهر
وكذلك اجتاز النهر الملك لويس وهجموا على العساكر الاسلامية فانهمزوا
من امامهم وسمع بذلك أهل اللادقية القريبة من محل الواقعة فخافوا وأخلوا
المدينة ثم سار الملك لويس وعسكره الى ان وصل الى مدينة ساطاليا مجتازين
في طرقات جبل كادموس مع جبال أخر مخيفه (التي سموها جبال الالمنه) وهناك
وجدوا العساكر الاسلامية واقفة لهم بالمرصاد فخاف الملك لويس وارسل قسما
من عسكره تحت رئاسة عمه كونت دي موريانا مع جوفرودى رنكوت
فانقضت العساكر الاسلامية فرصة انقسام الصليبيين وانقضوا على الباقين في
الجبل بصرخات مهياة ورموهم بالنبال فالتجأوا الى قمة جبل تحتها واد عميق
فضايقتهم العساكر الاسلامية وأخذوا يقتلونهم ويكردسونهم في هذا الوادى
أما الملك لويس وباقي عسكره فانهجم على الاسلام وسير جيشه أمامه
فهجمت عليه العساكر الاسلامية وفرقت بين جيشه وبين فرسانه وأوقعوا بهم
ففر الملك لويس من هذه الموقعة ولحق بمن نجا من جيشه وساروا الى ان
وصلوا الى سور مدينة ساطاليا عند فم نهر جاسنيوس وعند مشاهدتهم هذه
المدينة ظنوا بانهم سيحتتموا فيها لعلمهم بانها تابعة لملك الروم ولكن ابلهم
خاب فوالى المدينة الرومى أمر بقفلها في وجوههم مع انهم كانوا في غاية لشدة
والجوع ووجدوا أنفسهم ملتزمين بالاستمرار على المسير في البرارى وأخيراً
طلبوا منه ان يرسل لهم سراجه ليسيروا بها الى انطاكية فامرهم بالمرაკب ولما
وجدوها غير كافية لملهم انقسموا قسمين قسم ركب البحر ومعه الملك لويس
وقسم سار في البر تحت رياسة كونت دي فلاندرى وارشامبوددى بوربون
ودفع الملك لويس الى والى ساطاليا خمسين وزنة من الفضة ليوصل العساكر

المسافرة براً الى طرسوس ولكن هذا الوالى أهملهم ولم يرسل أحداً يدهم
على الطريق السهل وسار الملك لويس بجرأ الى ان وصل انطاكية فخرج
رايموند دي بوانيارس صاحبها وقابل الملك بالاحتفال والاكرام وقد فرح به
وطلب الاشتراك معه في الحرب وقال له الافضل أن نحارب مدينتى حلب
وقيساريه لان امتلاكهما يوطد الامان لجميع الصليبيين ويضعف قوة نورالدين
ولكن ملك فرنسا وقواده رفضوا هذا العطب وقالوا لانحارب الابد زيارة
القدس ثم بعد اقامته بانطا كية أياماً قليلة عزم على المسير الى القدس فسار هو
وقواده الى ان وصلوها فخرج بودوين الثالث ملكها مع الاكليروس والامراء
والشعوب حاملين أغصان الزيتون فدخل المدينة بين هتاف وتهليل وذلك سنة
١١٤٧ الموافق سنة ٥٤٢ هـ وأقام بها الى ان وصل الملك كونراد ملك النمسا
والمانيا فتوجهوا الى كنيسة القيامة فشكرا الله على نجاتهما

✽ المشورة بالحروب الصليبية الثانية ✽

بعد اقامة الملوك الصليبيين بالقدس عقد بودوين الثالث ملك القدس مجلساً
للمشورة على محاربة الاسلام حضره الملاك المذكوران واعضاء مملكة القدس
والرؤساء الكنائسيون وكان ذلك المجلس بمدينة عكا فقررروا محاصرة مدينة
دمشق الشام طائنين بانهم اذا فازوا بهذه المدينة وامتلكوها وايانها المحضة لم يبق
عليهم خوف من حروب جديدة تضايقهم فيها المسلمون وتصير مدينة القدس
محمية بدمشق وفي شهر مايو سنة ١١٤٨ سار كل من الملك كونراد ملك النمسا
والمانيا والملك لويس السابع ملك فرنسا والملك بودوين الثالث ملك القدس
بجميع عساكرهم وكذلك رهبان جمعية القديس يوحنا المعمدان ورهبان جمعية
الهيكلين مقدمين امامهم البطريرك حاملاً الصليب الخلاصي الحقيقي وساروا

الى ان وصلوا الى سهل مدينة دمشق

*** محاصرة الصليبيين مدينة دمشق ***

في سنة ٥٤٣ هجرية حاصر الصليبيون مدينة دمشق وفيها صاحبها مجير الدين آبق بن محمد بن بوري بن طفتكين وليس له من الامر شيء وانما كان الامر الى عمالوك جده طفتكين وهو مدين الدين انز فهو كان الحاكم والمدبر للبلد والعسكر وكان عاقلاً دينا خيراً حسن السيرة فجمع العسكر وحفظ البلد وحصرهم الصليبيون فزحفوا اليهم سادس ربيع اول فخرج العسكر وأهل البلد لمنعهم وكان في من خرج الشيخ حجة الدين أبو الحجاج يوسف بن دوناس المغربي الفندلاوي شيخ السادة المالكية بدمشق وكان شيخاً كبيراً زاهداً عابداً خرج راجلاً فرآه معين الدين فقصدته وسلم عليه وقال له يا شيخ أنت معذور ونحن نكفيك وليس بك قوة على القتال فنال قد بعث واشترى فـلـاـتـقـيـهـوـلا نستقيه يعني قول الله تعالى (ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بان لهم الجنة) الآية وتقدم وخرج معه أيضاً الشيخ الزاهد عبد الرحمن الحلحول فقاتلوا حتى قتلوا رحمهم الله وقوى أمر الصليبيين وتقدموا وضعف أهل البلد عن ردهم وتقدم الملك كوزاد فنزل بالميدان الأخضر فاقن الناس بانه يملك البلد وكان معين الدين قد أرسل الى سيف الدين غازي يستغيث به ويستنجده فجمع عساكره وسار الى الشام واستصحب معه أخاه نور الدين محمود من حلب فنزلوا بمدينة حمص وأرسل الى معين الدين يقول له قد حضرت ومني كل من يحمل السلاح من بلادى فاريدان يكون نوابى بمدينة دمشق لاحضر واتي الافرنج فان انهزمت دخلت انا وعسكري البلد واحتمينا به وان ظفرنا فالبلد لكم لا انازكم فيه فارسل معين الدين الى الصليبيين يهددهم ان لم يرحلوا عن البلد وكان قد حصل بينهم انقسام لانهم ظنوا امتلك المدينة فتشاحنوا على من يكون

ملكها فلما سمعوا بمجيء سيف الدين ضعف قلبهم وأرسل اليهم معين الدين
يهددهم ويقول لهم ان ملك المشرق قد حضر فان رحلتهم والا سلمت البلد
اليه وحينئذ تسدون وارسل أيضا الى افرنج الشام يقول لهم باي عقل
تساعدون هؤلاء الصليبيين الغرباء علينا وانتم تعلمون انهم ان ملكوا
دمشق أخذوا ما بأيديكم من البلاد الساحلية وأما انا فان رأيت الضعف
عن حفظ البلد سلمته الى سيف الدين وانتم تعلمون انه ان ملك دمشق
لا يبقى لكم معه مقام في الشام فاجابوه الى التخلي عن الصليبيين وبذل لهم تسليم
حصن بانياس اليهم فاجتمع الملك بودوين وأرباب مملكته بالملك كونراد والملك
لويس وخوفوهم من سيف الدين وكثرة عساكره وتتابع الامداد اليه وانه
ربما أخذ دمشق ونضعف عن مقاومته فباكرهم المسلمون وقد قويت شوكتهم
ونقوسهم وزال عنهم روعهم وتبينوا بازاتهم وأطاقوا فيهم السهام وفي الغدا حاطوا
هم في مخيمهم وقد تحصنوا باشجار البساتين فاحجم الافرنج عن البروز وخافوا
وفشلوا ولم يظهر منهم أحد ووطن المسلمون انهم يدبرون مكيدة أوحية ولم يظهر
منهم الا نفر اليسير من الخيل والرجل على سبيل المطاردة والمناوشة خوفا من
المهاجمة الى ان يجدوا حيلتهم مجالا وليس بدنو منهم أحد الاصرع رشقة أو طعنة وطمع
فيهم نفر كثير من رجالة الاحداث وجملوا يتصدونهم في المسالك فيقتلون من ظفروا
به ويحضرون رؤسهم لطلب الجوائز عليها فرحلوا في سحر يوم الاربعاء عشر ربيع
الاول فبعد رحيلهم عن دمشق أشار بعض المقدسين بحصار مدينة عسقلان ولكن
جميع الصليبيين ضعف قلوبهم وذهبت شجاعتهم ولذلك رفضوا هذه الشورة وغاد
كل منهم الى بلاده

﴿ استيلاء نور الدين على حصن العزيزة ﴾

بعد رحيل الصليبيين عن دمشق سار مين الدين انزالي بمالك وأرسل

الى نور الدين وهو مع أخيه سيف الدين يسأله ان يحضر اليه فاجتمعا فوصلهما
 كتاب القمص بونص صاحب طرابلس يشير عليهما بقصد حصن العزيزة وأخذه
 ممن فيه من الافرنج وكان سبب ذلك ان ابن الملك روجار صاحب صقلية خرج مع
 الملك كونراد ملك المانيا الي الشام وتغلب على الحصن المذكور وأخذه من
 القمص وأظهر له انه يريد أخذ طرابلس أيضاً وكان روجار صاحب صقلية قد غزا
 افريقية وفتح مدينة طرابلس الغرب فلما استولى ابنه على حصن العزيزة كاتب
 القمص نور الدين ومعين الدين في قصده فسارا اليه مجدين فصباحا وكتبا الي
 سيف الدين يستنجداه ويطلبان منه المدد فامدهما فحصر والحصن ونقبوا السور
 فاذعن الافرنج واستسلموا والقوا بأيديهم فملك المسلمون الحصن وأخذوا كل من
 فيه من رجل وصبي وامرأة وفيهم ابن روجار وأخربوا الحصن وعادوا الي سيف
 الدين وعاد نور الدين الي حلب ومعه ابن روجار وأمه ومن أسر معهم وعاد معين
 الدين الي دمشق

* (انهزام الافرنج بيغري) *

في سنة ٥٤٣ هـ أيضاً هزم نور الدين محمود بن زنكي الافرنج بمكان اسمه
 بيغري من أرض الشام وكانوا قد تجمعوا ليقتصدوا أعمال حلب ليغيروا عليها
 بقيادة رايوند صاحب انطاكية فلم يزل نور الدين يسار اليهم في عسكره فالتقوا بيغري
 واقتتلوا قتالاً شديداً فانهمز الافرنج وقتل كثير منهم وأسر جماعة من مقدميهم
 ولم ينج من ذلك الجمع الا القليل وأرسل من الغنيمة والاسرى الي أخيه سيف الدين
 والي الخليفة ببغداد والي السلطان مسعود وفي هذه الواقعة يقول ابن القيسراني
 بقصيدته التي أولها

بأيت ان الصدم مضمود أولا فليت النوم مردود

ومنها في ذكر نور الدين

و كيف لا يثني على عيشنا السعيد محمود والساطان محمود
 وصارم الاسلام لا يثني الاوشلو الكفر مقدود
 مكارم لم تك موجودة الاونور الدين موجود
 وكم له من وقعة يومها عند ملوك الكفر مشهود

* (قتل رايونند صاحب انطاكيه) *

في صفر سنة ٥٤٤ سار نور الدين بعساكره الى حصن حارم وهو للافرنج
 فحصره وخر بربضه ونهب سواده ثم رحل عنه الى حصن آنب فحصره فاجتمعت
 الافرنج مع رايونند صاحب انطاكيه وساروا اليه ليرحلوه عن آنب فلم يرحل
 بل لقيهم وتضاف الفريقان واقتتلوا وصبروا ووظهر من نور الدين من الشجاعة
 والصبر في الحرب على حدائنه ما توجب منه الناس وانجأت الحرب عن هزيمة
 الافرنج وقتل المسلمون منهم خلقاً كثيراً وقتل أيضاً رايونند صاحب انطاكيه
 ثم تخلف بعده على انطاكيه ولده الصغير المدعو بوهيموند فتزوجت أمه
 قسطنسا رانود دي شاتيلون أحد الافرنج ليدير شؤون البلاد الى ان يبالغ ولدها
 ويستلم الحكم

ثم سار نور الدين الى حصن قاميه وهو للافرنج أيضاً وقريب من مدينة حماه
 وهو حصن منيع على تل مرتفع من أحسن القلاع وامن بها وكان من قيه من
 الافرنج يغيرون على أعمال حماه وشيزر وينهبونها فكان أهل تلك الاعمال
 معهم تحت الذل والصفار فسار نور الدين اليه وحصره وضيق عليه ومنع من فيه
 عن الفرار ليلا ونهاراً وتابع عليهم القتال ومنعهم الاستراحة فاجتمعت الافرنج
 من سائر بلادهم وساروا نحو ايزحز حوه عنها فلم يصلوا اليه الا وقد ملك الحصن
 وملاؤه ذخائر من طعام ومال وسلاح ورجال وجميع ما يحتاج اليه فلما بلغه قرب
 الافرنج سار نحوهم فحين رأوا جده في لقاءهم رجعوا واجتمعوا ببلادهم وصالحوه

﴿ وفاة الحافظ لدين الله خليفة مصر وولاية الظافر بامر الله ﴾

في اليوم الخامس من شهر جمادى الآخرة سنة ٥٤٤ توفي الحافظ لدين الله عبد المجيد بن الامير أبي القاسم العلوي بمصر بعلة القوايج وكان كثير الاصابة بها فعمل له موسى النصراني طبل القوايج وهو عبارة عن طبل مركب من سبعة معادن عليه الكواكب السبعة وكان من خاصته ان الانسان اذا ضربه يخرج الريح من مخرجه ولهذا الخاصة كان ينفع في القوايج وكان سن الحافظ عند وفاته ثمانين سنة ومدة حكمه ١٩ سنة و ٧ أشهر ولم يكن من التدبير والحكمة على شئ فكان يعهد ادارة الاحكام لوزرائه مكتفياً بالسلطة الدينية المحصورة في كل خليفة ولم يكن لديه من السطة السياسية الا الامضاء على الاوامر في تثبيت الامراء على اماراتهم شأن الدول عند قرب انحلال ملكها الا ان تغيير الوزراء جعل فيه بعض الاهتمام في الاحكام واستخلف ابنه اسماعيل ابا المنصور فبويع له ولقب بالظافر بامر الله ولكن هذا الاسم لم ينطبق على المسمى وكان سنه ١٧ سنة وهو اصغر اولاد ابيه سنناً وكان كثير اللهو والتفرد بالجوارى واستماع الاغانى فكان ينظر الى الدسائس الجارية في قصره الآيلة الى خراب ملكته بهين المتردد المتهامل وبمثل ذلك كان ينظر الى تهديد جنود الملك روجار صاحب سيسليا بعد استيلاءه على أكثر بلاد المغرب ولولا لطف الله ووقوع الخلاف بين ملك سيسليا المذكور والملك عثمانوبل ملك الروم وحصول الحرب بينهما وموت جورجى وزير روجار بعد اصابته بمرض البواسير والحصا لكان حاصر مصر

﴿ أسر جوسلين ﴾

في سنة ٥٤٥ سار نور الدين الى بلاد جوسلين وهي القلاع التي شمال حلب

منها تل باشر. وعين تاب. وعزاز. وغيرها من الحصون فجمع جوسلين الفرنج
فارسهم وراجلهم وبقى نور الدين فكان بينهما حرب شديدة انجلت عن انهما
المسلمين وظفر الفرنج وأخذ جوسلين سلاح دار نور الدين أسيراً وأخذ مائة
من السلاح فارسله الى السلطان مسعود بن قايج ارسلان صاحب قونية وكان نور
الدين قد تزوج ابنته وارسل مع السلاح اليه يقول قد انفذت لك سلاح صهرك
وسياتيك بعدها غير مخطمت الحادثة على نور الدين وأعمل الحيلة على جوسلين
وعلم ان هو جمع العساكر الاسلامية لقصده جمع جوسلين الافرنج وحذروا تمتع
فاحضر نور الدين جماعة من التركان وبذل لهم الرغائب من الاقطاع والاموال
انهم ظفروا بجوسلين اما قتلا واما اسراً فاتفق ان جوسلين خرج من عسكره
وأغار على طائفة من التركان فذهب وسبي فاستحسن من السبي امرأة منهم خلا
معها تحت شجرة فعاجله التركان فركب فرسه ليقاتلهم فاخذوه أسيراً فصانهم على
مال بذله لهم فرغبوا فيه وأجابوه الى ذلك وأخفوا أمره عن نور الدين فارسل
جوسلين في احضار المال فاتي بعض التركان الى نائب نور الدين بحلب
فأعلمه بما كان فسير معه عسكراً أخذوا جوسلين من التركان قهراً وكان
نور الدين حينئذ يحمص وفرح المسلمون لاسره وعظمت المصيبة على الافرنج
وخلت بلادهم من حاميتها وسهل أمرهم على المسلمين بعده وكان كثير الغدر
والمكر لا يقف على يمين ولا يفي بعهده وطالما صالحه نور الدين وهادته فاذا
آمن جانبه بالعهود والمواثيق نكث وغدر فلقية غدره وحق به مكره وبعد اسره
فتح كثيراً من بلادهم وقلاعهم فمنها عين تاب. وعزاز. وفورس. والراوندون
وحصن البان وتل خالد وكفر لاثا وكفر سوب وحصن نسرفوب بجبل بني
عليهم ودلوك ومرعش ونهر الجوز وبرج الرصاص وكان نور الدين اذا فتح
حصناً لا يرحل عنه حتى يملأه رجالاً وذخائر تكفيه عشر سنين خوفاً من
نصرة تتجدد الافرنج على المسلمين فتكون الحصون مستعدة غير محتاجة

* قتل ابن السلار وزير الخليفة الظافر ووزارة عباس *

في شهر محرم سنة ٥٤٨ قتل المادل بن السلار وزير الظافر بالله الخليفة العلوي بمصر قتله ربيبه عباس بن أبي الفتوح بن يحيى الصنهاجي أشار اليه بذلك الامير اسامه بن منقعد ووافق عليه الخليفة الظافر بالله فامر ولده نصر أفرخل بن المادل وهو عند جدته أم عباس فقتله وولى الوزارة بعهده ربيبه عباس وكان عباس قد قدم من المغرب الى مصر فتزوج ابن السلار بامه وأحبه وأحسن تربيته فجازاه بان قتله وولى بعهده وكانت الوزارة في مصر لمن غلب والخلفاء وراء الحجاب والوزراء كالمتملكين

* امتلاك الصليبيين مدينة عسقلان *

كانت مدينة عسقلان تابعة لاديار المصرية وكان الوزراء في كل سنة يرسلون اليها من الذخائر والأسلحة والاموال والرجال من يقوم بحفظها وكانت حصينة منيعة وطالما حاربها الافرنج وارتدوا عنها خائين وفي سنة ٥٤٨ لماعلم بودوين الثالث ملك القدس ما حصل بمصر من اختلاف الوزراء انتهز الفرصة وراسل جميع الافرنج المقيمين بالشام بمساعدته وسار من القدس وصحبه افرنج الشام وراهبان جمعية الهيكلين وراهبان جمعية القديس يوحنا المعمدان الى ان وصل الى اسوار مدينة عسقلان من البر وحصرها وكان سير اليها خمسة عشر مركباً في البحر برئاسة جيرا صاحب صيدا وحاصرها بجزراً ثم تصادف ورود جموع من الصليبيين لمساعدة الافرنج وكذلك ورود سراكب أوروبا وبويه فانضافوا الى العمارة البحرية تحت رئاسة جيرا المذكور وكان مع بودوين برج كبير من الخشب أعلى من اسوار المدينة مركب على دواليب سهل النقل وركبوا منجانيقات وكبوشاً

ونزلوا المدينة وأخذوا يقاتلونها ويرمونها بالمنجنيقات وكذلك أهل عسقلان
يرمونهم بالنبال والمنجنيقات حتى أشرفوا على الهلاك من داخل المدينة ثم
وردت عمارة مصرية لنجدة المدينة فاستبشر أهلها وقويت نفوسهم واشتدوا
في القتال فرموا على الأخشاب الحربية التي مع الصليبيين ناراً من أعلى السور
فانقذت بسرعة عظيمة ولكن الريح عكست النار فارمتها على سور المدينة فظلت
مشتعلة أربعاً وعشرين ساعة حتى وقع من السور جزء فانفتح مجال للصليبيين يدخلون
منه المدينة وكان بالقرب من هذه الجهة رهبان جمعية الهيكلين الذين طلبوا الدخول
إلى المدينة وحدهم وامتلاكها ولما دخلوا من هذا الجزء المهديم وجددهم المسلمون
قليلين فانقضوا عليهم وقتلوهم فهرب باقيةهم إلى خارج السور فانكسرت قلوب
الأفرنج ثم إن المسلمين أخذوا يقاتلون بشدة ولما وجدوا عجزهم عن المقاومة أرسلوا
إلى بودوين بتسليم المدينة بشرط أن يخرجوا سالمين بمائلاتهم وامتعتهم فاجابهم إلى
ذلك وأعطاهم ميعاداً ثلاثة أيام وبعدها سلموا المدينة إليهم وخرجوا منها سالمين
وكانت مدة الحصار خمسة أشهر

✽ استيلاء نور الدين على مدينة دمشق ✽

بينما كان الأفرنج محاصرين عسقلان كما تقدم كان نور الدين ينادي ولا يقدر
على الوصول إلى عسقلان لنجدة أهلها وكان السبب في ذلك أن عسقلان واقعة
بين بلاد مصر وبلاد الأفرنج ومدينة دمشق وكان بدمشق مجير الدين فلما علم
الأفرنج ضعفه صاروا يغيرون عليه وينهبون الأهالي حتى جعلوا على المدينة اتاوة
سنوية يأخذونها فلذلك لم يتمكن نور الدين من العبور منها فعزم أن يستولي عليها
وقال أنا الحق بحمايتها فأرسل الأمير أسد الدين شيركوه في العشر الثاني من
محرم سنة ٥٤٩ فوصل إلى ظاهر دمشق وخيم بناحية القصب من المرج في
عسكر يناهز الألف فانكر ذلك مجير الدين وخاف منه فلم يخرج لتأقيبه والاختلاط

اليه وتراسلا فلم تسفر المراسلات عن سداد ولا نيل مراد وغلا سعر الاقوات
 لانقطاع الواصلين بالغلات ووصل نور الدين في عسكره الى شيركوه ثالث صفر
 وخيم بعيون الفاسريا عند دومه ورحل في الغد ونزل بيت الابار من الغوطه
 وزحف الى البلد من شرقيه وزحف اليه من عسكر البلد واحداه الخلق
 الكثير ووقع الطراد بينهم ثم عاد كل من الفريقين الى مكانه ثم زحف يوماً
 بعد يوم وتأكد الزحف يوم الاحد عاشر صفر وظهر اليه العسكر
 الدمشقي فاندفع بين ايديهم الى سور قبي البلد وتولي القتال أسد الدين
 شيركوه وأبلى الجهد فكسر عساكر دمشق الى الاسوار من قبي البلد ولم
 يكن احد من المقاتلة على السور من ذلك الجانب لان نور الدين كان من شرقها
 وجل العسكر مقابله ورأى من كان مع نور الدين من الجانداريه والحلبيين خلوا
 السور من المقاتلة فأسرعوا الى السور وتملقوا به وطلعوا في الحال الى اعلام
 ويقال ان امرأة كانت على السور فدات حبلاً فصعدوا عليه ونصبوا علماً
 وصاحوا بشعار نور الدين وامتنع الاجناد والرعية من الممانعة لمأهم عليه من
 المحبة لنور الدين وكسروا الباب ودخلت منه العساكر وفتح باب توما أيضاً
 وكان حجير لدين لما احس بالغلبة قد انهزم من ضواحيه الى القلعة فانفذ اليه
 نور الدين امنه على ماله ونفسه وخرج الى نور لدين فطيب خاطره وكان حجير
 الدين قد راسل الافرنج وطلب منهم المساعدة على نور الدين فلما حضر واوجدوا
 نور الدين قد استلم البلد فخافوا منه ورجعوا الى بلادهم

﴿ قتل الخليفة الظافر وولاية ابنه الفائز ﴾

لما ورد خبر امتلاك الافرنج مدينة عسقلان جاء خبر آخر أشد وطأة
 وهو ان العمارة السيسيلية نزلت على سواحل مصر وأحرقت مدينة تانس في
 منتصف بحيرة المنزله ونهبت الفرما الا انها لم تتقدم فاخذت ما أمكنها حملة من

الغنام وعادت من حيث أتت

كان ذلك والخليفة الظافر غارق في الشهوات الوحشية مشتغلا عن مهام الدولة فشق ذلك على وزيره العباس فاعز الى ابنه نصران يقتله وينجى البلاد من شره ويتخاصم مما كان يقوله الناس في عرضهما من معاشرته فاستدعاها الى دار ابيه سرا بحيث لم يعلم به أحد وتلك الدار هي المدرسة الحنيفية التي تعرف بالسيوفية فقتله بها وأخفى قتله في منتصف محرم سنة ٥٤٩ فأتى نصر الى ابيه العباس وأعلمه بذلك من ليلته. ولما كان الصباح اقبل عباس الى القصر على جاري عادته في الخدمة وأظهر عدم الاطلاع على قضيته وطلب الاجتماع به ولم يكن أهل القصر قد علموا بقتله لانه خرج من عندهم خفية وما علم أحد بخروجه فدخل الخدم بموضعه ليستأذنوا للعباس فلم يجدوه فدخلوا الى قاعة الحرم فقيل انه لم يبت هنا فتطلبوه في جميع مظانه في القصر فلم يقفوا له على خبر فتحققوا قتله فاخرج عباس اخوى الظافر وهما جبريل ويوسف وقال لهما انما قتلتما امامنا وما نعرف حاله الا منكما فاصرا على الانكار وكانا صادقين في ذلك فقتلتهما في الوقت لينفي عن نفسه وابنه التهمة. فاستدعي العباس الفائز ابن الظافر وكان عمره خمس سنوات وقيل سنتين فحمله على كتفه ووقف في صحن الدار وامر ان تدخل الامراء فدخلوا فقال لهم هذا اولادكم ولا تم وقتل عماء اباؤهم وقد قتلتهما به كما ترون والواجب اخلاص الطاعة لهذا الطفل فقالوا باجمعهم سمعنا وأطعنا وصاحوا صيحة واحدة اضطرب منها الطفل وبال على كتف عباس وسموه الفائز وسيروه الى أمه وقد اختل من تلك الصيحة فصار يصرع في كل وقت ويخلى فاحذ عباس من ذلك الحين يدبر الامور وانفرد بالتصرف ولم يبق على يده يد وأما أهل القصر فلنهم اطمأنا على باطن الامر وأخذوا في اعمال الحيلة في قتل عباس وابنه فبكتبوا بذلك الصالح طلائع ابن رزيك الازمني وهو أبو الغارات الملك الصالح فارس المسلمين نصير

الدين كان قد سار الى زيارة مشهد الامام علي بن أبي طالب بارض النجف من العراق في جماعة من الفقراء وكان من الشيعة الامامية فتنبأ له الامام انه سيتولى مصر بناء على رؤية رآها في منامه فسار من ساعته الى مصر وصار يترقى في الخدم حتى ولى منية ابن خصيب

فلما صار أهل القصر الى ما صاروا اليه كتبوا الى طلائع وسألوه الانتصار لهم ولمولاهم والخروج علي عباس وقطعوا شعورهم وسيروها في طي الكتاب وسودوا الكتاب فلما وقف الصالح عليه أطاع من حوله من الاجناد عليه وتحشد معهم في المعنى فاجابوا الى الخروج واستمال جمعاً من العرب وساروا قاصدين القاهرة وقد لبسوا السواد فلما قاربوها خرج اليهم جميع من بها من الامراء والاجناد والسودان وتركوا عباساً وحده فخرج عباس من ساعته من القاهرة وخرج معه ولده نصر ومعهما شيء من المال وجماعة يسيرة من اتباعهم وقصدوا طريق الشام على ايله وذلك في ١٤ ربيع أول سنة ٥٤٩ أما الصالح بن رزيك فانه دخل القاهرة بدون قتال وما قدم شيئاً على النزول بدار عباس المتقدم ذكره . واستحضر الخادم الصغير الذي كان مع الظافر ساعة قتله وسأله عن الموضع الذي دفن فيه فعرفه به وقام البلاطه التي كانت عليه وأخرج الظافر ومن معه من المقتولين فحملوا وقطعت لهم الشعور وانتشر البكاء والنواح في البلد ومشى الصالح والخلق قدام الجنازة وتكفل الصالح بالخليفة الصغير ودبر أحواله . وأمأ عباس فأخت الظافر كاتبت افرنج عسقلان بشأنه واشترطت لهم مالا جزيل اذا امسكوه فخرجوا عليه وصادفوه فتوافعوا وقتلوا عباساً وأخذوا ماله وولده وانهمز بهض أصحابه وسيرت افرنج نصر بن عباس الى القاهرة تحت الحفظ في تفص من حديد فلما وصل تسلم رسوله ما شرطته لهم من المال فاخذوا نصرأ وضربوه بالسياط ومثلوا به وصابوه بعد ذلك على باب زويله ثم انزلوه وأحرقوه

﴿محاصرة نور الدين حصن حارم﴾

في سنة ٥٥١ حاصر نور الدين قلعة حارم وهي حصن غربي حلب بالقرب من انطاكية وضيق على أهلها وهي من أمنع الحصون واحصنها في محور المسلمين فاجتهدت الافرنج من قرب منها ومن بعدوساروا نحوه لئلا يسهل وكان بالحصن مقدم كبير منهم فارس اليهم يعرفهم قوتهم وانهم قادرون على حفظ الحصن والذب عنه بما عندهم من العدد والعدد وحصانة القلعة ويشير عليهم بالمطاوله وترك اللقاء وقال لهم ان اقيتموهم هزموكم وأخذوا حارم وغيرها وان حفظتم انفسكم منه اطقنا الامتناع عليه ففعلوا ما أشار به عليهم وراسلوا نور الدين في الصلح علي ان يطوه حصنة من حارم فابى ان يجيهم الاعلي مناصفة الولاية فاجابوه الى ذلك فصالحهم وعاد

﴿انتصار العساكر النورية على الافرنج﴾

في أوائل سنة ٥٥٢ حصات زلازل كثيرة باراضى الشام وهدمت كثيرا من الحصون والقلع والبيوت وجميع المباني وفي شهر ربيع أول كان نور الدين بناحية بلبك فاتته الاخبار من ناحية حمص وحمص باغارة الافرنج على تلك الاعمال وفي ١٥ منه ورد المبشر من المعسكر المنصور برأس الماء بان ناصر الدين أمير أميران لما انتهى اليه خبر الافرنج وانهم قد انهضوا سرية وافرة العدد الى ناحية بانياس لتتويثها أسرع اليهم وعدتهم سبعمائة فارس سوى الرجال فأدركهم قبل الوصول الى بانياس وقد خرج اليهم من كان فيها من حماة فواقع بهم وكان قد كمن لهم في مواضع كمننا من شجمان الانراك واندفع المسلمون بين أيديهم في أول المجال وظهر عليهم الكمناء فانزل الله نصره على المسلمين وقتلت الافرنج وأسروا بقيتهم وحصل في أيدي المسلمين من خيولهم

وسلاحهم وأموالهم وأسراهم ورؤوس قتلاهم ومحقت السيوف عامة رجالهم
 ووصلت الاسرى والغنائم الى دمشق ثم وردت بشرى ثانية من اسد الدين
 شيركوه باجتماع عدد كثير اليه من شجعان التركان وانه قد ظفر بسرية وافرة
 من الافرنج ظهرت في معاقلمهم من الشمال فانهمزمت وتخطفوا من ظفروا به
 ووصل اسد الدين الى بعلبك ومن معه من الشجعان واجتمعوا بنور الدين
 وقرروا قصد بلاد الافرنج لتدوينها والابتداء بالزول على بانياس وقدم نور
 الدين دمشق في الاستعداد وتجهيز العساكر فخرج وتبعه كثير من الاحمداس
 والمتطوعة والفقهاء والصوفية في آخر شهر ربيع اول ونزل على حصن بانياس
 وضايقه بالمنجانيقات وفي اثناء ذلك الحصار ورد خبر انتصار اسد الدين شيركوه
 بناحية هونين على سرية من الافرنج ثم ان نور الدين قوى الحصار والحرب ففتح
 الحصن المذكور بالسيف قهراً بعد مضي اربع ساعات بعد انتهاء النقب وسقوط
 البرج فأخذوا الحصن وهرب بعضهم الى القلعة فحاصرها أيضاً فطلبوا الامان ثم
 بلغه خبر جمع ملك الافرنج عسكره بين طبريه وبانياس بتصد استخلاصها فسار
 اليه فلما شارفهم وهم غارون وراوا راياته قد اظلمت بادروا بلبس السلاح والركوب
 وافترقوا اربع فرق وحملوا على المسلمين فمئذ ذلك ترجل الملك العادل نور الدين
 فترجلت معه الابطال وأرهبهم بالسهم وخرصان الزماح حتى تزلزلت
 بهم الاقدام ودهمهم البوار والحمام وانتصر المسلمون وتمكنوا من فرسانهم
 قتلاً وأسراً واستأصلت السبوق الرجله وهم العدد الكثير فلم يزلت منهم
 غير عشرة انفار

* محاربة المصريين بن غزه وعسقلان *

في أوائل سنة ٥٥٣ أرسل الملك الصالح بن رزيك وزير الخليفة الفارز بنصر
 اللججريدة عسكرية في البروه ثلها في البحر باسطول كبير يقصد محاربة أهل غزة

وعسقلان فسارت المساكر المصرية بقيادة الامير ضرغام وأغاريت على أعمال غزة
وعسقلان وخرج الافرنج الذين بعسقلان تحت رياسة صاحبها موري واقتتلوا معاً
فظفر المسلمون بهم قتلاً وأسراً فلم يذلت منهم الا اليسير وغنموا غنائم كثيرة وعادوا
سالمين وكان مقدم المساكر البحرية قد ظفر بعدة سراكب مشحونة بالافرنج فقتل
وأسر منهم العدد الكثير وحاز من أموالهم وعددهم وأثاثهم ما لا يكاد يحصى وعاد
ظافراً غانماً . وقد أرسل مؤيد الدولة اسامة بن منقذ قصيدة يشرح فيها حال
هذه الغزوة ويحرض فيها نور الدين على قتال الافرنج ويذكره بمسان الله عليه
من العافية والسلامة من المرض الذي كان قد ألم به في رمضان في السنة الماضية
ومن القصيدة ما يأتي

ألا هكذا في الله تمضي الزائم

وتتضي لدى الحرب السيوف الصوارم

وتستزل الاعداء من طول عزهم	وليس سوى سحر الرماح سلام
ويوفي الكرام الناذرون بنذرهم	وان بذلت فيها النفوس الكرائم
نذرنا مسير الجيش في صفر فمانا	ثني نصفه حتى اثني وهو غانم
ببشناه من مصر الى انشام قاطماً	مفاوز وجد العيش فيهن دائم
فما هاله بعد الديار ولا ثني	عزيمته جهد الظما والسمام
يباري خيولاً ما تزال كأنها	اذاما انقضت فهي النسور القشاعم
يسير بها ضرغام في كل مارق	وما يصحب الضرغام الا الضرازم
ورفقتهم عين الزمان وحاتم	ويحبي وان لاقى المنية حاتم
وواجبهم جمع الفرنج بحملة	يهون على الشجعان فيها الهزائم
فلقوهم زرق الاسنة وانطوا	عليهم فلم يرجع من الكفر ناجم
وما زالت الحرب العوان أشدها	اذا ما تلاقى المسكر المتضاحم
وعادوا الى جز السيوف فقطعت	رؤوس ووزت للفرنج غلاصم

فلينج منهم يوم ذاك مخبر
تقتلهم بالرأى طـوراً وتارة
فقولوا لنور الدين لاقل حده
تجهز الى أرض العدو ولا تن
فمعدك من الطاف ربك مابه
أعادك حياً بعد ان زعم الوري
بوقت أصاب الارض ما قد أصابها
وخيم جيش الكفر في أرض شيرز
وقد كان ناربخ الشام وهاك
فقم واشكر الله الكريم بنهضة
فنحن على ما قد عهدت نرؤهم
وغاراتنا ليست تفتت عنهم
فاسطولنا اضعاف ما كان سائراً
ونرجو بان يحتاج باقيهم به

ولا قبل هذا اليوم واحد سالم
تدوسهم منا المذاكي الصلادم
ولا حكمت فيه الليالي الغواشم
وتظهر فتوراً ان مضت منك حارم
علمنا يقيناً انه بك راحم
بانك قد لاقت ما لله حاتم
رحلت به اتلك الدواهي العظام
فسيقت سبايا واستحلت محارم
وهن محتويه انه لك عادم
اليهم فشكر الله للخلق لازم
ونحلف جهداً اننا لانسلم
وليس ينجى القوم منا الهزائم
اليهم فلا حصن لهم منه عاصم
ونحوي الاسارى منهم والغنائم

*(وفاة الخليفة الفائز بنصر الله وولاية العاضد لدين الله العلوي) *

في سنة ٥٥٥ توفي الخليفة الفائز بنصر الله العلوي صاحب مصر ولم يحكم
الامدة ستة سنوات وكانت مصر قد انحطت في ايامه الى مهاوى الضعف وبعد
وفاة الخليفة الفائز أخذ الملك الصالح يهتم في اقامة من يخلفه فتقدم السراي
فتقدموا له شيخ من العائلة الفاطمية لم يكن ثم أحق منه للخلافة فهم الى
مبايعته فجاء أحد اصدقائه وهمس في أذنه قائلاً (ان سلفك في الوزارة
كان أحسن تدبيراً منك لانه لم يسلم نفسه خليفة سـنه أكثر من خمس
سنوات) فوقعت هذه العبارة في اذن الوزير فعدل عن تنصيب هذا الشيخ

وعمد إلى عبد الله بن يوسف بن الحافظ لدين الله ولم يكن بالفار شهده فبايعه
ولقبه بالعاذلدين الله وهو الخليفة الرابع عشر للدولة الفاطمية الملوية ثم زوجه
ابنته ومهارة عظمة

وفاة الخليفة المقتدي لامر الله العباسي وخلافة المستنجد بالله

وفي هذه السنة أيضاً توفي أمير المؤمنين المقتدي لامر الله أبو عبد الله أحمد
ابن المستظهر بالله أبي العباس أحمد بن المقتدي بامر الله وكانت خلافته اربعمائة
وعشرين سنة وثلاثة أشهر وستة عشر يوماً ومات في ٢ ربيع الاول وكان
حليماً كريماً عادلاً حسن السيرة وهو أول من استبد بالعراق منفرداً عن
سلطان يكون معه وأول خليفة تمكن من الخلافة وحكم على عسكره وكان
شجاعاً مقداماً مباشراً للحروب بنفسه ثم بويع للمستنجد بالله أمير المؤمنين
واسمه يوسف بدموت والده وكان للمقتدي حظية وهي أم ولده علي فلما اشتد
مرض المقتدي ويشت منه أرسلت إلى جماعة من الأمراء وبذلت لهم الاقطاعات
الكثيرة والاموال الجزيلة ليساعدوها على ان يكون ولدها خليفة فقالوا كيف
الحيلة مع ولي العهد فقالت اذا دخل علي والده قبضت عليه وكان كل يوم
يدخل علي أبيه فلما استقرت القاعدة بينهم استحضرت أم علي بعض جوار
وأعطتهن السكاكين وأمرتهن بقتل ولي العهد المستنجد بالله وكان له خصي صغير
يرسله كل وقت يتعرف اخبار والده فرأى الجوارى بايديهن السكاكين ورأى
بيد علي ووالده سيفين فماد إلى المستنجد وأخبره وأرسلت هي إلى المستنجد
تقول له ان والده قد حضره الموت ليحضر ويشاهده فاستدعى استاذ دار
عضد الدولة وأخذه معه وجماعة من الفراشين ودخل الدار وقد لبس الدرع
وأخذ بيده السيف فلما دخل ثار به الجوارى فضرب واحدة منهن فجرحها

وكذلك أخري وصاح ودخل استاذ الداروميه الفراشون فهربت الجوارى
وأخذ أخاه أبا علي وأمه فسجنهما وأخذ الجوارى قتل منهن وغرق منهن
ودفع الله عنه . ولما توفي المقتنى جلس للبيعة فبايعه أهله وأقاربه وأولهم عمه
أبو طالب ثم أخوه أبو جعفر وكان أكبر من المستنجد ثم بايعه الوزير ابن
هبيرة والقاضي وأرباب الدولة والعلماء

✽ تاريخ جامع سيدنا الحسين رضي الله عنه ✽

كان أمير الجيوش أثناء حروبه في سوريا قد ظفر بمدفن رأس الامام
الحسين في عسقلان فابتنى عليه مشهراً عظيماً فمن أعمال الملك الصالح طلائع بن
رزيك وزير مصر انه لما علم بوجود مشهد سيدنا الحسين رضي الله عنه
بتلك الجهة خاف عليه من هجمات الافرنج فمزم على نقله الى مصر فابتنى له
جامعاً مخصوصاً خارج باب زويلة دعاه جامع الصالح نسبة اليه (ولم يزل موجوداً
الآن ببول قصبه رضوان) بنية ان يجعل فيه الرأس الشريفه فلما فرغ من
بناؤه لم يمكنه الخليفة من ذلك بدعوى انه لا يليق ان يكون ذلك الاثر الشريف
خارج سور المدينة فكانت حجته حقاً وأبي الا ان يجعله في بعض أجزاء
قصره المدعو قصر الزمرد فاقام له مشهراً هناك . ثم في سنة ٧٤٠ هجرية
احترق المشهد في ولاية السلطان الناصر محمد بن قلاوون الثالثة فاعيد بناءه
وقد اعني به السلاطين والامراء في كل عصر بعمارتهم وزخرفته وتجليته واعلاء
شأنه وأخيراً أقيم في جواره جامع حتى اذا كانت أيام الامير عبد الرحمن
كتبخدا أحد أمراء المماليك أعيد بناء المشهد الحسيني في سنة ١١٧٥ وبعد
ذلك أعيد بناءه برمته في أيام الخديوي السابق اسماعيل باشا سنة ١٢٨٢ وكان
الناظر على الاوقاف المصرية الامير راتب باشا وتمت عمارة في ٢٨ محرم
سنة ١٢٩٠ الا المآذنه فتمت في سنة ١٢٩٥ وادخل في الجامع عدة بيوت

ولم يبق من البناء القديم الا القبة المغطيه لمقام الامام التي جرى تصليحها في سنة
١٣١٦ بامر افندينا الخالي عباس باشا الثاني فاصبح على ما شاهده الآن
وهو الجامع المعروف بجامع سيدنا الحسين بالسكة الجديدة بالقاهرة تجاه خان
الخليلي

✽ قتل الصالح بن رزيك وزير مصر ✽

كانت ادارة الاحكام بمصر منوطة بالوزير ولذلك كان النفوذ الاكبر
للملك الصالح طلائع بن رزيك ولم يكن الخليفة العاضد لدين الله اقل استعباداً
من سلفه ولقب الصالح بلقب ملك ثم لقب بالسلطان ففتحت عين الاعداء
عليه وفي جملتهم عمه الخليفة فمزمت على قتله فارسلت اولاد الداعي فكمنوا
له في دهليز القصر وضربوه حتى سقط على الارض على وجهه وحمل جريحاً
لايحي الى داره وفيه حياة فارسل الى العاضد يعاتبه على الرضا بقتله مع اثره
في خلافته فاقسم العاضد انه لا يعلم بذلك ولم يرض به فقال ان كنت بريئاً فسلم
عمتك الى حتى انتقم منها فامر باخذها فارسل اليها فاخذها قهراً وأحضرت
عنده فقتلها ووصى بالوزارة لابنه محيي الدين رزيك ولقبه بالملك العادل
وكنيته أبو شجاع ومات يوم الاثنين ١٩ رمضان سنة ٥٥٦ هـ وكان شجاعاً كريماً
فاضلاً محباً لاهل الادب جيد الشعر وفيه عقل وسياسة وتدبير وكان مهاباً في
شكاه عظيماً في سطوته وغناؤه وكان محافظاً على الصلوات فرائضها ونوافلها شديد
الغالات في التشيع صنف كتاباً سماه الاعتماد في الرد على اهل العناد جمع له
المفقهاء وناظرهم عليه وهو يتضمن امامة علي بن أبي طالب والكلام على الاحاديث
الواردة في ذلك وله شعر كثير يشتمل على مجملين

✽ وفاة بودوين الثالث وولاية اخيه اموري ✽

كان الملك بودوين الثالث ملك القدس مقياً بمدينة انطاكية فاعترته الحمي

فأمر بنقله الى مدينة طرابلس ومنها الى مدينة بيروت وهناك فاجأته الوفاة
 وكان ذلك سنة ١١٦٢ أفرنجية الموافقة لسنة ٥٥٨ هجرية فنقل جسمه الى
 القدس لكي يدفن تحت جبل الجاجلة فحزنت عليه الافرنج لما كان معروفه
 بينهم من العدل وكرم الاخلاق والشجاعة ولم يكن له ولي يرث ملكه بعده والذي
 يستحق الملك هو أخوه أموري صاحب عسقلان ويافا



ولما كانت صفات وأخلاق أموري المذكور بعكس أخيه عارض رؤساء
 المملكة بتوليته وأخيراً توجه ملكا عليهم وكان متصفاً بالكبر والبخل
 والطمع

* (وزارة شاور ووزارة ضرغام بعده) *

كان شاور في ابتداء أمره يخدم الصالح بن رزيك ثم ولاء الصالح حكم

الصعيد وهو أكبر وظيفة بعد الوزارة فظهرت منه كفاية عظيمة وتقدم زائد واستمال الرعية والمقدمين من العرب وغيرهم فمسر أمره علي الصالح ولم يمكنه عزله فادام استعماله خوفا من الخروج عن طاعته فلما جرح الصالح أوصي ابنه ان لا يتعرض لشاور قائلاً له اننى انا أقوي منك وقد ندمت على استعماله ولم يمكنى عزله فلما توفي الصالح وولى ابنه العادل الوزارة حسن له أهله عزل شاور واستخدم بعضهم مكانه فارسل اليه بالمثل فجمع جموعاً كثيرة وسار الى القاهرة بهم فهرب منه العادل بن الصالح فاخذ وقتل وصار شاور وزيراً للخليفة العاضد لدين الله وكان ذلك في صفر سنة ٥٥٨ وتلقب بامير الجيوش وأخذ أموال بنى رزيك وودائعهم وذخائرهم . وكان الملك الصالح قد رتب في عهد وزارته الامراء البرقية وجعل في مقدمتهم ضرغام أبا الاشبال فترقي هذا الرجل حتى صار صاحب الباب فلما تولى شاور الوزارة طمع ضرغام في سلبها منه فجمع رفقته نخاف شاور وجمع اليه رجاله فاصبح الجيش فرقتين فرقة مع ضرغام واخرى مع شاور وفي شهر رمضان من السنة المذكورة ثار ضرغام على شاور فاخرجه من القاهرة وقتل ولده الاكبر المسحى بطى وبقى شجاع المنعوت بالكامل ويخرج شاور من القاهرة يريد الشام واستقر ضرغام في وزارة العاضد لدين الله وتلقب بالملك المنصور فشكر الناس سيرته وكان فارس عصره كاتباً جميل الصورة عاقلاً كريماً

* (في دخول أسد الدين شيركوه مصر أول مرة) *

لما خرج شاور من مصر سار الى نور الدين بدمشق الشام يستجده ليعيده الى الوزارة فاحسن وقادته وأكرم مثواه فطلب منه ارسال العساكر الى مصر ليعيده اليها ويكون له فيها ثلث دخل البلاد بعد اقطاعات العساكر وانه يتصرف طبق أمره ونهيه فاخذ نور الدين يقدم في ذلك رجلاً وياً آخر أخرى تارة

تحملة رعاية شاور وطلب الزيادة في الملك والتقوى على الافرنج وتارة يمنعه خطر
الطريق ووجود الافرنج فيه الى ان قرر العمل واستخار الله تعالى وأمر أسد الدين
شيركوه أحدر جاله بالتأهب للمسير معه قضاء لحق الواقد المستصرخ وحباً بالبلاد
والوقوف على أحوالها وكان ذلك موافقاً لهوى أسد الدين اذ كان في صدره من الشجاعة
وقوة النفس مالا يبالي معه بمخافة فتجهز وسار مع شاور في جماد الاولى سنة
٥٥٩ وساروا جميعاً وسار معهم نور الدين الى أطراف بلاد المسلمين مهتدداً
الافرنج بمساكره ليشغلهم عن التعرض لاسد الدين فكان قصارى هم الافرنج حفظ
بلادهم من نور الدين وفي اثناء ذلك قصد الملك أموري ملك القدس بلاده مصر
لاخذ مال الهدنة المقرر على مصر دفعه الافرنج من يوم أخذوا عسقلان وهو
ثلاث وثلاثون الف دينار فلما وصلت الافرنج الى حصن بلبليس وملكوا
بعض السور خرج اليهم همام أخو ضرغام وحاربهم فقلبوه ثم عادوا الى بلادهم
وعاد همام عوداً رديئاً فما هو الا ان قدم رسل الافرنج على ضرغام في طلب
مال الهدنة المقررة ثم وصل أسد الدين شيركوه الى مصر سالماً ومعه شاور ولما
علم ضرغام بذلك اضطرب وأصبح الناس خائفين على أنفسهم وأموالهم فجمعوا
الاقوات والماء وتحولوا من مساكنهم وخرج همام بالمشرك في أول جماد
الآخرة سنة ٥٥٩ فسار الى بلبليس فقابل أسد الدين وشاور وحصات بينهم
وقعة انهزم فيها همام وامتلكت أسد الدين وشاور جميع ما كان مع عساكره
وأسروا عدة ونزلوا الى التاج (قليوب) ظاهر القاهره يوم الخميس ٦ جماد
الآخرة فجمع ضرغام الناس وضم اليه الطائفة الريحانية والطائفة الجيوشية
بداخل القاهرة وأسد الدين وشاور مقيمان في التاج مدة أيام ثم ساروا ونزلوا
في المقس (الازبكية) فخرج اليهم عسكر ضرغام فقاتلوه فانهم هزيمه
قبيحة وساروا الى بركة الحبش ونزلوا بالشرف الذي عرف بعد ذلك بالرصد
وملك أسد الدين مدينة مصر القديمة وأقام فيها أيام فاخذ ضرغام مال اليتامى

المودع عند الحاكم فكرهه الناس واستمجزوه ومالوا الى شاور فتسكر منهم
 خرغام وتحدث بايقاع العقوبة بهم فزاد بعضهم له ونزل أسد الدين وشاور في
 أرض اللوق خارج باب زويله وطارد أسد الدين رجال خرغام وزحف الى
 باب سماده وباب القنطرة واضرم النار في الألوثة وماحولها من الدور وعظمت
 الحروب بينهم وفي كثير من الطائفة الريحانية فبعثوا الى شاور ووعدوه بان
 يكونوا اعواناً له فأنحل أمر خرغام فارسل العاضد الى الرماة يأمرهم بالكف
 عن الرمي فخرج الرجال الى شاور وصاروا من جمته وفترت همة أهل
 القاهرة وأخذ كل منهم يعمل الحيلة في الخروج الى شاور فامر خرغام بضرب
 الابواق والطبول من فوق الاسوار فلم يخرج اليه أحد وانفك عنه الناس
 وسار الى باب الذهب من أبواب القصر ومعه ٥٠٠ فارس فوقف وطلب من
 الخليفة ان يشرف عليه من الطاق وتضرع اليه وأقسم عليه بأنه فلم يجبه أحد
 واستمر واقفاً الى مصر والناس تنحل عنه حتى بقي في نحو ٣٠ فارساً فوردت
 عليه رقعة مكتوب فيها (خذ نفسك وانج بها) واذا بالابواق والطبول قد
 دخلت من باب القنطرة ومعها عساكر أسد الدين وشاور فمر خرغام الى باب
 زويله فصاح الناس عليه ولعنوه وتخطفوا من معه وأدركه القوم فرموه عن فرسه
 قريباً من الجسر الأعظم من القاهرة ومصر القديمه قرب جامع السيده نفيسه
 وجزوا رأسه في غاية جمادي الآخر وفر منهم أخوه الى جهة المطرية
 فادركه الطلب وقتل عند مسجد تبر خارج القاهرة وقتل أخوه الآخر عند
 بركة الفيل وبقى خرغام ملقى على الأرض يومين ثم حمل الى القرافة ودفن بها
 واعيدت وزارة مصر الى شاور فاستلم زمامها وصار يدفع الى اتابك نور الدين
 ثلث الدخل مقابل ما بذله في اعادته اليها وأقام أسد الدين بظهر القاهرة
 حسب الاتفاق الذي عمل مع نور الدين بان يكون أسد الدين موجوداً بمصر
 فاستاء من ذلك شاور وأراد ان يغدر به ° وعاد عما كان قرره لنور الدين

من البلاد المصرية ولاسد الدين أيضاً وارسل اليه يأمره بالعود الى الشام
فاتفق اسد الدين من هذا الحال وأعاد الجواب بطلب ما كان استقر فلم يجبه
شاوور اليه فلما رأى ذلك أرسل اسد الدين نوابه فاستولوا على بليس وباقي
الحواف الشرقى فارسل شاوور الى الملك أمورى ملك القدس يستمده ويخوفه
من نورالدين ان ملك مصر وكان الافرنج قد أيقنوا بالهلاك ان ملكهم نور الدين
فلما أرسل شاوور اليهم يستنجدهم ويطلب منهم ان يساعده على اخراج اسد
الدين من البلاد جاءهم فرج لم يحسبوه واسرعوا ما بين دعوته وبادروا الى نصرته
وظمعوا في ملك ديار مصر وكان قد بذل لهم مالا على المسير اليه فتجهزوا وساروا
فلما باغ نورالدين خبر تجهزهم للمسير سار بمسكركه في اطراف بلاده مما يلي
بلاد الافرنج ليمتنعوا من المسير فلم يمتنعوا لعلهم ان الخطر في مقامهم اذا ملك
اسد الدين مصر أشد من الخطر في مسيرهم فتركوا في بلادهم من يحفظها وسار
الملك أمورى في باقي عسكره وكان قد وصل الى ساحل الشام جمع كثير من
الافرنج في البحر لزيارة بيت المقدس فاستعان بهم الملك أمورى فاعانوه وساروا
معه فلما دنا الافرنج من مصر فارقتها اسد الدين وقصد مدينة بليس وأقام بها
هو وعسكره وجلبها ظهراً ينحصرن به فاجتمعت العساكر المصرية والافرنجية
وتازلت اسد الدين بمدينة بليس وحصروه بها ثلاثة أشهر فامتنع بها وسورها
من طين قصير جداً وليس له خندق ولا جبل يحميها وهو يفاديهم القتال ويرأوهم
فلم يباغوا منه غرضاً ولا نانو منه مأرباً فينماهم كذلك اذا تاهم الخبر بهزيمة
الافرنج بمحارم واستيلاء نور الدين على الحصن ومسيره الى بانياس فحينئذ
ارادوا العود الى بلادهم ليحفظوها ولعلهم يدركون بانياس قبل أخذها فلم
يدركوها الا وقد ملكها على ماسياتى وراسلوا اسد الدين في الصالح والعود الى
الشام ومفارقة مصر وتسليم ما بيده فيها الى المصريين فاجابهم الى ذلك لانه لم يعلم
بما فعله نور الدين بالافرنج في الساحل فاخرج اسد الدين أصحابه بين يديه من

بليس وبقى في آخرهم وبيدها من حديد يحمي ساقهم والمصريون والافرنج
 ينظرون فاتاه افرنجي فقال له اما تخاف ان يغدر بك هؤلاء المصريون والافرنج
 وقد احاطوا بك وباصحابك فلا يبقى لك معهم بقية فقال شيركوه يا ليتهم فعلوا
 حتى كنت ترى ما لم تر مثله كنت والله اضع فيهم السيف فلاقتل حتى اقتل
 رجالا وحينئذ يقصدهم الملك العادل نور الدين وقد ضعفوا وني ابطاهم فيملك
 بلادهم وينفي من بقي منهم ووالله لو اطاعني هؤلاء يعني اصحابه لخرجت اليكم
 اول يوم لكنهم امتنعوا فصاب الافرنج على وجهه وقال كنا نستعجب من افرنج
 الشام ومبالغتهم في صفتك وخوفهم منك والآن فقد عذرتناهم ثم رجع عنه
 وسار شيركوه الى الشام وعاد سالماً وفي قلبه من شرشاور الاحن وكيف تمت
 بغدره تلك المحن

* (فتح حارم) *

في سنة ٥٥٩ اغتتم نور الدين خلو الشام من الافرنج فراسل اخيه قطب
 الدين بالموصل ونخر الدين قرا ارسلان بالحصن ونجم الدين البي بمارد
 وطلب منهم مساعده بالجيش في حرب الافرنج فوردت اليه الامداد من كل
 جهة وسار نحو حارم فنزل عليها وحصرها وبلغ الخبر الى من بقي من الافرنج
 بالساحل فخشدوا جيوشهم و جاؤا وفي مقدمتهم رايمند صاحب طرابلس
 وبوهيموند الثالث امير انطاكية ودوك الروم ومقدمتها وجمعوا معهم من
 الجيوش ما لا يقع عليه احصاء وقد ملؤوا الارض فخرض نور الدين اصحابه
 و فرق نفائس الاموال على شجبان الرجال فلما قارب الافرنج رحل عن حارم
 الى ارتاح طمعاً ان يتبعوه ويتمكن منهم اذا لا قوه فساروا حتى نزلوا وتيقنوا
 انه لا طاقة لهم بقتاله ولا قدرة لهم على نزاله فعادوا الى حارم وتبعهم نور الدين فلما
 تقاربوا اصطفوا للقتال وبدأت الافرنج بالحملة على ميمنة المسلمين وبه عسكر

حلب فبددوا نظاهم وزلزلوا اقدامهم وولوا الادبار وتبعهم الافرنج وكان ذلك
باتفاق ورأى دبروه وكرهه وهو ان يبعدوا عن راجلهم فيميل عليهم من
بقي من المسلمين ويضعوا فيهم السيوف فاذا عادت فرسانهم من اثر المنهزمين
لم يلقوا راجلا يلجؤون اليه ويعود المنهزمون في اثارهم وتأخذهم سيوف
المسلمين من بين ايديهم ومن خلفهم فكان الامر كذلك . لان الافرنج لما
تبعوا المنهزمين عطف زين الدين في عسكر الموصل على راجلهم فاقناهم قتلا
واسرا وعادت فرسانهم فلم تجد غير جثث القتلى ورأوا انهم قد ضلوا وارتد عليهم
عسكر حلب المنهزمون فاخذ الافرنج في الوسط وقد احاط بهم المسلمون من كل
جانب فحينئذ حى الوطيس وباشرا الحرب المرؤوس والرئيس وقاتل الافرنج قتال
من يرجو النجاة وحاربوا حرب من آيس من الحياة وانقضت العساكر
الاسلامية عليهم فمزقوهم وقد أوقعوا فيهم القتل والاسر بكثرة فاسروا
البرنس بوهيموند الثالث صاحب انطاكية ورايمند صاحب طرابلس ودوك
الروم وغيرهم من قوادهم وسار نور الدين بعد ذلك الى حارم فملكها في ٢١
رمضان من تلك السنة وبث سراياه في تلك الاعمال والولايات فنهبوا وسبوا
وأوغلوا في البلاد حتى بلغوا اللاذقية والسويدا وعادوا سالمين ثم ان نور
الدين أطلق بوهيموند صاحب انطاكية بمال جزيل أخذه منه وأسرى كثيرة
من المسلمين أطلقهم

* (فتح بانياس) *

لما فتح حارم نور الدين كما تقدم أمر عساكر الموصل وديار بكر بالعود
الى بلادهم وأظهر انه يريد محاربة طبرية فجعل من بقي من الافرنج همهم في
حفظها وتقويتها فسار نور الدين الى بانياس لعلمه بقلة من فيها من الحماة
المدافعين عنها ونازلها وضيق عليها وقاتلها وكان في جملة عسكره أخوه نصر

الدين أمير أميران فاصابه سهم فذهب احدي عينيه فلما رآه نور الدين قال له
لو كشف الله لك عن الاجر الذي أعد لك لتميت ذهاب الاخرى ثم جدد في
حصارها فسمع الافرنج فجمع عوارجلهم ولم تتكامل عدتهم حتى فتحها على ان
الافرنج كانوا قد ضعفوا بقتل رجالهم بواقعة حارم وأسره ثم ملك القلعة
وملاها ذخائر وعدة ورجالا وشاطر الافرنج في أعمال طبرية وقرروا له على
الاعمال التي لم يشاطروهم عليها مالا في كل سنة ثم عاد نور الدين منها الى دمشق
وكان بيده خاتم بفص ياقوت من أحسن الجواهر يسمى الجبل لكبره وحسنه وفي
أثناء مسيره سقط من يده في جهة كثيرة الاشجار ملتفة الاغصان ولما بعد عن
هذا المحل تذكره فأرجع بعض رجاله للبحث عنه ودهم على الموقع الذي كان
آخر عهده به فوجدوه

* (في دخول أسد الدين شيركوه مصر المرة الثانية) *

بعد خروج أسد الدين من بلبس التقي بنور الدين فخارب معه الصليبيين
وانتصرا الا ان انتصارهما لم يقلل شيئا من رغبة أسد الدين في افتتاح مصر
فكان من وقت الى آخر يحث نور الدين على ذلك وكان مما يهيج به على
العود الى مصر زيادة حقه على شاور فاذن له نور الدين بالمسير ومعه
جماعة من الامراء وابن أخيه صلاح الدين يوسف ابن أيوب فلما علم
شاور وزير مصر وتأكده انه اذا لم يسارع الى ملاقاته الخطب لا تلبث مصر
حتى تصير في يد نور الدين على ان الصليبيين من الجهة الاخرى لا ينفكون
ليلاهم ونهارهم ساعين الى افتتاح مصر وقد قطعوا السبيل على جيوش أسد
الدين في سيرها الى مصر فساروا بجيش عظيم تحت قيادة الملك أموري حتى لم
يبق صليبي الاسار في ذلك الجيش أما أسد الدين فقطع سوريا حتى بلغ حدود
مصر ودخلها في ربيع أول سنة ٥٦٢ وكان الصليبيون قد ساروا بقيادة

ملكهم في الصحراء فلم يظفروا باحد ثم عادوا الى غزة فالعريش ثم الى بلبيس
أما جيش أسد الدين فكان قد تجاوز بلبيس حتى بلغ عطاس فمسكر قرب
القاهرة وتهدها

نخاف شاور من قدوم الجيشين المذكورين وكل منهما يحاول الفوز لنفسه
ففضل ان يسلم القاهرة للصليبيين ويحملهم على قتال أسد الدين الذي كان على
بعد ١٢ ميلاً من تلك العاصمة فرأى أسد الدين شيركوه ان جيشه بعد ان
قاسى الاهوال في عبور الصحراء لايسهل عليه الهجوم على هذه المدينة
فاجتاز النيل الى البر الغربي بقرب اطفيح ونزل بالجيزة تجاه مصر وبني له
استحكامات تقيه من العدو

فدخل الصليبيون القاهرة ولكنهم لم يوافقوا شاور على ما أراد الا بعد ان
تمهد لهم بزيادة الجزية السنوية عما كان يدفعه للملك أموري قائد تلك الحملة
فعين معتمدين من قبله لعقد المعاهدة بذلك فأنهوها على ما أراد
الصليبيون فقبضوا منه مبلغ مائتي الف دينار نقداً على وعود ان يقبضوا مثله بعد
مدة يسيرة

ثم اراد الملك أموري مهاجمة أسد الدين شيركوه على جسر يصنعه من
القوارب فجعل شيركوه كلما ابتدأوا في بناء الجسر يشغلهم عن اتمامه فبقى
الجيشان في مثل ذلك نحو ٥٠ يوماً أو أكثر تمكن اثناءها شيركوه من تملك
الضفة الغربية للنيل

* محاربة أسد الدين شيركوه المصريين والصليبيين *

فبعد تملك أسد الدين البلاد الغربية للنيل سار الى الصعيد حتى بلغ مكانا يعرف
بالبانين أما الصليبيون فانهم اجتازوا الى البر الغربي عند رأس الدلتا ومعهم العساكر
المصرية فأدركوهم هناك في ٢٥ جمادى أول سنة ٥٦٢ وكان قد أرسل اليهم جواسيس

فمادوا وأخبروه بكثرتهم وجددهم في طلبه فمزم على قتالهم ولقاتهم وان يحكم
السيوف بينه وبينهم الا انه خاف ان تضف نفوس اصحابه عن الثبات في هذا المقام
الخطير الذي عطيهم فيه اقرب من السلامة لقلة عددهم وبمدهم عن بلادهم
فاستشارهم فكلهم أشاروا عليه بعبور النيل الى الجانب الشرقى والعود الى
الشام وقالوا له ان نحن انهزمتنا وهو الذي لاشك فيه فالى أين نلنحيء وبمن
نحتمي وكل من في هذه الديار من جندي وعامى وفلاح عدوانا ويودون لو شربوا
من دماننا (وحق لمسكر عدده الف فارس قد بعدوا عن ديارهم وقل ناصرهم
ان يرتاعوا من لقاء عشرات الالوف مع ان كل فرد من أهل البلاد عدو
لهم) فلما قالوا ذلك قام رجل من المماليك النورية يقال له شرف الدين برغش
وكان مشهوراً بالشجاعة وقال من يخاف القتل والجراح والاسر فلا يخدم
الملك بل يكون فلاحاً أو مع النساء في بيته والله لئن عدتم الى الملك العادل
نور الدين من غير غلبة وبلاء تعذرون فيه لياخذن اقطاعاتكم وليعودن عليكم
بجميع ما أخذتموه الى يومنا هذا ويقول لكم اناخذون أموال المسلمين وتفرون
من عدوهم وتسلمون مثل هذه الديار المصرية يتصرف فيها الكفار فقال أسد
الدين هذا رأيي وبه أعمل ووافقهما صلاح الدين يوسف بن أيوب ثم كثر
الموافقون لهم على القتال فاجتمعت الكلمة على اللقاء فاقام بمكانه حتى أدركه
المصريون والصلبيون وهو على تعبئة وقد جعل الاثقال في القلب يتكثر بها
ولانه لم يمكنه ان يتركها بمكان آخر فينهبها أهل البلاد ثم انه جعل صلاح الدين
ابن أخيه في القلب وقال له ولئن معه ان الصليبيين والمصريين يظنون اني في
القلب فهم يجعلون كل قوتهم بازائه وحماتهم عليه فاذا حملوا عليكم فلا تصدقوهم
بالقتال ولا تهاكوا نفوسكم وان دفعوا بين أيديهم فاذا عادوا عنكم فارجموا
في أعقابهم واختار من شجعان اصحابه جمعاً يشق اليهم ويعرف صبرهم وشجاعتهم
ووقف بهم في الميمنة فلما تقابل الطائفتان فعل الصليبيون ما ذكره أسد الدين

وحملوا على القلب ظانين انه فيه فقاتلهم من به قتالا يسيراً ثم انهزموا من امامهم
 فقبضوهم فحينئذ حمل أسد الدين في من معه على من تخلف من الصليبيين الذين
 حملوا على القلب فهزمهم ووضع السيف فيهم فأثخن وأكثرت القتل والأسر
 وانهزم الباقون فلما عاد الصليبيون من اثر المنهزمين الذين كانوا في القلب رأوا
 مكان المعركة من أصحابهم بلقماً ليس فيه منهم مقاتل فانهزموا أيضاً وكان هذا
 من أعجب ما يؤرخ (ان النفي فارس تهزم عساكر مصر والصليبيين)

* (استيلاء أسد الدين على الاسكندرية ومحاربة المصريين والصليبيين) *

بعد الواقعة المذكورة سار أسد الدين الى ثغر الاسكندرية وجبى الاموال
 من القرى التي في طريقها فلما وصل سلمت من غير قتال فاستتاب بها صلاح
 الدين ابن أخيه وعاد الى الصعيد وتملكه وجبى أمواله وأقام فيه حتى صام
 رمضان أما المصريون والصليبيون فانهزم عادوا الى القاهرة وجمعوا أصحابهم
 فاستعاضوا عن قتل منهم واستكثروا وحشدوا وساروا الى الاسكندرية وبها
 صلاح الدين في عسكر يمنعها منهم وقد أعانه أهلها خوفاً من الصليبيين الذين
 حاصروها وضيقوا عليها فصبر اهل الاسكندرية وصدقوا مع صلاح الدين في
 الجهاد وقل الطعام بالبلد فصبر أهله على ذلك ثم ان أسد الدين سار من الصعيد
 نحوهم وكان قد استمال شاور بعض من معه من التركمان بالمال ووصله رسول
 المصريين والصليبيين يطلبون الصلح وبذلوا له خمسين ألف دينار سوى ما أخذوه
 من البلاد فأجابهم الى ذلك

* (في رجوع أسد الدين والصليبيين من مصر) *

لمعارض الصليبيون والمصريون على أسد الدين كما تقدم أجابهم بشرط
 ان ينسحب الصليبيون وأسد الدين من الديار المصرية بسلام وترجع الاسكندرية

الى شاور وان الصليبيين لا يملكون من مصر ولا قرية فقبل الفريقان هذه
الشروط وسام مدينة الاسكندرية الى شاور في منتصف شهر شوال سنة ٥٦٢
وعاد أسد الدين شيركوه ومعه ابن أخيه صلاح الدين يوسف الى دمشق في
١٨ القعدة وعادوا الى الخدمة النورية فامتدحه الشراء والافاضل ومنهم
العماد امتدحه بقصيدة طويلة منها

بلغت بالجهد مالا يبلغ البشر	ونلت ما عجزت عن نيله القدر
من يهتدى للذي أنت اهتديت له	ومن له مثل ما أثرته اثر
أسرت أم بسراك الارض قد طويت	فأنت اسكندر في السير أم خضر
تناقلت ذكرك الدنيا فليس لها	الا حديثك ما بين الوري سمر
فانت من زانت الايام سيرته	وزاد فوق الذي جاءت به السير
لو في زمان رسول الله كنت أنت	في هذه السيرة المحمودة السور
اصبحت بالعدل والاقدام منفرداً	فتمل لنا أعلى أنت أم عمر
اسكندر ذكروا اخبار حكمته	ونحن فيك رأينا كل ما ذكروا
ورسم خبرونا عن شجاعته	وصار فيك عياناً ذلك الخبر
انخرقنا ملوك الارض أذهلهم	ما قد قبلت فيك مفتكر
سهرت اذرقدوا بل هجت اذسكنوا	وصلت اذ جنبوا بل طلت اذ قصروا

وأما الصليبيون فلم يريدوا مبارحة القاهرة حتى استقر بينهم وبين شاور
ان يكون لهم بالقاهرة حامية ويكون أبوابها بيد فرسانهم ليمنع الملك العادل
نور الدين من انفاذ عسكر اليهم ويكون للصليبيين من دخل مصر كل سنة مائة
ألف دينار وجرى هذا كله بين الصليبيين وشاور بدون علم خليفة مصر
الماض لان شاور حكم عليه وحجبه وعاد الصليبيون الى بلادهم بعدما تركوا
جماعة من فرسانهم ومشاهيرهم وأعيانهم بمصر والقاهرة على القاعدة
المدكورة

* (في محاربة نور الدين بلاد الأفرنج) *

في هذه السنة جمع نور الدين العساكر فسار إليه أخوه قطب الدين من الموصل وغيره فاجتمعوا على حصن فدخل نور الدين بالعساكر بلاد الأفرنج فاجتازوا على حصن الأكراد فاغاروا ونهبوا وقصدوا عرقه فزالوها وحصروها وحصروا حلية وأخذوها وخربوها وسارت عساكر المسلمين في بلادهم يمينا وشمالا تغير وتخرب البلاد وفتحوا العريضة وصافينا وعادوا إلى حصن نصاموا بهارمضان ثم ساروا إلى بانياس وقصدوا حصن هونين وهو الأفرنج ومن أمنع حصونهم ومعاليمهم فانهزم الأفرنج عنه وأحرقوه فوصل نور الدين في الغد فهدم سورته جميعه وأراد الدخول في بيروت فتجدد في العسكر خلف أوجب التفرق فعاد قطب الدين إلى الموصل وأعطاه نور الدين مدينة الرقة على الفرات فاخذها في طريقه وهو عائد

* (في تجهيز الملك امورى عسكره للاستيلاء على الديار المصرية) *

لما رجع الملك امورى إلى القدس تزوج بابنة أخي الملك عم انويل ملك الروم بالقسطنطينية وقد زاد طمعه وأخذ رجاله المقيمون بمصر والقاهرة يكتبونه ويطلبون منه القدوم إلى مصر لاستيلائها قائلين لها خالية من حام يحميها أو يدافع عنها ومتى حضرت تستلمها بدون حرب وقتال فجمع مجلس شورا بمدينة القدس وأعلمهم بالملكيات الواردة إليه من مصر وعزمه على المسير إليها واستيلائه عليها فمارضوه خصوصا رئيس جمعية الرهبان الهيكلين وجمعية خيوف الغربا (ماري يوحنا الممدان) قائلين انه لا يصح نقض المهادنة المحررة بينه وبين شاور وزير مصر واننا لا نقصدها فانها طعمة لنا وأموالها تساق إلينا نتقوى بها على نور الدين وربما إذا قصدناها لنملكها لا يسلمها صاحبها

وعساكره وأهلها إلينا ويقاتلوننا دونها ويسلمونها إلى نور الدين فلم يصغ إلى
 قولهم وظل مصمماً على الدخول إليها والاستيلاء عليها وذلك لما انكشف
 له من عوارها وظهر له من ضعف من بقي فيها. وكان يوجد في مصر بعض
 الأمراء الذين يكرهون شاور فأرسلوا إليه وطلبوا قدومه ليسلموه مصر
 مكيدة في شاور فلما سار الملك أموري ووصل إلى الداروم كتب إلى شاور
 يقول له إنني قد قصرت الخدمة على ماقررتك لي من العطا في كل عام فاجابه
 شاور إن الذي قررتك لك إنما جعلته متى احتجت إليك أو إذا قدم على عدو
 فإما مع خلو بالي من الأعداء فلا حاجة لي بك وليس لك عندي مقرر. فاجابه
 أموري إن لا بد من حضورى وأخذى المقرر فلم شاور أنه غدر بالعهد
 ونقض الأيمان وأنه قد طمع في البلاد

﴿ استيلاء الصليبيين على بليس ﴾

لما علم شاور بقدر الصليبيين كما تقدم أخذ في تجنيد الرجال وحشد
 العساكر إلى القاهرة وانفذ إلى بليس فرقة من الجيش بقيادة طي ولده أما
 الملك أموري فإنه سار يجد إلى أن وصل إلى بليس في أول صفر سنة ٥٦٤
 نجيم عليها وكان معه جماعة من المصريين منهم علم الملك بن النحاس وابن
 الخياط يحيى وابن قرجه وهم الذين كانوا قد كاتبوه وطلبوا قدومه فأرسل
 إلى طي بن شاور وقال له أين تنزل فقال على أسنة الرماح وقال له أتخسب أن
 بليس جينة تأكلها فأرسل إليه أموري يقول نعم هي جينة والقاهرة زبدة
 ثم قاتل بليس ليلاً ونهاراً حتى افتتحها بالسيف قهراً وقتل من أهلها خلقاً
 عظيماً وخرب أكثرها وأحرق حلال أدرها ثم أخرج الأسرى إلى ظاهر
 البلد وحشرهم في مكان واحد وحمل في وسطهم برمح ففرقهم فرقتين فأخذ

الفرقة التي كانت عن يمينه لنفسه وأطلق الفرقة التي كانت عن يساره لاسكره
وقال لفرقة قد أطاقتكم شكراً لله تعالى على ما أولاني من فتح بلاد مصر فاني
قد ملكتها بلاشك ووقف الى ان عدى أكثرهم النيل الى جهة منية حمل
وأخذ العسكر نصيبهم من الاسرى فاقتسموهم وبقى أهل بليس الذين أسروا
أكثر من أربعين سنة في أسر الصليبيين وهلك أكثرهم في أيديهم وافلت منهم
اليسير لان الملك الناصر لم يملك ديار مصر ووقف مغل بليس على كثيره على
فكك الاسرى منهم وسامح أهل بليس بخراجهم الى آخر أيامه

﴿ محاربة الصليبيين مدينة القاهرة ﴾

لما اتصل بشاور ماجرى على أهل بليس من القتل والاسر وان
الصليبيين شحنوها بالرجال والعدد وجملوها لهم ظهراً اشفق من ذلك وطلب
الاذن بالدخول على الخليفة العاضد فلما اجتمع به بكى بين يديه وقال اعلم ان
البلاد قد ملكت ولم يبق الا ان تكتب الى نور الدين وتشرح له ماجرى
وتطلب نصرته ومعونته فكتب جميع ذلك وسود أعاليها بالمداد وقيل ان الذي
أشار بكتابة ذلك هو شمس الخلافة محمد بن مختار لانه لما رجع من مقابلة
الملك أموري اجتمع بالكامل بن شاور وقال له عندي أمر لا يمكنني أن اخبرك
به الا بعد أن تحلف لي بانك لا تطاع أباك عليه فلما حلف له قال له ان أباك قد
وطن نفسه على المصابرة وآخر أمره يسلم البلاد الى الصليبيين ولا يكتب نور
الدين وهذا عين الفساد فاصعد أنت الى الخليفة والزمه بان يكتب الى نور الدين
فليس لهذا الأمر غيره . وأما الصليبيون فانهم ساروا الى مصر ولما قربوا من
المدينة أمر شاور باحراقها وانذر أهلها فخرج الناس منها على وجوههم وتشتتوا
في جميع الأنحاء وترك الناس أكثر أموالهم فنهبت وأحرقت مصر في تاسع صفر
سنة ٥٦٤ وأقامت النار تعمل فيها أربعة وخمسين يوماً (ومدينة مصر المذكورة

هي مصر القديمة الآن التي على ساحل النيل (ثم نزلوا الصليبيون في بركة الحبش
وانبثت أخبارهم في الاطراف وتخطفوا من ظفروا به فانفذ شاور الى امورى
شمس الخلافة فلما دخل عليه سأل ان يخرج معه الى باب الخيمة ففعل فراه شمس
الخلافة جهة مصر وقال له ترى دخانا في السماء قال نعم قال هذا دخان مصر
فاني ما اتيت الا وقد احرقت بعشرين الف قارورة نبط و فرقت فيها عشرة
آلاف مشعل وما بقي فيها ما يؤمل بقاءه ونفعه نخل الآن عنك مدافعتي وكن
كما قلت لك انزل في مكان تقدمت الى غيره وما بقي لك الا ان تنزل القاهرة
فقال هو كما تقول ولا بد من نزول القاهرة وهي افرنج من وراء البحر قد
طمعوا في أخذها ثم رحل فنزل على القاهرة مما يلي باب البرقية نزولا قارب
به البلد حتى صارت سهام البرج تقع في خيمته فقاتلوا البلد أياما ولما تبين شاور
الضعف عدل الى طريق الخنازعة والمنخاتلة والمغاررة والمدافعة الى ان تصل
عساكر الشام فنقد شمس الخلافة الى امورى برسالة طويلة وفي ضمنها (ان
هذا بلد عظيم وفيه خلق كثير ولا يمكن تسليمه البتة ولا أخذه الا بعد ان
يقتل من الفريقين عالم عظيم وما تعلم أنت ولا انا لمن الدائرة والرأى ان تحقن
دماء اصحابك ودماء اصحابي وتحصل شيئا أدفنه لك فيحصل لك عفواً) فاستقرت
المصانعة على اربعمائة ألف دينار وقيل مليوناً يسجل له منها مائة ألف دينار
فاجاب امورى الى ذلك وانعدت الهدنة وحلف امورى ورحل الى بركة
الحبش وحمل شاور اليه مائة ألف دينار في عدة دفعات سوف فيها الاوقات
ثم أخذ يماطله بالباقي انتظارا لقدم العساكر ويوهم انه يجمع لهم
الاموال

﴿ دخول أسد الدين شيركوه مصر ثالث مره ﴾

لما وصل كتاب الخليفة العاضد الى نور الدين انزعج انزعاجاً عظيماً

وأخذ أسد الدين وكان ذلك غاية مناه وأرسل معه الفقيه عيس الهكاري الى
 مصر برسالة ظاهرة الى شاور يعلمه بقدوم المسافر ورسالة سرية الى الخليفة
 العاضد وأمره ان يستحلفه على أشياء عينا وان يكتم ذلك عن شاور فلما وصل
 أسد الدين شيركوه الى القاهرة نزل بارض اللوق وأخرج اليه شاور الاقامات
 الحسنة والخدم الكثيرة ثم أرسل شمس الخلافة الى الملك أموري يستطلق منه
 بعض المال فصار اليه واجتمع به وقال قد قل علينا المال فقال أموري
 اطلب منه شيئاً قال اشتهى ان تهب لي النصف قال قد فعلت فقال شمس
 الخلافة ما بلنتي ان ملكاً مثلك وهب مثل هذه الهبة فقال أموري انا أعلم انك
 رجلا عاقلاً وان شاور ملك وانكما ماسألتماني هذا المال الا لامر حدث فقال له
 صدقت هذا أسد الدين قد وصل نصرته لنا وما بقي لك مقام وشاور يقول لك
 ان ترحل ونحن باقون على الهدنة فانه أوفق لك ولنا ونحن نراضى هذا الرجل
 بشيء من هذا المال ونحمل الباقي اليك متى قدرنا وان راضيناه باكثر من
 هذا المال عدنا عليك بما يبقى علينا من المقدار فقال أموري انا راض بذلك
 وان بقي على شيء حملته اليكم وعول على الرحيل فقال له بعد ان تطلق طي بن
 شاور ومن بقي من اسري بليس معكم ولا تأخذ من بليس بعد انصرافك
 شيئاً فاجابه الى جميع ذلك ورحل الصايديون عن مصر ولما نزل أسد الدين
 بارض اللوق كما تقدم ارسل له العاضد هدية عظيمة وخلاء كثيرة واخرج الى
 خدمته اكابر اصحابه ثم انه خرج اليه في الليل سراً متنكراً واجتمع به في خيمته
 وافضى اليه بامور كثيرة منها قتل شاور ثم عاد الى قصره وكان شاور قد
 رأى ليلة نزل أسد الدين على القاهرة كانه دخل دار الوزارة فوجد على سرير
 ملكه رجلا وبين يديه دواة الوزارة وهو يوقع منها باقلامه فسأل عنه فقيل
 هنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما أقام أسد الدين بالديار المصرية
 ورحل عنها الا فرنج أمنت البلاد وتراجع الناس الى بيوتهم واخذوا في اصلاح

ما شتمه الصليبيون وأفسدوه وتقاطر الناس الى خدمة أسد الدين فتلناهم
بالرحب والسعة واحسن اليهم وكذلك شاور فانه أخذ في التودد الي الاسد
والتقرب اليه بجميع ما وجد السبيل اليه وأقام له ولعسكره الميرة الكثيرة
والنفقات الغزيرة حتى استحوذ على قلبه وقوى تبقيته في ملكه وصفا له قلبه

﴿ قتل شاور ووزارة أسد الدين شيركوه ﴾

لما أقامت عسكر الشام بمصر تحت رئاسة أسد الدين شيركوه ورأوا
طيب بلادها وكثرة خيرها وسعة أموالها تآقت أنفسهم الى الإقامة بها واختاروا
سكنائها ورغبوا فيها رغبة عظيمة وقوى طمع أسد الدين في الاستيلاء عليها
والاستبداد بملكها ثم علم انه لا يتم له ذلك وشاور باق فيها فاخذ في اعمال
الحياة عليه فجمع أصحابه وشاورهم في أمر شاور وقال لهم قد علمت رغبتي
في هذه البلاد ومحبتي لها وحرصى عليها لاسيا وقد تحققت ان عند الصليبيين
ما عندي وعلمت انهم كشفوا عورتها وعلموا مسالكها وتيقنت اني متى خرجت
منها عادوا اليها وملكوها وهي معظم دار الاسلام وحلوبة بيت ما لهم وقد قوى
عندي ان أتب عليها قبل وثوبهم وأملكها قبل ان يملكوها وأخلص من شاور
الذى يلعب بناوبهم ويضرب بناوبهم وقد ضيع صنيع أموال هذه البلاد
في غير وجهها وقوي بها الصليبيين علينا وما كل وقت ندرك الصليبيين ونسبهم
الى هذه البلاد التي قلت رجالها وهلكت أبطالها فقالوا جميعاً لا يتم أمر الابد
قتل شاور وتفرقوا على ايقاع القبض عليه. وكان شاور يركب في الابرة العظيمة
والعدة الحسنة على عادة الوزراء لانه كان الوزير اذا ركب سار في موكبه الطبل
والبوق وكان شاور قايل الركوب فاخذ الامراء يترصدونه الى ان ركب يوماً في
ابته وجلالته فلما عاينه الامراء هابوه وأحجموا عنه وكان يوماً عظيم الضباب
وكان خروج شاور من باب القنطرة للسلام على أسد الدين فتقدم صلاح الدين

فسلم عليه ودخل في وسط موكبه ثم سايره ثم مد يده الى تلايبه وصاح عليه
فرجله ولم يراي ذلك عسكر الشام قويت عزائمهم ووقعوا في عسكر شاور
فنهبوا ما كان مع رجاله وقتلوا منهم جماعة وحمل الملك الناصر شاوراً راجلاً
الى خيمة لطيفة وأراد قتله فلم يقدر من غير مشاورة اسد الدين وفي الحال ورد
على اسد الدين توقيع من العاضد على يد خادم يأمره فيه بقتل شاور فانفذ
التوقيع الى صلاح الدين فتمتله في الحال وأنفذ رأسه الى القصر فخلع الخليفة
العاضد على اسد الدين وقلده الوزارة بدل شاور وذلك في ١٧ ربيع أول
سنة ٥٦٤ فسار اسد الدين ودخل القصر وترتب وزيراً ولقب بالملك المنصور
أمير الجيوش وقصد دار الوزارة فنزلها وهي التي كان بها شاور وسلفاؤه
وكتب له منشوراً بالوزارة من القصر كتب العاضد في طرته بخطه (هذا عهد
لا عهد لوزير بمثله وتقلد امانه قرآك أمير المؤمنين أهلاً لحمله والحجة عليك عند
الله بما أوضحه لك من مرشد سببه فخذ كتاب أمير المؤمنين بقوة واسحب
ذيل الفخار بان اعترت خدمتك الى نبوة النبوة واتخذه للفور سيديلا ولا تنقض
الايمان بعد توكيدها وقد جمعت الله عليكم وكيلا) وجاء في المنشور ما يأتي
(من عبد الله ووليه أبي محمد العاضد لدين الله أمير المؤمنين الى السيد الاجل
الملك المنصور سلطان الجيوش ولي الائمة مجير الامة اسد الدين كافي قضاة
المسلمين وهادي دعاة المؤمنين أبي الحارس شيركوه العاضدي عضد الله به
الدين وامتع بطول بقاءه أمير المؤمنين وادام قدرته وأعلى كلمته سلام عليك
فانه يحمد اليك الله الذي لا اله الا هو ويسأله ان يصلي على محمد خاتم النبيين
وسيد المرسلين وعلي آله الطاهرين والائمة المهديين وسلم تسليماً الخ) فامر بقراءته
على رؤوس الاشهاد وفرح به غاية الفرح وأعيدت قراءته عليه عدة مرات
استحساناً لمعانيه. ثم ان الخليفة العاضد أرسل الى اسد الدين طبقاً من الفضة
فيه رأس الكامل بن شاور ورؤوس أولاد اخوته وكان الكامل لما سمع بقتل

أبيه قد التجأ إلى القصر فقتله الخليفة

﴿ حكم الملك المنصور أسد الدين شيركوه ووفاته ﴾

لما استقر أسد الدين بالوزارة ولم يبق له منازع ولى الأعمال من
يثق إليه واستبد بالولاية فاقطع البلاد للمساكر التي قدمت معه وصالح الدين
مباشراً للامور مقرر لها وزمام الامر والنهي مفوض إليه لكفايته ودرايته
وحسن تأنيه وسياسته وطلب أسد الدين من القصر كاتب انشاء للوزارة
فارسل إليه عبدالرحيم البيهقي ومدحه الشعراء ومنهم العماد بقصيدة طويلة
منها

بالجرد أدركت ما أدركت لا اللهب	كم راحة جنيت من دوحة التعب
ياشيركوه بن شاذي الملك دعوة من	نادى فعرف خير ابن بخير أب
جري الملوك وما حازوا بركضهم	من المدى في الملا ما حزت بالحبيب
تمل من ملك مصر رتبة قصرت	عنها الملوك فطالت سائر الرتب
فتحت مصرا وأرجو أن تصيرها	ميسرا فتح بيت القدس عن كشب
قد أمكنت أسد الدين الفريسة من	فتح البلاد فبادر نحوها وثب
أنت الذي هو فرد من بسالته	والدين من عزمه في جحافل لجب
وفي حكمه شدد على النصارى وأمرهم	بشدد الزنا نير على أواسطهم ومنعهم
من ارخاء الذؤابة التي تسمى بالزبه	فكتب المهذب ابن أبي الميخ زكريا
وكان مسيحياً إلى أسد الدين بقوله	

يا أسد الدين ومن عدله

كفي غياراً شد أوساطنا

يحفظ فينا سنة المصطفى

فما الذي أوجب كشف القفا

فلم يسعفه بطلبه ولا مكنه من ارخاء الذؤابة وعندما يس من ذلك أسلم
وكان شيركوه يمتبر نفسه نائباً لنور الدين في مصر وانه قائم بمنصب الوزارة

باسمه ولكن لم تطل مدته لانه كان مواظباً علي تناول اللحوم السمينة وكانت تتواتر عليه التخم والخوانيق فاعتراه خانوق عظيم ذهب بحياته في ٢٢ جمادى الثانية سنة ٥٦٤ ولم يمكث في منصبه الا شهرين وخمسة أيام ودفن في القاهرة ثم نقل الى مدينة الرسول صلي الله عليه وسلم وكان شجاعاً بارعاً قويا ذا صولة عفيفاً ديناً كثير الخير وكان يحب أهل الدين والعلم كثير الايثار حادبا على أهله وأقاربه وخلف مالا كثيراً وترك كثيراً من الخيل والدواب وخمسة مملوك وهم الاسديه وهو مشيد قواعد الدولة الشاذية والمملكة الناصرية وكان ابتداء أمره يخدم مع صاحب تكريت على اقطاع يبلغه تسعمائة دينار وتنقل في خدمة الملك العادل محمود نور الدين الى ان ملك الديار المصرية وعقده العزاء بالقاهرة ثلاثة أيام

✽ وزارة الملك الناصر صلاح الدين يوسف ✽

لما توفي أسد الدين كما تقدم أصبح كل من الامراء النورية الذين كانوا قد صحبوا أسد الدين يطلب التقدم على العساكر وولاية الوزارة منهم الامير عين الدولة الياروقى وقطب الدين خسرو بن تليل وهو ابن أخي أبو الهيثم جاء وسيف الدين على ابن أحمد الهكاري وشهاب الدين محمود الحارمي وهو خال صلاح الدين ومالت الاسدية الى صلاح الدين فانفذ الخليفة العاضد يسأل عمن يصلح للوزارة فارشد من جماعة من الامراء على شهاب الدين الحارمي فانفذ اليه وأحضره وخاطبه في تولى الوزارة فامتنع من ذلك وأشار بولاية صلاح الدين وكان الحارمي أولاً قد رغب في الوزارة وتحدث فيها انلما رأى مزاحمة عين الدولة بن ياروق وغيره عليها خاف ان يشتغل بطلبها فتفوتته وربما تفوت صلاح الدين فإشار عليه لانها اذا كانت لابن اخته كانت في بيته وكان صلاح الدين قد وقع من العاضد بموقع وأعجبه عقله وسداد رأيه وشجاعته واقدم على شاور في موآبه وقتله حين جاءه أمره مع صغر سنه

فسارع الى تقليده الوزارة وماخرج شهاب الدين من حضرة العاضد الا وخلعة
الوزارة قد أرسلت الى صلاح الدين



صلاح الدين يوسف اليربلي

وتلقب بالملك الناصر وكانت خلعة الوزارة عمامة بيضاء تينسي بطارز ذهب وثوب
دبقي بطرازي ذهب ووجهية تحتها سقلاطون بطرازي ذهب وطيدسان دبقي بطرازي
دقيق ذهب وعقد جوهر قيمته عشرة آلاف دينار وسيف محلي مجوهر قيمته خمسة
آلاف دينار وفرس حجر صفراء من مراكب العاضد قيمتها ثمانية آلاف دينار
لم يكن بالديار المصرية أسبق منها وطوق وتخت وسرفسار ذهب مجوهر وفي رقبة

الحجر مشدة بيضاء وفي رأسها مائتا حبة جوهر وفي أربع قوائم الفرس أربع عقود
جوهر وقصبة ذهب في رأسها طالمة مجوهرة وفي رأسها مشدة بيضاء باعلام ذهب
ومع الخلعة عدة بقج وعدة من الخيل وأشياء أخرى ومنشور الوزارة ملفوف في
ثوب أطلس أبيض وكان ذلك يوم الاثنين الخامس والعشرين من جمادى الآخرة
سنة ٥٦٤ وقرىء المنشور بين يدي الملك الناصر يوم جلوسه في دار الوزارة وحضر
جميع أرباب الدولتين المصرية والنورية وكان يوماً عظيماً وخاض الملك الناصر على
جميع الأمراء والكبراء وجوه البلد وأرباب دولة العاضد وعم الناس جميعهم
بالهبات مع انه قيل هذا المنصب كرهاً وكان جاء إلى مصر صحبة عمه أسد الدين كرهاً
أيضاً (ان الله يوجب من قوم يقادون إلى الجنة بسلاسل) وأما الأمراء فانهم لم يلتفتوا
إليه ولا خدموه وكان الفقيه ضياء لدين عيسى الهيكاري معه فسعي عند سيف
الدين علي ابن أحمد حتى أماله إليه قائلاً له ان هذا الامر لا يصل اليك مع وجود عين
الدولة والحارمي وابن تاييل فدل إلى صلاح الدين ثم قصد أيضاً إلى قطب الدين
وقال له ان صلاح الدين قد أطاعه باقي الأمراء ولم يبق سواك فالاحسن ان تطيعه
وهكذا حتى أماله وسار إلى عين الدلة الياروقى وفضل معه كما فعل مع سلفائه فلم
يقبل منه ذلك وسار بعسكره إلى نور الدين بالشام
وأما صلاح الدين فانه كان بصفته نائب عن الملك العادل محمود نور الدين
وقائم مقامه بالديار المصرية وكانت الخطبة في جميع البلاد باسم الملك العادل بمدد كرم
الخليفة العاضد وكان الملك العادل نور الدين يكتب الملك الناصر صلاح الدين
بالامير الاسفهسلار وصار يحكم في الرعية بالعدل المملوء حليماً حتى أحبته الرعية
واستمال قلوبهم وبذل لهم المال فقويت نفسه على ذلك ورضف أمر الخليفة العاضد
وطلب صلاح الدين من نور الدين ارسال اخوته فلم يجبه إلى ذلك وقال أخاف
أن يخالف احد منهم أو امرك فتفسد البلاد. وبعد مدة سير نور الدين إلى مصر
اخوة صلاح الدين منهم شمس الدولة تورانشاه بن أيوب وهو أكبر من صلاح

الدين وقال له ان كنت تسير الى مصر وتتنظر الى أخيك يوسف الذي كان يخدمك
فلا تسر فانك تفسد البلاد فأعقبك وان كنت تنظر اليه انه صاحب مصر وقائم
فيها مقامي وتخدمه بنفسك كما تخدمني فسر اليه واشدد ازره وساءده على ما هو
بصدده فقال أفعل معه من الخدمة والطاعة ما يصل اليك فكان كما قال . وكان نور
الدين قد أرغده تصيب صلاح الدين على الديار المصرية حتى قال ما أخطأت الا
في نفاذي اسد الدين الى مصر بعد علمي برغبته فيها وكان يباغ انك الناصر
صلاح الدين من اقوال نور الدين وبعض اصحابه اشياء تؤلمه غير انه يلقاها
بصدر رحب وخلق عذب . و امر صلاح الدين بابطال المكوس والمظالم ما يقدر
من ذلك بديوان صناعة مصر مائة الف دينار وما يستخرج بالاعمال البحرية
والقبليّة بمائة الف دينار فسامح بجميع ذلك و اصدر بهم منشوراً يقرأ على المنابر
وسامح أيضاً في كثير غير ذلك وامتدحه الشعراء وقال احدهم شعر

فالشام يعبط مصر امدحلت بها كما الفرات تليكم بحسد النيل
نلت من الملك عفواً ما الملوك به عنوا قديماً وراموه فما نيل

وقال بعضهم

لك الحسب الباقي على عقب الدهر بل الشرف الراقى الى قمة النسر
كذا فليكن سمي الملوك اذا سمعت بها الهمم العليا الى شرف الذكر
نهضتم باعباء الوزارة نهضة أقلمتم بها الاقدام من زلة العثر
كشتم عن الاقليم غمته كما كسفتهم بانوار الفنى ظلمة البقر
حميتهم من الافرنج سرب خلافة جريتم لها مجرى الامان من الذعر
ولما استغاث ابن النبي بنصركم ودائرة الانصار اضيق من شبر
جلبتم اليه النصر اوسا وخزرجاً وما اشتقت الانصار الامن النصر
كتائب في جيرون منها اواخر وأولها بالنيل من شاطيء مصر
طلتم فاطمتم كواكب نصره أضاءت وكان الدين ليلاً بلا فجر

وأبت اليكم يا ابن أيوب دولة ترأسلكم في كل يوم مع السفر
 حمي الله فيكم عزيمة أسدية فكذلكتم بها الاسلام من ربة الاسر

* (قتل جوهر مؤتمن الخلافة وواقعة العبيد) *

لما استقام صلاح الدين بالوزارة وعظم نفوذه وكثرت نصراؤه داخل
 الحسد مؤتمن الخلافة جوهر الخصى وحدثته نفسه بخلع صلاح الدين وواقعه
 كثير من الامراء المصريين والجنود واتفق رأيهم ان يبعثوا الى الصليبيين ببلاد
 الساحل يستدعونهم الى القاهرة حتى اذا خرج صلاح الدين لقتالهم بمسكرو تاروا
 وهم في القاهرة واجتمعوا مع الصليبيين على اخراجه من مصر . فسيروا رجلا
 الى الصليبيين وجعلوا كتبهم معه في نعل فسار الرجل الى ان وصل الى
 الير البيضاء قريبا من بليس فاذا ببعض اصحاب صلاح الدين قابل الرجل
 هناك فانكر أمره لانه حمل نعله في بده وليس فيها أثر مشى والرجل رث الهيئة
 فارتاب فيه وأخذ النعلين وشقهما فوجد الكتب بداخلهما فحمل الرجل
 والكتب الى صلاح الدين فتتبع خطوط الكتب حتى عرفت فاذا الذي كتبها
 من اليهود الكتاب فلما احضروه ليسألوه ويعاقبوه على خطه نطق بالشهادة
 قبل كلامه ودخل في عصمة اسلامه ثم اعترف بما جناه وان الذي أمره هو
 مؤتمن الخلافة جوهر فبلغ ذلك الى جوهر فخاف على نفسه ولزم القصر وامتنع من
 الخروج فاغرض صلاح الدين عن ذلك جملة وطال الامد فظن الخصى انه قد
 أهمل أمره وشرع يخرج من القصر وكانت له منظره بناها بناحية الخرقانية
 بقرب قلوب في بستان فخرج اليها في جماعة وبلغ ذلك صلاح الدين فانهض اليه
 عدة هجموا عليه وقتلوه في يوم الاربعاء ٢٥ ذى القعدة سنة ٥٦٤ واحتزوا
 رأسه وأتوا به الى صلاح الدين فاشتهر ذلك في القاهرة وأشيع فنضب المسكر
 المصري وساروا باجمعهم وقد انضم اليهم عالم عظيم من الامراء والعامة حتى

أصبح عددهم نيفاً و ٥٠ الفاً وساروا الى دار الوزارة وفيها صلاح الدين وقد
استعدوا بالاسلحة فبادر شمس الدولة نحر الدين توارنشا أخو صلاح الدين
ونادى بالمساكر الغز (الشاميه) ورتبهم ووقفت الطائفة الريحانية والطائفة
الجيوشية والطائفة القرنجية وغيرهم من الطوائف السودانية ومن انضم اليهم
في محلة بين القصرين فتارت الحرب بينهم وبين صلاح الدين واشتد الامر
وعظم الخطب حتى لم يبق الا هزيمة صلاح الدين وأصحابه وعند ذلك أمر توارنشا
بالحملة على السودانيين فقتل منهم أحد مقدميهم فانسكرت شوكتهم قليلا وعظمت
حملة الغز عليهم فانكسروا الى باب الذهب ثم الى باب الدهومة وقتل حينئذ
عدة من أمراء المصريين وكثير من سواهم . وكان العاصد في هذه الواقعة
يشرف من المنظرة فلما رأى أهل القصر كسرة السودانيين وعساكر مصر رموا
الغز من اعلى القصر بالنشاب والحجارة حتى انكروا فيهم وكفوهم عن القتال وكاد
هؤلاء ينهزمون فامر حينئذ صلاح الدين باحراق المنظرة فاحضر شمس الدولة
النفاطين وأخذوا في اعداد قارورة النفط وصوبوها الى المنظرة حيث يقم العاصد
نحاف على نفسه وفتح زعيم الخلافة باب المنظرة وقال بصوت عال (أمير المؤمنين
يسلم على شمس الدولة ويقول دونكم والبيد الكلاب أخر جوهم من بلادكم)
فلما سمع السودانيون ذلك ضعف قلوبهم وتخاذلوا فحمل عليهم الغز فانكسروا
وركب القوم أقفيتهم الى ان وصلوا الى سوق السيوفيين فقتل منهم كثير وأسر
منهم كثير وامتنعوا هناك على الغز فكان فاحرق بهم وكان في دار الارمن قريبا
من بين القصرين كثير من هذه الطائفة وكلهم رماة ولهم جارية في الدولة تجري
عليهم فوجد ما قرب منهم الغز رموهم عن يد واحدة حتى امتنعوا عن ان يسيروا
الى البيد فاحرق شمس الدولة دارهم حتى هلكوا حرقا وقتلوا ومروا الى البيد
فصاروا كلما دخلوا مكانا أخرج عليهم وقتلوا فيه الى ان وصلوا الى باب زويلة
وكان مغلوقا فحصرها هناك واستمر فيهم القتل مدة يومين وكان صلاح الدين

قد أحرق المنصوره وهي حارة لهم بجهة باب زويله وأعظم حاراتهم وأخذت عليهم
أقواه السكك فائقنوا اهرم قد أخذوا لامحالة وطلبوا الامان فامنوا وذلك يوم
السبت ٢٨ ذى القعدة وفتح لهم باب زويله فخرجوا الى الجيزة فعدي عليهم
شمس الدولة في العسكر وقد قووا باموال المهزومين وأسلحتهم وحكموا فيهم
السيف حتى لم يبق منهم الا الشريد وتلاشي بعده هذه الواقعة أمر العاضد ودعت
بواقعة العبيد . ومن غرائب الاتفاق ان الذي فتح مصر للدولة الفاطمية وبني
القاهرة يدعى جوهرأ والذي كان سبباً في زوال هذه الدولة وخراب القاهرة
يدعى أيضاً جوهر الملقب بمؤمن الخلافة . فلما انتهت هذه الواقعة واستئصلت
جرثومة الفساد عاد صلاح الدين الى السكون فولى أخاه تورانشاه قوص واصوان
وعيناب مكافأة لما أظهره من البسالة في هذه الواقعة وجعل البلاد المذكورة
له اقطاعا فكان دخلها في تلك السنة (٢٦٦٠٠٠) دينار

* محاصرة الصليبيين ثغر دمياط *

لما عام الملك أموري ملك القدس خبر تمامك اسد الدين شيركوه مصر خاف
على بلاده لانه صار بين عدوين نور الدين من الشام وأسد الدين من مصر فجمع
مجلس شورا وقر رأيهم على ارسال فريدريك بطريك صور ومعه يوحنا
اسقف عكا للانجاء بملوك فرانسوا وانكلترا وسيسيليا وغيرهم من ملوك أوروبا
فلم تجح مساهم ثم أرسل الى عم زوجته ملك الروم بالقسطنطينية فارسل اليه
عمار بحرية مؤلفة من مائة وخمسين مركباً ملأه بالزخائر والمؤن والعدة والرجال
فاتحدت بقاى الصليبيين الموجودين بالشام وساروا براً وبحراً الى مصر حتى اذا
بلغوا الفرما ساروا الى دمياط فمسكروا بينها وبين البحر في أول صفر سنة ٥٦٥
وكانت هذه الحملة بقيادة الملك أموري أيضاً فظن انه يقدر على أخذ دمياط
بالهجوم ويملكونها ليجعلونها ظهراً لهم بما يكون به ديار مصر الا انه رأى منها

مقاومة ودفاعاً اضطره لاقامة الحصار فاقامه . فارسل اليها صلاح الدين العساكر
في النيل وحشر فيها كل من عنده وامدهم بالمال والسلاح والذخائر وارسل الى
نور الدين يشكوا ما هو فيه من المخاوف ويقول انه اذا تخلف عن دمياط ملكها
الصلبيون وان سار اليها واخلى القاهرة خاف من غدر المصريين به وطلب منه
المدد فجهز نور الدين اليه العساكر ارسالاً كلما تجهزت طائفة ارسلها ثم سار نور
الدين الى بلاد الصليبيين بالشام فنهاها واغار عليها واستباحها ووصلت غاراته
الى ما لم تبلغه لخلو البلاد من مانع وكذلك الخليفة العاضد فانه امد صلاح الدين
بمليون دينار مصري سوى اثياب وغيرها وارسل صلاح الدين ابن اخيه تقي
الدين وخاله شهاب الدين الحارمي الى دمياط وطال امد الحصار حتى نفذت
مؤونة الصليبيين فارادوا العبور في النيل ليأتوا بالزاد فاقفهم حاجز اقامه
المسلمون في عرض النهر وهو عبارة عن سلسلة قوية من الحديد طرفها الواحد
ممكن بمتاريس دمياط. والطرف الآخر ببرج هائل منيع الجانب وكانت ترد
الامداد الى حامية دمياط من القاهرة بكل سهولة . أما الصليبيون فكان
انتظارهم للمدد من سوريا عبثاً فانتشر الجوع في معسكرهم فحدث الشقاق
بين الفرنسيين وبين وهـم الذين كانوا في سوريا واليونانيين الذين اتوا بالمدد من
القسطنطينية واشتد حتى افضى الى الانفصال التام بعد ان بلغ منهم الجوع
مبلغاً عظيماً فكانوا يتخاضمون على كسرة خبز ويمضغون اقنان النخيل ومما
زاد تعاستهم تكرار الامطار والذوابع على معسكرهم بدون انقطاع حتى اصبحوا
كأنهم في طوفان عظيم وحصل من هياج الاعصار نوء في النيل اسرع جريه
فتزاحمت مراكب الصليبيين وتلاطمت فلم يعد استخدامها ممكناً لوقوعها بين
قوتين متضادتين الريح ومجري النيل فتكسر معظمها . وكان نور الدين قد
ارسل حملة بقيادة الامير قطب الدين خسرو الهمداني فنزل دمياط في ١٥
ربيع أول سنة ٥٦٥ واحرقت العساكر الاسلامية باقى مراكب الصليبيين

ومن جنائقاتهم وآلات حربهم وقتلوا منهم كثيراً . فلما حل بالصلبيين ذلك
لم يبروا بدأ من العود على اعقابهم إلى سوريا صفر الأيدي بعدان تعاهدوا مع
المسلمين ان لا يعارضهم معارض في سيرهم فرجعوا خائبين في ٢١ ربيع أول
وصدق فيهم المثل (ذهب النعمة تطلب قرنين فمادت بلاذنين) وكان صلاح
الدين قد أعد في القاهرة جيوشاً ليسير بها مدداً إلى دمياط لكنها لم تبلغها
حتى فارقت الجيوش الصليبية مراكزها فشق عليه ذلك ووجع الأمراء
الذين سمحوا لهم بالانسحاب ثم عاد إلى القاهرة وامتدحه عمارة اليمنى
بقصيدة منها

من شاكر والله أعظم شاكر	ما كان من نعمي بني أبوب
طلب الهدى نصر أفعال وقد أتوا	حسبي فأنتم غاية المطلوب
جلبوا إلى دمياط عند حصارها	عز القوي وذلة المغلوب
وجلوا عن الإسلام فيها كربة	لو لم يجلبوها أتت بكروب
فالناس من أعمال مصر كلها	عتقاء لهم من نازح وقريب
ان لم تظن الناس قشراً فارغا	وهم اللباب فانت غير لبيب

* (مسير نجم الدين أيوب وباقي عائلته إلى مصر) *

ثم أرسل صلاح الدين إلى نور الدين يطلب قدوم والده وباقي عائلته وكان
الخليفة المستنجد بالله العباسي ببغداد قد أرسل إلى نور الدين يعاتبه من تأخير
إقامة الدعوة له بمصر فاغتنم هذه الفرصة وأحضر الأمير نجم الدين أيوب
وألزمه الخروج إلى ولده بمصر وسامه رسالة منها (وهذا أمر تجب المبادرة إليه
لنحظي بهذه الفضيلة الجليلة والمنقبة النبيلة قبل هجوم الموت وحضور الفوت
لاسيما وإمام الوقت متطلع إلى ذلك بكليته وهو عنده من أهم أمنيته) ثم ان
الأمير نجم الدين جهز حاله للمسير إلى مصر وسار معه نور الدين مشيعاً إلى

رأس الماء وعادنور الدين بعد توديعه وسار نجم الدين الى ان وصل بالسلامة
الى مصر في ٢٧ رجب سنة ٥٦٥ فخرج الخليفة الماضي من قصره لاستقباله
وكذلك جميع الامراء والاعيان وباقي ارباب الدولة المصرية الى ظاهر
باب الفتوح عند شجرة الاهلياج ولم يجرب بذلك عادة لهم وكان من
أعجب يوم شهده الناس وخلع الخليفة الماضي عليه ولقبه الملك الافضل
وحمل اليه من القصر الالطاف والتحف والهدايا وأظهر صلاح الدين من
بره وتعظيم أمره ما أحرز به الشكر والاجر وأفرد له داراً بجانب داره وأقطعته
الاسكندرية ودمياط والبحيرة ومدح صلاح الدين عمارة اليمن بقصيدة منها

صحت به مصر وكانت قبله	تشكو سقاماً لم يمن بطيب
عجبا لمجزاة أتت في عصره	والدهر ولاد لكل عجيب
رد الاله به قضية يوسف	نسقا على ضرب من التقريب
جاءته اخوته ووالده الى	مصر على التدريج والترتيب
فاسعد بأكرم قادم وبدولة	قد ساعدتك رياحها بهبوب

يومن قصيدة للحكيم عبد المنعم

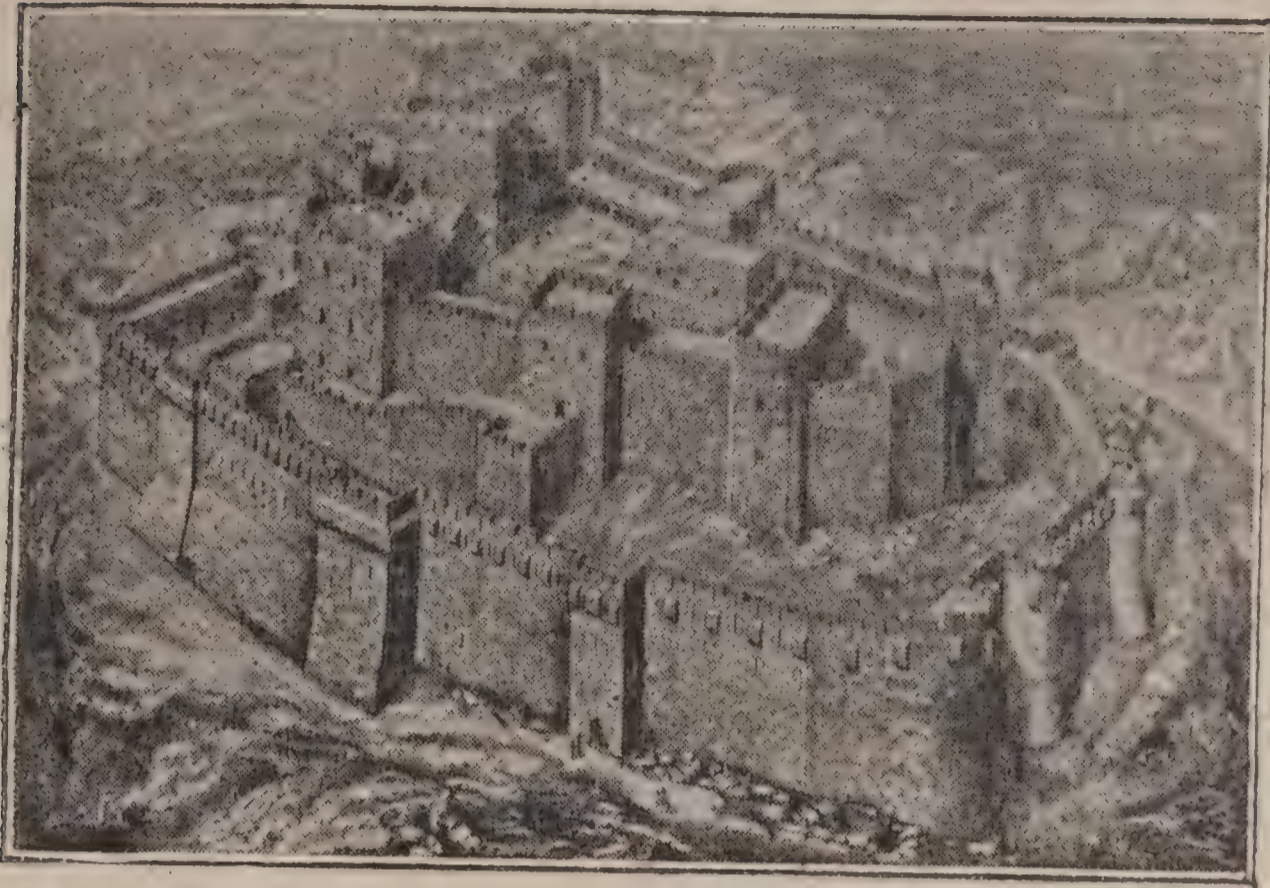
في مشرق المجد نجم الدين مطالعه وكل ابناؤه شهب فلا أفلوا
جاءوا كيعقوب والاسباط اذوردوا

على المزز من أرض الشام واشتملوا
لكن يوسف هذا جاء اخوته ولم يكن بينهم نزع ولازال
وملكوا أرض مصر في شماخته ومثلها الرجال مثلهم نزل

* (محاربة نور الدين حصن الكرك والزلزله الكبرى) *

بعد ما ودع نور الدين الامير نجم الدين سار بمسكركه الى بلاد الكرك في

مستهل شعبان سنة ٥٦٥ و نزل أياماً بالبقاء على عمان وأقام على الكرك أربعة
أيام فحاصرها



(صورة قلعة الكرك)

و نصب عليها من جنائقيين فورد اليه الخبر بان الصليبيين قد تجمعوا و وصلوا
الى ماء عين فرحل اليهم نور الدين فلما سمعوا بارتداده عليهم ولوا مدبرين
وعاد نور الدين الى حوران فخيم بهشترا وأقام ينتظر حركتهم ليلقاهم فلم
يبرحوا من مكانهم خوفاً منه وقصد نور الدين بلادهم حتى توسطها فهب
ماكان على طريقه وفي هذه السنة أيضاً في ١٢ شوال حصلت زلزلة عظيمة لم ير
الناس مثاها عمت أكثر البلاد من الشام ومصر والجزيرة والموصل والعراق الا ان
أشدها وأعظمها كان بالشام فخربت ببلدك وحمص وحماه وشيزرو وبعين وغيرها
وتهدمت أسوارها وقلاعها وسقطت الدور على أهلها وهلك من الناس كثير فصار
نور الدين الى بعلبك لتعمير سورها فرتب من يحميها ويعمرها و سار الى حمص ففعل
مثل ذلك وسار منها الى غيرها ماراً بجميع البلاد الخوفه من هجوم الصليبيين
الى ان وصل الى حلب فوجد كثيراً منها متهدماً فأقام بنفسه على عمارتها وأما

بلاد الصليبيين فان الزلزلة أضرت بها أكثر من سواها وهدمت أسوار
مدنها فاجتهدوا في تعميرها خوفاً من نور الدين وهكذا فان كلا من الفريقين
انشغل عن الآخر وكانت هذه الزلزلة قد حصلت في يوم عيدهم وهم في الكنائس
فوقعت عروشها عليهم

* محاربة صلاح الدين بلاد الصليبيين *

في السنة التالية لازل سار صلاح الدين في جيش عظيم الى سوريا لمحاربة
الدين ضافوه في السنة الماضية فدخل فلسطين سنة ٥٦٦ فعلم الملك أموري وهو في
عسقلان ان صلاح الدين قد حاصر قلعة دارون وهو دير قديم للنصارى
وموقعه على قمة جبل وعمر على أربعة أميال من غزه اتخذ الصليبيون حصناً
فاسرع لمهاجمة صلاح الدين في ذلك المكان وكان قد علم صلاح الدين بقدومه
فسار لملاقاته فلاقاه في منتصف الطريق وحاربه وغلبه ونزل على غزه فاستولى
عليها واستبشر المسلمون بهذه الانتصارات ولكنهم اكتفوا بها أخذاً بالثام
فتركوا في غزه حامية كافية وعادوا الى مصر ثم بلغ صلاح الدين بان الصليبيين
قد احتلوا آيله وتحصنوا فيها وهي قلعة على البحر الاحمر فسار اليها ومعه عصابة
من رجاله الاقوياء وحمل معه مراكب مفككة نقلها على الجمال ولما وصل الى البحر
عند آيله ركب تلك المراكب وانزلها الى البحر وهاجم آيله في ربيع أول سنة
٥٦٦ برأوبجرا وظل ثلثها حتى فتحها رجاله وقتلوا من كان فيها من الصليبيين
وجعل فيها صلاح الدين جماعة من ثقاته وقواعم بما يحتاجون اليه من سلاح
وغيره وعاد الى مصر

* وفاة الخليفة المستنجد بالله وخلافة المستضيء باصر الله *

في يوم السبت تاسع ربيع آخر سنة ٥٦٦ توفي الامام المستنجد بالله أبي
المظفر يوسف بن المقتدي بالله وكانت خلافته احدى عشر سنة و٦ أيام وهو الثاني

والمثلاثون من خلفاء بني العباس وهذا العدد له بحساب الجمل اللام والباء وفيه
يقول بعض الادباء

أصبحت اب بنى العباس كلهم ان عددوا بحساب الجمل الخلفاء
وكان من أحسن الخلفاء سيرة مع الرعية عادلا فيهم كثير الرفق بهم ثم يوسع
بالخلافة ابنه المستضى، بامر الله أبو محمد الحسن

* (وفاة الخليفة العاضد لدين الله بمصر والخطبة فيها لبني العباس) *

كان نور الدين قد أرسل الى صلاح الدين يطلب منه الخطبة للعباسين بمصر كما
تقدم فاعتذر اليه صلاح الدين بالخوف من وثوب أهل مصر وامتناعهم عن
الاجابة الى ذلك لميلهم الى العلويين فلم يصغ نور الدين الى قوله وأرسل اليه
يلزمه بذلك الزاماً لافسحة فيه واتفق ان الخليفة العاضد مرض وكان صلاح
الدين قد عزم على قطع الخطبة له فاستشار الامراء كيف يكون الابتداء بالخطبة
العباسية فمنهم من اقدم على المساعدة وأشار بها ومنهم من خاف ذلك الا انه لم
يمكنه الامتناع امر نور الدين وكان قد دخل مصر انسان أعجمي اسمه أمير
عالم فلما رأى ما هم فيه من الاحجام قال أنا ابتدى بها . فلما كان أول جمعة
من المحرم سنة ٥٦٧ صعد المنبر في أكبر جامع وخطب بالناس ودعا للخليفة
المستضى، بامر الله فلم يذكر ذلك أحد عليه وكان موجوداً بالمسجد الامير نجم
الدين وجماعة من الامراء خوفاً من حصول حادث لكي يعتذر صلاح الدين
عن نفسه وفي الجمعة الثانية أمر صلاح الدين جميع خطباء القاهرة ومصر بقطع
خطبة العاضد وان يخطب للمستضى، العباسي ففعلوا ولم يمارضهم أحد وكتب
بذلك الى سائر الديار المصرية وكان العاضد قد اشتد مرضه فلم يعلمه أهله
نواصبه بذلك وقالوا ان سلم فهو يعلم وان توفي فلا ينبغي ان ننص عليه هذه
الايام الباقية من عمره فتوفي يوم عاشوراء ولم يعلم بشيء من ذلك وبعد وفاته

جلس صلاح الدين للمزاء واستولى على قصره على جميع ما فيه وكان قد رتب فيه
 قبل وفاة العاضد بهاء الدين قراقوش وهو خصيه لحفظه وجعله كاستاذ دار العاضد
 بعد قتل جوهر مؤتمن الخلافة وكان لا يدخل القصر شيء أو يخرج منه الا
 بأمر صلاح الدين فحفظ ما فيه حتى تسلمه صلاح الدين ونقل أهل العاضد الى
 مكان منفرد و لكل لحفظهم و جعل أولاده وعمومته وأبناءهم في القصر الكبير
 الكائن بحارة بير جوان وكان عيشهم فيها طيباً ثم نقلوا بعد الدولة الايوبية منها وجعل
 عندهم من محفظهم وأبعد عنهم النساء وأخرج من كان بالقصر من العبيد والجواري
 فاعتق البعض ووهب البعض وباع البعض وأخلى القصر من أهله وسكانه ودخلت
 مصر في حماية الخلافة العباسية الدينية في بغداد بعد خروجها منها مدة مائتين
 وثمان وستين سنة ولما اشتد مرض العاضد أرسل الى صلاح الدين يستدعيه
 فظنها مكيدة فلم يرض اليه فلما توفي علم صدقه وندم صلاح الدين على استعجاله
 بقطع خطبته وهو مريض وقال لو علمت انه يموت من هذا المرض ما قطعتها الى
 ان يموت . وفتح الخزائن التي بالقصر وأخذ كل ما صالح له ولاهله ولامرائه
 ولخواص مماليكه من الذخائر وزواهر الجواهر ونفائس الملابس ومحاسن
 العرائس وقلائد الفرائد والدررة اليتيمة والياقوتة العالية القيمة والمصوغات التبريه
 والمصنوعات العنبريه والاواني النفضية والصواني الصينيه والمنسوجات المغربية
 والكرائم والبنائم والعقود والنمائم والنقود والمنظوم والمنضود والدر والياقوت
 والبسط والفرش وما لا يعد احصاءه ولا يحمد استقصاءه واسرف في العطاء وأطلق
 البيع في كل حديث وعتيق وليس وسحق ورخيص وغال واستمر البيع فيه عشر
 سنين ومن أعجب ما وجد فيه قضيب زمرد طوله شبر ونيف قطعة واحدة
 وكان حجمه مقدار الابهام ووجد فيه طبل للقوانج فانه دفع الى بعض الاكراد
 فلم يدر ما هو فكسره لانه ضرب عليه فحبق ووجد ابريقاً عظيماً من الحجر
 المانع . وان القضيب الزمرد فان صلاح الدين أحضر صانع ليقطعه فابى الصانع

قطعه فرماه بنفسه فانقطع ثلاث قطع ففرقه على نسائه وأما الابريق فانفذه الى
 الخليفة ببغداد ومن جملة ما باعه خزانة المكتب وكانت من عجائب الدنيا لانه لم يكن
 في جميع بلاد الاسلام دار كتب أعظم من الدار التي بالقاهرة داخل القصر ويقال
 انها كانت تحتوى على مليونى كتاب واقتسم الناس بعد ذلك القصر وامتدحه الناس
 وقال المرقله

أصبح الملك بعد آل على مشرقاً بالملوك من آل شاذى
 وغدا الشرق يحسد الغرب للقوق م ومصر تزهو على بغداد
 ماحووها الا بحزم وعزم وصليل الفولاذ في الفولاذ
 لا كفرعون والمزير ومن كان ن بها كالحصيب والاسناذ
 ثم أرسل صلاح الدين البشار الى نور الدين بالخطبة للعباسيين بمصر وعمل
 نور الدين قصيدة لتتلى أمام الخليفة ببغداد وأرسل شهاب الدين أبو المعالي المطهر بهذه
 الإشارة فيها

قد خطبنا للمستضى بمصر نائب المصطفى امام مصر
 وخذ لنا لنصرة المضد العا ضد والقاصر الذى بالقصر
 وأشعنا بها شعار بنى العبا س فاستبشرت وجوه النصر
 وتركنا الدعى يدعوا نبوراً وهو بالذل تحت حجر وحصر
 وتباهت منابر الدين للخطبة للهاشمى فى أرض مصر
 واستنارت عزائم الملك العا دل نور الدين الكريم الاغر
 فلما وصل شهاب الدين الى بغداد خرجوا بموكب لمقابلته وكذلك خرج
 أهل بغداد وكان يوماً مشهوداً وأنعم الخليفة على الملك العادل محمود نور الدين
 بتشريف عظيم القدر ومعه سيفان اشارة الى تملكه مصر والشام وعلى صلاح
 الدين بتشريف آخر ولما وصل التشريفان الى الملك العادل أخذ تشريفه
 وأرسل الى صلاح الدين تشريفه بمصر مع جملة خلع عظيمة من عنده ليفرقها

على أرباب الدولة المصرية وكذلك جملة أعلام ورايات سود للخطباء بمصر
وانتهت مدة الدولة الفاطمية أو العلوية التي حكمت البلاد من سنة ٢٩٩ الى
سنة ٥٦٧ وكانوا أربعة عشر خليفة ثلاثة منهم بافريقيه بالمغرب وهم الملقبون
بالمهدي والقائم والمنصور وأحد عشر بمصر وهم الملقبون بالمعز والعزير
والحاكم والظاهر والمستنصر والمستعلي والآمر والحافظ والظافر والفائز
والعاضد وكان يدعون الشرف والنسبة الى الامام على والحقيقة انهم ينسبون الى
مجوسى أو يهودى كما ذكر ذلك بكتب العلماء الاعلام وكانوا يسبون الصحابة
ويقتلوا من يحبهم

* محاربة نور الدين الصليبيين بناحية حصن عرقه وغيره *

فى سنة ٥٦٧ أيضاً خرجت مراكب تجارية من مصر قاصدة الشام فاخذ
افرنج اللاذقية مركبين منها مملوأتين بالامنة والتجار وغدروا بالمسلمين وكان
نور الدين قد هادنهم فنكثوا فلما سمع بعملهم استعظمه وراسل الصليبيين فى
ذلك وأمرهم باعادة ما أخذوه فمالطوه واحتجوا بامور منها ان المركبين كانا
قد دخلهما ماء البحر لكسر فيهما وكانت العادة بينهم اخذ كل مركب يدخله
الماء ولكنهم كانوا كاذبين فلم يقبل مغالطتهم وهو لا يهمل أمراً من أمور رعيته
فلما لم يردوا شيئاً جمع المساكر من الشام والموصل وبت السرايا فى بلادهم
بعضهم نحو انطاكية وبعضهم نحو طرابلس وحصر هو حصن عرقه وأخرب
ربضه وأرسل طائفة من المساكر الى حصن صافيتا وعريمه فأخذها عنوة
وكذلك غيرها ونهب وخرب وغنم المسلمون كثيراً وعادوا اليه وهو فى عرقه
فسار فى المساكر جميعها الى قريب من طرابلس يخرب ويحرق وينهب وأما الذين
ساروا الى انطاكية فانهم فعلوا فى ولايتهم مثل ما فعل من النهب والتحريق والتخريب
بولاية طرابلس فراسله الصليبيون وطلبوا منه الهدنة واعادة ما أخذوه من المركبين

فاجابهم الى ذلك وضح فيهم المثل (اليهودى لا يعطي الجزية حتى يلطم) وكذلك
الصلبيون فانهم لم يعيدوا أموال التجار باقى هي أحسن حتى نهبت بلادهم
وخربت

﴿ بريد الحمام ﴾

لما اتت بلاد نور الدين وطالت مملكته حتى أصبحت من حدود النوبة
الى همدان لا يتخللها سوى بلاد الصليبيين الذين ربما نزلوا بعض الثغور فلا
يبلغه الخبر ليسير اليهم الأبعد ان يبلغوا اغرض فلذلك أمر في سنة ٥٦٧ بأخذ
الحمام الهوادي وهي المناسيب التي تطير من البلاد البعيدة الى أوكارها فتخذت
في سائر بلادها وترتب لها جريات ورجال لتربيتها فوجد بها راحة كبيرة وكانت
الأخبار تأتيه في حينها لأنه كان له في كل ثغر رجال مرتبون ومعهم من حمام
المدينة التي تجاورهم فاذا رأوا أو سمعوا أمراً كتبوه بورقة علنوها بالطائر
وأطلقوه الى المدينة التي هو منها فيصلها في ساعته فتقل الرقعة منه الى طائر
المدينة الثانية وهكذا الى المدينة المقيم فيها الملك العادل فأنحفظت الثغور بذلك
حتى ان طائفة من الصليبيين نزلوا ثغراً له فاتاه الخبر في أول يوم فكتب
نور الدين الى العساكر المجاورة الى ذلك الثغر بالاجتماع والمسير بسرعة
وكبس العدو وأرسله على طائر الحمام ففعلوا ذلك فظفروا فساكن أحسن نظره
للعايا والبلاد

﴿ النفور بين صلاح الدين ونور الدين ﴾

كان صلاح الدين مع تظاهره في تأييد سلطة الخلفاء العباسيين لا يفتتر
ساعياً الى اتمام مقاصده التي كانت لا تزال تحت طي الخفاء وهي استقلاله
بمصر فاخذ في تربية الاحزاب واعداد القوات الى ما يمكنه من الاستقلال
بمصر ومقاومة نور الدين اذا عارضه بذلك فاحس بذلك نور الدين فبعث اليه

يستقدمه ومعه فرقة من رجاله مظهراً استنجاهه في حربه مع الصليبيين عند
 الكرك وإنما كان قصده الحقيقي ان يخرج من مصر ويبقيه عنده تحت ملاحظته
 فأمن من غائلته . فادرك صلاح الدين مقصده هذا ولكنه لم يستصوب مخالفة
 أوامره لئلا تتأفر القلوب فتعرقل مساعيه فكتب اليه انه اذعانا لامره قد برح
 القاهرة بفرقة من الجند في ٢٠ محرم سنة ٥٦٨ للملاقاة جيوش نور الدين في
 الكرك . فلما وصل نور الدين اليها لم يجد فيها أحداً فانتظر فلم يقدموا ثم ورد
 اليه كتاب نان من صلاح الدين يخبره انه برح القاهرة بجنده الى الكرك فعرض
 له في الطريق ما ألجاه الى العود حالاً الى مصر وكان رجوعه في منتصف ربيع
 أول فعلم نور الدين انها مما طلة مقصودة فاقر على المسير بنفسه الى مصر
 والاشتغال بصلاح الدين عن الصليبيين ولكنه قبل ذهابه بعث الى صلاح الدين
 ينهده باليزل اذا لم يبادر الى ما أمر به فاستدعى صلاح الدين رجال عائلته
 وفيهم أبوه نجم الدين أيوب وخاله شهاب الدين الحارمي ومعهم سائر الأمراء
 فلما تكامل الجمع اعلمهم بما كان بينه وبين نور الدين وما بلغه من عزمه
 على الحجى اليه واستشارهم فلم يجبه أحد بكلمة فهض تقي الدين عمرون
 شاهت شاه أخو صلاح الدين فقال (الرأي اذا جاءنا نور الدين قاتلناه ومنعناه
 عن البلاد) ووافقه غيره من أهلهم . فشتهم نجم الدين أيوب والد صلاح
 الدين واستعظم أقوالهم وشم تقي الدين بأقده وقال لصلاح الدين (ها أنا أبوك
 وهذا شهاب الدين خالك وهل تظن بين هذا الجمع من يحبك ويخلص لك
 أكثر منا قال لا فقال) اعلم يا يوسف اننا والله لوراينا نور الدين لم نمك الا ان
 تقبل ركابه ونقتل بين يديه ولو أمرنا ان نضرب عنقك بالسيف لفلما فاذا كنا
 نحن هكذا فما ظنك بغيرنا . وكل الذين تراهم عندك من الأمراء لوراوا
 نور الدين وحده لم يتجاسروا على الثبات على سروجهم وهذه البلاد له ونحن
 مع ليك ونوابه فيها فان أراد سمعنا وأطعنا والرأي ان تكتب كتاباً مع نجاب

تقول فيه بلغني انك تريد الحركة الى هذه البلاد فاي حاجة الى هذا يرسل
المولى نجاباً يضع في رقبتى منديلاً ويأخذني اليك وماهنا من يمنع) ثم قام
الامراء وغيرهم وتفرقوا على هذا واكثرهم ارسل الى نور الدين بماتم
ثم خلا نجم الدين ايوب بولده صلاح الدين فقال له (أنت جاهل قاييل المعرفة
تجمع هذا الجمع العظيم وتطلبهم على ما في نفسك فاذا سمع نور الدين انك
عازم على منعه من البلاد جعلك أهم الامور اليه ويقصدك فلم ترممك من
هذا العسكر أحداً وكانوا أسلموك اليه أما الآن بعد هذا المجلس فسيكتبون
اليه ويعرفونه قولي وما أظهرنا من الطاعة له تركنا واشتغل بغيرنا والافدار
تعمل عملها ووالله لو أراد نور الدين قسبة من قصب السكر لقائلته أنا عليها
حتى أمنعه أو أقتل) ففعل صلاح الدين ما أشار به أبوه . فلما وصل كتاب
صلاح الدين الى نور الدين كما قصه أبوه سكن روعه وتوقف عن المسير الى
مصر ثم أرسل صلاح الدين الى نور الدين ستين ألف دينار ومعها جملة
من الهدايا فقال نور الدين ما كانت بنا حاجة الى هذا المال ولا نسد به خلة
الاقبال فهو يعلم انا ما انفقنا الذهب في ملك مصر وبنا الى الذهب فقر وتمثل
بقول أبي تمام

لم ينفق الذهب المرابي بكثرة
على الحصاص به فقر الى الذهب

وقال انه يعلم ان تغور الشام مفتقرة الى السداد ووفور الاعداد من الاجناد
ويجب عليه المعونة بالامداد وأرسل الموافق القيسراني وزيره الى مصر وأمره بعمل
حساب البلاد وايرادها ومصرفها لاجل تقرير شيء على صلاح الدين يدفعه في
كل سنة

* (محاربة نور الدين وصلاح الدين الصليبيين) *

في سنة ٥٦٨ سار كل من نور الدين بجيشه وصلاح الدين بجيشه لمحاربة الافرنج

فصار نور الدين الى مصر عرش فحاصرها وفتحها في شهر القعدة ثم سار الى بهسي
فنازلها وأخذها في شهر الحجة واتفق خروج الملك أموري الاغارة على رواد
من ناحية حوران وهو في جمع كثير من عساكره فنزلوا في قرية تعرف بسمسكين
فركب نور الدين اليهم وأقبل بعساكره عليهم فلما عرفوا وصوله رحلوا الى الفوار
ثم الى السواد ثم نزلوا بالشلالة ونزل نور الدين في عشترا فإرسل سرية الى
أعمال طبرية وانغم خلوها فتوجهت اليها السرية وأغارت عليها ونهبها فلما
عادت لحقها الصليبيون عند المخاضه فوقفت الشجعان حتى عبرت السرية بما
معه من الغنائم ولم يلحق بها ضرر أما صلاح الدين فانه سار قاصداً بلاد الكرك
والشوبك لانها أقرب اليه وكانت في الطريق تمنع من يقصد الديار المصرية ولا
يمكن ان تصل قافلة حتى يخرج هو بنفسه يبرها بلاد العدو فإراد توسيع الطريق
وتسهيله لتصل البلاد بعضها ببعض وتسهل على السابلة نخرج الى الكرك
وحاصرها وجرى بينه وبين الصليبيين وقعات كثيرة فبرح بهم وفرق عنهم
عربها وخرّب عماراتها وفرق على أعمالها سراياه بغاراته فامتعت عنها العرب
بعد ما كانت تتحد مع الافرنج دائماً

﴿ فتح بلاد النوبة ﴾

اجتمع السودانيون ببلاد النوبة وخرجوا في أمم عظيمة قاصدين
ملك بلاد مصر وصاروا الى أعمال أصوان وكان بها الامير كنز الدولة فانفذ
يعلم الملك الناصر صلاح الدين وطلب منه نجدة فانفذ فرقة من جيشه مع الشجاع
البعليكي فلما وصل الى أصوان وجد العبيد قد عادوا عنها بعد ان أخرجوا أرضها
فاتبعهم الشجاع والكنز فجرت بينهم حرب عظيمة نزل فيها كثير من الفريقين
ورجع الشجاع الى القاهرة واخبر بفعل العبيد وتمكنهم من بلاد أصوان فانفذ
للكنز الناصر أخاه شمس الدولة في عسكر كثيف فوجدهم قد دخلوا بلاد

النوبة فسار قاصداً بلادهم وشحن مرابكب كثيرة في البحر بالرجال والميرة
وأمرها بالحاقه الى بلاد النوبة فلما وصل نزل على قلعة ابريم وافتتحها بعد
ثلاثة أيام وغنم جميع ما كان فيها من المال والميرة وخلص جماعة من الاسرى
وأسر من وجدته فيها وهرب صاحبها . ثم رجع شمس الدولة الى اصوان ثم
الى قوص وكان في صحبته أمير يقال له ابراهيم الكردي فطلب من شمس الدولة
قلعة ابريم فاقطعه اياها وانفذ معه جماعة من الاكراد البطالين فلما وصلوها
تفرقوا فرقاً وكانوا يشنون الغارة على بلاد النوبة حتى رحوا بها واكتسبوا أموالاً
كثيرة فتمت أرزاقهم وكثرت مواشيهم واتفق انهم عدوا الى جزيرة من
بلاد النوبة تعرف بجزيرة زيدان ففرق أميرهم ابراهيم وجماعة من أصحابه
ورجع من بقي منهم الى قلعة ابريم وأخذوا جميع ما كان فيها واخذوها فعاد
السودانيون اليها وملكوها وانفذ ملك النوبة رسولا الى شمس الدولة وهو مقيم
بقوص ومعه كتاب يطلب الصلح ومع الرسول هديه جارية وعبد فكتب اليه
الجواب وأعطاه زوجي نشاب وقال مالك عندي جواب الا هذا وجهز معه
رسولا يعرف بمسعود الحلبي وأوصاه ان يكشف له خبر البلاد ليدخلها فسار الحلبي
مع الرسول حتى وصل دنقله وهي مدينة الملك فوجدها بلاداً ضيقة ليس
بها ذرع الا الادره وعندهم نخل صفار وليس بالمدينة عمارة الادار الملك
فقط وباقيها اخصاص ولما مثل امام الملك امران تكوي يده فكوي عليها هيئة
صليب وأمره بخمسين رطل من الدقيق وصرفه

﴿ وفاة نجم الدين أيوب وبعض سيرته ﴾

في اثناء محاصرة صلاح الدين الكرك والشوبك توفي والده نجم الدين
أيوب بمصر وكان راكباً فرسه بالقاهرة فشب به عند باب النصر يوم الاثنين ١٨
ذى الحجة سنة ٥٦٨ وحمل الى منزله وعاش ثمانية أيام وتوفي الى رحمة

ربه في ٢٧ منه فدفن بالقاهرة الى جانب اخيه أسد الدين بالدار السلطانية الى
أن تقلا الى المدينة المنورة وكان كريماً رحيماً عطوفاً حليماً وبابه مردخم
الوفود وهو متلف الموجد ببذل الجود وكان شديد الرخص ولما بلعب الكرة
فلما وصل خبره الى ولده صلاح الدين اشتد روعه وحزن عليه حزناً شديداً
وتجهد بالصبر وقال

وتخطفته يد الردى في غيبي هبني حضرت فيكنت ماذا أصنع
وهو الامير نجم الدين أيوب بن شاذي ولا يعرف في نسبه أكثر من والده
شاذي وكان مولده ببلد شبختان وقيل بجبل جور وربي في بلد الموصل ونشأ
شجاعاً باذلاً وخدم السلطان محمد بن ملكشاه فرأى منه أمانة وعقلاً وسداداً
وشهامة فولاه قلعة تكريت فقام في ولايتها أحسن قيام وضبطها أعظم ضبط وأجلى
عن أرضها المفسدين وقطاع الطريق حتى عمرت وحسن حال أهلها فلما ولي
السلطان مسعود الملك اقطع قلعة تكريت لمجاهد الدين بهروز خادم شحنة بغداد
ومتولى العراق فاقر الامير نجم الدين في ولاية تكريت وأضاف اليه النظر في جميع
الولاية المتاخمة له وجعل بهروز قلعة تكريت خزانة أمواله وبيت عقائله وجعل
جميع ذلك منوطاً بالامير نجم الدين وكان السلطان مسعود واتبك زنكي قد طمعا
ببغداد فسار الى أن وصلوا تكريت فتقابلوا مع قراجه الساقى وهو أتابك بن
السلطان محمود فجرد الف فارس عليهم ثم اردفهم بمسكر كثير فانهزم زنكي
وقتل جماعة من أصحابه وجملة ممن كان في عسكره ولجأ الى سور تكريت وبه عدة
جراحات وعلم به الامير نجم الدين وأخوه شيركوه فاصعداه القلعة بجبال وداويا
جراحاته وخدماه أحسن خدمة فاقام عندهم بتكريت خمسة عشر يوماً ثم سار
الى الموصل وأعوزه الدهر فاعطياه جميع ما كان عندهما من الدواب حتى انهما
اعطياه جملة من البقر حمل عليها ما سأم معه من امتته فكان زنكي يرى
لايوب هذه اليد ويرى له هذه الصنيعة ويواصله بالهدايا والالطاف مدة اقامته

في تكريت وفي ذات يوم نزل أسد الدين من القلعة لبعض أشغاله ثم عاد إليها
 وكان بينه وبين كاتب صاحب القلعة وهو نصراني ضغائن فاتفق في ذلك اليوم ان
 النصراني صادق أسد الدين صاعداً الى القلعة فعبث به بكلمة ممضة فجرد أسد
 الدين سيفه وقتل النصراني وصعد الى القلعة وكان مهيباً فلم يتجاسر أحد على
 معارضته وأخذ النصراني برجله وألقاه من القلعة فبلغ بهر روز صاحب القلعة ما
 جرى وحضر عنده من خوفه جراءة أسد الدين لانه ذو عشيرة كبيرة قولان أخاه
 نجم الدين استحوذ على قلوب الرعايا ورمى ما كان منهما امر تخشي عاقبته ويصعب
 استدراكه فكتب الي نجم الدين ينكر عليه ما جرى من أخيه ويأمره بتسليم القلعة
 الى نائب سيره صحيفة الكتاب فاجاب نجم الدين الى ذلك بالسمع والطاعة وانزل
 من القلعة جميع ما كان له فيها من أهل ومال واجتمع هو وأخيه أسد الدين
 وصمما على قصد عماد الدين زنكي بالموصل وعظم على أهل تكريت خروج
 نجم الدين من القلعة وخرجوا جميعاً لتوديعه وبكوا واسفوا على مفارقتهم ولما
 اتصل بعماد الدين زنكي خبر قدومه فرح لذلك وأمر الموكب بلقائهما واكرمهما
 اكراماً عظيماً واقطعهما في بلد شهر زور اقطاعاً سنياً وقيل انه اقطع أسد الدين
 بالموزر وجرى بين أسد الدين وجمال الدين الوزير مودة عظيمة وساعد أسد
 الدين وأخاه نجم الدين حتى قربهما من قلب أتابك وجعلهما عنده في منزلة عالية
 وخرجا معه الى الشام وشهدا معه حروب الصليبيين وكان لآسد الدين في تلك
 المواقع اليد البيضاء واقام في خدمة ولده الملك العادل محمود نور الدين الى أن
 أرسل أسد الدين لفتح مصر كما تقدم وأرسل نجم الدين الى والده صلاح الدين
 بشأن قطع خطبة الفاطميين والخطبة للعباسيين ومما يحكى عن نجم الدين انه
 بينما كان جالساً مع ولده صلاح الدين في دار الوزارة وحوهما أرباب الدولة إذ
 تقدم كاتب نصراني كان في خدمة الامير نجم الدين فقبل الارض بين يدي السلطان
 الملك الناصر ووالده نجم الدين والتفت الى نجم الدين وقال له يا مولاي هذا تأويل

مقاتي لك حين ولد هذا السلطان فضحك نجم الدين وقال صدقت والله ثم حمد الله
 وشكره والتفت الى الحاضرين الذين حوله من قضاة وأمرأء وقال اكلام هذا
 النصراني حكاية عجيبة وذلك اني ليلة رزقت هذا الولد يعني السلطان الملك الناصر
 أمرني صاحب قلعة تكريت بالرحلة عنها بسبب الفعلة التي كانت من أخي أسد الدين
 وقتله النصراني وكنت قد الفت القلعة وصارت لي كالوطن فثقل علي الخروج منها
 والتحول عنها واغتممت لذلك وفي ذلك الوقت جاني البشير بولادته فتشأمت به
 وتطيرت لما جرى علي ولم أفرح به ولم استبشر وخر جنام من القلعة وانا على طيرتي
 به لا أكاد اذكره ولا أسميه وكان هذا النصراني معي كاتباً فلما رأى ما نزل بي
 من كراهية الطفل والتشأم به طلب مني أن أذن له في الكلام فاذنت له فقال
 يا مولاي قد رأيت ما حدث عندك من الطيرة بهذا الصبي وأي شيء له من الذنب
 وبما استحق ذلك وهو لا يتنع ولا يضر ولا يفتني شيئاً وهذا الذي جرى
 عليك قضاء من الله ثم ما يدريك ان هذا الطفل يكون ملكاً عظيم الصيت
 جميل القدر فمطفتني كلامه عليه وها هو قد أوقفني على ما كان قاله فتمجيب
 الجماعة من هذا الاتفاق

* (استيلاء بهاء الدين قراقوش على طرابلس الغرب وغيرها) *

في سنة ٥٦٨ هجرية أيضاً سار طائفة من الترك بقيادة بهاء الدين
 قراقوش من الديار المصرية الى جبال نفوسه واجتمع به مسعود بن زمام
 المعروف بمسعود البلاط وهو من أعيان الامراء هناك وكان خارجاً عن طاعة
 عبد المؤمن صاحب الغرب فاتفقا وكثر جمعهما ونزلا على طرابلس الغرب
 فاصراها وضيقا على أهلها وفتحها بالقوة فاستولى عليها قراقوش وأسكن
 أهلها قصرها وملك كثيراً من بلاد الغرب ما خلا المهدي وسفاس وقفصه
 وتونس وما والاها من القرى والمواضع وصار مع قراقوش عسكر

كثير فحكم على تلك البلاد باسم الديار المصرية وجمع منها أموالاً
عظيمة خزنها في مدينة قابس وقويت نفسه وحدثته بالاستيلاء على جميع
بلاد المغرب

* (استيلاء شمس الدولة تورانشاه على بلاد اليمن) *

جرت في مصر مؤامرة سرية بالانتقام من الدولة الايوبية لم ينفذها أصحابها
لخوفهم من عقابها عليهم وخصوصاً من قوة تورانشاه فلذلك أخذ احد
المتآمرين المدعو عمارة اليمني الشاعر يصف في بلاد اليمن لتورانشاه
ويظمها في عينه ويطلب منه الخروج اليها للاستيلاء عليها ففي شهر رجب سنة
٥٦٩ أمر صلاح الدين أخاه شمس الدولة تورانشاه بالمسير فصار بعدان
جند الاجناد وتجهز بالآلات الحرب قاصداً اليمن فوصل الى مكة المكرمة وسار
منها الى زبيد فلما قرب منها خرج اليه صاحبها عبد النبي ومعه رجاله وتقاتلوا
فانهزم أهل زبيد فقتلهم شمس الدولة بمسكروه الى ان وصل الى سور المدينة
فلم يجدوا من يمنعهم فنصبوا السلالم وصعدوا على السور وملكوا المدينة عنوة
ونهبوها وأخذ عبد النبي وزوجته أسيرين وولى على المدينة سيف الدين مبارك
ابن منقذ ثم سار الى عدن وهي محصنة من جهة البر تحصيناً عظيماً وصاحبها
اسمه ياسر فخرج بمسكروه الى شمس الدولة لمحاربتة فانهزم ياسر ومن معه وسبقهم
بعض عسكر شمس الدولة فدخلوا البلد قبل أهله فملكوه وأخذوا صاحبه
ياسر أسيراً وأرادوا نهب البلد فمنعهم شمس الدولة وقال ما جئنا لنخرب البلاد
وانما جئنا لنملكها ونعمرها فاستجاب فيها عز الدين عثمان الزنجلي ثم فتح حصن
قهر وغيره واستولى على مدينة الجند وصنعاء التي حرقت قبل دخوله ثم عاد الى زبيد
فوجد ابن منقذاً قتل عبد النبي بعدان وقف منه على معرفة جميع كنوزه المدفونة
وأرسل الى شمس الدولة صاحب طمار وبقاى الملوك وصالحوه على أداء المال فكاتب

شمس الدولة تورانشاه الى أخيه صلاح الدين بمصر يعلمه بما من الله عليه من الفتح
وانه أبطل الخطبة المهديّة (التي كانت لعبد النبي لانه كان يدعي الامامة)
وخطب للمباسبين

﴿ ظهور المؤامرة وطلب اعضائها ﴾

بعد مسير شمس الدولة الى البلاد اليمنية اجتمع جماعة منهم عمارة بن أبي
الحسن اليمني الشاعر وعبد الصمد الكاتب والقاضي العوريس وداعي الدعاة
وغيرهم من جند المصريين والسودانيين وحاشية القصر ووافقهم جماعة من
أمراء صلاح الدين وجنده واتفق رأيهم على استدعاء الأفرنج من ساحل الشام
وجزيرة صقايه الى مصر ليملكوها ويعيدوا الدولة الفاطمية العلوية على شيء
بذلوه من المال والبلاد ووعدوهم بأنهم متى حضروا الى مصر وخرج صلاح
الدين لمحاربتهم تارواهم في القاهرة وأعادوا الدولة العلوية وان بقي صلاح الدين
بمصر فيكون عساكره بميدة عنه فيذبوا عليه ويقبضوه باليد واشترك معهم زين
الدين علي بن نجا الواعظ فعينوا الخليفة والوزير فكل من بني رزيك وبني
شاور طلبها لنفسه ورتبوا القضاء وداعي الدعاة والحاجب ثم توجه زين الدين
الى صلاح الدين وأعلمه بواقعة الحال فاسره بملازمتهم ومخالطتهم ومواطنتهم
على ما يريدون وان ينقل اليه أخبارهم يوماً فيوماً ففعل وأعلمه على كل
ما يجري ثم وصل رسول من ملك الأفرنج أموري بهدية ورسالة وهو في الظاهر
لصلاح الدين وفي الباطن للجماعة المؤامرين وكان يرسل اليهم بعض النصاري
وتأتيه رسالهم فأتي الخبر الى صلاح الدين من بلاد الأفرنج بجملة الحال فوضع
صلاح الدين على الرسول بعض من يشق اليه من النصاري وداخله فأخبره الرسول
بالخبر على حقيقته فقبض حينئذ على جميع المؤامرين وصلبهم في ثاني يوم

رمضان سنة ٥٦٩ وفي مقدمتهم عمارة اليمني وفي هذه القضية قال العلامة تاج

الدين الكندي

عمارة في الاسلام أبدى جنابة
وأسمى شريك الشرك في بغض أحمد
وكان خيث الملتقى ان عجمته
سيلقي غداً ما كان يسعى لاجله
وبايح فيها بيعة وصليا
فأصبح في حب الصليب صليبا
تجد منه عوداً في النفاق صليبا
ويسقي صديداً في لظي وصليا
وصليا في البيت الاول بمعنى النصراري وفي الثاني بمعنى مصلوب وفي الثالث
بمعنى الصلابة وفي الرابع ودك العظام وقيل انه الصديد أيضاً أي يسقي ما يسيل من
أهل النار وكان عمارة هذا عربياً فقيهاً أديباً

﴿ وفاة الملك العادل محمود اتابك نور الدين ﴾

ظل الملك العادل نور الدين حاتقاً على صلاح الدين لانه رأي منه فتوراً في
محاربة الصليبيين فارسل الى الموصل وديار بكر وديار الجزيرة يطلب العساكر
للمسير الى مصر لاجراج صلاح الدين منها ووافق ذلك عيد الفطر ففى ثانى
يوم خرج نور الدين ومعه امرأه الى ان نزل الميدان وكان معهم همام الدين
مودود وهو من أكابر دولته فقال لنور الدين هل نكون هنا في مثل هذا
اليوم من العام القابل فقال نور الدين قل هل نكون بعد شهر فان السنة بعيدة
ثم ان نور الدين مرض بعلة الخوانيق وطلب بعض الاطباء فلم ينفع فيه الدواء
وعظم الداء فمات يوم الاربعاء الحادى عشر من شوال سنة ٥٦٩ وكان شجاعاً
باسلاً وفاضلاً باراً وكان محبوباً معترراً عند المسلمين والصليبيين أعدائه وكانت مملكته
شاملة جميع سوريا الشرقية وقسم من سوريا الغربية والموصل وديار بكر وديار
الجزيرة ومصر وبعض بلاد المغرب وبلاد اليمن وكانت وفاته بدمشق ودفن فيها وقال
فيه العماد

ياملكا أبامه لم تزل لفضله فاضلة فاخرة
فاصت بحار الجود مذغبت انملك الفائضة الزاخرة
ملكك دنياك وخلفتها وسرت حق تملك الآخرة

وقال أيضاً

لفقد الملك العادل يبكي الملك والعدل
وقد أظلمت الافاق لاشمس ولاظلم
ولما غاب نور الدين عنا أظلم الحفل
وزال الخصب والخير وزاد الشر والمحل
ومات البأس والجود وعاش اليأس والبخل
وعز النقص لماهان أهل الفضل والفضل
وهل ينفق ذو العلم اذا مانفق الجهل
وما كان لنور الدين لولا نجمله مثل

وملك بدمه ابنه الملك الصالح اسماعيل ولم يبلغ الحلم وحلم له الامراء
والمقدمون بدمشق وأقام بها وأطاعه الناس في سائر بلاد الشام وتولى تربيته
الامير شمس الدين محمد بن المقدم ثم كتب الملك الصالح الى الملك الناصر صلاح
الدين يوسف كتابا يخبره فيه بوفاة والده طالباً منه المساعدة والمعونة على
قتال الصليبيين فخطب الملك الناصر له بمصر و ضرب السكة باسمه وأرسل اليه
صلاح الدين كتابا بتعزيتة ونصيحه مع رجال دولته ومما فيه (الله الله ان
تختلف القلوب والايدي فتباغ الأعداء مرادها وتمدم الآراء وشادها وتنتقل
النعم التي تعبت الايام فيها الى ان اعطت قيادها فكونوا يداً واحدة واعضاداً
متساعداً وقلوباً مجتمعة ودوسيوفا يضمها غمد ولا تختلفوا فتتكلموا ولا تنازعوا
فتفشلوا وقوموا على أمشاط الأرجل ولا تأخذوا الامر باطراف الأمل فالعداوة
محدقة بكم من كل مكان والكفر مجتمع على الايمان ولهذا البيت منا ناصر لا نخذله

وقائم لانسانه وقد كانت وصيته اليها سبقت ورسالته عندنا تحققت بان ولده القائم بالامر وسعد الدين كمشيكن الاتابك بين يديه فان كانت الوصية ظهرت وقبلت والطاعة في الغيبة والحضور أدت وفعلت والافتحن لهذا الولد يد على من ناواه وسيف على من عاداه وان اسفر الخبر عن معافاة فهو الغرض المطلوب والندى الذي يحل على الايدي والقلوب)

* حصار الصليبيين حصن بانياس وعودهم عنه *

لما مات نور الدين اجتمع الصليبيون لطمعهم في بلاده وساروا الى قلعة بانياس من أعمال دمشق فحصروها فجمع شمس الدين محمد بن عبد الملك بن المقدم المساكر بدمشق وراسل الافرنج ولاطفهم ثم اغلظ لهم في القول وقال لهم ان انتم صالحتمونا وعدتم عن بانياس فنحن على ما كنا عليه والافرنج الى سيف الدين صاحب الموصل ونعلمه ونصالحه ونستجده ونرسل الى صلاح الدين بمصر فنستجده ونقصد بلادكم من جهاتها كلها وانتم تعلمون طمع صلاح الدين في بلادكم واذا طلبناه لذلك فلا يمتنع فعلموا صدقه فصالحوه على شئ من المال أخذوه وأسرى كانوا عند المسلمين أطلقوهم وتقررت الهدنة فلما سمع صلاح الدين بذلك أنكره ولم يمجبه وكتب الى جماعة الاعيان كتباً دالة على التويخ واللام ومن جهتها كتاب الى الشيخ شرف الدين ابن أبي عصرون يخبره فيه انه لما بلغه قدوم الصليبيين خرج وسار أربعة مراحل ثم جاءه خبر الهدنة المؤذنة بذل الاسلام من دفع القطيعة واطلاق الاسارى وان ذلك لا يصح وكان يجب الانتظار لحين حضوره

* وفاة الملك أمورى وتولية ابنه الملك الابرس *

في سنة ٥٧٠ توفي الملك أمورى ملك القدس وقد كان طاماً عديم الفطنة حتى انه أنفق جميع خزائنه في طلب امتلاكه الديار المصرية ولم يحصل له ثمرة

مطلقا خلاف الخسائر التي عادت عليه وعلى قومه لانه قبل حروبه مصر كانت
مراكبهم تأتي اليها بالتجارة وتأخذ منها المحصولات ولما علموا غدره منعوا
من دخول البلاد المصرية وكان كثيراً ما تخرج المراكب المصرية في البحر
تبحث تلى مراكب الصليبيين وتنهبا وتأخذها وبعد وفاته تولى ابنه بودوين
الرابع وكان عمره ثلاث عشرة سنة وذلك في سنة ١١٧٤ افرنكيه ولهذا الملك
صفات جليته ولكن لسوء حظه ابتلى بمرض البرص ولذلك لقبوه بالملك
الابرص ومرضه وتجزه عن تدبير المملكة اقيم له وكيل ملوكي (نائب الملك)
وهو رايوند صاحب طرابلس وهو رابع اولاد رايوند دي سان
غيلاس

* (ورود اسطول جزيرة صقلية ومحاصرة الاسكندرية)*

تقدم ان جماعة من المصريين كاتبوا الصليبيين في سوريا وجزيرة صقلية ولما احس
بصلاح الدين صلبهم ورسول الصليبيين في مصر فاعلم أصحابه في سوريا
بما كان امامك صقايه فلم يعام ماتم فارس اسطولا عظيما في اواخر شهر الحج
سنة ٥٦٩ الى ثغر الاسكندرية في يوم الاحد ٢٦ منه رقت الظهر وصل اول
الاسطول وظل يتابع الى وقت العصر وكان ذلك على حين غفلة من المتوكلين
بالنظر (الناضورجيه) فملا البحر لوفور عدته وكثرة مراكبه لانه كان محتوى
على ٣٦ طريدة تحمل الخيل و ٢٠٠٠ شيني (مركب حربية) في كل شيني ١٥٠
واجلا وكانت عدة السفن التي تحمل آلات الحرب والحصار وغيرها ست
سفن وأربعين مراكبا تحمل الازواد وصناع المراكب فكان عدد المقاتلين ثلاثين
ألفا ماعدا صناع المراكب وأبراج الزحف والدبابات والمنجنيقات فيبلغ عدد
جميعهم ٥٠ ألف رجل ولما تكاملوا نزلوا على البر وحملوا على المسلمين حملة
أوصلوهم الى السور وفقد من أهل الثغر سبعة أنفس وقتل محمود بن البصار

وزحفت مراكب الافرنج داخلة الى الميناو كان بها مراكب حرية ومراكب تجار يه فنصب الافرنج المنجنيقات والدبابات وقاتلوا أشد قتال وصبر لهم أهل البلد ولم يكن عندهم من المسكر الا القليل ورأى الافرنج من شجاعة أهل الاسكندرية وحسن سلاحهم ماراعهم أمأهلها فانهم أرسلوا الى صلاح الدين وكان مقبلاً بفاقوس بواسطة الحمام يعلمونه بالخبر ويطلبون منه المساعدة لدفع العدو عنهم ودام القتال أول يوم وعاود الافرنج القتال في اليوم التالي ولازموا الزحف حتى وصلت الدبابات الى قرب السور ووصل في ذلك اليوم من المساكر الاسلامية كل من كان في اقطاعه قريباً من الاسكندرية فقتل بهم نفوس أهلها وأحسنوا القتال والصبر فلما كان اليوم الثالث فتح المسلمون باب البلد وخرجوا منه علي الافرنج واشتد القتال فوصل المسلمون الى الدبابات فأحرقوها وصبروا للقتال حتى ظهرت لهم أمارات النصر ولم ينزل القتال الى آخر النهار ودخل أهل البلد وهم فرحون مستبشرون بمسارأوا من ظفرهم وفشل الافرنج وقتور حربهم وكثرة القتل والجراح في العدو وأما صلاح الدين فلما وصله الخبر سار بعساكره وسير مملوك كاله ومعه ثلاث جنائب ليجد السير عاينها الى الاسكندرية مبشراً بوصوله وسير طائفة من المسكر الى دمياط خوفاً عليها واحتياطاً لها فسار ذلك المملوك فوصل الاسكندرية من يومه وقت العصر والناس قد رجعوا من القتال فنادى في البلد بمجيء صلاح الدين والمسكر مسرعين فلما سمع الناس ذلك عادوا الى القتال وقد زال ما بهم من التعب وألم الجراح وكل منهم يظن ان صلاح الدين معه فهو يقاتل قتال من يريد ان يشاهد قتاله وسمع الفرنج بقرب صلاح الدين وعساكره فكلت أيديهم وازدادوا تبعاً وقتور أفعالهم المسلمون عند اختلاط الظلام ووصلوا الى خيامهم فقمموا بها فيها من الاسلحة الكثيرة والتحملات المظيمة وكثر القتل في رجالة الافرنج فهرب كثير منهم الى البحر وقربوا شوانيهم الى الساحل ليركبوا فيها فسلم بعضهم وركب البعض وغرق

بعضهم وغاص بعض المسلمين في الماء وخرق بعض شواني الافرنج ففرقت
 تخاف الباقون من ذلك فولوا هاربين واحتمى ثلثمائة من فرسانهم على رأس تل
 فقاتلهم المسلمون الى بكرة ودام القتال الى ان اضحى النهار فغلبهم اهل البلد
 وقهروهم فساروا بين قتيل وأسير ونهب المسلمون ما لا يحصى وأقامت باقى
 حراكب الاسطول في يوم الخميس اول محرم سنة ٥٧٠

* واقعة الكنز وقلته *

الكنز هو رجل مصرى كان مقدماً على فرقة من الجيش وفي أول محرم
 سنة ٥٧٠ قام المذكور في الصعيد وجمع من كان في البلاد من العربان والعبيد
 وغيرهم خلق كثير وكان هناك أمير من الامراء الصلاحية أخ لحسام الدين
 أبو الهيجاء السمين ففتك به وبمن معه هناك فمظم قتلته على أخيه وهو من أكبر
 الامراء وأشجعهم وطلب أخذ الثار وساعده سيف الدين (أخو صلاح الدين)
 وعز الدين موسى ابن خاله وعدة من أمرائه ورجاله وجاءوا الى مدينة طود
 فاحتمت عليهم فقاتلوا من فيها فظفروا بهم وقتلوا منهم كثيراً وذلوا بعد العز
 ثم قصدوا الكنز ورجاله وحاربوهم وقتلوا الكنز ومن معه من الاغراب
 والعبيد واطمأنت بعد قتلته البلاد ولم يبق للدولة الصلاحية بعد كنزها كنز
 يفسد عليها بلادها وكان ذلك في شهر صفر سنة ٥٧٠

* عزم صلاح الدين على المسير الى بلاد سوريا *

بعد انقضاء واقعة الكنز وخلو الديار المصرية من الفتن باغ صلاح الدين
 ان سيف الدين غازى بن قطب الدين سار وملك بلاد الجزيرة ولم يوسل من
 مع الملك الصالح بن نور الدين من الامراء الى صلاح الدين ولا أعلموه بما كان
 فكتب الى الملك الصالح يعاتبه حيث لم يعلمه قصد سيف الدين بلاده ليحضر

في خدمته ويمنعه وكتب الى الامراء يقول (ان الملك العادل لو علم ان فيكم من
يقوم مقامى أو يثق اليه مثل ثقته بي لسلم اليه مصر التي هي أعظم ممالك
وولاياته ولو لم يسجل عليه الموت لاقامنى وصياً على ابنه وأرى انكم تحاولون
اخراج يدي ولكنى سأذهب الى دمشق بنفسى وأقدم عبوديتي الى هذا السلطان
الجديد معترفاً بالافضال العظيمة التي حمليها أبوه أما أنتم فساعاملكم بمقتضى
تصرف كل واحد منكم فاني أعتبركم قوماً تلقون القلاقل والفتن في البلاد)
ثم ان صلاح الدين أقام خصيه بهاء الدين قراقوش حاكماً على مصر في غيابه
وتجهز للسفر الى البلاد السورية

﴿ حكم قراقوش وبناء القلعة والسور وغيرهم ﴾ *

لما عزم صلاح الدين على السفر الى سوريا وأقام بهاء الدين الاسدي
قراقوش حاكماً بمصر مدة غيابه وعهد اليه تدبير الاحكام وأمره ان يقيم البناءات
اللازمة لرواق البلاد ومنعتها ومنفعتها فأنفذ بهاء الدين ما عهد اليه بغيره ونشاط
وكانت جسور النيل قد أهمل شأنها منذ تولى الخلفاء الفاطميين فكان اذا فاض
طفت مياهه على الاراضي وخربت الطرق وأفسدت الزرع فهد الطرق واحتقر
الترع وأقام الجسور والسدود واستخدم لذلك حجارة بعض الاهرام الصغيرة
التي كانت تحيط باهرام الجيزة وغيرها من أبنية المصريين القدماء وأنشأ طريقاً تمتد
طولاً على الضفة النيل فتقيها من صدمات المياه وتسهل صلات العاصمة مع مصر العليا
والسفلي وشاد فوق الترعة التي كانت تجرى بين الجيزة واهرامها جسراً عظيماً
مؤلفاً من أربعين قنطرة لا يزال بعضها باقياً الآن



(صورة قلعة القاهرة الآن)

ولم يكن لصلاح الدين اذذاك مسكن الا القصران اللذان كانا مسكناً للخليفة
والوزير السابقين ولم يكونا منيعين حق المنعة فجمعها منزلاً لضباط الحكومة
وقواد الجيوش وشاد عند الطرف الشمالي من جبل المقطم على سفح قلعة منيعة
لارهاب الاهالى اذا حاولوا الصيان وجعل فيها قصرًا لبلاطه وكان في ذلك المكان
بناء قديم من عهد الدولة الطولونية يعرف بقصر الهوى فهدمه وأقام القلعة على انقاضه
وأني بجارتها من خرائب منف والاهرام وغيرها فجاءت قلعة منيعة الجانب
تشرف على كل المدينة وليس في القاهرة بناء آخر أعز موقماً منها وهي التي
لا تزال باقية الى هذا العهد وتعرف بقلعة الجبل او قلعة القاهرة. وجعل قراقوش
في القلعة بئراً نقرأ في الصخر عميقاً جداً يسع كلما تحتاج اليه الحامية من الماء
ولا يزال البئر والقصر الى هذه الساعة يعرفان باسمه فالبئر (يدعى ببئر يوسف)
ويظن بعض العامة انه سمي هكذا نسبة الى يوسف الصديق ابن يعقوب
والصحيح نسبة الى يوسف صلاح الدين الذي أمر باحتفاره والمظنون ان
هذه البئر كانت مخزونة من أيام قدماء المصريين ثم طمرت بالرمال فاعاد صلاح

الدين حفرها وتسمى أيضاً بالحلزون وما بقي من القصر يعرف بديوان يوسف
أو ديوان صلاح الدين . وابتنى قراقوش أيضاً حواصل كبيرة في الفسطاط
(مصر القديمة) لتخزين الحاصلات التي ترد من الاقاليم سنوياً ولا تزال تدعى
الي يومنا هذا بمخازن يوسف وقد ظن بعض المتفرجين والعامّة انها من بناء
فرعون في أيام يوسف الصديق . وبعد ان فرغ قراقوش من اصلاح الترع
والخلاجان والطرق وبناء القلعة أخذ يهتم باتمام سور القاهرة وكان صلاح
الدين ابتداء بعمارة سنة ٥٦٦ وهو يومئذ على وزارة الماضد فعمل له قراقوش
وسما عظيم الاتساع يحيط بالقاهرة والفسطاط وقصر الشمع وما بينهما من الارض
الا انه استعظم بناءه بهذا الاتساع فجعله محيطاً بالقاهرة والقلعة فقط واضطر
القيام مشروعه هذا ان يهدم جوامع وبيوتاً وقبوراً كثيرة كانت قائمة في مكان
السور ولم يكن الاهالي معتادين على الازعان لاوامر صلاح الدين كسلطان
وكان بعضهم لا يزال متشياً للدولة الفاطمية فاتهموه بالاستبداد ولقبوا بهاء
الدين بقراقوش أي الطير الاسود وهو العقاب ولا يزال بعض عامة الشرقيين
يصفون هذا الاسم بالاستبداد والعتف وينسبون اليه أحكاماً عجيبة في ولايته
حتى ان الاسعد بن مماتي له كتاب لطيف سماه الفاشوش في أحكام قراقوش وفيه
أشياء يبعد وقوع مثلها منه والظاهر انها موضوعة لان صلاح الدين كان معتمداً
في أحوال المملكة عليه ولولا وثوقه بمعرفته وكفاءته ما فوضها اليه وكان قراقوش
رجلاً سعيداً وصاحب همة عالية .

وهذه هي المرة الثالثة لبناء سور القاهرة ففي المرة الاولى بناء جوهر وفي
الثانية بناء أمير الجيوش وفي الثالثة قراقوش باصر صلاح الدين فزاد فيه قطعة
من باب القنطرة الى باب الشعريه ومن باب الشعريه الى باب البحر وبنى
قلعة المقس وهي برج كبير جعله على النيل بجانب جامع المقس الذي يعرف اليوم
بجامع أولاد عنان وهو خارج باب البحر على يسار الذهاب من الشارع الجديد

الى محطة السكة الحديد وانقطع السور من هناك . وزاد في سور القاهرة
 قطعة مما يلي باب النصر ممتدة الى البرقية والى درب بطوط والى خارج باب
 الوزير يتصل بسور قلعة الجبل فانقطع من مكان يقرب الآن من الصوة تحت
 القلعة وجاء طول هذا السور المحيط بالقاهرة ٢٩٣٠٢ بالذراع الهشبي . وقلعة
 المقس المذكورة كانت برجاً مطلاً على النيل في شرقي جامع المقس ولم تزل
 حتى هدها الوزير صاحب شمس الدين عندما جدد الجامع المذكور سنة
 ٧٠٧ هجرية وجعل في مكان البرج المذكور جنينة . وحفر بهاء الدين خارج
 السور خندقاً جعله من باب الفتوح الى المقس ومن الجهة الشرقية خارج باب
 النصر الى باب البرقية وما بعده وجعل خارج هذا الخندق سوراً آخر بابراج
 مبنية بالحجارة الا ان هذا السور الثاني هدم جميعه والخندق ردم الا في بعض
 الاماكن

* (مسير الملك الناصر صلاح الدين الى سوريا واستيلاءه

على دمشق وغيرها) *

بعد تولية قراقوش حكم مصر سار صلاح الدين قاصداً سوريا فخرج الى
 البركة في مستهل صفر سنة ٥٧٠ وأقام حتى اجتمع العسكر ثم رحل الى بليديس في
 ١٣ ربيع اول وكانت رسل شمس الدين صاحب بصرى وشمس الدين بن
 المقدم عنده تستوري في الحث والبعث زنده وتستقدمه وجنده وسار مجدداً
 حتى أتاه على بصرى فاستقبله صاحبها وشد ازره وسار صلاح الدين في آخر
 شهر ربيع الاول الى ان وصل الى دمشق ودخلها وكان يظن عكس ذلك
 ودخل الى دار المقيتي مسكن أبيه وبقي في قلعة دمشق جمال الدين ربحان
 الخادم بدون تسليم فراسله حتى اسماه بالمال وتملك المدينة والقلعة ونزل
 بالقلعة سيف الاسلام اخو صلاح الدين وأظهر انه جاء لتربية الملك الصالح

وحفظ ماله وبلاده وتدير ملكه فهو أحق بصيانة حقه واجتمع به أعيانها
وفرق فيهم المال وخطب للملك الصالح ومدحه وحيش الاسدى بقصيدة
اولها

قد جاءك النصر والتوفيق فاصطحبا

فكن لاضعاف هذا النصر مرتقبا

لله أنت صلاح الدين من أسد	أدني فريسته الايام ان وثبا
رأيت جلق ثقراً لا نظير له	فجئتها عامراً منها الذي خربا
نادتك بالذل لما قل ناصرها	وأزعم الخلق من أوطانها هربا
أحببتها مثل ما أحببت مصر فقد	أعدت من عدلها ما كانا قد ذهبنا
ويوم دمياط والاسكندرية قد	أصارهم مثلاً في الارض قد ضربا
والشام لو لم يدارك أهله اندرست	آثاره وعفت آياته حقبنا

ولما اتصل بمن في حلب دخول الملك الناصر دمشق وميل الناس اليه
خافوا منه وأجمعوا على مراسلته وارسلوا اليه قطب الدين ينال بن حسان برسالة
ارعدوا فيها وقالوا له (هذه السيوف التي ملكتك مصر بايدينا والرماح التي
حويت بها قصور المصريين على اكتافنا والرجال التي ردت عنك تلك العساكر
هي تردك وأنت فقد تمديت طورك وتجاوزت حدك وأنت أحد غلمان نور الدين
ومن يجب عليه حفظه في ولده) ولما باع السلطان ورود ابن حسان تلقاء بموكبه
وبنفسه وبالغ في اكرامه ثم أحضره بعد ثلاثة أيام لسماع الرسالة منه فلما فاه
ابن حسان بتلك الشقاشق الباطلة وقمقع بتلك التموهيات العاطلة لم يعره صلاح
الدين طرفاً ولا سمعاً وضرب عنه صفحاً وتفاضيا وخاطبه بكلام لطيف رقيق
وقال له (يا هذا اعلم اني وصلت الى الشام لجمع كلمة الاسلام وتهذيب الامور
وحياطة الجمهور وسد الثغور وتربية ولد نور الدين وكف عادية المعتدين)
فقال له ابن حسان انك انما حضرت لآخذ الملك لنفسك ونحن لانطاوعك

على ذلك ودون ما ترومه خرط القتاد وايتام الاولاد فلم يلتفت لمقاله وأوماً الى
رجاله باقامته من بين يديه ونادى في عساكره للاستعداد بقصد الشام الاسفل
ورحل متوجهاً الى حمص فتسلمها وقاتل قلعته ولم ير تضييع الزمان عليها
فوكل بها من محصرها ورحل الى جهة حماه فلما وصل الى الرستن خرج
صاحبها عز الدين جرديك وأمر من فيها من العساكر بطاعة أخيه شمس
الدين على واتباع أوامره وسار جرديك حتى لقي صلاح الدين واجتمع به
بالرستن وأقام عنده يوماً وليلاً وظهر من نتيجة اجتماعه به انه سلم اليه مدينة
حماه وسأله ان يكون السفير بينه وبين حلب فاجابه الى ذلك فلما وصل
حلب اجتمع بالامراء والملك الصالح وأشار عليهم بمصالحة الملك الناصر فانهم
الامراء بالتحاضرة وردوا مشورته وأشاروا بقبضه فامتنع الملك الصالح ولج سعد
الدين كمشتكين في القبض عليه فغل بالحديد وحمل الى الجب الذي فيه اولاد
الداية ولما دلوه الى الجب وأحس به اولاد الداية قام اليه منهم حسن وشتمه
أقبح شتم وحلف بالله ان انزل اليهم ليقتلنه فامتنعوا من تدليته وأعلموا سعد
الدين كمشتكين فحضر الى الجب وصاح على حسن وشتمه وتوعده فسكن حسن
وانزل جرديك الجب . ولم ينزل صلاح الدين مقيماً على الرستن ثم طال عليه
الامر فسار الى جباب التركمان فلقية أحد غلمان جرديك وأخبره بما جرى
لسيده من الاعتقال والقهر فرحل صلاح الدين من ساعته عائداً الى حماه وطلب
من أخي جرديك تسليم حماه اليه وأخبره بما جرى على أخيه ففعل وولاهما
لاحد امرائه مبارز الدين على بن أبي الفوارس وذلك مستهل جمادى الآخرة
وسار صلاح الدين الى حلب ونزل على أنف جبل جوشن فوق مشهد الدكة
في ثالث الشهر وامتدت عساكره الى الخناقية والى السعدى فلما رأى من بحلب
عساكر صلاح الدين خافوا من الحلبيين ان يسلموا البلد كما فعل اهل دمشق
فاشاروا على الملك الصالح ان يجمعهم في الميدان ويخاطبهم بنفسه فامر ان ينادى

باجتماع الناس الى ميدان باب العراق فاجتمعوا فنزل الصالح من باب الدرجة
 وصعد من الخندق ووقف في رأس الميدان من الشمال وقال لهم يا أهل حلب
 انار بيكم ونزيابكم واللاجيء اليكم كبيركم عندي بمنزلة الاب وشابكم بمنزلة
 الاخ وصغيركم عندي محل محل الولد وحنقته العبرة وسبقته الدمعة فافتتن الناس
 وصاحوا صيحة واحدة ورموا بعمائمهم وضجوا بالبكاء والعيويل وقالوا نحن
 عبيدك وعبيد أبيك نقاتل بين يديك ونبذل اموالنا وانفسنا لك. وأرسل صلاح
 الدين الى حلب رسولاً يطلب الصالح فامتنع كمشتكين فاشتد صلاح الدين في قتال
 البلد. واجتمع الامراء بالملك الصالح ليديروا الحيل في قتل صلاح الدين
 فاجمعوا اراءهم على مراسلة سنان صاحب الحشيشية ومقدمهم ليرسل من يفتك
 بصلاح الدين وضمنوا له على ذلك اموالاً جمعة وعدة من القرى فارسل سنان
 جماعة من اصحابه الفتاكين فجاءوا الى جبل جوشن واختلطوا بالمساكر فعرفهم
 الامير ناصح الدين خمارتكين صاحب بوقيس لانه كان مئاغراً لهم فقال يا ويلكم
 كيف تجاسرتم على الوصول فقتلوه خوفاً من غائته وجاء قوم للدفاع عنه
 فجرحوا بعضهم وقتلوا البعض ووثب أحد الاسماعيلية وبيده سكينه مشهورة
 ليقتل السلطان في خيمته فلما صار الى باب الخيمة اعترضه طغريل أمير جاندار
 فقتله وطلب الباقيين فقتلوا بعد ان قتلوا جماعة ولما يس من بحلب من هذه
 الحيلة راسلوا رايونند صاحب طرابلس ونائب الملك بودوين الرابع وضمنوا
 له أشياء كثيرة متي رحل صلاح الدين عن حلب فارسل رايونند الى صلاح
 الدين في أمر الحلبيين وأخبره ان الصايبيين تعاضدوا ووايدوا واحدة فقال
 صلاح الدين لست بمن يرهب تألب الصليبيين وها أنا سائر اليهم ثم انقضت قطعة
 من جيشه وأمرهم بقصد انطاكية فغنموا غنيمة حسنة وعادوا فقصد رايونند
 جهة حمص فرحل صلاح الدين من حلب اليها فسمع رايونند فنكص راجعاً
 الى بلاده وحصل الغرض من رحيل صلاح الدين عن حلب ووصل الى حمص

فتسلم القلعة ورتب فيها والياً من قبله وقال العماد في فتح حمص من قصيدة طويلة
 اياب بن أيوب نحو الشام م على كل ما يرتجيم ظهور
 بيوسف مصر وأيامه تقر العيون وتشفي الصدور
 رأيت منك حمص لها كانيا قواتك منها القوى المسير
 ثم سار صلاح الدين الي ان وصل الي بعلبك وكان فيها والي يقال له يمن
 فلما شاهد كثرة عساكر صلاح الدين اضطرب في أمره وراسل من بحلب على
 جناح طائر فلم يرجع اليه منهم خبر فطلب الامان وسلم بعلبك الي صلاح الدين
 في رابع رمضان وعاد الي حمص

✽ في استقلال صلاح الدين بالملك وسلطنته ✽

كان امراء حلب قد راسلوا سيف الدين صاحب الموصل يطلبون منه تجديداً بن
 عمه الملك الصالح فارسل لهم جيشاً كبيراً بقيادة أخيه عز الدين مسعود فوصل الي
 حلب بمدر حيل صلاح الدين عنها فخرجت معه عساكر حلب جميعها وساروا الي
 ان وصلوا حماه وحاصروها فلما علم صلاح الدين سار بفرقة من جيشه فتأخرت
 عساكر الموصل وحلب الي قرون حماه وراسلوا صلاح الدين في الصلح فاجابهم
 فطلبوا منه تسليم جميع القلع والحصون وانه يقنع بدمشق وحدثها نائباً فيها عن الملك
 الصالح فاجاب فلما رأوه قد أجابهم طموا فيه وقالوا لا بد من المصاف ظناً منهم انه
 لكثرتهم وقلته يفلبونه وساروا يناوشونه القتال الي ان وصلت العساكر المصرية
 بقيادة تقي الدين عمر وقام المصاف بين العسكريين فانكسرت العساكر الحلبية
 والموصلية وانهمزوا وتبعتهم عساكر صلاح الدين واستباحوا أموالهم وخيامهم
 وأسروا منهم جماعة وأمر صلاح الدين عساكره ان لا يوغلوا في طلبهم ولا
 يقتلوا من رأوه منهزماً ثم رحل حتي نزل بمرج قرأ حصار ولم يزل هناك حتي عيّد
 الفطر فجاءته رسل الملك الصالح يسألونه المهادنة وان يقر الملك الصالح على ما في يده

وما هو جار تحت حكمه من الشام الاسفل الى بلد حماء فلم يرض بذلك فجمعوا
 له مع حماء المعرة وكفر طاب فرضى بذلك وحلف لهم على ذلك وعاد ثم رأى
 صلاح الدين قوائنه وانه لا يمكن أحد يعارضه في شيء مما طالما تمناه من استقلاله
 بالملك فصرح بسلطانه على مصر والشام ولما وصل الى حماء وصلت اليه رسالة
 الخليفة المستضيء العباسي ومعهم التشريفات الجليلة والاعلام السود وتوقيع من

الديوان بالسلطنة ببلادمصر والشام وفي ذلك يقول ابن سعدان الحلبي

يا أيها الملك العزيز فضله لقد غدت بالعلى مليا
 كفى أمير المؤمنين شرفاً انك أصبحت له وليا
 طارحك الود على شحط النوى

فكنت ذاك الصادق الوفا

أولاك من لباسه زخرقة لم يولها قلبك أديما

نابت الروض سنا وبهجة حتى حكته رونقاً ووريا

ثم سار السلطان صلاح الدين الى حصن بعين وحاصره حتى تساعه

* (حرب السلطان مع المواصلة وهدنة الصليبيين) *

لما دخلت سنة ٥٧١ والسلطان نازل بمرج الصفر من أعمال دمشق جاءه
 رسول الصليبيين بطلب الهدنة فأجابه السلطان على ذلك بعد ان اشترط عليهم أموراً
 التزموها وأصاب الشام في ذلك العام جرب فاذن السلطان للمساكر المصرية بالرحيل
 الى بلادهم ولما علم سيف الدين صاحب الموصل بما جرى بين السلطان والحليين
 عتب عليهم ووبخهم ونسبهم الى العجلة وأنفذ من أخذ على الحليين الموائيق
 بنقض العهد ثم توجه ذلك الرسول الى دمشق ليأخذ من السلطان العهد القديم
 فلما خلا به طالبه السلطان بنسخة العهد (أي الذي تعاهدوا عليه) في السنة الماضية
 فغلط الرسول وأخرج نسخة يمين الحليين لهم فتأملها واطلع على ما اتفقوا عليه

من نقض العهد فردها اليه وقال لعلها قد تبدلت فمرف الرسول انه قد غلط وقال
 السلطان كيف حلف الحلبيون للموصليين ومن شرط ايمانهم انهم لا يعتمدون
 الا بمر اجعتهم ايانا واستئذناننا ثم شاع خبر خروج الموصليين في الربيع فارسل الى
 أخيه العادل بمصر يعلمه بذلك ويأمره ان يأمر العساكر بالاستعداد والخروج في
 شعبان وكتب الى الخليفة ببغداد يعلمه بما جرى من الموصليين والحلبيين ونقضهم
 العهد وانه الآن بين عدوين عدو متظاهر بالاسلام وهم المذكورون وعدو آخر وهم
 الصليبيون وطلب منه ان يأمر ملوك الاطراف بمساعدته على الصليبيين أما سيف
 الدين فانه قصد حلب واجتمع بالملك الصالح ثم سار الى ان وصل الى تل السلطان
 ومعه جمع كثير وأهل ديار بكر وكانت العساكر المصرية قد وصلت فصار بها السلطان
 حتى أتى قرون حماه فبلغهم انه قد قارب عسكرهم فاخرجوا اليه وتعبوا تعباً
 القتال وأصبح القوم على مصاف وذلك يوم الخميس عشرة شوال فالتقى العسكران
 وتصادما وجرى قتال عظيم وحمل السلطان بنفسه فانكسر القوم وأسر منهم
 جمعا عظيما من كبار الامراء منهم الامير نحر الدين عبد المسيح فمن عليهم
 وأطلقهم وعاد سيف الدين الى حلب ووكّل السلطان ابن أخيه عز الدين فرخ شاه
 بسراوق سيف الدين ثم أمر السلطان بالكف عن باقي العساكر وتسليم ما في
 السراوق من الاموال وما يتبعه من الاصطبلات وفرق جميع ذلك على عسكره
 ورأى في السراوق طيوراً من القمارى والبلابل والهزار والبيغاء في الاقفاص
 فاستدعي مظفر الاقرع أحد الندماء وقال خذ هذه الاقفاص واذهب بها الى
 سيف الدين وقل له عدالى اللعاب بهذه الطيور فهي سليمة لا توقعك في مثل هذا
 المحذور وانها الذم من مقاساة الحروب . ثم نزل السلطان على حصن بزاعه
 وتسلمه في ٢٢ شوال وفتح منبج في ٢٩ منه وكان فيها الامير قطب الدين
 تينال ابن حسان فاخرجه منها وتسلم جميع ما بها من الخزائن والذخائر ومن جملة

أموالها ٣٠٠ ألف دينار ومن الفضة والآنية الذهبية والأسلحة والذخائر ما يناهز ألف دينار وحانت من السلطان التفاته فرأى مكتوباً على الأكياس والآنية اسم يوسف فسأل عن هذا الاسم فقيل له كان ولد يحبه اسمه يوسف ويدخر هذه الأموال له فقال السلطان أنا يوسف وقد أخذت ما خبيء لي فتعجب الناس من ذلك ثم نزل على عزاز نصب عليها عدة منجانيقات وجد في القتال فتسلمها حادي عشر ذي الحجة بعد حصارها ٣٨ يوماً وقال العماد قصيدة منها

أعطاه رب العالمين دولة عزت أهل الدين في اعزازها
 حاز العلي ببأسه وجوده وهو أحق الخلق باحتيازها
 بجده أفنى كنوزاً فنى المملوك في الجرد على اكتنازها
 مهلك أهل الشرك طرأ رومها أرمنها أفرنجها ابخازها
 تفاخر الإسلام من سلطانه تفاخر الفرس ببراوازاها

* ماجرى للسلطان مع الحشيشيين *

في حادي عشر ذي القعدة بينما كان السلطان محاصراً اعزاز وجالساً في خيمة الأمير جاولى الأسدي قريباً من المنجنيقات اذ وثب عليه احد الحشيشية أو الاسماعيلية فضرب رأسه بسكين فمنعته الزردية لانه كان دائماً متخوفاً من هؤلاء الملاحين فلم تؤثر ضربة الحشيشي شيئاً وأحس بصفائح الحديد على رأس السلطان فمد يده بالسكينة الى خده فخدشته فندت جأش السلطان وقبض على رأس الحشيشي وجذبه ووقع عليه وادره سيف الدين باز كوج وقتل الحشيشي وجاء حشيشي آخر فاعترضه الأمير داود بن منكلان فمنعه وجرحه الحشيشي في جنبه ومات بعد أيام وجاء آخر فعانقه الأمير علي بن أبي الفوارس وضمه من تحت ابطيه وبقيت يد الحشيشي من ورائه لا يتمكن من الضرب فصاح الأمير على اقلونى انا واياها فجاء

ناصر الدين محمد بن شيركوه قطمن بطن الحشيشي بسيفه وما زال يخضع فيه حتى مات ونجا علي بن أبي الفوارس وخرج حشيشي آخر منهزماً فقابلته شهاب الدين الحارمي خال السلطان فتزحزح الحشيشي عن طريقه فقصده أصحابه وقطعوه بالسيف أما السلطان فسار إلى خيمته فهاجع المسكر وماج فاضطر السلطان للركوب والخروج ليراه جميع المسكر فسكن هياجهم وكان سبب ذلك أن أهل حلب خافوا من السلطان فإرسلوا إلى سنان رئيس الاسماعيليين مرة ثانية وطلبوا منه قتل السلطان ووعدوه كما فعلوا أولاً فأرسل أربعة من اعظم رجاله فتزبوا بزى عساكر السلطان واندسوا بينهم وهو محاصر عزاز وحاربوا مع عساكره وظهروا بسالة عظيمة ثم حصل منهم ما تقدم وقتلوا

* (استيلاء تورانشاه على حضر موت واستيلاء

قراقوش على بعض بلاد المغرب) *

في سنة ٥٧١ سار شمس الدولة تورانشاه إلى بلاد حضر موت ففتحها واستتاب عنه بهار جلا كريدياً يسمى هارون ثم ولي ثغرتين مملوكه ياقوت وجعل إليه أمر الجند وولى قلعة بصرى مملوكه قايماز ثم سار قاصداً سوريا فوصلها ولحقه باخيه وهو محارب سيف الدين صاحب الموصل فكانت له اليد البيضاء في ذلك وبلغ قراقوش بان قلعة ازبيري هي بوغاز المغرب وكانت خراباً فاشير عليه بعمارتها وقيل له متى عمرت وسكنها جنود اقوياء شجعان ملكك برقة وإذا ملكت برقة ملكت ما وراءها فسار بهاء الدين قراقوش ومعه جماعة من اجناده ومما يملكه إلى القلعة وشرعوا في عمارتها واجتمع بقراقوش رجل من المغرب فحدثه عن بلاد المغرب وذكر له كثرة خيرها وغزارة أموالها وضعف أهلها ورغبه في دخولها فاخذ جماعة من أصحابه وسار في حادي عشر المحرم من هذه

السنة فكان يكمن النهار ويسير الليل مدة خمسة أيام فاشرف على مدينة أوجلة فلقية صاحبها واكرمه واحترمه وسأله المقام عنده ليعتضد به ويروجه بنته ويحفظ البلاد من العرب وله ثلث ارتفاعها فعمل قراقوش ذلك فحصل له من ثلث الارتفاع ثلاثون الف دينار فاخذ عشرة آلاف لنفسه وفرق على رجاله عشرين الف دينار وكان الى جانب أوجلة مدينة يقال لها مدينة الازراقية فبلغ أهلها صنيع قراقوش في أوجلة وانه حرس غلالهم فساروا اليه ووصفوا له بلدهم وكثرة خيره وطيب هوأه ورغبوه في المسير اليهم على انهم يملكونه عليهم فاجاب سؤلهم واستخلف على أوجلة رجلا من أصحابه يقال له صباح ومعه تسعة فوارس من أصحابه فحصل لقراقوش أموال كثيرة واتفق ان صاحب أوجلة مات فقتل أهل أوجلة أصحاب قراقوش فجاء قراقوش وحاصرها وفتحها عنوة وقتل من أهلها سبع مائة رجل وغنم أصحابه منها غنيمة عظيمة واستولى على البلد ثم ان أصحابه طلبوا العود الى مصر وخشى قراقوش الإقامة وحده فرجع معهم

* (حصار حلب وحرب الاسماعيليه) *

لما فرغ السلطان من حرب عزاز سار قاصدا حلب فحاصرها وضرب خيمته على رأس الباروقية فوق جبل جوشن ودخلت سنة ٥٧٢ والسلطان مشدد حصارها فرأى أهل حلب ان لا طاقة لهم به فدخلوا من باب التذال وطلبوا الصلح فاجابهم وعفى عنهم وأبقى للملك الصالح حلب وأعمالها وأرسل الملك الصالح الى السلطان أخته الخاتون وهي صغيرة فوقف اجلالها قائما وقبل الارض وبكى علي والدها نور الدين فسأله ان يرد عليهم عزاز فقال سمعاً وطاعة فاعطاها اياها و قدم لها من الجواهر والتحف والمال شيئاً كثيراً واتفق مع الملك الصالح ان يكون للسلطان من حماء وما فتحه الى مصر وان يطلق الملك الصالح اولاد الداية وكان الصلح عاماً لحلب والموصل وديار بكر وبعد ذلك تذكّر السلطان تاره عند الاسماعيليه وكيف

وموه بتلك البلية فرحل يوم الجمعة لمشر بقين من المحرم فحصر حصنهم ومصبات
 ونصب عليه المنجنيقات الكبار وأوسمهم قتلا وأسر أوساق أبقارهم وخرب
 ديارهم وهدم أعمارهم وهتك أستارهم حتي تشفع فيهم خاله شهاب الدين محمود
 ابن تكش الحارمي صاحب حماه وكانوا قد راسلوه في ذلك لأنهم جيرانه فرحل
 عنهم وقد انتقم منهم وكان الصليبيون قد أغاروا على البقاع فخرج اليهم شمس الدين
 محمد بن عبد الملك المعروف بابن المقدم وهو متولى بعلبك فخار بهم وقتل منهم
 وأسراً أكثر من مائتي أسير وأحضرهم الى السلطان وهو محاصر مصبات فجدد
 شوقه لغزو الصليبيين وكان هذا من دواعي مصالحة سنان وعاد الى دمشق وكان
 شمس الدولة قد خرج منها لمحاربة الصليبيين أيضاً عند ما بلغه خبر خروجهم
 لانشغال السلطان بمحاربة حاب وغيرها فخار بهم عند عين الجرفي تلك المروج فلم يقو
 عليهم ووقع من أصحابه عدة في الاسر فباع ذلك السلطان فارس الى جنوداً مصرية
 فارجعوا الصليبيين على أعقابهم وعاد شمس الدولة الى دمشق وتقابل مع السلطان
 وفوض السلطان اليه دمشق ليكون امام الصليبيين وعاده هو الى مصر وكان خروجه
 من دمشق في يوم الجمعة ٤ ربيع أول فوصل القاهرة يوم السبت ١٦ منه

﴿ تقوية اسطول مصر وبعض فتوحات ﴾

بعد رجوع السلطان الى مصر أعجبه حسن تنظيمها وسافر منها في شعبان
 الى دمياط لتفقدتها ومنها الى اسكندرية وهناك عرض عليه الاسطول
 المصري فوجد مراكبه قد لحقها ضرر كثير فامر باصلاحها وتقويتها وجعل لها
 ديواناً مخصوصاً (يشابه البحرية) واقام عليه احد الامراء وكتب الى جميع الثغور
 بان يكون الامر امر قائد الاسطول وله ان يأخذ ما يحتاج من العساكر والمال
 وكان ذلك في رمضان فرجع الى القاهرة واما بهاء الدين قراقوش فانه سافر الى أوجلة
 وفتح بلاد قران بأسرها وخرج السلطان من القاهرة قاصداً اعمال الشرقية فاقام

بجرج فاقوس وهو يركب إلى الصيد والقنص والتطلع لآخوال الصليبيين وفي
 أثناء ذلك بينما السلطان قد عزم على محاربة الصليبيين بغزه إذ وصلت أساطيل
 تفرى دمياط واسكندرية بأسرى الأفرنج وقد أربوا على الألف ففرح السلطان
 بهذا الانتصار

* (حرب السلطان مع الصليبيين وواقعة الرملة) *

في شهر جمادى الأولى سنة ٥٧٣ سار السلطان بعساكره قاصداً بلاد الأفرنج
 فوصل إلى مدينة عسقلان في يوم الأربعاء ٢٩ منه فخارب الصليبيين وكسرهم وأخذ
 أكثرهم أسرى وتفرق عسكره في الأعمال مغيرين ومبيدين آمنين من طوارق
 الحدثنان فلما رأوا أن الصليبيين خامدون استرسلوا وتوسط السلطان البلاد
 واستقبل يوم الجمعة مستهل جمادى الآخرة بالرملة قاصداً بعض المعاقل
 فاعترضه نهر عليه تل الصافية فازدحت العساكر للعبور وكان يودوين الرابع
 ملك القدس قد بلغه خروج السلطان صلاح الدين قاصداً عسقلان فسار بعساكره
 وعساكر الجمعيات الرهبانية فاخذوا طريق شط البحر وأخفوا مسيرهم
 السريع بكيمان الرمل إلى أن وصلوا إلى عسقلان بدون علم السلطان صلاح
 الدين ولما كانت عساكره مزدحمة على عبور النهر إذ فاجأته العساكر
 الصليبية بغتة وسرايا المسلمين في القرى مغيرة فوقف الملك المظفر تقي الدين
 ونازلهم الحرب فاستشهد من أصحابه عدة من الكرام وكان لتقي الدين ولد
 اسمه أحمد قد طرشار به فاستشهد أيضاً بعد ما قتل من الصليبيين كثيرين
 وكان له ولد آخر اسمه شاهنشاه قد أسر بيد الصليبيين بحيلة عملها معه أرمني
 يدمشق ثم سلمه إلى جمعية الهيكلين الرهبانية وتفرقت العتاك الإسلامية
 بالصحراء وحمل الصليبيون على السلطان فثبت ووقف ومعه من الأمراء إبراهيم
 ابن قنابر وفضل الفيضى وسويد بن غنم المصري وصار السلطان يسير

ويقف حتى لم يبق من ظن انه تخلف أحدهم العساكر ودخل الليل وسلك
الرمل والاماء ولادليل وقد تعسفوا السلوك في تلك الرمال وبقوا أياماً وليالي
بغير ماء ولازاد حتى وصلوا الى الديار ووقع في الاسر كثير من المسلمين منهم
الفقيه ضياء الدين عيسى وأخوه الظهير وقد انتهت هذه الواقعة بظفر
الصلبيين

*** محاربة الصليبيين حماه وحارم ورجوعهم الى بلادهم ***

وصل في سنة ٥٧٣ الى ساحل سوريا من البحر ملك يقال له اقلندس وكان
يعتقد خلو الشام من حامية فاجتمع بالصلبيين واتحدوا ووساروا الى حماه في ٢٠
جمادى الاولى وكان صاحبها شهاب الدين محمود الحارمي مريضاً وسيف الدين
على بن أحمد المشطوب بالقرب منها فدخلها وخرج للحرب وتقاتل مع الصليبيين
قتالاً شديداً انتهى بكسرهم ورحيلهم عنها بعد حصارهم أربعة أيام ولما قتل
من الصليبيين ما يزيد عن الف فارس انهزموا من حماه ونزلوا على حصن حارم
فخرج اليهم الملك الصالح وكانت حارم تابعة كمشتكين فطلب أخذها فابواتسليمها
اليه ولما حاصرها الصليبيون جاء الملك الصالح لمحاربتهم وأقام الحصار من
ابتداء شهر جمادى الآخرة فلما رأى أهل القلعة الخطر المحقق بهم من الصليبيين
سلموها الى الملك الصالح في العشر الاواخر من شهر رمضان وما اتصل ذلك
بالصلبيين حتى رحلوا عنها عائدين الى بلادهم وعاد الملك الصالح الى
حلب

واجتمع قسم من الصليبيين وقصدوا أعمال حمص فنهبوها وغنموا
وأسروا وسبوا فسار ناصر الدين محمد بن شيركوه صاحب حمص وسبقهم وكن
لهم في الطريق فلما وصلوا اليه خرج عليهم من كمينه ووضع السيف فيهم فقتل
أكثرهم وأسر جماعة من مقدميهم ومن سلم منهم لم يفلت الا وهو مشخن

بالجراح واسترد منهم جميع ما غنموه فرده على أصحابه وكان ذلك في
سنة ٥٧٣

✽ مسير السلطان صلاح الدين الى سوريا ومحاربة الصليبيين ✽

في شوال سنة ٥٧٣ سار السلطان صلاح الدين قاصداً سوريا فنزل دمشق
وأخذ ينتقل من بلد الى آخرى متفقداً النلاع والحصون وفي شهر ربيع أول
سنة ٥٧٤ سار جمع كثير من الصليبيين الى مدينة حماه وكثر جمعهم من الفرسان
والرجال طمعاً في النهب والغنيمة فشنوا الغارة ونهبوا وخرّبوا القرى وأحرقوا
وأسروا وقتلوا فلما سمع العسكر المقيم بحماه سار اليهم فالتقوا واقتتلوا وصدق
المسلمون القتال فانهمز الصليبيون وكثر القتل والاسر فيهم واسترد منهم ما
غنموه وكان صلاح الدين نازلاً بظاهر حمص فحملت الرؤوس والاسرى
والاسلاب اليه فامر بقتل الاسرى . وفي شهر القعدة سار الملك بو دوين الرابع
بجيشه الى دمشق فاغار على أعمالها فنهبها وأسروا وقتلوا فإرسل السلطان
عز الدين فرخشاه في جمع من العسكر اليهم وأمره اذا قاربهم يرسل اليه
ينخبره على جناح الطائر ليسير اليه وتقدم اليه ان يأمر أهل البلاد بالانتزاع من
بين يدي الصليبيين فسار فرخشاه في عسكره يطلبهم فلم يشعروا بالصليبيون
قد خالطوه فاضطر الى القتال فاقتتلوا أشد قتال رآه الناس والقي فرخشاه
نفسه عليهم وغشى الحرب ولم يكلها الى سواه فانهمز الصليبيون ونصر المسلمون
عليهم وقتل من مقدميهم جماعة ومنهم هنفري وغيره ولم يزد عدد عساكر
فرخشاه على ألفي فارس . وفي هذه السنة أغار البرنس رانود دي شاتيلون على
جمع من التركمان فاجحف بامواهم وكان صلاح الدين على حصن بانياس فيسير
اليه ولدأخيه تقي الدين عمر الى حماه وابن عمه ناصر الدين محمد بن شيركوه
الى حمص وأمرهما بحفظ البلاد وحياطة أطرافها من العدو

* محاربة الصليبيين بمرج عيون وانتصار الاسطول المصري *

في ثاني محرم سنة ٥٧٥ هـ جاء الخبر الى السلطان بان الصليبيين قد خرجوا فالتقاهم وتقاتلوا قتالاً شديداً وانتصر المسلمون على الصليبيين وأسرت فرسانهم وشجعانهم وانهمزمت رجالهم في أول اللقاء فكان من جملة الاسرى مقدم جمعية الهيكلين الرهبانية ومقدم جمعية القديس يوحنا المعمدان وصاحب طبريه وأخو صاحب جبيل وابن بارزان صاحب الرملة وقسطلان يافا وابن صاحب مرقية وكثير من خيالة القدس وعكا وغيرهم من المقدمين الاكابر ما زاد عن مائتين ونيّف وسبعين ثم عرضوا الاسرى على السلطان فأمر بنقلهم الى دمشق ومات مقدم جمعية الهيكلين فطالب الصليبيون جثته فأفدوها باسير مسلم وطال أسر الآخرين فمنهم من اقتدى بمال وأطلق ومنهم من مات ومنهم من بقي مسجوناً وهذه الواقعة كانت في مرج عيون وكانت عدة الصليبيين عشرة آلاف فارس وانهمزم ملكهم مجروحا وكان لعز الدين فرخشاه في هذه الواقعة بلاء حسن ومن أحسن ما تنق انه في اليوم الذي كسر فيه الصليبيين بمرج عيون ظفر الاسطول المصري ببطاسة كبيرة فاستولى عليها وعلى أخرى وعاد الى الثغر مستصحباً ألف رأس من السبي فما أقرب ما النصرين في المصريين وانظر كيف عم النصر وتساوى في البر والبحر

* (تخريب حصن بيت الاحزان) *

كان الصليبيون قد بنوا حصناً عند مخاضة بيت الاحزان سموه بحصن بيت الاحزان فلما بلغ خبره الى السلطان أشار عليه الامراء بخابرتهم في هدمه لان بقاء هذا الحصن يضر بالمسلمين كثيراً فإرسل السلطان الى الصليبيين يطلب منهم هدم الحصن فقالوا لا نهدمه الا اذا أعطانا تكاليفه وكان هذا الحصن لجمعية الهيكلين الرهبانية فجعل لهم السلطان ستين ألف دينار فأبوا فزادهم الى

ان جعل المبلغ مائة الف دينار فابوا فقال تقي الدين عمر للسلطان الاحسن ان تصرف هذا المبلغ في المساكر وهم يهدمونه بالقوة فسار السلطان بجيشه الى ان وصل الى المخاضة في يوم السبت ١٩ ربيع اول سنة ٥٧٥ نجيم بالقرب منها وضاق ذلك المرج عن المساكروا احتاج الى نصب ستائر فركب السلطان بكرة الاحد ٢٠ منه الى ضياع صفد وكانت قلعة صفد يومئذ للداويه وهي الجمعية المذكورة فأمر بقطع كرومها وحمل أخشابها فأخذ كل ما احتاج اليه ورجع بعد الظهر ورجعوا الى الحصن بعد العصر فما أمسى المساء الا وهم قد استولوا على الباشوره وانتقلوا بكليتهم اليها وبتوا طول الليل محرسون وخافوا ان يفتح الصليبيون الابواب ويغيروا عليهم على غرة منهم واذا بالصليبيين قد اوقدوا النار خلف كل باب ليأمنوا من المسلمين اغتراراً فاطمان المسلمون وقالوا ما تقي الانقب البرج ففرقه السلطان على الامراء فأخذ فرخشاها الجانب القبلي وأخذ السلطان الجانب الشمالي وقصد ناصر الدين شيركوه بقربه نقباً وكذلك تقي الدين وكل كبير في الدولة جعل له قسماً وكان البرج محكم البناء فصعب نقبه لكن ما انقضي يوم الاحد الا وقد تم نقب السلطان وعاق وحشى بالخطب ليلة الاثنين وحرق وكان النقب في طول ثلاثين ذراعاً في عرض ثلاثة اذرع وكان عرض السور تسع اذرع فما تأثر بذلك فاحتاج السلطان صبيحة يوم الاثنين الى اطفاء النيران ليتم نقبه وقال من جاء بقربة ماء فله دينار فكانت الناس للقرب حاملين ولاوعية الماء ناقين حتى أغرقوا تلك الثقوب فجمدت فماد نقابوها وقد بردت فخرقوه وعمقوه وفتحوه وشقوا حجروه وقلقوه ثم حشوه وعلقوه واستظفروا فيه يوم الثالث والاربعاء ثم أحرقوه واشتد الحرص عليه لان الخبر اتاهم بان الصليبيين قد اجتمعوا بطبريه في جمع كثير فلما أصبح يوم الخميس الرابع والمشرين من الشهر وتعالى النهار انقض الجدار واستبشر المسلمون وكان الصليبيون قد جمعوا وراء ذلك الموضع

المتداعي حطياً فلما وقع الجدار دخلت الرياح فردت النار عليهم وأحرقت بيوتهم وطائفة منهم فاجتمعوا الى الجانب البعيد من النار وطلبوا الامان فلما خمدت النار دخل الناس وقتلوا وأسروا وغنموا مائة الف قطعة من الحديد من جميع انواع الاسلحة وشيئاً كثيراً من الاقوات وغيرها وجيء بالاسارى الى السلطان فمن كان مرتدياً او رامياً ضربت عنقه وأكثر من أسر قتلة المتطوعون في الطريق وكان عدد الاسارى نحو ٧٠٠ وخلص من الاسر اكثر من مائة مسلم وسير باقى الاسارى الى دمشق وأقام السلطان في منزله حتى هدموا الحصن الى الاساس وكان الصليبيون قد حفروا في وسطه جب ماء معين فامر السلطان برمي القنبل فيه وكان عند السلطان رسول من رايونند قص طرابلس وهو يشاهد بلية قومه وأهل ملته ومدة مقام السلطان على الحصن في أيام فتحه وبمدها حتى دكها أربعة عشر يوماً وبعد ذلك سار السلطان الى أعمال طبريه وصور وبيروت وغيرها فاغار عليها وأرجف قلوبهم بوصولها اليها ثم رجع الى دمشق ومرض جماعة من الامراء المسلمين لان الحر كان شديداً وأنتت الجثث فتفشى الوباء وتوفى أكثر من عشرة أمراء

* محاربة الاسطول المصري ميناء عكا *

سار الاسطول المصري يغزو بلاد الصليبيين ومراكبهم وكانت قوة الاسطول قد زادت في هذه السنة واستخدم فيه عساكر بحرية مغربية من سبق لهم غزو الافرنج وكذلك رجالة المصريين الاقوياء المعروفين بالشهامة والقوة ومراكبهم كانت كنانين الا انها تترق مروق السهام وروا كدهى مدائن الا انها تترمر السحاب غير الجهام فلا أعجب ان تسمى غربانا وتنشر من ضلوعها أجنحة الحمام وتسمى جوارى وكم يسر مجراها من النصر فوصلت في الاحد

حادي عشر جمادى الاولى سنة ٥٧٥ مينا عكا وكانت مملوءة بمراكب الصليبيين ومراكب التجارة فاستولى الاسطول على عدة من المراكب تحطيا وتكسيرا وأخلى المينا من الباقي وهذا مما لم يعهد من أسطول اسلامي في سالف الدهر وعما يذكر ان عساكر الاسطول قتلوا بعض رجال قلعة عكا رمياً بالسهم من بعد كبير

﴿ وفاة المستضيء بامر الله وخلافة الناصر لدين الله ﴾

في ثاني ذي القعدة سنة ٥٧٥ توفي الامام المستضيء بامر الله أمير المؤمنين أبو محمد الحسن بن يوسف المستنجد رضى الله عنه وأمه أم ولد أرمنيته تدعى غضة وكانت خلافته تسع سنين وستة أشهر وواحد عشر يوماً وكان عادلاً حسن السيرة في الرعية كثير البذل للاموال والناس معه في أمن عام واحسان شامل وطمانينة وسكون لم يروا مثله وكان حليماً قليل المعاقبة على الذنوب محباً للعفو والصفح عن المذنبين فقد كانت أيامه كما قيل

كان أيامه من حسن سيرته مواسم الحج والاعياد والجمع

ثم أخذت البيعة لولده الناصر لدين الله فبايعه أخوه الأمير أبو منصور هاشم ثم بنو أعمامه وخواصه ثم الولاة وأرباب المناصب والاعيان وكان والده المستضيء قبل وفاته قد عهد اليه وسمي ولي العهد

﴿ محاربة السلطان بلاد الارمن ﴾

في سنة ٥٧٦ استمال ابن لاوون ملك الارمن بعض التركمان ليرعوا مواشيهم في مراعى بلاده ثم غدر بهم وأسرههم فلم يبالغ ذلك الى السلطان صلاح الدين سار بجيشه ودخل بلاد الارمن وحارب ملكهم وأذل أعوانه وأجناده ومن خوف ملكهم أمر باحراق قلعة شامخة تعرف بالمناكير فبادر المسلمون الى اخراج ما فيها من الآلات والغلات فتقووا بها وتمواهدمها الى

الاساس ووجد المسلمون في أرضها صهراً مملوءاً بآلات من نحاس وفضة وذهب
مضى عليها زمن طويل وأخذ السلطان كثيراً من الارمن أسرى فبذل ملكهم
كثيراً من المال وتمهد ان يطلق من عنده من الاسارى لاجل خروج
السلطان من بلاده فلم يرض السلطان بما بدله فزاد في المال وانه يشتري
خمسمائة أسير من بلاد الصليبيين ويعتقهم فاجاب السلطان وأخذ منهم رهينة
على ذلك وأذن عن الارمن وذل وأطلق ما بيده من الاسارى واشترى الاسرى
من الصليبيين وعتقهم ورجع السلطان منصوراً فقال الجمال الواسطي أبو
غالب محمداً وكان مشاهداً هذه الواقعة قصيدة منها

لقد جعل الله منك الورى بأوفى عليك وفي هجان
ازرت ابن لاون لأواءه فأضحى به خيراً عن عيان
ودان من الذل لا يرعوى حذاراً من الراءفات اللدان

﴿ وفاة شمس الدولة وورود التشریف للسلطان ورجوعه الى مصر ﴾

كان السلطان قد أنفذ أخاه شمس الدولة تورانشاه الى الاسكندرية
وجعل اليه ولايتها فلما أقام بها لم توافقه وكان يعتاده القوانج فمات به في ٥
صفر سنة ٥٧٦ ودفن بقصر الاسكندرية ثم نقلته منها اخته ست الشام بنت
أيوب ودفنته في مدرستها التي أنشأتها بظاهر مدينة دمشق فهناك قبره وقبرها
هي وولدها حسام الدين عمر بن لاجين وقبر زوجها ناصر الدين بن اسد الدين
شيركوه وكانت قد تزوجته بعد لاجين ووصل الخبر الى السلطان وهو نازل
بظاهر حمص فحزن عليه حزناً شديداً لانه كان شجاعاً باسلاً عظيم الهيبة
واسع الصدر جواداً كريماً قال فيه ابن سعدان قصيدة منها

هو الملك ان تسمع بكسرى وقيصر فانهما في الجود والبأس عبداه
وما حاتم عن يقاس بمثله نخذ ما إرأيناه ودع ما رويناه

ولد بذراه مستجيراً فانه يجبرك من جور الزمان وعدواه
 فلا تتحمل للسحائب منة اذا هطلت جوداً سحائب جدواه
 ويرسل كفيه بما اشتق منها فليمن يمناه ولايسر يسراه
 وفي رجب من السنة المذكورة وصلت رسـل الديوان العزيز الناصري
 صدر الدين الشيخ أبو القاسم عبد الرحيم ومعه شهاب الدين بشير الخـاص
 بالتفويض والتقليد والتشريف الجديد فخرج السلطان للقاءهم بموكبه وقابلهم
 بالاحترام اللائق والتعظيم والتبجيل ثم ركبوا ودخلوا المدينة وهذه أول
 خلعة وصلت من الامام الناصر الى السلطان الناصر وهذه الخلعة هي ثوب
 أطلس اسود واسع الكم مذهب وبيقار اسود مذهب وطيلسان اسود مذهب
 ومشدة سوداء مذهبة وطوق وتخت وسرفسار وجواد كيت من ركائب الخليفة
 عليه سرج اسود وسلال اسود وطوق مجوهر وقصبة ذهب وعلم اسود وعدة
 خيول وبقج وركب السلطان بالخلعة وكان يوم عظيم زينت له دمشق وأولت
 الولايم لرسـل الخليفة . ثم أراد السلطان الرجوع الى مصر فاناب عنه بالشام
 ابن أخيه عز الدين فرخشاه لقوته ليكون امام الصليبيين

* محاربة عز الدين فرخشاه رانود صاحب الكرك *

في سنة ٥٧٧ كان رانود دي شاتيلون من أشد الصليبيين عداوة للمسلمين
 قد عزم على المسير في البر الى تيمل ومنها الى المدينة المنورة باراضى الحجاز
 وكان دائماً ينقض عهوده فجمع جيشه واستعد لذلك فسمع عز الدين فرخشاه
 فجمع العساكر الدمشقية وسار الى الكرك ونهبها وخربها وعاد الى اطراف
 بلاد الصليبيين وأقام بها ليمنع البرنس رانود من العبور الى بلاد المسلمين ولما
 طال مقام كل منهما في مقابلة الآخر وخاف رانود من العساكر الاسلامية
 أمر بتفريق عساكره الى بلادهم وانقطع طمعه من الحركة فماد عز الدين

* وفاة الملك الصالح اسماعيل بن نور الدين *

في التاسع من رجب سنة ٥٧٧ مرض الملك الصالح اسماعيل بن نور الدين وكان مرضه بالقولنج فلما اشتد عليه ووصف له الاطباء شرب الخمر تداوياً بها فقال لا افعل حتى استفتى الفقهاء فاستفتى فافتاه فقيه من مدرسي الحنفية بجواز ذلك فقال له ارأيت ان قدر الله تعالى بقرب الأجل أيؤخره شرب الخمر فقال له الفقيه لا والله فقال الصالح والله لالقيت الله سبحانه وقد استعملت ما حرمه عليّ فلم يشربه . فلما آيس من نفسه احضر الامراء وسائر الاجناد وأوصاهم بتسليم البلد الى ابن عمه عز الدين مسعود بن مودود صاحب الموصل واستحلفهم بذلك فقال له بعضهم ان عماد الدين ابن عمك أيضاً وزوج أختك وكان والدك يحبه ويؤثره وتولى تربيته وليس له غير سنجار فلو اعطيته البلد كان أصلح وعز الدين بلاده واسعة ولا حاجة به الى بلدك فقال أعلم ذلك واكن قد علمتم بان صلاح الدين قد ملك أكثر الشام سوى ما بيدي ومتي سلمت حلب الى عماد الدين يعجز عن حفظها وان سلمتها الى عز الدين أمكنه حفظها بكثرة عساكره وبلاده فاستحسنوا قوله وعجبوا من فطنته مع شدة مرضه وصفر سنة ثم مات في الخامس والعشرين منه وكان حليماً كريماً عفيف اليد والفرج واللسان وكان عمره ١٩ سنة وبعد وفاته ارسلوا الى ابن عمه عز الدين فحضر واستلم حلب واقام بها واستلم جميع الخزائن والسلاح ثم بادل بها ابن عمه عماد الدين بسنجار فاستلم عماد الدين حلب واستلم عز الدين سنجار

* في سفر السلطان صلاح الدين الى الشام ومحاربة الصليبيين *

لما بلغ السلطان خبر وفاة الملك الصالح خاف على بلاده من عز الدين وندم على سفره من الشام وعزم على العودة اليها لحفظ بلاده وفي هذه السنة أيضاً صار

بهاء الدين قراقوش الى بلاد الغرب فاوغل فيها ونهب ما قدر عليه وحارب عسكر
 ابن عبد المؤمن بالقيروان ثم بلغه ان ابراهيم السلحدار احتوى على اهل قراقوش
 وبلده فرجع اليه فهرب ابراهيم وسار الى خدمة ابن عبد المؤمن وملك قراقوش
 ما كان بيد ابراهيم اما السلطان صلاح الدين فانه رأى ان عز الدين قد خرق
 المعاهدة بملكه واتصل به أيضاً ان امرء الموصل تأمروا عليه سرأ مع الصليبيين
 فجمع عساكره واستصحب نصف العسكر وأبقى النصف الآخر لحفظ الثغور
 المصرية ثم سار السلطان من البركة وأخذ على طريق صدر واوله في المفاوز فبات
 بالبويب ثم سار على الجسر ووادي موسى حتى وصل عقبه ايله وهناك سمع باجتماع
 الصليبيين على الكرك فاحترز بحفظ الاطراف وانحاز بحمي ثم عقبه شتار ثم
 القزبتين وأغار في تلك الايام على اطراف بلاد العدو ثم تجرد السلطان بكانه
 وسلك بهم سمت الكرك الى الحسى وأمر أخاه تاج الملوك بوري على العسكر
 وأمره ان يسير بهم على يمينه ففعل واجتمع بالسلطان بالازرق بعد أسبوع
 ووصل الخبر بظفر الملك المنصور عز الدين فرخشااه لانه لما بلغه تجمع
 الصليبيين على الكرك اغتمم خلو ديارهم فاغار على بلاد طبريه وعكا وفتح ديوريه
 وجاء الى حيدس جلدك بالسواد وهو شقيق يشرف على بلاد المسلمين
 ففتحها وأسكن المسلمين فيه فبقي عيناً على الصليبيين بعد ما كان لهم ورجع
 بالاسرى والغنائم منصوراً ومعه الف أسير وعشرون الف رأس من الانعام
 ثم وصل السلطان بصرى ودخل دمشق في ١٧ صفر سنة ٥٧٨ وفي أوائل
 ربيع أول خرج السلطان وأغار على بلاد طبريه وبيسان والتجمل القتال بينه وبين
 الصليبيين تحت حصن كوكب فانهزمت الصليبيون وقتل وأسر منهم كثير وعاد
 السلطان منصوراً

* محاصرة بيروت براً وبحراً ومسير السلطان الى الموصل *

أمر السلطان الاسطول المصري بالمجيء الى بيروت فسار اليها ونازلها وانغار عليها وسار السلطان فوافاه اليها ونهب ما لم يصل الاسطول اليه وحصرها عدة أيام فاتاه الخبر وهو عليها ان قد نزل دمياط جمع عظيم من الافرنج وكانوا قد خرجوا من بلادهم لزيارة القدس فاسروا من بها بعد ان غرق منهم كثير فكان عدة الاسرى الف وستمائة وستا وسبعون أسيراً ثم أرسل اليه مظفر الدين كوكبرى صاحب حران واعلمه انه معه وطلب منه سرعة قدومه الى الفرات فجد صلاح الدين في السير مظهراً انه يريد حصر حلب تسترا فلما قارب الفرات سار اليه مظفر الدين واجتمع به فقصدا اليه وكان صاحبها معه ثم سار الى الرها فحاصرها في جماد الاولى سنة ٥٧٨ وقاتلها أشد قتال ووالى الزحف عليها وكان بها الامير فخر الدين مسعود فلما رأى شدة القتال أذعن للتسليم وطلب الامان وسلم البلد وسار في خدمة صلاح الدين الذي سلمها الي مظفر الدين مع حران ثم سار السلطان الى الرقة فملكها ومنها الى نصيبين فملكها أيضاً وجمع أمراءه واستشارهم في أي البلاد يبدأ بالموصل أو سنجار أو جزيرة ابن عمر فاشاروا عليه بالموصل فسار اليها وحاصرها فوجدها منيعة جداً وعلم ان ليس له قدرة عليها ولكنه لازم حصارها ثم حصل تردد في الصلح فلم يتم وأخيراً تركها وسار الى سنجار وحاصرها وجد في قتلها الى ان تسلمها بالامان ووقل عائداً

* (الصليبيون في البحر الاحمر او بحر القلزم وهلاكهم) *

في سنة ٥٧٨ أيضاً طمع البرنس رانود بالاستيلاء على أراضي الحجاز فانشأ المراكب ونقل أخشابها على الجمال الى الساحل ثم ركبها وشحنها بالرجال

وآلات القتال وجعلها قسمين قسماسار الى جزيرة قلعة ايله فمنع أهلها من ورود
الماء فقال أهلها شدة وضيق عليهم والقسم الثاني سار نحو عيذاب وافسد في السواحل
ونهب وأخذ ما وجد من المراكب الاسلامية وما فيها من التجار وبتوا الناس في
بلادهم على حين غفلة لانهم لم يهتدوا بهذا البحر أفرنجياً لانا جراً ولا حارياً وكان
بمصر الملك العادل أبو بكر بن أيوب نائب عن أخيه صلاح الدين فعمر أسطولاً
في بحر القلزم بقيادة الحاجب حسام الدين لؤلؤ وشحنه بالرجال البحريين
ذوى التجربة من أهل النخوة للدين وسار الى ايله فظفر بمراكب العدو بعد
ما خرقها وأخذ جندها ومن هرب منهم في البرية تبتعتهم العرب وأحضرتهم اليه
ثم سار نحو عيذاب مقتفياً أثر الباقي من مراكب الصليبيين فوجدهم قد قتلوا
أهل عيذاب وأسروهم ونهبوهم وساروا فقتلهم فوجدهم قد قطعوا طريق
التجار وشرعوا في القتل والنهب وتوجهوا الى أرض الحجاز فمطم البلاء على
الناس وأشرف أهل المدينة ومكة على خطر وسار لؤلؤ يتبعهم فوصل رابع
ساحل الحوراء فأدركهم هناك فأوقع بهم من القتل والاسر فلما رأوا العطب
وشاهدوا الهلاك خرجوا الى البرواعة صموا ببعض تلك الشامب فنزل لؤلؤ
من مراكبه اليهم وقاتلهم أشد قتال وأخذ خيلاً من عرب البلاد فركبها وقاتلهم
فرساناً ورجالة فظفر بهم وقتل أكثرهم وأخذ الباقي أسري وأرسل بعضهم الى
مى لينحروا بها عقوبة لمن رام اخافة البلاد الحرام وعاد بالباقي الى مصر فقتلوا
جميعاً لئلا يدل من يظل منهم حياً على تلك الجهات فقال أبو الحسن بن الذرورى
يمدح لؤلؤ بقصيدة منها

مر يوم من الزمان عجيب	كاد يبدى فيه السرور والجماد
اذ أتى الحاجب الاجل بأسرى	قرتهم في طيها الاصفاد
بجمال كأنهن جبال	وعلوج كأنهم اطواد *
قات بعد التكيير لما تبدي	هكذا هكذا يكون الجهاد

حبذا لو اؤو يصيد الاعادي وسواه من الآلى يصاد

* استيلاء السلطان على حلب *

في سنة ٥٧٩ سار السلطان ابي آمد وحصرها وفتحها عنوة بعد حرب شديدة وسلمها الى صاحب الحصن نور الدين ثم سار الى تل خالد فحاصره واستلمه وسار الى عينتاب فتسلمها أيضاً بالامان ثم سار الى حلب وحصرها وشدد حصارها وأقام عليها أياماً والقتال بين العسكرين كل يوم فلما رأى عماد الدين صاحب حلب كثرة المصاريف شح بالمال فحضر عنده بعض الاجناد وطالبوا منه شيئاً فاعتذر اليهم بقلة المال عنده فقال له بعضهم من يريد ان يحفظ مثل حلب يخرج الاموال ولو باع حلى نسائه فقال عماد الدين الى تسليم حلب وأخذ العوض عنها وأرسل الى السلطان الامير طمان الياروقي بانه يسلم حلب ويأخذ عوضها سنجار ونصيبين وانخابور والرقه وسروج وجرى اليمين على ذلك فزل منها في ١٨ صفر سنة ٥٧٩ وسلمها واستلم البديل عنها ونصب سلطان علمه الاصفر فوق السور وقال محيي الدين بن الزكي قاضي دمشق في مدح السلطان قصيدة منها

وفتحكم حلباً بالسيف في صفر مبشر بفتوح القدس في رجب
فوافق فتح القدس في رجب سنة ٥٨٣ وهو من الاتفاق العجيب ووجهل فيها
ولده الملك الظاهر غازي

* (في تنازل بودوين الرابع وولاية بودوين الخامس) *

في سنة ٥٧٩ عمى السلطان بودوين الرابع المسمى بالملك الابرس وصار كفيفاً ولذلك انتدب غوي دي لوزينه نازوج أخته سبيلا وأقامه نائباً على الملك وكان ضعيفاً طائش الرأي فسار مرة في عشرة آلاف مقاتل فلما راه السلطان صلاح الدين فهزمه وقتل رجاله ولذلك كرهه الصليبيون وعزله بودوين الرابع وأقام وكيلاً

عنه رايونند صاحب طرابلس ثم ان الملك بودوين الرابع تنازل عن الملك لابن
أخته سبيلامن زوجها الاول غويليوم دي مونت فراتاو عمره خمس سنوات فهذا
الذي صعد على كرسي سلطنة القدس (اورشليم) سنة ١١٨٣ ميلاديه و لقب
ببودوين الخامس

﴿مناوشات الصليبيين مع العساكر الاسلاميه﴾

انتهت سنة ٥٧٩ في مناوشات تقع بين الصليبيين وعساكر السلطان صلاح
الدين وكان النصر دائماً ملازماً للعساكر السلطان لانه في كل واقعة كان يقتل ويؤسر
بعض الصليبيين خصوصاً في جهات بيسان فانهم استولوا على أشياء كثيرة من
أمتعة وقماش وغلال والجالوت وهي قرية عامرة فانهم عثروا على مجدة للصليبيين
كانت قاصدة الشوبك والكرك فانقضوا عليهم وقتلوهم وأسروا منهم زهاء مائة
تفر . ثم باع السلطان ان الصليبيين اجتمعوا في صفوريه ورحلوا الى الفولة
وهي قرية معروفة وكان غرضه المصاف فلما سمع ذلك تعيبي للقتال وسار
للقاء العدو فالتقوا وجرى قتال عظيم فقتل من العدو جماعة وجرح منهم
جماعة وهم ينضم بعضهم الى بعض يحمي راجلهم فارسهم ولم يخرجوا
للمصاف وظلوا سائرين حتى اتوا العين فنزلوا عليها ونزل السلطان حولهم
والقتل والجرح يعمل فيهم ليخرجوا الى المصاف وهم لا يخرجون فرأى
السلطان ان يرحل عنهم قليلاً لملهم يخرجون فيضرب معهم المصاف فرحل
ونزل تحت الجبل مترقباً خروجهم فنكص الصليبيون على أعقابهم فرحف
عليهم وأخذ يرميهم بالنشاب ويطلب مصافهم فلم يخرجوا ولم يزل السلطان
وزادهم حتى نزلوا الفولة راجعين الى بلادهم فعاد . ثم طلب السلطان أخاه العادل
نائبه بمصر وولاه حلب وأرسل تقي الدين الى مصر نائباً عنه وأتاب سيف الاسلام
على جميع اليمن

* محاصرة الكرك ودخول السلطان بلاد الصليبيين *

في سنة ٥٨٠ طلب السلطان العساكر المصرية الى الكرك وسار اليها بمن معه
وحاصرها بعد مجيء العساكر المصرية وركب المنجانيقات عليها وضيق عليهم
الحصار ولما باغ الصليبيون ذلك خرجوا براجلهم وفارسهم فملك المسلمون
الربض وبقي الحصن وهو والربض على سطح جبل واحد الا ان بينهما خندقاً
عظيماً عمقه نحو ستين ذراعاً فأمر السلطان بالقاء الاحجار والتراب لردمه فلم
يقدر أحد على الدنومنه لكثرة الرمي عليهم بالسهام والاحجار من المنجانيقات
فأمر أن يبني بالاششاب سقايف يمكن الرجال يمشون تحتها لردمه ومنجانيقات
المسلمين مع ذلك ترمي الحصن ليلاً ونهاراً أما الصليبيون فانهم زحفوا لتجدة
اخوانهم فلما بلغ السلطان قدومهم سار ليمتد بهم وكانوا قد نزلوا في مكان يقال
له الواله فسار حتى نزل بالبقاء على قرية يقال لها حسبان امام الصليبيين في
طريقهم ورحل منها الى موضع يقال له ماء عين ثم رحل الصليبيون الى الكرك
فسار بهض العسكر وراءهم فقاتلوهم الى آخر النهار ولم يراى السلطان تصميم
الصليبيين على الكرك ورأى الساحل خالياً سار بمساكره فاغار على نابلس ونهبها
وغنم ما فيها ثم سار الى سبسطيه وبها مشهد زكريا عليه السلام وبها كنيسة
وجماعة من أسرى المسلمين فاستنقذهم ورحل الى جينين فنهبا وخربها وعاد
الى دمشق ونهب ما على طريقه وخربه وبث السرايا في طريقه يميناً وشمالاً
يقتمون ويخربون

* مرض السلطان وصلحه مع عز الدين صاحب الموصل *

في سنة ٥٨١ سار السلطان بعسكره قاصداً الموصل فوصاها وحصنها
وضايق أهائها ثم أصابه مرض وهو يقيم الحصار فاغتم عز الدين صاحب الموصل
فرصة مرضه وأرسل اليه يطاب الصالح فصالحه بشروط ان تبقى البلاد يده

عز الدين ويخطب للسلطان فيها وان السلطان اذا طلب عسكرياً للجهاد يكون عز الدين ملزوماً بالسفر بنفسه للمساعدة ثم رجع السلطان الى حران وهو مريض واشتد به المرض حتى يش الناس منه وسافر اليه أخوه العادل ومعه الاطباء من حاب وعاده جميع الامراء والعساكر وفي أثناء مرضه أشار عليه بعض الزائرين ان ينذر لله نذراً اذا شفاه الله من مرضه هذا وهو ان يشتغل بفتح الكعبة المقدسة وانه لا يصرف بقية عمره الا في قتال الاعداء الصليبيين ثم أخذ السلطان في التقدم في الشفاء من ذلك المرض شيئاً فشيئاً الى ان عوفي تماماً ففرح جميع المسلمين بذلك .

* (وفاة بودوين الخامس وولاية غوي دي لوزيانا) *

في سنة ٥٨١ توفي الملك بودوين الخامس ابن أخت بودوين الرابع وهو صغير السن كما تقدم وكانت مدة حكمه سنتين وكان النائب عنه البرنس رايموند صاحب طرابلس وقبل وفاة المذكور بأيام قليلة توفي بودوين الرابع الذي كان كفيفاً وتنازل عن الملك كما تقدم ثم بعد وفاة بودوين الخامس تولت المملكة والدته سيبلا أخت بودوين الرابع وتنازلت عن الملك لزوجها غوي دي لوزيانا وأبنته للتاج أمام القسوس والبطاركة ورؤساء جمعية ماري يوحنا المعمدان وجمعية الطبكيين وأمرتهم باتباع أحكامه وأوامره فاجابوها بالسمع والطاعة وصار من ذلك الوقت ملكاً على القدس

* (حساب المنجمين بحراب الكون) *

في سنة ٥٨٢ حكم الفلكيون رصاد انجم انه في الثامن والعشرين من جمادى الآخرة من هذه السنة تقترن الكواكب السيارة الخمس والشمس والقمر في برج الميزان ويشير ذلك هواء عظيماً وغيماسمومياً وفي يوم الثلاثاء التاسع والعشرين تهلك جميع البلاد وتحمل الرمل وقالوا يكون أشد ذلك من

ليلة الثلاثاء الى نصف ليلة الاربعاء وخوفوا من ذلك جميع ملوك المعجم
والروم وأشعروهم بتأثيرات النجوم فشرعوا في حفر منارات في التخوم
وتعميق السرايب وتوثيقها وسد منافسها على الريح ونقلوا اليها الماء والزاد
وانقلوا اليها وانتظروا الميعاد وخاف كذلك جميع الرعايا في كل البلدان ولما
جاءت ليلة الميعاد فكانت ليلة هادية وما تحرك فيها ريح قط فيخزي أهل التنجيم
من ذلك وعملت الشعراء في كذبهم أشعاراً قال أبو الغنائم منها

قل لابن الفضل قول معترف مضى جمادي وجاءنا رجب
وما جرت زعزع كما حكموا ولا بدا كوكب له ذنب
كلا ولا أظلمت ذكاء ولا أبدت أذى في قرانها الشهب
يقضى عليها من ليس يعلم ما يقضى عليه هذا هو العجب
فارم بتقويمك الفرات والاصطرلاب خير من سفرة الخشب
قد بان كذب المنجمين وفي أي مقال قالوا فما كذبوا
مدبر الامر واحد ومتي للسبع في كل حادث سبب
لالمشترى سالم ولا زحل باق ولا زهرة ولا قطب
تبارك الله حصحص الحق وانجاب التماذي وزالت الريب
فليطال المدعون ما وضعوا في كتبهم واتحرق الكتب

* (اختلاف الصليبيين وانحياز رايونند الى السلطان صلاح الدين) *

كان رايونند صاحب طرابلس وصياً على بودوين الخامس ولما توفي
بودوين وتولى بعده زوج أمه غوى دي لوزينانا طالب البرنس رايونند بحساب
ما جباه من الاموال مدة ولاية الصبي فادعي انه انفق عليه وزاده ذلك الامر
تقوراً وكدراً وجاهر بالعداوة وراسل السلطان صلاح الدين وانتمى اليه
واعترض به وطلب منه المساعدة على بلوغ غرضه من الفرنج الصليبيين ففرح

صلاح الدين والمسلمون بذلك ووعدوه النصر والسمي له في كل ما يريد وضمن له ان يجعله ملكا مستقلا للصليبيين قاطبة وكان عنده جماعة من فرسان رايونند أسرى فاطلقهم فحل ذلك عنده أعظم محل واطهر طاعة صلاح الدين ووافقه على ما فعل جماعة من الصليبيين فاختلفت كلمتهم وتفرق شملهم وكان ذلك في سنة ٥٨٢ هجرية

* غدر رانود صاحب الكرك بالهدنة *

كان البرنس رانود صاحب الكرك من أشد أعداء المسلمين وكان يوالى غدراتهم وكان السلطان يحاصره المرة بعد الاخرى حتى أذله فخضع وطلب الهدنة فهادنه وتحالفا بعدم التعرض لاحد وترددت القوافل من الشام الى مصر ومن مصر الى الشام ففي هذه السنة اجتازت به قافلة عظيمة غزيرة الاموال كثيرة الرجال ومعها جماعة من الجنود كانت واردة من مصر فغدر رانود بهم وأخذهم عن آخرهم وغنم أموالهم ودوابهم وسلاحهم واودعهم السجن فنادوه الله والصلاح الذي بينه وبين المسلمين فاستخف بهم وقال قولوا لمحمدكم يخلصكم فباع ذلك السلطان وراسله في اطلاقهم فابي فحملة الدين والحمية على انه نذر ان ظفر به قتله

* واقعة صفورية وحصار الكرك *

في أول محرم سنة ٥٨٣ برز السلطان من دهشق في المسكر العرصرم فلما وصل الى رأس الماء أمر ولده الملك الافضل بالاقامة هناك لمقابلة الامراء القادمين لمساعدته من جميع البلاد وسار السلطان الى بصرى وخيم على قصر السلامه ثم سار ونزل على الكرك واخاف أهله وأخذ ما كان حوله ورعي زرعهم وقطع أشجارهم وكروهم ثم سار الى الشوبك وفعل به مثل ذلك ووصل عسكر مصر فماتوا وفرقه على أعمال القلعتين وأقام على هذه الحالة شهرين

والملك الافضل مقيم برأس الماء ومعه جميع المساكر القادمة ينتظر أمراً
من أيه فلما طال به الانتظار سار بسرية منهم قاصداً الاغارة على أعمال
طبرية حتي أصبح صفورية فخرج اليهم الصليبيون من جمعية الهيكلين (الداويه)
وجمعية ماري يوحنا الممدان (الاستباريه) واقتتلوا قتالاً شديداً وخرج من
الصليبيين فارس راكب حصاناً ابيض وهو يدعي يعقوب دي مالي رئيس
الاستباريه وهجم على المساكر الاسلاميه فقتلوه وقتلوا باقي قومه وأسروا
اكثرهم وأيقن باقي الصليبيين بالهلاك وهرب مقدم الهيكلين وعادت المساكر
الاسلاميه سالمة غانمة فكانت هذه الواقعة باكورة البركات وجاءت البشرية الى
السلطان وهو على الكرك والشوبك فسار السلطان حتي خيم بعشرا ثم سار حتي
قابل المساكر الاسلاميه فعبى العسكر قلبا وجناحين وميمنة وميسرة وجاليشية
وساقة وعرف كل منهم موضعه وسار على تعبئة فنزل بالاقحوانة بقرب طبرية
وكان البرنس رايغوند المنتمي لصلاح الدين قد اصطلح مع قومه لان ملكهم
غوى قد أرسل له البطرك والقسوس والرهبان فقالوا له لاشك انك أسلمت
والا لما كنت تصبر على ما فعله المسلمين في صفورية وتهده البطرك ان يحرمه
فلما رأى رايغوند شدة الامر عليه خاف واعتذر وتاب وسار معهم الى القدس
وتصالح مع الملك غوي

* (فتح طبرية ومجلس مشورة الصليبيين)*

لما رأى الصليبيون ما حصل لهم جمعوا عساكرهم باراضي صفورية . ثم
عرض السلطان عساكره في منتصف ربيع الآخر على تل يعرف بتل تسيل
ورتبهم واندفع قاصداً بلاد العدو في وسط نهار الجمعة وكان دائماً يقصد بوقعاته
الجمع لاسيما أوقات صلاة الجمعة تبركا بدعاء الخطباء على المنابر فربما كانت أقرب
الى الاجابة فسار ونزل على بحيرة طبرية غربي المدينة على سطح الجبل لتعبئة

الحرب منتظراً ان الصليبيين اذا بلغهم ذلك قصدوه فلم يتحركوا من مكانهم
 ولا فارقوا خيامهم فنزل وأمر عساكره بالنزول امام عساكر الصليبيين لاجل
 منهم من القتال ونزل بجريدة من عسكره الى طبرية وقاتلها ونقب بعض ابراجها
 وأخذ المدينة عنوة في ساعة ولجأ من بها الى قلعها فامتنعوا بها وفيها زوجة رايوند
 وأولاده فهب المدينة واحرقها ولما بلغ الصليبيون ما فعله صلاح الدين من أخذ
 طبرية واحراقها بمد سلب ما بها عقدوا مجلسهم للمشورة بمدينة القدس فقام رايوند
 وقال اني متنازل عن مدينة طبرية للعدو ويلزمنا التجمع حول القدس لحفظه
 من العدو لاني مارأيت قط جيشاً مثل هذا ذاقوه وبطش فقام رانود صاحب
 الكرك وقال له قد أطلت في التخوف من المسلمين ولاشك انك تريد تميل
 اليهم والاما كنت تقول هذا وأما قولك انهم كثيرون فان النار لا يضرها كثرة
 الحطب فقال رايوند ها أنا واحد منكم وبين أيديكم فقرروا بمسير العساكر
 الى مرج صفرية فزحفوا وكان امامهم رايوند مع عساكره وغوى سلطان
 القدس مع الفرسان الهيكليين (الداوية) وضياف الغربا أي جمعية ماري يوحنا
 المعمدان (الاسبتارية) كانوا وراء الجيوش بصفة خفراء وكان في الوسط باقي
 الصليبيين مع مطران عكا حاملاً الصليب الحقيقي (صليب الصلبوت الذي صلب
 عليه المسيح كما يدعون) فلما بلغ ذلك السلطان صلاح الدين عاد عن طبرية الى
 عسكره وكان قريباً منه وانما كان قصده من محاربة طبرية ان الصليبيين
 يقارقون مكانهم ليقاتلهم وكان المسلمون قد نزلوا على الماء وكان الوقت قيظ
 شديد الحر فحصل للصليبيين عطش ولم يتمكنوا من الوصول الى ذلك الماء من
 المسلمين وقد افنوا ما هناك من ماء الصهاريج ولم يتمكنوا من الرجوع خوفاً من
 المسلمين فبقوا على حالهم الى الغد وهو يوم الجمعة وقد أخذ العطش منهم وأما
 المسلمون فانهم طمعوا فيهم وكانوا من قبل يخافونهم فباتوا يمرض بعضهم بعضاً
 وقد وجدوا ريح النصر والظفر وكلموا رأوا حال الصليبيين بخلاف عادتهم مما

ركبهم من الخذلان زاد طمعهم وجرائتهم فاكثروا التكبير والتهايل طول ليالهم
ورتب السلطان تلك الليلة الجاليشية وفرق فيهم النشاب

* واقعة حطين وأخذ المسلمين صليب الصلبوت *

لما كان صبح يوم الجمعة ٢٣ ربيع آخر ركب العسكران وتصادما وذلك
بارض قرية تسمى اللوبيا ولم يزل القتال مشتبكا الى ان حال بينهم الظلام
وجرى في ذلك اليوم من الوقائع العظيمة ما لم يروه السابقون وبات كل فريق
شاكياً سلاحه ينتظر خصمه في كل ساعة وفي صباح يوم السبت ٢٤ منه ركب
السلطان وتقدم الى الصليبيين وركبت الصليبيون بترتيبهم السابق حتى اذا دنا
بعضهم من بعض اقتتلوا واشتد القتال وصبر الفريقان ورمي جاليشية المسلمين
من النشاب ما كان كالجراد المنتشر فقتلوا من خيول الصليبيين كثيراً فاجتمع
الصليبيون وقد اشتد بهم العطش وهم يقاتلون فساروا نحو طبرية لئلا يردون
الماء فلما علم السلطان صلاح الدين ذلك صدهم عن مرادهم ووقف بالعسكر
في وجوههم وطاف بنفسه في المسلمين يحرضهم ويأمرهم بما يصلحهم وينهاهم
عما يضرهم والناس يتبعون أوامره فحمل مملوك من ممالكة الصبيان حملة
منكرة على صف الصليبيين فقاتل قتالا عجب منه الناس ثم تكاثر الصليبيون
عليه فقتلوه فلما قتل حمل المسلمون حملة منكرة ضعضعوا معها الصليبيين وقتلوا
منهم كثيراً فلما رأى رايونند شدة الامر وعلم ان لا طاقة لهم على المسلمين
اتفق هو وجماعة وحملوا على من بينهم وكان مقدم المسلمين في تلك الناحية
تقي الدين عمر ابن أخي صلاح الدين فلما رأى حملة الصليبيين حملة مكروب
علم ان لا سبب للوقوف في وجوههم أمر أصحابه ان يفتحوا لهم طريق يخرجون
منه وكان بعض المتطوعة قد اشعل في تلك الارض نارا فالتهب الهشيم
الكثير وهبت الريح فحملت حر النار والدخان اليهم فاجتمع عليهم العطش وحر

الزمان وحر النار والدخان وحر القتال وانهمزم رايونند وتبعه بعض عسكره
وحمل الصايبيون حملات متداركة فكانوا يحملون الحملة فيرجفون وقد قتل منهم
كثير فوهنت لذلك قواهم وهنا عظيماً فاحاط بهم المسلمون احاطة الدائرة
بقطرها واعتصم من بقي من الصايبيين بتل حطين وهي قرية هناك عندها
قبر النبي شعيب عليه السلام وأرادوا ان ينصبوا خيامهم ويحموا نفوسهم بها
فاشدد عليهم القتال من سائر الجهات ومنعواهم عما أرادوا ولم يتمكنوا الا من
نصب خيمة ملكهم وأخذ المسلمون صليهم الاعظم (صليب الصليوت) فكان
ذلك عليهم من أعظم المصائب وأيقنوا بعده بالقتل والهلاك ودام فيهم القتال
والاسر وبقي الملك على التل في قسم من جيشه ومعه الامراء والقواد فحمل
عليهم المسلمون حملة شديدة حتى هلك الصليبيون فنزلوا عن خيوطهم
وتراموا الى الارض فاخذتهم المساكر الاسلامية أسرى باليد وكان في جملتهم
الملك غوي ملك القدس والبرنس رانود صاحب الكرك والشوبك وجميع
ضباط الصايبيين حتى كان من يرى القتلي لا يظن انهم أسروا أحداً ومن يرى
الأسرى لا يظن انهم قتلوا أحداً ولم يصب الصليبيون من عند خرجوا من بلادهم
الى فلسطين أي من سنة ٤٩١ الى الآن بمثل هذه الواقعة فلما فرغ المسلمون
من ذلك نزل صلاح الدين في خيمته وأحضر ملك الصليبيين غوي دي لوزيانا
ورانود دي شانيلون صاحب الكرك وأجلس الملك غوي الى جانبه وقد أهلكه
العطش فسقاه ماء مثلوجاً فشرب وأعطى الباقي الى رانود فشرب فقال السلطان
صلاح الدين للترجمان ان هذا المأمون لم يشرب الماء باذني بل الذي سقاه
الملك وكان من جميل عادة العرب ان الاسير اذا أكل أو شرب من مال من
أسره أمن فقصد السلطان بقوله هذا ان الملك غوي أمن وأما رانود فلم يأمن ثم
أمر السلطان بمسيرهم الى موضع معين لنزولهم فمضوا واكوا شيئاً ثم استحضروهم
بين يديه فاقعد الملك غوي في الدهليز وأوقف رانود وقال له على ما حصل

منه ثم قال السلطان ها أنا انتصر لمحمد صلى الله عليه وسلم ثم عرض عليه الاسلام فابي ثم سل سيفه وضربه بنفسه فاطار هامته فسحب الى باب الخيمة فارتعدت فرائص الملك ولم يشك في انه يثني به فاستحضره وطيب قلبه وقال لم تجر عادة الملوك ان يقتلوا الملوك أما هذا فانه جاوز الحد

* (أخذ قلعة طبرية) *

لما فرغ السلطان من هذه الواقعة في يوم السبت أقام بموضعه باقى يومه فلما أصبح يوم الاحد ٢٥ ربيع آخر عاد الى طبرية ونازلها فارسلت صاحبته زوجته رايوند صاحب طرابلس تطلب الامان لها ولاولادها وأصحابها وما لها فاجابها الى ذلك فخرجت بالجميع فوفى لها فماتت آمنة ثم أمر الملك غوى وجماعة من أعيان الصليبيين الأسرى فارسلوا الى دمشق وأمر بمن أسر من الداوية (الهيكلين) والاسبتارية (جمعية ماري يوحنا) الرهبانيين بان يجمعوا ليقتلهم وأمر بان كل من عنده أسير منهم يأخذ بدله خمسين ديناراً مصرياً ولما جمعوهم أمر بقتلهم وقد خص هؤلاء بالقتل لانهم أشد شوكة من جميع الصليبيين فراح الناس من شرهم وكتب الى نائبه بدمشق ليقتل من دخل البلد منهم اما القمص رايوند صاحب طرابلس الذي هرب من الواقعة السابقة فانه ذهب الى صور ثم قصد طرابلس ولم يلبث الا أياماً قليلاً ومات ومدح العماد السلطان بقصيدة منها

يا يوم حطين والابطال عابسة	وبالعجاجة وجه الشمس قد عابسا
رأيت فيه عظيم الكفر محتقراً	مغفراً خده والانف قد تعسا
يا طهر سيف برى رأس البرنس فقد	أصاب أعظم من بالشرك قد نجسا
وغاص اذطار ذاك الرأس في دمه	كأنه ضفضع في الماء قد غطسا
ما زال يعطس من كوماً بقدرته	والقتل تسميت من بالقدر قد عطسا

عري ظباه من الاغماد مهركة
دما من الشرك ردا هابه وكسا
من سيفه في دماء القوم منغمس
من كل من لم ينزل في الكفر منغمسا
اقناهم قتلهم والاسر فانتكسوا
و بيت كفرهم من خبثهم كفسا

﴿ فتح عكا وغيرها من الحصون ﴾

لما فرغ السلطان من طبرية سار عنها في يوم الثلاثاء ٢٧ ربيع آخر سنة
٥٨٣ ووصل الى عكا يوم الاربعاء ٢٨ منه وقد صد أهلها على سورها يظهرون
الامتناع والحفظ فتعجب السلطان لانهم علموا ان عسا كرههم من فارس وراجل
بين قتيل وأسير وانه لم يسلم منهم الا القليل الا انه نزل يومه وركب يوم الخميس
٢٩ منه وقد صمم على الزحف على البلد وقتاله فيينا هو يمن النظر في اختيار
الجهة التي يزحف منها ويقا تل اذ خرج كثير من أهلها يطلبون الامان
فاجابهم الى ذلك وأمنهم على أنفسهم وأهلهم وأموالهم وخيرهم بين الإقامة
والظمن فاختاروا الرحيل خوفاً من المسلمين وساروا عنها متفرقين وحملوا
ما أمكنهم حمله من أموالهم وتركوا الباقي على حاله ودخل المسلمون اليها يوم
الجمعة غرة جماد الاولى وصلوا بها الجمعة في جامع كان للمسلمين قديماً جعله
الفرنج بيعة لهم ثم جعله صلاح الدين جامعاً وهذه أول جمعة أقيمت بالساحل
الشامي بعد ان ملكه الصليبيون واستقذ ما كان بها من أسرى المسلمين وهم
ماينوف عن أربعة آلاف مسلم وسلم البلد الى ولده الافضل وأعطى جميع
ما كان في البلد ملكاً للداوية (الهيكليين) للفقير عيسى وغنم المسلمون ما بقي
مما لم يطق الصليبيون حمله وكان من كثرته يعجز الاحصاء عنه فأوا فيها من
الذهب والجوهر والسقلاط والبندق والسلاح وغير ذلك من الامتعة كثيراً
لانها كانت مينا عمومية لتجار الافرنج والروم وغيرهم ففرق صلاح الدين وابنه
الافضل ذلك جميعه على أصحابهما وفي مدة إقامة السلطان في عكا أرسل عسا كره

الى الناصرة وقيسارية وحيفا وصفورية ومعليا والشقيف والفولة وغيرها من البلاد
المجاورة لمدينة عكا فلما كوها ونهبوها وأسروا رجالها وسبوا نساءها وقدموا من
ذلك ماسد الفضة وأرسل صلاح الدين الى أخيه العادل بمصر يبشره بما فتحه
الله على يديه ويأمره بالمسير الى بلاد الصليبيين من جهة مصر بمن بقي عنده من
العسكر ومحاصرة ما يليه منها فسارع الى ذلك وسار عن مصر فنازل حصن
مجدل يابا وحصره وغنم ما فيه وسار الى مدينة يافا وهي على الساحل فحصرها
وملكها عنوة ونهبها وأسرى الرجال وسبى الحريرم وجرى على أهلها ما لم يجز على
أحد من تلك البلاد وورد كتابة بذلك الى صلاح الدين . وقد سير السلطان
حسام الدين عمر بن لاجين في عسكر الى نابلس فأتى سبسطية وبها قبر زكريا
عليه السلام فاخذ من أيدي الصليبيين وسلمه الى المسلمين ووصل الى نابلس
فدخلها وحصر قلعتها واستنزل من فيها بالامان وتسلم القلعة وأقام أهل البلد به
وأقرهم على أملاكهم وأموالهم . وسير تقي الدين فنزل على تبين ليقطع الميرة عنها
وعن صور

* (فتح تبين وصيدا وجبيل وبيروت) *

لما وصل تقي الدين الى تبين نازلها وأقام عليها فإي حصرها لا يتم الا
بوصول عمه صلاح الدين اليه فارسل اليه يعلمه بالامر ويحثه على المسير اليه فرحل
من عكا في ثامن جمادى الاولى ونزل عايتها في ١١ منه فحصرها وضايقتها وقتلها
وهي من القلاع المنيعة على جبل فلما ضاق عليهم الامر واشتد الحصر أطلقوا
من عندهم من أسرى المسلمين وهم يزيدون على مائة رجل فلما انضموا الى
عسكر السلطان أحضرهم اليه وكساهم واعطاهم نفقة وصيرهم الى أهلهم وبقي
الصليبيون محصورين خمسة أيام ثم أرسلوا يطلبون الامان فانهم على انفسهم
فسلموا اليه ووفى لهم وسيرهم الى ما منهم ثم سار السلطان الى صيدا فاجتاز

بطريقه بصرفند فاخذها صفواً عفواً بغير قتال وسار عنها الى صيدا وهي
من مدن الساحل المعروفة فلما سمع صاحبها بمسيره نحو سار عنها وتركها خالية
من مانع ومدافع فلما وصلها صلاح الدين تسلمها ساعة وصوله فملكها في ٢٨
منه ثم سار عنها في يومه نحو بيروت وهي من أحسن مدن الساحل وأنزهها
وأطيبها فوصل اليها من الغد فرأى أهلها قد صدوا على سورها وأظهروا القوة
والجلد وقاتلوا على سورها قتالاً شديداً واغرتوا بحصانة البلد وظنوا انهم
قادرون على حفظه وزحف المسلمون اليهم مرة بعد أخرى فينما الصليبيون
يقاتلون اذ سمعوا من البلد جلبة عظيمة وضوضاء زائدة فاتاهم من أخبرهم
ان البلد قد دخله المسلمون من الناحية الاخرى قهراً وغلبة فأرسلوا
الرسول يستطعمون فلم يجدوا احداً فارادوا تسكين الخواطر فلم يمكنهم
ذلك لكثرة ما اجتمع فيه من السواد فلما خافوا على أنفسهم من الاختلاف
الواقع أرسلوا يطلبون الامان فأمّنهم على أنفسهم وأموالهم وتسلمها في ٢٩
منه فكانت مدة حصرها ثمانية أيام وفي أثناء حصار بيروت كان صاحب
جيبيل من جملة الأسرى المسجونين بدمشق ففاوض نائب السلطان بدمشق
في تسليم جيبيل بشرط اطلاقه فأعلم صلاح الدين بذلك فأحضره اليه
مقيداً فسلم حصنه للمساكر الاسلامية وأطلق مابه من أسرى المسلمين وأطلقه
السلطان كما اشترط

* فتح عسقلان وما يجاورها من البلاد والحصون *

لما ملك السلطان بيروت وجيبيل وغيرها لم يبق عنده أهم من فتح
عسقلان والقدس فسار عن بيروت نحو عسقلان واجتمع بأخيه العادل ومن
معه من عساكر مصر فآزلوها يوم الاحد سادس عشر جمادى الآخرة وكان
صلاح الدين قد أحضر الملك غوى ومقدم الداوية (الهيكليين) اليه من دمشق

وقال لهما ان سلتمنا لى البلاد فلكما الامان فأرسلنا الى من بعقلان من الصليبيين يأمرانهم بتسليم البلد فام يسمعوا أمرهما وردوا عليهما أقبح رد فلما رأى السلطان ذلك جدى فى قتال المدينة ونصب المنجنيقات عليها وزحف حرة بعد أخرى وتقدم النقبون الى السور فقالوا من باشورته شيئاً وصار ملكهم يكرروهم الأرسال بالتسليم ويشير عليهم ويعدهم انه اذا أطلق من الاسر أضرم البلاد على المسلمين ناراً واستنجد بأهل أوروبا وأجلب الخيل والرجال من أقصى البلدان وهم لا يجيبون الى ما يقول ولا يسمعون ما يشير به ولما رأوا انهم كل يوم يزدادون ضعفاً ووهناً واذا قتل منهم الرجل لا يجدون له عوضاً ولا لهم نجدة ينتظرونها اسلوا صلاح الدين فى تسليم البلد على شروط اقترحوها فاجابهم اليها وكان قد قتل أثناء الحصار من الامراء الاكابر حسام الدين ابراهيم بن حسين المهراني فخاف الصليبيون ان تأخذ عشيرته منهم بثاره اذا خرجوا فاحتاطوا بذلك فيما اشترطوا لانفسهم فأجيبوا الى ذلك جميعه وسلموا المدينة فى آخر شهر جمادى الآخرة وكانت مدة الحصار أربعة عشر يوماً وسيرهم صلاح الدين ونساءهم وأموالهم وأولادهم الى بيت المقدس ووفى لهم الامان. وأقام السلطان يظاها وبث السرايا فى اطراف البلاد المجاورة لها ففتحوا الرملة والداروم وغزه ومشهد ابراهيم الخليل عليه السلام وتبين وبيت لحم وبيت جبريل والنطرون وجميع ما كان للداوية

﴿ فتح البيت المقدس شرفه الله ﴾

لما تسلّم السلطان عسقلان والاماكن المحيطة بالقدس شمر عن ساعد الجهد والاجتهاد فى قصده واجتمعت اليه المساكر التى كانت متفرقة فى الساحل بعد قضاء ليلاتها من النهب والغارة فسار نحوه معتمداً على الله منهزماً فرصة فتح باب

الخير الذي حث على انهازه اذا فتح بقوله عليه الصلاة والسلام (من فتح له
 باب خير فلينتهزه فانه لا يعلم متى يفتح دونه) وكان القدس مملوفاً من الصليبيين
 حتى قدرهم بعض المؤرخين بستين الف مقاتل ماعدا النساء والصبيان والجميع
 بدون ملك فلذلك انتخبوا عليهم رئيساً عسكرياً وهو باليان دي ايبالين فاجتهد
 في الاستعداد لمحاصرة المدينة من داخلها . وسار السلطان صلاح الدين الى أن
 قرب من المدينة فارسل الى الصليبيين رسولا من قبله يخاطبهم بما يأتي حسب
 تقرير مؤرخي فرانساً قائلاً لهم (اني انا نظيركم اعرف ان اورشليم) (القدس
 هي بيت الله فانا لست آتياً لكي ادنس قداستها بسفك الدماء فانتم اتركوها لي
 وانا أخضعكم بقسم من خزائني وأعطيكم اراضي بمقدار ما تستطيعون أن
 تقوموا باعمالها) . فاجابه سكان المدينة بقولهم (اننا لا نقدر أن نترك لك مدينة
 قدمات فيها الهنا بالجسد وباكثير من ذلك نحن لا نقدر أن نبيعها انتهى) وكان
 السلطان قد ارسل الى مصر يطلب الاسطول الذي به في جمع من المقاتله
 ومقدمهم حسام الدين لؤلؤ الحاجب وهو معروف بالشجاعة والشهامة فسار
 الاسطول يقطع الطريق على الافرنج بحراً ويفتح ما يجده من مراكزهم
 واجتمع الصليبيون بيت المقدس كما تقدم وحصنوه بما وجدوا اليه سيلاً
 وصعدوا على سورهم وحديدتهم مجتمعين على حفظه والذب عنه بجهدهم
 وطاقتهم مظهرين المزم على المناضلة بقدر استطاعتهم ونصبوا المنجنيقات
 ليمنعوا من يريد الدنومنه والنزول عليه ولما قرب صلاح الدين زحف فرحاً
 الى القدس الامير جمال الدين شروين بن حسن الزرزاري فقابله فريق من
 الصليبيين كان قد خرج للاستطلاع فقاتله ليلا في موضع يعرف بالقيديات فاستشهد
 رحمه الله ولما علم بذلك صلاح الدين أسرع بالمسير ونزل على القدس في منتصف
 وجب سنة ٥٩٣ بالجانب الغربي وكان مشحوناً بالمقاتلة من الفرسان والرجال



(صورة بيت المقدس عند الفتح)

ثم انتقل الى الجهة الشمالية نحو باب عمودا وكنيسة صهيون في عشرين منه ونصب
تلك الليلة المنجنيقات فاصبح من الغد وقد فرغ من نصبها ورمى بها ونصب الصليبيون
على السور منجنيقات ورموا بها وقتلوا اشد قتال لان كل واحد من الفريقين
كان يرى ذلك القتال دينياً وحتماً واجباً فلا يحتاج فيه الى امر سلطاني وكانت
فرسان الصليبيين تخرج كل يوم الى ظاهر البلد يقاتلون ويبارزون فيقتل خلق
كثير من الفريقين ومن استشهد من المسلمين الامير عز الدين عيسى بن
مالك وهو من اكبر الامراء وابوه صاحب قلعة جسر وكان عز الدين يباشر
القتال كل يوم بنفسه فقتل وكان محبوباً عند الخصاص والعام فلما رأى المسلمون
مصرعه عظم عليهم فحملوا حمة رجل واحد فازالوا الصليبيون عن مواقعهم
وادخلوهم بلادهم وزحفوا الى الخندق فاجتازوه ووصلوا الى السور فقبوه
وزحف الرماة محمولهم والمنجنيقات ترمى دراكاً وتمكن النقبون من عملهم
ولما علم الصليبيون انهم قد اشرفوا على الهلاك اجتمع مقدموهم لامشاوره فيما
يفعلون فاتفق رأيهم على طلب الامان وتسليم البيت المقدس الى صلاح الدين
فارسلوا جماعة من كبارهم واعيانهم في طاب الامان فلما ذكروا ذلك

للسلطان امتنع من اجابتهم وقال لا أقبل بكم الا كما فعلتم باهله المسلمين حين
 ملكتموه سنة ٤٩٢ هجرية من القتل والسبي وجزاء السيئة بمثلها فلما رجع
 الرسل خائبين محرومين ارسل باليان دي ايبالين رئيسهم العسكري وطلب
 الامان لنفسه ليحضر الى السلطان صلاح الدين في هذا الامر فاجيب الى ذلك
 وحضر عنده ورغب في الامان وسأل فيه فلم يجبه الى ذلك واستعطفه فلم
 يعطف فلما يش من ذلك قال له أيها السلطان اعلم اننا في هذه المدينة في
 خلق كثير لا يعلمهم الا الله انما هم يفترون عن القتال رجاء الامان ظانين
 انك تجيبهم اليه كما جبت غيرهم وهم يكرهون الموت ويرغبون في الحياة فاذا
 رأينا الموت لا بد منه فوالله لنقتلن ابناءنا ونساءنا ونحرق أموالنا وامتعنا ولا
 نترككم تفتنون منها ديناراً واحداً ولادرهما ولا نسبون وتأسرون وجلا
 ولا امرأة واذا فرغنا من ذلك اخرجنا الصخرة والمسجد الاقصى وغيرهما من
 المواضع ثم نقتل من عندنا من اسارى المسلمين وهم خمسة آلاف أسير ولا
 نترك لنا دابة أو حيواناً الا قتلناه ثم خرجنا اليكم كلنا قاتلناكم قتال من يريد أن
 يحمي دمه ونفسه وخينئذ لا يقتل الرجل منا حتى يقتل امثاله ونموت اعزاء
 أو نظفركراماً فاستشار صلاح الدين أصحابه فاجمعوا على اجابتهم الى الامان والا
 يخرجوا ويحملوا على ركوب مالا يدري عاقبة الامر فيه عن أى شىء تنجلي
 وقالوا نحسب انهم اسارى بايدينا فنديعهم نفوسهم بما يستقر بيننا وبينهم
 فاجاب صلاح الدين حينئذ الى بذل الامان للصليبيين فاستقر ان يؤخذ عن
 الرجل عشرة دنانير يستوى فيه الغنى والفقير ومن كل طنل من الذكور أو
 الاناث دينارين ومن كل امرأة خمسة دنانير فمن أدى ذلك الى أربعين
 يوماً فقد نجح وان انقضت الاربعون يوماً عنه ولم يؤد ما عليه فقد صار محلولاً
 فاجيب الى ذلك وسلمت المدينة يوم الجمعة السابع والعشرون من رجب سنة
 ٥٨٣ هـ فى صباح ليلة المعراج وكان يوماً مشهوداً ورفعت الاعلام الاسلامية

علي أسوار المدينة ورتب صلاح الدين على أبواب البلد في كل باب أميناً من
 الأمراء ليأخذوا من أهله ما استقر عليهم فاستعملوا الخيانة ولم يحفظوا في
 عملهم الأمانة واقتسم الأمانة الأموال ولو أدت كلها للملائم الخزان لان
 المدينة كانت مملوأة لكثرة ما اجتمع فيها من عسقلان والداروم والرملة وغزة
 وغيرها ودفق باليان ثلاثين الف دينار وبقى بعد ذلك من لم يكن معه ما يمطي
 وأخذ أسيراً نحو ستة عشر الف مابن رجل وامرأة وصبي ثم قام جماعة
 من الأمراء ادعي كل واحد منهم ان جماعة من رعية اقطاعه مقيمون بالبيت
 المقدس فكان يطلق ويأخذ هو قطيعتهم واحتمل آخرون بان الصليبيين
 زى الجند المسلمين وأخرجوهم وأخذوا منهم قطيعه قرروها واستوهب جماعة
 من صلاح الدين عدداً من الصليبيين فوجههم اهم فاخذوا قطيعتهم ولم يصل
 خزان السلطان الا القليل وكان بالقدس الملكة سبيلا زوجة الملك غوى
 المأسور وزوجة البرنس رانود وغيرهم من نساء مقدمي الصليبيين فاطلقتهم
 بخدمهم وحشمهم واستأذنته الملكة سبيلا في المسير الى زوجها الملك غوى وكان
 محبوساً بقلعة نابلس فاذن لها فتوجهت اليه واقامت عنده وأتته امرأة البرنس
 رانود وطابت اطلاق ولدها محبوس في الاسر فقال لها صلاح الدين ان سلمتي لي
 قلعة الكرك اطلقتك فتوجهت الى الكرك فلم يرض الصليبيون الذين بها تسليمها
 فلم يطلق ولدها وخرج البطريك الاورشليمي ايراكلوس يديه الا كايروس
 ومعهم الاواني المقدسة مع خزنة كنيسة قبر المسيح وغيرها وكان له من المال
 كثير فقبل للسلطان ان يأخذ ما معه فقال لا أغدر به وسير الجميع مع من
 محبوس الى مدينة صور وكان هذا اليوم يوم فرح وافتخار لجيش المسلمين فتقاطر
 الشعراء من سائر الأنحاء تهنئة السلطان صلاح الدين بما أتاه الله من الفتح ونظموا
 القصائد وألقت الخطب وسالت أقلام الكتاب وفاضت قرائحهم فكنت ترى
 فيهم اما خطيباً يبشر ويحرض واما شاعراً يحمده الله ويمدح الفتح أو مؤرخاً يذكر

الحادثة بما فيها من الفخر لجيش الاسلام وقد أشار العماد في قصيدة طويلة الى ذلك منها

قل للمليك صلاح الدين اكرم من
من بعد فتحك بيت القدس ليس سوى
أثر على يوم انطرسوس ذا لجب
واخل ساحل هذا الشام أجمعه
ولا تدع منهم نفساً ولا نفساً
نزلت بالقدس فاستفتحتته ومتى
يمشي على الارض أو من يركب الفرسا
صور فان فتحت فاقصد طرابلسا
وابعث الى ليل انطاكية العسا
من العمدة ومن في دينه وكسا
فانهم يأخذون النفس والنفسا
تقصد طرابلسا فانزل على قدسا

وقال أبو الحسين بن جبير الاندلسي من قصيدة

هو الفاتح البيت المقدس بعد ما
فضيلة فتح كان ثاني خليفة
تحامته سادات الدنيا ومسودها
من القوم مبدئها وأنت معيدها

وقال الرشيد بن بدر النابلسي من قصيدة طويلة

هذا الذي كانت الآمال تنتظر
بمثل ذا الفتح لا والله ما حكيت
حين به حان هلك المشركين فيا
الآن قرت جنوب في مضاجعها
فليسوف لله أقوام بما نذروا
في سالف الدهر أخبار ولا سير
لله طيب العشايا منه والبكر
ونام من لم يزل حلفاً له السهر

بابهجة القدس اذا ضحى به علم الاسلام من بعد طي وهو منتشر

وقال نحر الكتاب أبو علي الحسن بن علي الجويني المقيم بمصر من أهل بغداد

هذه القصيدة في الفتح وهي شتملة على ذكر ملوك الاسلام واهمهم له تسعين عاماً حتى

تجرد له صلاح الدين نذكر منها ما يأتي

جند السماء لهذا الملك أعوان
متى رأى الناس ما تحكيه في زمن
هذا الفتوح فتوح الانبياء وما
من شك فيهم فهذا الفتح برهان
وقد مضت قبل أزمان وأزمان
له سوى الشكر بالافعال اثمان

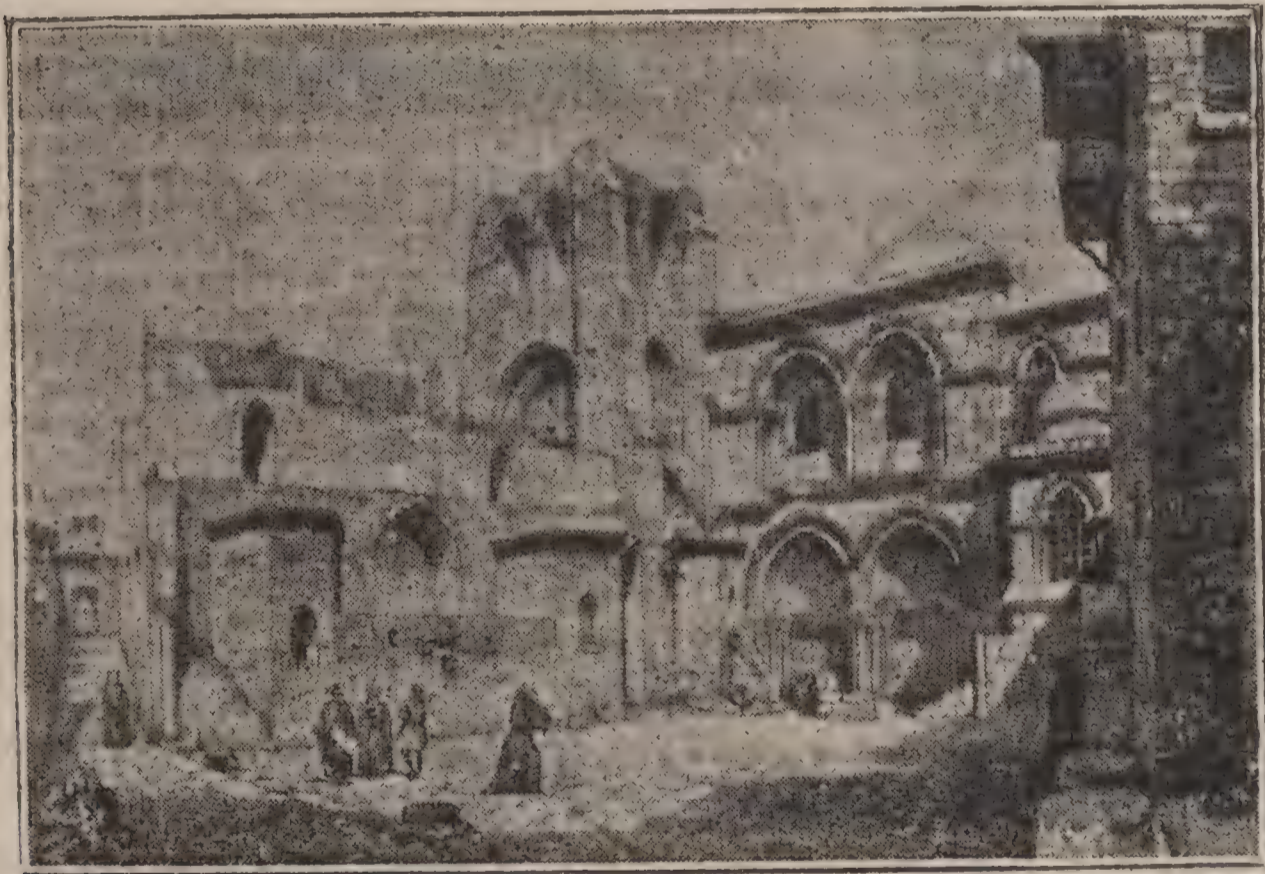
أضحت ملوك الفرنج الصيد في يده صيدا وما ضعفوا يوماً وما هانوا
كم من فحول ملوك غودروا وهم خوف الفرنجة ولدان ونسوان
استصرخت بملك شاه طرابلس نخام عنها وصمت منه آذان
هذا وكم ملك من بعده نظر الاسـلام يطوى ويحوى وهو سكران
تسمون عاماً بلاد الله تصرخ والاسـلام أنصاره صم وعميان
فالآن لبي صلاح الدين دعوتهم بامر من هو لامهوان معوان
لناصر ادخرت هذه الفتوح وما سمت لها هم الاملاك مذ كانوا
حياه ذوالعرش بالنصر العزيز فقا ل الناس داود هذا أم سليمان
في نصف شهر غدا للشرك مصطالماً فطهرت منه اقطار وبلدان
فاين مسامة عنها وأخوته بل أين والدهم بل أين مروان
وعند عما سواه فالفرنجة لم يبدهم من ملوك الارض انسان
لوان ذا الفتح في عصر النبي لقد تنزلت فيه آيات وقرآن
ياقبح أوجه عباد الصليب وقد غدا يبرقعها شؤم وخذلان
خزنت عند اله العرش سائر ما ملكته وملوك الارض خزان
فاله يبيك للاسلام تحرسه من ان يضام ويأقي وهو حيران
وهذه سنة أكرم بها سنة فالكفر في سنة والنصر يقظان
ياجاماً كلمة الايمان قانع من معبوده دون رب العرش صلبان
اذا طوي الله ديوان العباد فما يطوى لاجر صلاح الدين ديوان

﴿ اظهار محراب المسجد الاقصى والصخرة ﴾

المقدسة ومحراب داود ﴿

لما دخل السلطان صلاح الدين بيت المقدس في يوم الجمعة ٢٧ رجب سنة ٥٨٣ كما تقدم لم يتمكن من اقامة صلاة الجمعة في هذا اليوم لان الصليبيين كانوا

قد بنوا على محراب المسجد الاقصى مخزناً للفلال وبنيت جمعية الهيكليين غربيه
واراً كبيره لسكنها و عملوا فيها ما يحتاجون اليه من مراحيض وغيره فامر السلطان
بازالة جميع ما أحدثوه من المباني وكان على رأس قبة الصخرة المقدسة صليب
كبير مذهب قساق جماعة من المسلمين انى أعلى القبة وأنزلوه فهتف المسلمون
بالتكبير والتهليل واما الصليبيون فصاحوا تفجماً وتوجماً فسمع الناس صيحاً
كادت ان تميدبهم لمظمتها وشدها وكان الصليبيون قد بنوا عليها بناية وذلك ان
البطاركة والقسوس كانوا يقطعوا منها ما يبيعونه لملوك أوروبا والزائرين تبركاً
وكانوا يشترونه بوزنه ذهباً وكان احدهم اذا رجع الى بلاده باليسير منه بنى له
كنيسة وجعله في مذبحها



(صورة الكنيسة التي بنيت على الصخرة المقدسة)

فشق عليها أحد ملوكها وبنى عليها لهدم مسها فامر السلطان بازالة
ما عليها من المباني أيضاً وأمر بتطهير ذلك جميعه وكان السلطان يكتس
بيده ويمد الفراغ من كنس الصخرة والمسجد الاقصى أمر بنسها

سأ مراراً ثم غسأها بنفسه بماء الورد وأمر بإطلاق البخور عليها ثم فرش
سجد ومحل الصخرة بالبسط الفاخرة وأمر بأعمال منبر من خشب لتأدية
لاة الجمعة القابلة ريثما يصل المنبر الذي كان قد أمر بصنعه الملك العادل محمود
والدين اتابك لوضعه بالقدس لأنه كان عازماً على فتحه ومات ولم يتم ما عزم
به فامر بوضعه في حلب . وأما محراب داود عليه السلام فإنه كان خارج
مسجد الاقصى في حصن منيع عند باب المدينة وموضع عال رفيع وهو الحصن
الذي يقيم به الوالي فرتب السلطان له اماماً ومؤذنين وقواماً وهو وثابة الصالحين
زار الغادين والرائحين فاحياه وجدده وأمر بعمارة جميع المساجد وفي يوم
جمعة التالى الموافق ٤ شعبان عزموا على اقامة صلاة الجمعة فاستعدت العلماء
الخطباء وكل منهم بطلب ان يكون هو الخطيب ليحصل له الشرف العظيم ولما قربت
لاة أمر السلطان القاضي محيي الدين أبي المعالي محمد بن زكي الدين على القرشي بان
بويصلي بالمسلمين وخلق عايه خلمة سوداء من تشريفات الخلافة فصعد المنبر
: الخطبة الآتية

✽ أول خطبة بالمسجد الاقصى بعد فتحه ✽

افتتح الخطبة بآيات الحمد الواردة بالقرآن الشريف بعد البسملة ثم قال
الحمد لله معز الاسلام بنصره . ومذل الشرك بقهره . ومصرف الامور
. ومديم النعم بشكره . ومستدرج الكافرين بمكره . الذي قدر الايام
بعده . وجعل العاقبة للمتقين بفضله . وأفاء علي عباده من ظله . وأظهر
على الدين كله . القاهر فوق عباده فلا يمانع . والظاهر على خلائقه فلا
ع . والامر بما يشاء فلا يراجع . والحاكم بما يريد فلا يدافع . أحمدته على
عزه واطهاره . واعزازه لا وليائه ونصره لانصاره . وتطهير بيته المقدس
مناس الشرك واوضاره . حمد من استشعر الحمد باطن سره وظاهر جهاره .

واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له الا احد الصمد . الذي لم يلد ولم يولد
 ولم يكن له كفواً أحد . شهادة من طهر بالتوحيد قلبه . وأرضى به ربه . وأشهد
 أن محمداً صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله . رافع الشك . وداحض الشرك
 وراحض الانك . الذي أسرى به من المسجد الحرام الى هذا المسجد الاقصى
 وعرج به منه الى السموات العلى . الى سدرة المنتهى . عندها جنّة المأوى
 اذ يغشى السدرة ما يغشى . مازاغ البصر وما طغى . صلى الله عليه وعلى خليفته
 أبي بكر الصديق السابق الى الايمان . وعلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أول
 من رفع عن هذا البيت شعار الصليبان . وعلى أمير المؤمنين عثمان ذي النورين
 جامع القرآن . وعلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب من نزل الشرك ومكسر الاوثان
 وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم باحسان . أيها الناس أشيروا برضوان الله
 الذي هو الغاية القصوى . والدرجة العليا . لما يسره الله على أيديكم من
 استرداد هذه الضالة . من الامة الضالة . وردّها الى مقرها من الاسلام . بعد
 ابتذالها في أيدي المشركين قريباً من مائة عام . وتطهير هذا البيت الذي أذن
 الله أن يرفع وان يذكر فيها اسمه . واماطة الشرك عن طريقه . بعد ان امتد
 عليه رواقه . واستعمر فيه رسمه . ورفع قواعده بالتوحيد . فانه بني عليه
 وبالتقوى فانه أسس على التقوى . من خلفه ومن بين يديه . فهو موطن
 أبيكم ابراهيم ومعراج نبيكم محمد عليه السلام . وقبلتكم التي كنتم تصلون
 اليها في ابتداء الاسلام . وهو مقر الانبياء . ومقصد الاولياء . ومقر الرسل
 وهبط الوحي . ومنزل تنزل الامر والنهي . وهو في أرض المحشر . وصعيد
 المنشر . وهو في الأرض المقدسة التي ذكرها الله في كتابه المبين . وهو المسجد
 الذي صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالملائكة المقربين . وهو البلد
 الذي بعث الله اليه عبده ورسوله . وكنيته التي القاها الى مريم . وروحه عيسى
 الذي شرفه الله برسالاته وكرمه بنبوته . ولم يرحز حزحه عن رتبة عبوديته . فقال

تعالى . ان يستنكف المسيح ان يكون عبداً لله . وقال لقد كفر الذين قالوا ان
 الله هو المسيح بن مريم . وهو اول القبليتين . وثاني المسجدين . وثالث
 الحرمين . لا تشد الرحال بعد المسجدين الا اليه . ولا تمقد الخناصر بعد الموطنيين
 الاعليه . ولولا انكم ممن اختاره الله من عباده واصطفاه من سكان بلاده لما
 خصكم بهذه الفضيلة التي لا يجاريكم فيها مجار . ولا يباريكم في شرفها مبار . فطوبى
 لكم من جيش ظهرت على ايديكم المعجزات النبوية . والوقعات البدرية
 والزمات الصديقية . والفتوح العمرية . والجيوش العثمانية . والفتكات
 العلوية . جددتم للاسلام ايام القادسية . والوقعات اليرموكية . والمنازلات الخيبرية
 والهجمات الخالدية . فجازاكم الله عن نبيه محمد صلى الله عليه وسلم افضل الجزاء
 وشكر لكم ما بذلتموه من مهجكم في مقارعة الاعداء . وتقبل منكم ما تقر به
 به اليه من هراق الدماء . واثابكم الجنة فهي دار السعداء . فاقدروا رحمكم
 الله هذه النعمة حق قدرها . وقوموا لله تعالى بواجب شكرها . فله النعمة عليكم
 بتخصيصكم بهذه النعمة . وترشيحكم لهذه الخدمة . فهذا هو الفتح الذي فتحت له
 ابواب السماء . وتباجت بانواره وجوه الظالماء . وابتهج به الملائكة المقربون
 وقربه عينا الانبياء المرسلون . فماذا عليكم من النعمة بان جعلكم الجيش الذي يفتح
 عليه البيت المقدس في آخر الزمان . والجند الذي تقوم بسيو فهم بعد فترة من النبوة
 اعلام الايمان . فيوشك ان تكون الهاني به بين اهل الخضراء اكثر من الهاني
 به بين اهل الغبراء . اليس هو البيت الذي ذكره الله في كتابه . ونص عليه في
 خطابه . فقال تعالى سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد
 الاقصى الذي باركنا حوله الآية اليس هو البيت الذي عظمته الملوك . واثنت عليه
 الرسل . وتايت فيه الكتب الاربعة المنزلة من الهكم عز وجل . اليس هو
 البيت الذي أمسك الله عز وجل الشمس على يوشع لاجله ان تغرب . وباعد بين
 خطواتها ليتيسر فتحه ويقرب . اليس هو البيت الذي امر الله موسى ان يأمس

قومه باستنقاذه فلم يجبه الا رجلا ن . وغضب عليهم لاجله فلقاهم في التيه عقوبة
 للعصيان . فاحمدوا الله الذي امضى عزائمكم لما قعد عنه بنوا اسرائيل . وقد
 فضاهم على العالمين ووقفكم لما خذل فيه من كان قبلكم من الامم الماضية
 وجمع لاجله كلمتكم وكانت شتي . وانناكم بما امضته كان وقد عن سوف
 وحتى . فليهنشكم ان الله قد ذكركم به في من عنده . وجعلكم بعد ان كنتم
 جنوداً لاهوائكم جنده . وشكركم الملائكة المنزلون . علي ما هديتم الى هذا
 البيت من طيب التوحيد . ونشر التقديس والتحميد . وما امطم عن طرقهم
 فيه من اذى الشرك والتثليث . والاعتقاد الفاجر الخبيث . فالآن يستغفر لكم
 أملاك السموات . وتصلي عليكم الصلوات المباركات . فاحفظوا رحمكم الله هذه
 الموهبة فيكم . واحرسوا هذه النعمة عندكم بتقوى الله التي من تمسك بها سلم . ومن
 اعتمص بمرورها نجا وعصم . واحذروا من اتباع الهوى . وموافقة الردي . ورجوع
 القهقري . والنكول عن العدا . وخذوا في انهاز الفرصه وازالة ما بقي من الغصه .
 وجاهدوا في الله حق جهاده . وبيعوا عباد الله انفسكم في رضاه . اذ جعلكم من خير
 عباد . واياكم ان يستذل لكم الشيطان . وان يتداخلكم الطغيان . فيخيل لكم ان
 هذا النصر بسيوفكم الحداد . وبمخيلكم الجياد . وبمجالدكم في مواطن الجلال . لا
 والله ما النصر الا من عند الله ان الله عزيز حكيم . واحذروا عباد الله بعد ان شرفكم
 بهذا الفتح الجليل . والمنح الجزيل . وخصكم بهذا الفتح المبين . وأعلق أيديكم
 بحبله المتين . أن تقرقوا كبيراً من مناهيه . وان تأتوا عظيم من معاصيه . فتكونوا
 كاتي نقضت غزها من بعد قوة انكنا . والذي آتينا آياتنا فانسلخ منها فاتبعه
 الشيطان فكان من الغاوين . والجهاد الجهاد فهو من أفضل عباداتكم . وأشرف
 عاداتكم . انصروا الله ينصركم اذ كروا أيام الله يذكركم . اشكروا الله يزدكم
 ويشكركم . جدوا في حسم الداء . وقطع شافة الاعداء . وتطهير بقية الارض التي
 اغضبت الله ورسوله . واقطعوا فروع الكفر واجتثوا أصوله . فقد نادى الايام

بالتارات الاسلامية. والملة المحمدية الله أكبر فتح الله ونصره. غلب الله وقهره. اذله
الله من كفره. واعلموا رحمكم الله ان هذه فرصة فانتهزوها. وفرصة فناجزوها.
ومهمة فاخرجوا لها هممكم وابرزوها. وسيروا اليها عزماتكم وجهزوها.
فالامور بأواخرها. والمكاسب بذخاثرها. فقد أظفركم الله بهذا العدو
المخدول. وهم مثلكم أو يزيدون. فكيف وقد أضحي في قبالة الواحد منهم
منكم عشرون. وقد قال الله تعالى. ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبون
مائتين. أعاننا الله وإياكم على اتباع أوامره. والازدجار بزواجره. وأيدنا
معشر المسلمين بنصره من عنده. ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم
فمن ذا الذي ينصركم من بعده.

وتمام الخطبة الثانية قريب مما جرت به المادة وقال بعد الدعاء لاخليفه
اللهم وأدم سلطاننا. عبدك الخاضع لهيبتك. الشاكر لنعمتك. المعترف
بموهبتك سيفك القاطع. وشهابك اللامع. والمحامي عن دينك المدافع. والذاب
عن حرمك المانع. السيد الاجل الملك الناصر. جامع كلمة الايمان. وقامع
عبدة الصلبان. صلاح الدنيا والدين. سلطان الاسلام والمسلمين. مطهر البيت
المقدس. أبا المظفر يوسف بن أيوب. محيي دولة أمير المؤمنين. اللهم عم بدولته
البيسيطة. واجعل ملائكتك براياته محيطته. واحسن عن الدين الخفيف جزاءه.
واشكر عن الملة المحمدية عزمه ومضاهه. اللهم ابق الاسلام مهجته. ووق
الايمان حوزته. وانشر في المغرب والمشرق دعوته اللهم فكما فتحت على يديه
البيت المقدس بمد ان ظنت الظنون. وابتلى المؤمنون. فافتح على يده أداني
الارض وأقاصيها ومملكه صياصي الكفر ونواصيها. فلا تلتامه منهم كتيبة
الامزقها. ولا جماعة الافرقها. ولا طائفة بعد طائفة الا ألحقتها بمن سبقها. اللهم
اشكر عن محمد صلى الله عليه وسلم سعيه. وانفذ في المشرق والمغرب أمره
ونهيته. اللهم وأصلح به أوساط البلاد وأطرافها. وأرجاء الممالك واكنافها.

اللهم زلزل به معاطس الكفار • وارغم به انوف الفجار • وانشر ذوائب ملكه
على الامصار • واثب سرايا جنوده في سبل الاقطار • اللهم ثبت الملك فيه وفي
عقبه الى يوم الدين • واحفظه في بنيه وبني ايوب الملوك الميامين • واشدد
عضده ببقائهم • واقض باعزاز اوليائه وأوليائهم • اللهم كما أجريت على يده في
الاسلام • هذه الحسنة التي تبقى على الايام • وتتخذ على مر الشهور والاعوام •
فارزقه الملك الابدى الذي لا ينفذ في دار المتقين • وأجب دعائه في قوله رب
أوزعني ان أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وان أعمل صالحاً ترضاه
وادخاني برحمتك في عبادك الصالحين ولما فرغ صلاح الدين من صلاة الجمعة
تقدم بعمارة المسجد الاقصى واستنفاذ الوسع في تحسينه وترصيفه وتدقيق نقوشه
فاحضروا من الرخام الذي لا يوجد ومن الفص المذهب القسطنطيني وغير ذلك
مما يحتاجون اليه وقرادخر على طول السنين

✽ حصار مدينة صور وفتح هونين ✽

لمافتح السلطان صلاح الدين القدس أقام بظاهره الى الخامس والعشرين
من شعبان يرتب أمور البلد وأحواله وجملة دار الاسبتارية (جمعية القديس
مارى يوحنا المعمدان) مدرسة للاشافية وهي حسنة جداً ثم سار الى مدينة
صور وكان قد اجتمع بها من الصليبيين عالم كثير لان الصليبيين أهل عسقلان
والقدس وغيرهم لما سلموا بلادهم وأخذوا الامان صاروا الى صور وكان قد
جاءها كونراد بن المريكز منتفرات بسفنه وتسميه العسرب المريكس فانام حاكماً
بها وحصنها كل التحصين ووصل صلاح الدين الى عكا وأقام بها أياماً ثم سار الى
ان وصل الى صور ناسع رمضان فنزل على نهر قرب البلد حتى اجتمع العسكر
الاسلامى فلما علم كونراد بقدم صلاح الدين الى بلده أخذ مجرد التحصين
ويعمق الخنادق ومدينة صور واقعة على رأس ممتد في البحر فكانت محاطة بالمياه

من ثلاث جهات ومتصلة بالبر من جهة واحدة ثم سار صلاح الدين في الثاني
والعشرين منه الى تل يقارب سور البلد وقسم القتال على عساكره وجعل لكل
أمير من امرائه وقتاً يحارب فيه بعسكره لكي تكون الحرب متصلة دواماً على
أهل البلد وكان موضع القتال قريباً ويكفيه جماعة للمحاربة فقط فرحفت
العساكر الاسلامية بالمنجنقات والدبابات وكان أهل صلاح الدين متولين
الحرب مثل ولده الافضل وولده الظاهر غازي وأخيه العادل بن أيوب وابن
أخيه تقي الدين وكانت للصليبيين شوان يحاربون بها لكي يمنعوا العساكر الاسلامية
من محاربة البلد فارسل صلاح الدين يطلب الشوانى التي بمكا فارسلت اليه
وعددها عشر برجالها فلما وصلت منعت شوانى العدو من مقاتلة المسلمين فتمكن
حينئذ المسلمون من الدخول من البلد ومن قتاله فقاتلوه برأوبحراً وضايقوه حتى
كانوا يظفرون فجاءت الاقدار بما لم يكن في الحساب وذلك ان عبد السلام
المغربى مقدم شوانى المسلمين الموصوف بالحذق في صناعته وشجاعته وقف على
باب المينا في ليلة لمنع خروج شوانى العدو فباتوا الياتهم محرسون فلما كان وقت
السحر آمنوا فناموا فما شمروا الا بشوانى الصليبيين قد نازلتهم وضايقتهم فواقمت
بهم فقتل الصليبيون من أرادوا قتله وأخذوا خمس شوان من المسلمين بمافيها
وأدخلوها مينا صور والمسلمون في البر ينظرون اليهاورضى جماعة من المسلمين
أنفسهم من الشوانى في البحر فمهم من سببح فجا ومنهم من غرق وأسر المقدم
عبد السلام ومثوليه بدران الفارسي وأمر السلطان بمسير الشوانى الباقية الى
بيروت لمدم انتفاعه بها لقاتها فخرجت شوانى الصليبيين وراءها فنجامها شينى
رئيس جميل والباقون نظروا شدة طاب العدو لهم فلقوا أنفسهم في الماء
وخرجوا الى البر على وجوههم وبعدها طمع الصليبيون فخرجوا عصر أحد
الايام للقتال فانتقامهم المسلمون فكانت الدائرة على الصليبيين وأسر أحد مقدميهم
وظن انه كوراد فسلمه السلطان الى ولده الظاهر ليحفظه فضرب عنقه وكان

الليل قد دخل فلما أصبحوا تبين لهم ان كونراد لا يزال حياً ثم طال الحصار
 حتى ضجر كثير من امراء المسلمين لانهم رأوا ما لم يألفوه من تعسر الفتح
 عليهم فاشاروا على السلطان بالرحيل لئلا تفنى الرجال وكان البرد قد اشتد عليهم
 وكان رأى السلطان وبعض الامراء كالفقيه عيسى وحسام الدين طمان وعز
 الدين جرديك النورى الثابت الجنان الى الفتح لئلا يضيع ما تقدم من الاعمال
 وانفاق الاموال وقال السلطان قد هدمنا السور وقاربنا الامور فاصبروا وتفلقوا
 وصابروا تفتحوا ولا تعجلوا فاطهروا الموافقة وفي انفسهم ما فيها فلم يصدقوا
 القتال وتملوا بان الرجال جرحي والعلف قد قل فلم يسع السلطان بعد ذلك
 الا الرحيل فامر بنقل الاثقال فحمل بعضها الى صيدا وبيروت وأحرق الباقي
 لئلا يناله العدو وفي اثناء حصار السلطان لصور جاءه الخبر بان الصليبيين المقيمين
 في هونين قد طلبوا الامان فانفذ الامير بدز الدين دلدوم ففتحها وأخرج
 الصليبيين منها وكان السلطان قبل ذلك قد وكل عليها بعض العسكر لمحاصرتها ورحل
 السلطان عن مدينة صور في آخر شوال وسارتقى الدين الى دمشق عن طريق
 هونين واستصحب معه عساكر الشرق وديار بكر والموصل والجزيرة وسنجار
 وماردين ورحل السلطان الى عكا من طريق الناقورة وهي طريق ضيقة
 مغلقة على البحر بها يضرب المثل لا يمر بها الا جمل جمل فمرت بها الاثقال
 والاحمال في اسبوع وكان قد عين يوم رحيله امراء يقيمون على صور الى ان
 تعبر الاثقال وخيم السلطان عند التل وسار العادل الى مصر والظاهر الى حلب
 وفي مدة رحيل السلطان توفي الامير سيف الدين محمود أخو عز الدين جاولى
 وسبب ذلك انه كان باقياً من اعمال الصليبيين حصنان بدون فتح وهما حصن
 صفد وفيه الداوية (الهيكليين) وحصن كوكب وفيه الاسبتارية (جمعية ماري
 يوحنا المعمدان) واحتاج السلطان في فتحهما الى المطاولة فوكل بحصن صفد
 جماعة يعرفون بالناصرية ومقدمهم مسعود الصلتي ووكل بكوكب هذا الامير سيف

الدين فاقام في حصن عقـر بلا وهو قريب من حصن كوكب ومنع عن
المقيمين فيه المطعم والمشرب وضيق عليهم المذهب الى ان دخل الشتاء
فاختلت الحراسة فلما كانت ليلة آخر شوال وكانت ليلة باردة حرس أصحاب
سيف الدين حتى ضجروا ففلهم النعاس فما استيقظوا الا وافرغ كوكب
عليهم بركة فداقوا عن انفسهم حتى استشهدوا وأخذ الصليبيون غنيمة المسلمين
ودخلوا بها كوكب

﴿ في التحريض على طلب الحروب الصليبية الثالثة ﴾

بينما كان البابا أوربانوس الثالث موجوداً في مدينة البندقية مشدداً في
تحريض أهل البندقية على سرعة تجهيز عمارة مراكب المشيخة وارسالها الى
فلسطين اسعافاً لآخوانهم الصليبيين بلغه خبر سقوط مدينة اورشليم (القدس)
في ايدي صلاح الدين سلطان المسلمين فسقط طرح الفراش مريضاً ولما
اشتد مرضه انتقل الى مدينة فرارات هناك ثم تعين بعده البابا غرغوريوس
الثامن وبعده تعينه حضر بن يديه غويليوم الصوري رئيس اساقفة صور ورامي
على قدميه وطلب منه المساعدة التامة في تسير حملة صليبية لاسترداد القبر
المقدس من ايدي المسلمين فاصدر البابا منشوراً عاماً لسكان أوروبا أوضح
لهم فيه عظم ما ألم بالصليبيين آخوانهم وخصوصاً امتلاك المسلمين مدينة القبر
المقدس وقد جاء في هذا المنشور ما يأتي (انه لقد جاء الزمان الذي فيه يصير
الامتحان والحين الذي فيه نستخدم خزان الارض وكنوزها لاجل اكتساب
البلاذ الجديدة التي مات فيها يسوع المسيح لكي يكتب لنا بموته خزان السماء
وكنوزها والوان الذي فيه تباح الخيرات الزائلة لاجل امتلاك الخيرات
الدائمة) ثم انه اختتم منشوره المذكور بقوله (غير انكم لاتسيرون الى هذه

الحروب الصليبية بانواب فاخرة وملابس ثمينة آخذين صحتكم الطيور والبواشق
والكلاب للصيد بل تجنبوا كل ما يشير الى السمة ولا يفيد سوى البذخ والمجد
الباطل واحتشموا في محاميلكم أولى من اهتمامكم بما يرجع الى الفخفخة
والصلف ثم أظهروا باعمالكم حقائق روح التوبة والخشوع) وبعد تحرير هذا
المنشور لم يتمكن البابا من اعمال الوسائط اللازمة لارسال حملة صليبية
ثالثة لانه اعتراه مرض في مدينة (بيزا) ومات وتعين بعده البابا كليمنطوس
الثالث الذي بعد تعيينه اناب عنه في التحريض على ذلك رئيس اساقفة صور
المذكور وفوض اليه الانذار بهذه الحرب المقدسة وبعد ذلك أخذ
الاسقف غويليوم الصوري المذكور يخطب في أهالي ايطاليا ويحرضهم
على التجهيز لاسترداد القبر المقدس ثم أسرع الى بلاد فرانساً غيرتهم
الشهيرة

* صلح فرانسوا وانكلترا وتحريضهم على الحروب الصليبية *

بينما كان الملك فليب أوغستوس ملك فرانسوا يحارب الملك هنري كوس
الثاني ملك انكلترا لاجل تملك بلد فاكسين حضر غويليوم الصوري لتحريضهم
على الحروب الصليبية فوجدهم على هذه الحالة فسمى بينهما في الصلح حتى انه
كفهما باصدار أمر بعقد جمعية عمومية من الجيشين في فرانسوا للمفاوضة في
الحروب المقدسة وبعد انعقاد تلك الجمعية التي حضرها ضباط الجيشين قوبل
غويليوم باحتفال ديني عظيم ثم أخذ يشرح لهم حوادث حروب المسلمين وكيفية
استيلائهم على القدس وان هذه المدينة صارت الآن مسكونة بشعب بربري وانها
تدفع الخراج والجزية تحت رق العبودية وان سكانها المسيحيين والصليبيين
مساقون كالغنم الى بلاد الاسلام يباعون في الاسواق كالعبيد ثم قال ما يأتي
ان امارات المشرق المسيحية بقيت صامدة على ثلاث مدن فقط وهي انطاكية

وطرأ بلس وصور لاغير ونحن قد شاهدنا باعيننا ما كان قد فاه به اشعيا النبي بقوله ان الرب قدم يده وضربته بالقروح من حد نهر الفرات الى حد نيل مصر لان سكان اربعين مدينة قد طردوا من مساكنهم وفقدوا خيراتهم وموجوداتهم المختطفة منهم وساروا تائبين مع عيالهم بالشقاء والضنك فيما بين شوب اسيا خالين من ان يجدوا لهم حجراً يسندون اليه رؤسهم . ثم تلا عليهم منشور البابا فحذب قلوب سامعيه الى الغيرة والحرارة كما ان فليب أوغسطوس ملك فرانسوا وهنريكوس الثاني ملك انكلترا تعانقا وتقدما قبل الجمع واستلما صليب الحرب المقدسة ثم تبهم ريكارد دوك دي غونيا ابن السلطان انريكوس ثم فيلبس كونت دي فلاندر و هو كوز دوك دي برغونيا وهنريكوس كونت دي شامبانيا وتيبوت كونت دي بلواز ومثلهم امراء اسواسون ونافار وباروفاندوم واقسم الاخوان يوسالين ومتي دي هورانسي على تخلص اورشليم (القدس) من ايدي المسلمين ثم هتف أعضاء هذه الجمعية صارخين هلموا نحو الصليب . فلنذهبن وراء الصليب . وشرعوا جيمافى التجهيزات للمسير للحروب الصليبية

❖ ضريبة العشور للحروب الصليبية الثالثة ❖

لما شرع كل من ملك فرانسوا وملك انكلترا في اعداد معدات السفر للحروب الصليبية وجدوا ان ذلك يحتاج لاموال عظيمة فمقدوا مجلس شورا هم الذي قرر باتحاد اراء المالكين والامراء والاشراف بان كل من لم يرغب السفر للحروب الصليبية أو تعذر عليه السفر يدفع عشر مداخيله مع عشر ثمن موجوداته المنتقلة (لا الثابتة) وقد سموها (ضريبة العشور الصلاحية) رمزا الى انتصار السلطان صلاح الدين عليهم وحرم رؤساء الكنائس كل من يتأخر عن دفع هذه الضريبة وعينوا لجمعها اناساً

اقتضوها بصرامة كلية غير ان الاموال المجموعة من ضريبة المشور
 الصلاحية لم تكن كافية لهذه الاستعدادات ولذلك اكره ملك فرانس اليهود
 على ان يدفعوا الى الخزينة مبالغ خمسة آلاف وزنه فضة (كل وزنة تساوي
 مائة درهم)

* (موت ملك الانكليز وتولية ولده ريكاردوس وذبج اليهود) *
 في اثناء تلك الاستعدادات مات الملك هنريكوس الثاني ملك انكلترا
 حضر ابنه ريكاردوس الى بلاد الانكليز لاستلام زمام الملك وأخذ يشغل
 في كتاب الفخر باسترجاع القدس





(صورة ريكاردوس ملك الانكليز)

ولذلك ترى ان اول امر سعى اليه عند استلامه مقاليد الاحكام انما هو جمع النقود استعداداً للحملة الصليبية فبذل في سبيل ذلك كل تليد وطارف واستخدم كل وسيلة ممكنة حتي انه باع طاعة الاسكوتلانديين الذين اخضعهم ابوه بمبلغ عشرة آلاف ميرك (الميرك نقود اسكوتلاندية قديمة يساوي الواحد منها ثلاثة ريالات مصرية تقريباً) ثم طلب الاموال من اغنياء البلاد و صيارفها و اكثرهم من اليهود وحدث ان اليهود سيقوا من فرانساً بمصا الاضطهاد

فالتجأوا الى انكلترا وكان وصولهم اليها يوم تنصيب ريكاردوس فنارت عليهم
 رطاع الناس بدعوى ان الملك امر بذبجهم فدارت عليهم رحي الموت حتي
 جرت دماؤهم في الاسواق والتجأ منهم نحو خمسمائة الى قلعة بورك بنسائهم
 واولادهم فضيق عليهم أهل المدينة فالتمسوا ان يقبلوا منهم الفدية فما ارادوا
 فاشتد غيظ اليهود وقنطوا من الحياة فاحرقوا كل ما كان لديهم من الاموال
 والمتاع والحلى وفضلوا ان يقتل بعضهم بعضاً من ان يقتلهم عدوهم
 فقتلوا اولادهم بايديهم ثم أخذوا يقتل أحدهم الآخر وبقيت منهم
 بقية استقتلوا وفتحوا أبواب القلعة فدخل اليهم بعض الرعاع الثائرين
 وقتلوه وحصل مثل ذلك أيضاً في نوريش وستامفورد وليكوان وغيرها
 وكل ذلك حصل بغير ارادة الملك فما لبث المعتدين عقاباً طفيفاً وأمن من بقي من
 اليهود وجهلهم تحت حمايته فلما اهتم باعداد الحملة الصليبية طلب مساعدتهم
 فامدوه بالمال

✽ التحريض علي الحروب الصليبية ببلاد النمسا ✽

بعد ما عزم كل من ملك فرانس وملك انكلترا على السفر الى بلاد فلسطين
 سافر غويليوم الصوري المفوض بانذار الحروب الصليبية من قبل البابا الى بلاد
 النمسا وقابل ملكها فريدريكوس الاول الملقب باللاحية الحمراء وكان بينه وبين
 كرسى البابا بعض ضغائن فازالها ثم طلب منه المساعدة في تخليص بيت
 المقدس من يد المسلمين فامر في الحال بعقد جمعية في ماينس وفي هذه الجمعية
 لبس الاثواب المكرسة المختصة بالحروب الصليبية ثم اقتدى به أعظم أمراء
 مملكته وكذلك جميع كنائس المانيا أثرت فيها خطب غويليوم الصوري
 فاستعدوا للسفر برئاسة ملكهم المذكور وبما ان الملك فريدريكوس كان
 عرف بلاد فلسطين في الحروب الصليبية الثانية اذ كان مع عمه الملك كونراد

الذي رجع بنحفي حنين وغرف ما يلزمه من الجيش وما يحصل له من المشقة والتعب
خاف من نيات افراد العساكر الصليبية في اثناء سيرهم فلذلك قرر بانه لا يقبل
تحت علمه الصليبي احداً من الراغبين في السفر الا اذا كان معه على الاقل
ثلاث وزنات فضة وذلك بعد انعقاد جمعية في مدينة نورا مبارك فلذلك امتنع
عن السفر الاشقياء الذين كانوا يفرحون بسفرهم للنهب في الطريق وعزم على
ان يكون مسيره براً

* (في اتحاد فرنسا وانكلتره للمسير الى سوريا) *

اجتمع الملكان فليس وريكاردوس بمدينة نور منديا واتفقا على تهذيب العساكر
وابعاد كل الرذائل عنها فاصدرا امراً بمنع النساء من السفر صحبة العساكر لان
وجودهن في وسط العسكر في الدفتين السابقتين اخل انتظام العساكر وامراً ايضاً
بعدم لعب القمار وجماعساكرهما تحت علم الصليب في مدينة فاسلاى حيث كان
القديس برنردوس (الذي كان محرماً على الحروب الصليبية الثانية) وجدداً
تخالفاً على يديه وتواعدا على المسير الى سوريا وان يسافر ريكاردوس الى مرسيليا
ثم ينزل في المراكب وان فليس يسافر الى جنوى ثم يتقابلان معاً بميناميسنا بحزيرة
سيسايا

* (حصر حصن كوكب وفتح بعض البلاد) *

في أوائل محرم سنة ٥٨٤ سار السلطان من عكا بمن بقي معه من العساكر
الى قلعة كوكب فحصرها ونازلها ظاناً ان تملكها سهل فلما رآها عالية منيعة
والوصول اليها متعذر وجنوده مشتغلة بها وبصغد والكرك رحل عنها وكانت
البلاد الساحلية من عكا واوراءها جنوباً جميعها قد أصبحت ملكه فلم ير ان يظل
في وسط بلاده ما يشغل قلبه ويحتاج الى حفظه وخوفاً من ان ينال الرعايا
والمجتازين منهم الضرر العظيم فلهذا أقام على كوكب بعد رحيله قائماز النجمي

ليديم حصارها ثم أتاه بعض رسل ملوك المسلمين يهتئونه بالفتح وسار إلى دمشق
وكتب إلى جميع عماله بالبلاد وجميع أمراء الإسلام بخروج العساكر لمحاربة
الصلبيين ثم رحل عن دمشق في منتصف ربيع الأول فنزل على بحيرة قدس غربي
حصن فجاءته العساكر فسار حتى نزل على حصن الأكراد من الجانب الشرقي
فأقام يومين وسار جريدة وترك المسكر في محله تحت الحصن ودخل بلاد
الصلبيين فأغار على صافينا والعريمة ومحمور وغيرها من البلاد ووصل إلى
قرب طرابلس وأبصر البلاد وعرف من أين تأتيها ومن أين يسلك منها ثم
عاد إلى معسكره سالماً وقد غنم المسكر كثيراً من الدواب على اختلاف أنواعها
وفي أثناء وجود السلطان تحت حصن الأكراد أتاه قاضي جبلة وهو منصور
ابن ثيبيل يستدعيه إليه لسلامها له وكان هذا القاضي عند بوهيموند صاحب
انطاكية وجبله مسموع الكلمة له الحرمة الوافرة والمنزلة العالية وهو يحكم على
جميع المسلمين بجبلة ونواحيها فحملته الفيرة للدين على قصد السلطان وتكفل له
بفتح جبلة واللاذقية والبلاد الشمالية فسار صلاح الدين معه في الرابع من جمادى
الأولى فنزل بانطرس في سادسه فرأى الصليبيين قد اخلوا المدينة واحتموا
في برجين حصينين فحرب المسلمون دورهم ومساكنهم وسور البلد ونهبوا ما
وجدوه من ذخائرهم وكان الداوية (جمية الهيكليين) بأحدى البرجين فحصرهما
صلاح الدين فنزل من بالبرج الثاني وطلبوا الأمان فامنهم وسلموه وخرب البرج
وألقي حجارته في البحر

﴿فتح جبلة واللاذقية وغيرها وخبر اسطول صقلية﴾

ثم رحل السلطان من انطرسوس في الرابع عشر من جمادى الأولى
سنة ٥٨٤ ونزل على مرقية وقد أخلها سكانها فخيم فيها السلطان وكانت الطريق
إلى جبلة ضيقة المسالك وهناك الجمية الأسبانية (ضياف الغرباء) حصن اسمه

المرقب ولا طريق الأتحت تله ومما اتفق ان صاحب جزيرة صقلية أرسل
 اسطولا محتوي على ستين قطعة من الشواني كل واحدة منها مثل قلعة ولما وصل
 الاسطول الى ساحل ناپطين أمام طرابلس سمع بمسير السلطان فيجاء ووقف
 في البحر تحت المرقب لينعوا من يجتاز بالسفاهم فلم رأى السلطان ذلك أمر
 بالطارقيات والجفنيات فصفت على الطريق مما يلي البحر من أول المضيق الى
 آخره وجعل وراءها الرماة فمنعوا الصليبيين من الدنو اليهم فاجتاز المسلمون
 عن آخرهم حتى عبروا المضيق ووصلوا الى جبلة في اليوم الثامن عشر من ذلك
 الشهر وتسلمها السلطان وقت وصوله وكان قاضيها قد سبق اليها ودخل فلما
 وصل السلطان رفع أعلامه على سورها وتحصن الصليبيون الذين كانوا بالقلعة
 فما زال قاضي جبلة يخوفهم ويرغبهم حتى استزلهم بشرط الامان وان يأخذ
 رهائن منهم عنده الى ان يطلق الصليبيون رهائن المسلمين الذين بانطاكية وكان
 قد أخذهم بوهموند من القاضي. ثم جاء مقدمو الجبل مطيعين وكان في الجبل
 على طريق حماه حصن يعرف بيكرائيل وكان استماده الجلبديون من الصليبيين
 منذ سنين فتسلمه السلطان أيضاً منهم ثم سلم جبلة الى سابق الدين عثمان صاحب
 شيزر ومجل قاضي جبلة وحكمه في ولاية حكمه وقضائه ثم سار الى اللاذقية
 فوصل في الرابع والعشرين منه فترك الصليبيون المدينة لعجزهم عن حفظها
 وصعدوا الى حصنين لها على الجبل فامتنعوا بها فدخل المسلمون المدينة وحاصروا
 القامتين وزحفوا عليهما وتقبوا الاسوار ستين ذراعاً وأشملوا فيها النار وعظم
 القتال واشتد الأمر عند الوصول الى السور فلما أيقن الصليبيون بالعطب دخل
 اليهم قاضي جبلة يخوفهم من المسلمين فطلبوا الامان فأمنهم السلطان ورفعت
 الأعلام الاسلامية على الحصنين وكان ذلك في اليوم الثالث من النزول عليهم
 وكانت عمارة اللاذقية من أحسن الابنية وأكثرها زخرفة مملوأة بالرخام على
 اختلاف أنواعه ووصل اسطول صقلية بازاء مينا اللاذقية فلما سلمها الصليبيون

الى السلطان عزم من بالاسطول على أسر كل من يخرج منها غيظاً وحنقاً لانهم
سلموها سريراً فلما سمع بذلك أهل اللاذقية أقاموا بها ودفموا الجزية ثم طلب
مقدم الاسطول مقابلة السلطان والامان له فأمنه وحضر بين يديه وقال ما معناه
(انك سلطان رحيم كريم وقد فلت بالصليبيين ما فعلت فذلوا فتركهم يكونون
مما ليكك وجندك تفتح بهم البلاد والممالك وترد عليهم بلادهم والاجاءك من
البحر مالا طاقة لك به فيعظم عليك الامر ويشتد الحال) فاجابه صلاح الدين
بتحوي كلامه من اظهار القوة والاستهانة بكل ما يجيء من البحر وانهم
ان خرجوا اذاقهم ما اذاق اصحابهم من القتل والاسر فانقلب على وجهه
ورجع الى اصحابه

* فتح حصن صهيون وغيره من الحصون *

ثم رحل السلطان عن اللاذقية في يوم الاحد ٢٧ جمادى الاولى سنة
٥٨٤ طالباً صهيون فنزل عليها يوم الثلاثاء التاسع والعشرين منه فاستدار المسكر
بها من جميع نواحيها صباح الاربعاء ونصب عليها ستة منجنيقات وهي قلعة
حصينة منيعة في طرف جبل خنادقها أودية هائلة واسمة عميقة وليس لها
خندق محفور الا من جانب واحد وهو نقر في حجروها ثلاثة أسوار سوران
دون ربضها وسور دون القلعة وسور اقلعة وكان على قلعتها علم طويل منصوب
فلما اقبلت العساكر الاسلامية وقع فاستبشرت بالنصر واشتد القتال عاينها من
سائر الجوانب فضربها منجانيق الملك الظاهر ولد السلطان وكان نصبه أمام جهة
قريبة من السور وكان الحجر صائلاً فلم يزل يضرها حتى هدم من السور
قطعة عظيمة ولما كان يوم الجمعة ثاني جمادى الآخرة عزم السلطان على الزحف
وركب وتقدم وتواترت المنجنيقات بالضرب وارتفعت الاصوات وما كان الا
ساعة حتى رقى المسلمون على أسوار الربض واشتد الزحف وعظم الامر

وهجم المسلمون الربض وانضم من كان في الربض الى القلعة بما أمكنهم ان يحملوه من أموالهم ونهب المسلمون باقى الاموال واستتدارت المساكر خول أسوار القلعة فلما رأى الصليبيون الهلاك استغاثوا بطلب الامان فأمنهم السلطان علي أن يسلموا بانفسهم وأموالهم ويأخذ عن الرجل منهم عشرة دنانير وعن المرأة خمسة وعن الصغير دينارين فسلمت القلعة وأقام السلطان حتى تسلم عدة قلاع كالعيد وبلاطنس وقلعة الجماهيرين وغيرها

فتح بكاس والشعر والسرمانية وبرزية

ثم رحل السلطان حتى أتى بكاس وهي قلعة حصينة على جانب العاصي ولها نهر يخرج من تحتها وكان النزول على ذلك الشاطئ يوم الثلاثاء سادس جمادى الاخرة سنة ٥٨٤ فصد السلطان بجريدة الى القلعة وهي جبل مطال على العاصي فاحدق بها من كل جانب وقائلها قتالاً شديداً بالمنجنيقات والزحف المضايق الى يوم الجمعة تاسع شهره ففتحها عنوة وأسر من فيها بعد قتل من قتل منهم وغنم جميع ما كان فيها وكان لها قلعة (تصغير قلعة) تسمى الشعر قريبة منها يعبر منها اليها بجسر وهي في غاية المنعة ليس اليها طريق فسلطت عليها المنجنيقات من سائر الجوانب ورأوا انهم لا ناصر لهم فطلبوا الامان وذلك في يوم الثلاثاء ثالث عشرة وسألوه ان يؤخروا ثلاثة أيام لاستئذان انطاكية لانها تابعة لها فأذن في ذلك وكان تمام فتحها وصعود العلم السلطاني على قلعتها يوم الجمعة سادس عشرة ثم عاد السلطان الى عسكره وسير ولده الظاهر الى قلعة تسمى سرمانية يوم السبت سابع عشره فقاتلها قتالاً شديداً وضايقها مضايقة عظيمة وتسلمها أيضاً يوم الجمعة الثالث والعشرين منه ومن غريب الاتفاق ان فتوح الساحل من جبلة الى سرمانية في أيام الجمع المتوالية وهذا من نوادر الفتوح التي لم يتفق منادها. ثم سار السلطان بجريدة الى قلعة برزية وهي قلعة

حصينة في غاية القوة والمنعة على سن جبل شاهق تحيط بها أودية من سائر
جوانبها فحاصرها وفي صباح الاحد الخامس والعشرين منه ركب عليها المنجنيقات
وآلات الحصار من سائر نواحيها وشد القتال وضرب أسوارها بالمنجنيقات
المتواترة ليلا ونهاراً وظل يقاتلها حتى يوم الثلاثاء السابع والعشرين منه فقسم
العسكر ثلاثة أقسام كل قسم يقاتل شطراً من النهار ثم يستريح ويتسلم القتال
الشطرا الآخر حتى لا يفتقر القتال ساعة واحدة وكان صاحب النوبة الاولى
عماد الدين صاحب سنجار فقاتلها قتالاً شديداً حتى استوفى نوبته وتسلم النوبة
الثانية السلطان بنفسه فلما ركب وسار عدة خطوات صاح في الناس فحملوا حملة
الرجل الواحد وصاحوا صيحة الرجل الواحد وقصدوا السور من كل جانب
فلم يكن الا بضع ساعة حتى رقى الناس على الاسوار وهجموا على القلعة
فاخذوها عنوة وطلب من فيها الامان وقد ملئت الايدي منهم فلم يك ينفعهم
أمانهم ونهب جميع ما كان فيها وأسر جميع من كان بها وكان قد أوى اليها
خاق عظيم وهذه القلعة من قلاعهم المشهورة ويوم أخذها كان يوماً عظيماً ثم
عاد الناس الى خيامهم غانمين وعاد السلطان الى معسكره وأحضر بين يديه صاحب
القلعة وكان رجلاً كبيراً منهم فكان هو ومن أخذ من اهله سبعة عشر نفساً فن
عليهم السلطان ورق لهم وانفذهم الى صاحب انطاكية استماله لانهم كانوا من
قوى قرية وكانت هذه القلعة مقابلة لحصن افاميا وتناصفها في أعماها وبينهما
بحيرة تجتمع من ماء العاصي وقد مدحه الشهاب قتيان الشاغوري بقصيدة
منها

لما ملكت حصون انطاكية	يش الصليب وحزبه من مظهر
أردت كل مثل متكبر	بموجد متواضع ومكبر
برزت الى برزية عزمك التي	مدت يداً عن مطالب لم يقصر
فتناولته بيدها من بازخ	في الافق ذي مثل يروع مسير

فانهض لصور فهي أحسن صورة في هيكل الدنيا بدت لمصور
ماسور صور عاصم منه وهل سور المعاصم عاصم لمصور

فتح حصن دربساك وحصن بغراس

ثم سار السلطان حتى أتى جسر الحديد وأقام عليه أياماً ومنه سار حتى نزل
على دربساك يوم الجمعة ثامن رجب سنة ٥٨٤ وهي قلعة منيعة قريبة من انطاكية
فنزل عليها وقاتلها قتالاً شديداً بالمنجنيقات وضايقها مضايقة عظيمة وأخذ النقب
تحت برج منها وتمكن النقب منه حتى وقع وحموه بالرجال والمقاتلة ووقفت في
الثغرة رجال يحمونها عن بصعد فيها وكان كما قتل منهم رجل قام غيره مكانه وهم
قيام عوض الجدار واشتد الأمر حتى طلبوا الأمان واشتروا مراجعة انطاكية
وكانت القاعدة أن ينزلوا بأنفسهم وثياب أبدانهم لا غير ورقي عليها العلم الإسلامي
في يوم الجمعة ثاني عشر رجب وتسلمها بما فيها وسار السلطان إلى قلعة بغراس
وهي قلعة منيعة أقرب إلى انطاكية من دربساك وكانت كثيرة العدة والرجال
فنزل العسكر في مرج لها واحرق العسكر بها وأقام يترك لحفظها من ناحية
انطاكية خوفاً من هجوم أهل انطاكية بضرب على بابها بحيث لا يمكن أحد
الخروج منها ولم ينزل يقاتل بغراس مقاتلة شديدة حتى طلبوا الأمان على استئذان
انطاكية ورقي العلم السلطاني عليها في ثاني شعبان وتسلمها بما فيها من الأموال
والذخائر والغلال وتسلمها السلطان مع دربساك إلى علم الدين صاحب عزاز
وفتح السلطان أبراج ومغارات وشققان كثيرة حتى خلص ذلك الأقليم

و الهدنة ورجوع السلطان عن انطاكية وفتح الكرك

وصفدوكوكب

لما فتح السلطان بغراس عزم على التوجه إلى انطاكية وحصرها بخفاف

بوهموند صاحبها فارسل يطلب الهدنة على أن يطلق كل أسير عنده من المسلمين
 بعد أن استشار الأمر فأشار أكثرهم في ذلك ليرتاح الناس ويجمعوا ما يحتاجون
 إليه أما السلطان فإنه أجابه وجمعت مدة الهدنة ثمانية أشهر ثم أرسل رسوله إلى
 بوهموند ليستلم منه الأسرى وذلك في ثاني شعبان سنة ٥٨٤ وعاد إلى حلب
 في ثالثه ومنها سار إلى دمشق وفرق العساكر الشرقية كما دالدين زنكي بن مودود
 صاحب سنجار وعسكر الموصل ولما هل رمضان اشير عايه بالاستراحة في شهر
 الصوم فقال ان العمر قصير والاجل غير مأمون وقد بقي بيد الصليبيين حصن
 كوكب وصفد والكرك وغيرها ولا بد من اخذها فانها في وسط بلاد الاسلام
 ولا يؤمن شراهلها وان اغفلناهم ندمنا وكان السلطان قد جعل على الكرك من
 يحصره فلازموا حصاره مدة طويلة حتى فنيت ازواد أهله وذخائرهم وأكلوا
 دوابهم فراسلوا الملك العادل اخصلاح الدين ونائبه على هذه البلاد يبذلون تسليم
 القلعة اليه ويطلبون الامان فاجابهم الى ذلك وأرسل الى مقدم العسكر المحاصرين
 بذلك فتسلم القلعة منهم وأمنهم وتسلم أيضاً ما يقاربه من الحصون كالشوبك
 وهرمز والوعيرة والسلم وارتاح المسلمون من تلك النواحي. ثم سار السلطان
 في منتصف شهر رمضان الى قلعة صفد فحصرها وقتلها ونصب عليها المنجنيقات
 وأدام الرمي ليلا ونهاراً بالحجارة والسهام وكان أهلها قد قاربت ذخائرهم وأزوادهم
 النفوذ في المدة التي كانوا فيها محصورين فخافوا من بطشه فارسلوا اليه يطلبون
 الامان فأمنهم وتسلمها منهم فخرجوا منها وساروا الى مدينة صور. ولما كان
 السلطان محاصراً صفداً اجتمع من في مدينة صور وقالوا ان فتح المسلمون قلعة
 صفد لم يتبق كوكب وحينئذ ينقطع طمعنا من هذه البلاد واتفق رأيهم على ارسال
 نجدة اليها سرّاً من رجال وسلاح وغير ذلك فارسلوا مائتي رجل من شجعانهم
 فساروا الليل مستخفين وأقاموا النهار مكمنين واتفق ان رجلاً من المسلمين
 المحاصرين كوكب خرج للاصطياد فاتي رجلاً من تلك النجدة فاستغرب وجوده

بتلك الارض فضربه ليعلمه بحاله وسبب قدومه الى هناك فاقر ودله على اصحابه
فعاد الجندی المسلم الى قايماز النجمی وهو مقدم العسكر فاعلمه الخبر والافرنجی
معه فركب في طائفة من رجاله الى الموضع الذي اختفى فيه الصليبيون فكبسهم
فاخذهم على غرة وتبعهم في الشهاب والكهوف فلم يفلت منهم أحد وكان معهم
مقدمان من الاسبتارية (جمعية ضياف الغرباء) فحملوا الى السلطان وهو على
صفد ولما احضر المقدمين احضرهما ليقتلهما وكانت عاقبته قتل الداوية
(جمعية الهيكليين) والاسبتارية لشدة عداوتهم للمسلمين وشجاعتهم قال له أحدهما
لاأظن ان ينالنا سوء وقد نظرنا الى طامتك المباركة ووجهك الصبيح وكان
السلطان كثير العفو والاستعطاف يقبل الاعتذار فيعفوا ويصفح فلما سمع
كلامهما لم يقتلهما وأمر بسجنهما. ثم سار الى قلعة كوكب ونازلها وحاصرها
وأرسل الى من بها يطلبهم بانهم اذا سلموا آمنهم واذا امتنعوا يقتلهم وينهبهم فلم
يسفوا اليه واصرروا على الامتناع فجد في قتالهم ونصب عليهم المنجنيقات وتابع
رشقهم بالاحجار وزحف مرة بعد مرة وكانت الامطار كثيرة لا تنقطع ليلا ولا
نهارا فلم يتمكن المسلمون من القتال كما يريدون وطال مقامهم الى ان زحف اليها
دفعات في يوم واحد فوصلوا الى باشورة القلعة ومعهم النقبون والرماة يحمونهم
بالنشاب عن قوس اليد فلم يقدر أحد منهم أن يخرج رأسه من أعلى السور فنقبوا
الباشورة فسقطت وتقدموا الى السور الأعلى فلما رأى الصليبيون ذلك اذعنوا
بالتسليم وطلبوا الامان فأمنهم وتسلم الحصن منهم في منتصف القعدة وسيرهم
الى صور فوصلوا اليها واجتمعوا بها. وكانت صور قد امتلأت بالصليبيين
وابطالهم لان اهل جميع البلاد التي فنحت ساروا اليها وأرسلوا الى أوروبا
يطلبون النجدة كما تقدم فلذلك تكدر السلطان صلاح الدين لتركه صور وعدم
استيلائه عليها قبل فتح القدس وعض بنانه ندماً وأسفاً. وسار الى القدس
وعيد فيها عيد الاضحى ومنها الى عكا فاقام بها الى آخر السنة

﴿ في بناء استحكامات عكا وحصار شقيف ارتون ﴾

قلنا ان السلطان اقام بمكاني آخر سنة ٥٨٤ فامر باحضار بهاء الدين قراقوش
من مصر ومعه المهندسون وطائفة البنائين وما يلزمهم لعمارة سور عكا واستحكاماتها
فوصلوا في شهر محرم سنة ٥٨٥ والسلطان مقبم بها فاقام بهاء الدين قراقوش والياً
عليها وأمر ببناء السور أمثن بناء وترك معه حسام الدين بشاره وسار الى دمشق
فوصلها في مستهل شهر صفر وأقام بها وجاءه من بغداد رسول الخليفة فامر
بالخطبة لولي العهد عدة الدين أبي الفضل نصر محمد بن الامام الناصر فخطب له
بذلك في يوم الجمعة ١٣ صفر ثم عاد الرسول ومعه رسول من السلطان بهدايا
عظيمة واسرى من الصليبيين والصليب الذي كان على قبة الصخرة (و قيل
صليب الصابوت الذي أخذ في واقعة حطين) وتاج ملك القدس . وفي يوم
الجمعة الثالث من ربيع الاول خرج السلطان من دمشق فسار حتي نزل في
مرج فلوس ونزل في صباح يوم السبت رابع شهره في مرج برغوث فاقام به
والعساكر تتابع الى الحادي عشر ورحل الى بانياس ومنها الى مرج عيون فخيم
به وهو قريب من شقيف ارتون فكان يركب كل يوم يشارفه ويعود والعساكر
تجتمع وتطلبه من كل صوب فيخاف صاحب الحصن من كثرة العساكر وعلم
ان لا قدرته عليها فرأى بأن الصالح مع السلطان هو اسلم طريق الى سلامته
فنزول بنفسه الى باب خيمة السلطان وطلب الاذن في الدخول فاذن له فدخل
فاحترمه السلطان واكرمه وكان يعرف العربية وعنده اطلاع على شئ من
التواريخ والاحاديث وكان عنده مسلم يقرأ له ويفهمه وأكل مع السلطان الطعام
ثم خلا به وذكرا انه تحت طاعته وأن يسلم اليه الحصن من غير تعب وطلب أن يعطى
موضعا يسكنه في دمشق لانه لا يقدر بعد ذلك علي مساكنة الافرنج واقطاء
يد دمشق تقوم به وباهله وان يفتح له مدة ثلاثة شهور ليظل في حصنه ويتمكن

من تخلص أهله وجماعته من صور ويأخذ غلة هذه السنة فاجيب الى ذلك كله واقام يتردد الى خدمة السلطان في كل وقت وينظر المسلمين في صحة دينه وينظرونه في بطالانه وكان حسن المحاورة متأدباً في حديثه ثم ظهر ان جميع ذلك مخادعة منه لطول الوقت وظهر على ذلك دلائل كثيرة في تحصيل الميرة واتقان الابواب فرأى السلطان أن يصعد الى سطح الجبل ليقرب من المكان ويمنع كل نجدة وميرة تأتيه واطهر ان ذلك فراراً من وخم المرج فنزل صاحبه وسأل أن يمهل تمام سنة فمأطله السلطان وقال تفكر في ذلك وتأخذ رأي الجماعة ثم وكل به من حيث لا يشمر فأنكشفت سريره الغادرة فقبض عليه السلطان وطلب تسليم الحصن فقال انا انفذ الى نوابي في التسليم وكان قد أوصاهم بما يفعلونه فقالوا الانسلم ويبقى عندكم مكانه فقيدوه وحملوه الى نامة بانياس ثم احضره السلطان في سادس رجب وهدده وتوعده فلم يفد فأمر بسجنه في دمشق وعين بعض الامراء لحصار الحصن صيفاً وشتاء

﴿ مناوشات بين الصليبيين وعساكر المسلمين ﴾

قلما ان مدينة صور امتلأت بالصليبيين الذين اتوها من جميع البلاد التي فتحها المسلمون ولما وجدوا كثرتهم اتفقوا جميعاً على مهاجمة المسلمين فخرجوا وعسكروا على باب صور وبينما كان السلطان في مرج عيون محاصراً شقيف ارتون يوم الاثنين سابع عشر جمادى الاولى سنة ٥٨٥ باغته من اليزك ان الصليبيين قد قطعوا الجسر الفاصل بين ارض صور وارض صيدا وهي الارض التي عليها السلطان فركب نحو اليزك وكان جماعة من الصليبيين قد عبروا الجسر فنهض اليهم يزك الاسلام وكانوا في عدة وقوة فقاتلوهم وقتلوا منهم خلقاً كثيراً وجرحوا اضعاف ماقتلوا ورموا في النهر جماعة ففرقوا ولم يقتل من

المسلمين الامموك للسلطان يعرف باييك الاخرش وكان شجاعاً باسلاً مجرباً
 للحرب ممارساً له جمع به فرسه فلجأ الى صخرة فقاتل بالنشاب حتي فني نشابه
 ثم بالسيف حتى قتل جماعة ثم تكاثروا عليه فقتلوه وفي يوم الابعاء تاسع
 عشر من ذاك الشهر ركب السلطان كي يشرف على القوم على عادته فتبع العسكر
 خلق عظيم من الرجالة والغزاة والسوقة فامرهم بالرجوع فلم يفعلوا وخاف
 عليهم لان المكان حرج وليس للراجل فيه ملجأ ثم اندفع الرجالة على الجسر
 وناوشوا العدو القتال وعبر منهم جماعة اليهم وجرى بينهم قتال شديد واجتمع
 عليهم من الصليبيين خلق عظيم لانهم علموا ان ليس وراءهم كمين فحملوا
 عليهم حملة واحدة على غرة من السلطان لانه كان بعيداً عنهم ولم يكن معه عسكر
 لانه لم يخرج للقتال وانهما ركب مستشرفاً عليهم على عادته ولما بان له الواقعة
 وظهر له غبارها بعث اليهم من كان معه ليردوهم فوجدوا الامر قد فرط
 والصليبيين قد تكاثروا حتى خافت منهم السرية التي بعثها السلطان وظفر الصليبيون
 بالرجالة ظفراً عظيماً وأسروا جماعة وهدموا قتل من الرجالة فكان ١٨٠ في
 ذلك اليوم وقتل من الصليبيين عدد عظيم وغرق أيضاً منهم كثيرون وكانت هذه
 الواقعة لم يتفق للصليبيين مثلها ولم يراى السلطان ما حل بالمسلمين في هذه الواقعة
 النادرة جمع أصحابه وشاورهم وقرر منهم ان يهجم على الصليبيين ويبر الجسر
 ويقاتلهم ويستأصل شأفتهم وكانوا قد رحلوا عن صور ونزلوا قريباً من الجسر
 وبين الجسر وصور فرسخ وزيادة فلما صمم على ذلك رحل الصليبيون عابدين
 الى صور ملتجئين الى سورها فرأى ان يسير الى عكا ليلاحظ ما بني من سورها
 ويحث على الباقي فسار على تبين ولم يرجع على مرج عيون فمضى الى عكا ورتب
 أحواطها واعد الى العسكر بمرج عيون منتظراً مهلة صاحب الشقيف ولما كان
 يوم السبت سادس جمادى الاخرى باغته ان جماعة من رجالة العدو يخرجون
 الى جبل تبين فيحتطون ووراءهم من الفرسان من يحفظهم فارسل الى عسكر

تبين ان يخرج منهم نفر يسير الى أوائلك المحتطبين فاذا تبعتهم خيل العدو ينهزمون الى جهة عينها لهم وان يكون ذلك في صبيحة يوم الاثنين ٨ منه وأرسل الى عسكر عكا ان يسير حتى يكون وراء عسكر الصليبيين حتى اذا تحركوا في نصرة أصحابهم قصدوا خيمهم وركب هو وعسكره الى الجهة التي عينها لهزيمة عسكر تبين ورتب عسكره ثمانية اطلاب واستخرج من كل طاب عشرين فارساً وأمرهم ان يتراؤا للعدو حتى يخرج اليهم ويناوشهم فيهربون من وجهه حتى يصلوا الى الكمين ففعلوا وخرج اليهم من الصليبيين معظم عسكرهم وجرى بينهم وبين هذه السرية اليسيرة قتال شديد والتزمت السرية القتال وانفتحت من الانهزام وحماها الحمية على مخالفة السلطان واتصل الخبر بالسلطان في أواخر الامر وقد هجم الليل فبعث بعوناً كثيرة فعاد الصليبيون ناكسين على أعقابهم ومن نوادر هذه الواقعة ان مملوك للسلطان اسمه ايبك الساقى وقع عن فرسه فجلس على صخرة وأخذ قوسه بيده وحمي نفسه وجعلوا يرمونه بسهام الزنبورك وهو يرميهم فجرح منهم عدة وجرحوه جزاحات كثيرة فسقط فأتوه وهو على آخر رمق فظنوه ميتاً فتركوه وانصرفوا عنه ثم ان المسلمين جاؤا في صباح يوم الثلاثاء ٩ منه الى موضعهم فرأوا القتلى ورأوا المملوك حياً فحملوه في كساء وهو لا يبى شيئاً فيئسوا من حياته فعرضوا عليه الشهادة وتركوه وعادوا اليه فرأوه قد قويت نفسه فاقبلوا عليه بمشروب فعوفى وكان بعد ذلك لا يحضر موقعة الا كان له فيها أثر عظيم ثم عاد السلطان الى مخيمه في يوم الاربعاء ١٠ منه

✽ محاصرة الصليبيين عكا ومحاربتهم ومصارعة الصبيان ✽

لما كان السلطان على حصن الشقيف بلغه ان الصليبيين خرجوا بجحشهم من مدينة صور وساروا قاصدين عكا بقيادة ملكهم غوى الذي كان أسيراً

وأطلق سراحه السلطان فلم ير المسارعة بالمسير الى عكا خوفاً من أن يكون
قصدهم ترحيله عن الشقيف فاقام مستكشفاً للحال الى يوم الاحد ثاني عشر
وجب سنة ٥٨٥ فوصل رسول يقال ان الصليبيين رحلوا ونزلوا عين بصره
ووصل أوائلهم الى الزيب فمظم عنده ذلك وكتب الى سائر أرباب الاطراف
بالمسير اليه وسار السلطان بالثقل (عموم الجيش) ليلاً وأصبح يوم الاثنين ١٣
منه سائراً الى عكا على طريق طبرية اذ لم تكن طريق أخرى تسع العسكر وسير
جماعة على طريق تبين يستشرفون العدو ويواصلونه باخباره وظل مواصلاً
الزحف حتى أتى الجولة في منتصف النهار فنزل فيها ساعة ثم رحل
وسار طول الليل حتى أتى موضع يقال له المنية صباح الثلاثاء وفيه
بلغه خبر نزول الصليبيين على عكا فارسل صاحب الشقيف الى دمشق
ليسجن فيها وسار السلطان بجريدة من المنية حتى تقابل ببقية العسكر الذي
كان قد أرسله بطريق تبين بمرج صفورية الذي واعدهم اليه وأمر الثقل ان
يلحقه الى مرج صفورية ولم يزل سائراً حتى شارف العدو من الخروبة وبعث
بعض العسكر فدخل عكا على غرة من العدو وتقوية لمن فيها ولم يزل يبعث اليها
بجناً بعد بعث حتى اجتمع فيها خلق كثير وسار من الخروبة الى تل كيسان في
أوائل مرج عكا فنزل عليه وأمر الناس ان ينزلوا على التعمية فكان في آخر
الميسرة على طرف النهر الحلو وآخر الميمنة بالقرب من تل العياضية واحتاط
العسكر الاسلامي بالعدو وأخذوا عليهم الطرق من سائر الجوانب وتلاحقت
العساكر الاسلامية واجتمعت ورتب اليك الدائم وحصر العدو في خيامه بحيث
لا يخرج منها أحد الا يجرح أو يقتل وكان عسكر الصليبيين على شطر من عكا
وخيمة ملكهم على تل المصلين قريبا من باب البلد وعدد فرسانهم الفان وعدد
راجاهم ثلاثون الفا وكان المدد يأتيهم من البحر خصوصاً من اتاهم من
طائفتي الفريزيين والدانيين وعددهم اثنا عشر الف غير الذي اتاهم من الانكليز

والفلامنديين وكان مقدمهم رئيس أساقفة كانطور بارى ويمقوب دى افسناس
الفلامندى وجري بينهم وبين اليزك مقاتلات عظيمة متواترة والمسلمون
يتهاقنون على قتالهم والسلطان يمنهم من ذلك الى وقته ثم وصل تقى الدين من
حماء ومظفر الدين بن زين الدين واستفحل أمر الصليبيين فاستداروا بالبلد
فى آخر شهر رجب ومنعوا الناس من الدخول والخروج اليها فمظم على السلطان
ذلك وضاق صدره وثارته همته العالية فى فتح الطريق الى عكا لتستمر وصول
الميرة والنجدة اليها فباكرهم فى أول شعبان وضايقتهم مضايقة شديدة فكانت
الجملة بعد صلاة الجمعة وانتشر عسكر الصليبيين الى ان ملكوا التلوى وكانت
ميسرة عسكرهم الى البحر الممتدة الى البحر المسالخ وميمنتهم قبالة القلعة
الوسطى التي لعكا واتصت الحرب الى ان حال بين الفئتين هجوم الليل وبات
الناس على حالهم من الجانبين شاكين السلاح تحرس كل طائفة نفسها من
الآخرى وأصبحوا يوم السبت ثانى شعبان على القتال وانفذ السلطان طائفة
من شجعان المسلمين الى البحر من شمالي عكا ولم يكن هناك للصليبيين خيم
لكن عسكره كان قد امتد جريدة شمالي عكا الى البحر فحمل شجعان
المسلمين على عسكر الصليبيين الواقف شمالي عكا فانكسروا كسرة عظيمة
وقتلوا منهم جمعاً كبيراً والتفت المسلمون منهم الى خيامهم وهجم المسلمون
خلفهم الى أوائل خيامهم ووقف اليزك الاسلامى مانعاً من ان يخرج من عسكرهم
خارج أو يدخل اليه داخل وانفتح الطريق الى عكا من باب القلعة المسماة
بقلعة الملك الى باب قراقوش الذي جددده وصار الطريق آمناً واليزك بين
الطريق وبين العدو ودخل السلطان فى ذلك اليوم عكا ورفى على السور
ونظر الى عسكر الصليبيين . وتراجع الناس عن القتال بعد صلاة الظهر
لسقيا الدواب والاستراحة ولم يعودوا الى القتال وفى صباح الأحد ثالثه رأى
بعض الامراء تأخير القتال الى ان يدخل الجيش الراجل كاه الى عكا ويخرجوا

مع العسكر المقيم بها من أبواب البلد على العدو ومن ورائه وتركب المساكر
من خارج من سائر النواحي ويحملون حملة الرجل الواحد وكان السلطان
يعاين هذه الامور كلها بنفسه ويلاحظها بذاته لا يتخلف عن مقام من هذه
المقامات وهو من شدة حرصه ووفور همته كالوالدة الشكلي وقال أحد اطبائه
انه بقي من يوم الجمعة الى يوم الاحد لم يتناول من الغذاء الا شيئاً يسيراً
لفرط اهتمامه وفعلا ما كانوا قد عزموا عليه واشتدت منعة العدو وحمي نفسه
في خيامه ولم تزل سوق الحرب قائمة تباع فيها النفوس وتمطر سماء حربها الرؤس
من كل ريس ومرؤس حتى كان يوم الجمعة تامنه فمزم الصليبيون على الخروج
بجموعهم فخرج راجلهم وفارسهم وامتدوا على التلول وساروا الهوينا غير
مفرطين في نفوسهم ولا خارجين من راجلهم والرجالة حولهم كالسور المبني
يتلوا بعضهم بعضاً حتى قاربوا خيام اليزك فصاح السلطان بالعساكر الاسلامية
فركبوا باجمعهم وحملوا حملة الرجل الواحد فماد الصليبيون ناكسين على
عقبهم والسيف يمدل فيهم فالسالم منهم جريح والعاطب طريق يشتدون هزيمة
فيهم جريحهم بقتيلهم حتى لحق خيامهم من سلم منهم وكفوا عن القتال اياماً
وكان قصاراهم ان يحفظوا نفوسهم واستمر فتح طريق عكا والمسلمون
يترددون اليها ثم رأى السلطان توسيع الدائرة عليهم لعلمهم بخروجون الى مصارعهم
فنقل الثقل الى تل العياضية وهو تل قبالة تل المصلبين مشرف على عكا وخيام
العدو ثم بلغ السلطان ان جماعة من الصليبيين تخرج للاحتشاش من طرف
النهر مما يذبت عليه فامر السلطان بان يكمن لهم جماعة من العرب وقصد
العرب لحقتهم على خيلهم فهجموا عليهم وقتلوا منهم خلقاً عظيماً وأسروا جماعة
واحضروا الرؤس بين يديه وذلك يوم السبت تاسع عشره وفي مساء ذلك اليوم
كانت حرب شديدة بين أهل البلد والصليبيين قتل فيه جمع عظيم من
الطائفتين وطال الامر بين الفئتين ولا يخلو يوم عن قتال وأنس البعض بالبعض

حتى ان الطائفتين كانتا تتحدنان معاً ويتركان القتال ثم يرجعون الى القتال
بعد ساعة وسثموا يوماً فقالوا الى كم يتقاتل الكبار وليس للصغار حظ يزيدان
يصطرع صبيان صبي منا وصبي منكم فاخرج صبيان من البلد الى صيدين من
الافرنج فوثب أحد الصييين المسلمين على أحد الصييين الافرنج فاحتضنه وضرب
به الارض واخذته أسيراً فاشتراه منه بعض الصليبيين بدينارين وقالوا هو أسيرك
حقاً فاخذ الدينارين واطلقه

﴿ ورود المدد للصليبيين وواقعة عكا الكبرى ﴾

وما زالت الامداد تتوانى على الصليبيين من البحر مع المراكب من بلاد
البندقية ويزا وجنوى وكذلك عدد وافر من العساكر الفرنسية والاطالية
والنساوية والانكليزية واتحدوا مع الصليبيين الآخرين وكان يوجد بين الصليبيين
الجدد أساقفه ورؤساء كنائسيون وامراء ودوقات مثل كونت دي فرارا
وانسلموس أمير المونت راله و فيس كونت دي شاطالاروتل وحاكم برغاس
مع رئيس اساقفة ييزا وارملة ملك الدانيمرك وصحبتها ٤٠٠ عسكري ووغوى
دي داميارا واسقف نيرونا وصلا مع بعض عساكر رومانية وجمعوا جميع
جنودهم واعلامهم الى جنود الصليبيين الذين كانوا برئاسة غوى (الذي كان
أسيراً) يحاصرون عكا حتى اصبح جيش الصليبيين نيفاً ومائة ألف مقاتل ثم
قر رأيهم على مقاتلة المسلمين قتالاً شديداً فرتبوا صفوفهم كما يأتى فالملك غوى
تقدم على العساكر الفرنسية وعلى خيالة الاسبتارية (جمعية ضياف الغرباء)
وامامه أربعة فرسان حاملون بشائر الانجيل المقدس والشاب كونراد صاحب
صور ترأس جنود البندقية ولومبارديا وأهل صور ولاندغرافا دي طورينجا
ترأس العساكر النساوية والبيزاوية والانكليزية في وسط الحرب والدوك دي
غوالدار قاد عساكره وفرسان الداوية (جمعية الهيكلين) واقاموا الحفر منهم

ورؤساء كنائس رافينا. وبيزا. ويزانصون وکانطورباري. وبوفيس. وغاميراي.
وغيرهم تسامحوا بالخوذ والزرديات وفي يوم الاربعاء الحادي والعشرين من شهر
شعبان سنة ٥٨٥ تحرك الصليبيون فأمر السلطان صلاح الدين أن ينادي في الناس
يا للاسلام فركبوا وكان السلطان قد انزل الجند في الخيم ميمنة وميسرة وقلبا على
تعبية الحرب حتى اذا وقعت صيحة لا يحتاجون الى ترتيب جديد وكان هو في
القلب وفي ميمنة القلب ولده الافضل ثم ولده الظافر ثم عسكر الموصل يتقدمهم
ظهر الدين بن البكنكري ثم عسكر ديار بكر وعليه قطب الدين صاحب الحصن
ثم حسام الدين عمر بن لاجين صاحب ناباس ثم قايماز النجمي وجموع عظيمة تتصل
بطرف الميمنة ويليه الملك المظفر تقي الدين بجحفله وعسكره وهو مطل على البحر
وأما أوائل الميسرة فكان ممابلي القلب سيف الدين علي بن أحمد المشطوب من
كبار ملوك الاكراد والامير مجلي وجماعة المهرانية والطاركية ومجاهد الدين
برتقش مقدم عسكر سنجار وجماعة من المماليك ثم مظفر الدين بن زين الدين
وعسكره وأواخر الميسرة كبار المماليك الاسدية كسيف الدين يازكوج وورسلان
بغا وجماعة الاسديه الذين يضرب بهم المثل وكان في مقدمة القلب الفقيه عيسي
والسلطان يطوف على الاطلاب بنفسه يحثهم على القتال ويدعوهم الى النزال
ولم يزل القوم يتقدمون والمسلمون يقدمون حتى علا النهار ومضى منه أربع
ساعات وعند ذلك تحركت ميسرة العدو على ميمنة المسلمين واخرج لهم تقي الدين
الجاليش وجري بينهم قليات كثيرة وتكاثروا على تقي الدين وكان في طرف الميمنة
على البحر فتراجع عنهم شيئاً اطماعاً لهم لهم ينفصلون عن أصحابهم فينال
منهم غرضه فلما راه السلطان قد تأخر ظن به ضعفاً فامده باطلاب من القلب
حتى قوى جانبه وتراجعت ميسرة العدو واجتمعت على تل مشرف على البحر
ولما رأى الذين في قلب عسكر الصليبيين ضعف من في قلب المسلمين ومن
خرج منه من الاطلاب داخلهم الطمع وتحركوا نحو ميمنة القلب وحملوا حملة

الرجل الواحد راجلهم وفارسهم على عسكر ديار بكر فانكسروا كسرة عظيمة
وسرى الامر حتى انكسر معظم الميمنة واتبع العدو المنهزمين الى العياضية
لانهم استداروا حول التل وصعدت طائفة من الصليبيين الى خيم السلطان
فقتلوا طشت دارا واسماعيل المكبس وابن رواحة وأما الميسرة فانها ثبتت وأما
السلطان فانه أخذ يطوف على الاطلاب ينهضهم ويوعدهم ويحثهم على الجهاد
وينادى فيهم بالاسلام ولم يبق غير خمسة رجال معه وهو يطوف ويتخرق
الصنوف واوى الى تحت التل الذي كانت عليه الخيام اما المنهزمون من العسكر
فبلغت هزيمتهم الى الاقحوانة وراء جسر طبرية وألحقهم الصليبيون الى العياضية
فقط حتي اذا مارأوهم قد صعدوا الجبل رجموا عنهم الى عسكرهم فلقبيهم
جماعة من الغلمان والخر بندية والساسة فقتلوا منهم جماعة ثم جاؤا على رأس
السوق فقتلوا جماعة وقتل منهم جماعة واما الذين صعدوا الخيم فلم يقتلوا غير
الثلاثة المذكورين ثم رأوا ميسرة الاسلام ثابتة فعلموا ان الكسرة لم تتم فعادوا
منحدرين من التل يطلبون عسكرهم والسلطان واقف تحت التل يجمع الناس
ليعودوا الى الحملة على العدو فلما رأى الصليبيين نازلين على التل أراد رجاله
لقاءهم فامرهم بالصبر الى ان ولوا ظهورهم واسرعوا يطلبون اصحابهم فصاح
في الناس فحملوا عليهم وقتلوا منهم جماعة واشتد الطمع فيهم وتكاثر الناس
وراءهم حتي لحقوا اصحابهم والطردهم فلما رأوهم الصليبيين منهزمين
والمسلمون خلفهم في عدد كثير ظنوا ان من حمل منهم قد قتل وانه انما نجا
منهم هذا النفر فقط وان الهزيمة قد عادت عليهم فاشتدوا في الهرب والهزيمة
وتحركت الميسرة عليهم وعاد الملك المظفر بجمعه من الميمنة وتحايا الرجال
وتداعت وتراجعت الناس من كل جانب وظل المسلمون ينقلون ويضربون الى
ان وصل المنهزمون الى معسكرهم فهجم المسلمون عليهم في الخيام فخرج
منهم اطلاب كانوا عدوها خشية من هذا الامر مستريحة فردوا المسلمين

وكان التعب قد أخذهم والمرق قد أجمهم فتراجعوا عنهم بعد صلاة العصر
 يخوضون في القتلى ودمائهم فرحين مسرورين وعاد السلطان وجلس وحصروا
 من قتل منهم من الغلمان والمجهاوين ١٥٠ نفرأ ومن المعروفين استشهد ظهر
 الدين أخو الفقيه عيسى والامير مجلى ابن مروان والحاجب خليل الهكاري
 ومن قتل من الصاييين بلغ سبعة آلاف وقيل أقل. في أثناء هزيمة المسلمين
 وأت الغلمان خلو الخيام من مراض لان العسكر انقسم قسمين منهزم ومقاتل
 ولم يبق في الخيم أحد فظنوا ان الكسرة تم على المسلمين وان العدو سينهب
 جميع ما في الخيم فاسرعوا هم في نهب جميع ما فيها فلما عاد السلطان الى الخيم
 ورأى ما حصل سارع في ارسال الكتب والرسل برد المهزومين وتببع من شذ
 من العسكر فردهم وأخبرهم بانتصار المسلمين وأمر السلطان بجمع الاقمشة من
 اكف الغلمان فجمعوا ذلك حتى الخالي امامه فامر بان كل من يعرف له شيئاً وخلف
 عليه يسلم له أما الصاييون فانهم عادوا الى خيمهم وقد قتلت شجائهم وقتل
 مقدموهم وأمر السلطان باخراج عربيات من عكا ليحملوا القتلى ويرموهم
 في النهر ثم جمع رؤساء جيوشه واستشارهم فيما يفعل وهل يناجز العدو أم لا
 فقالوا جيماً الاوفق ان تنتظر قدوم الملك المادل وتستريح العساكر لان العساكر
 قد تعبت جداً وعند قدوم الملك المادل نشركه في الرأي فوافقهم على ذلك وأشير
 على السلطان بالانتقال الى الخروبة فيار اليها رابع رمضان وأمر باغلاق أبواب
 عكا فوجد الصليبيون بذلك فرجالهم وشرعوا في حفر خندق على معسكرهم
 حوالى عكا من البحر الى البحر وأخرجوا ما كان في مراكبهم من آلات
 الحصر. وعمالوا حوهم سوراً من تراب حفر الخندق فكان معسكرهم كأنه بلد
 ورتبوا على سوزهم رجالاً لحفظه. وكان الذي أوجب رحيل السلطان من هذا
 الموضع هو فساد الهواء بدم المقتولين وبتانة الرائحة

✽ وصول العساكر المصرية والاسطول المصري

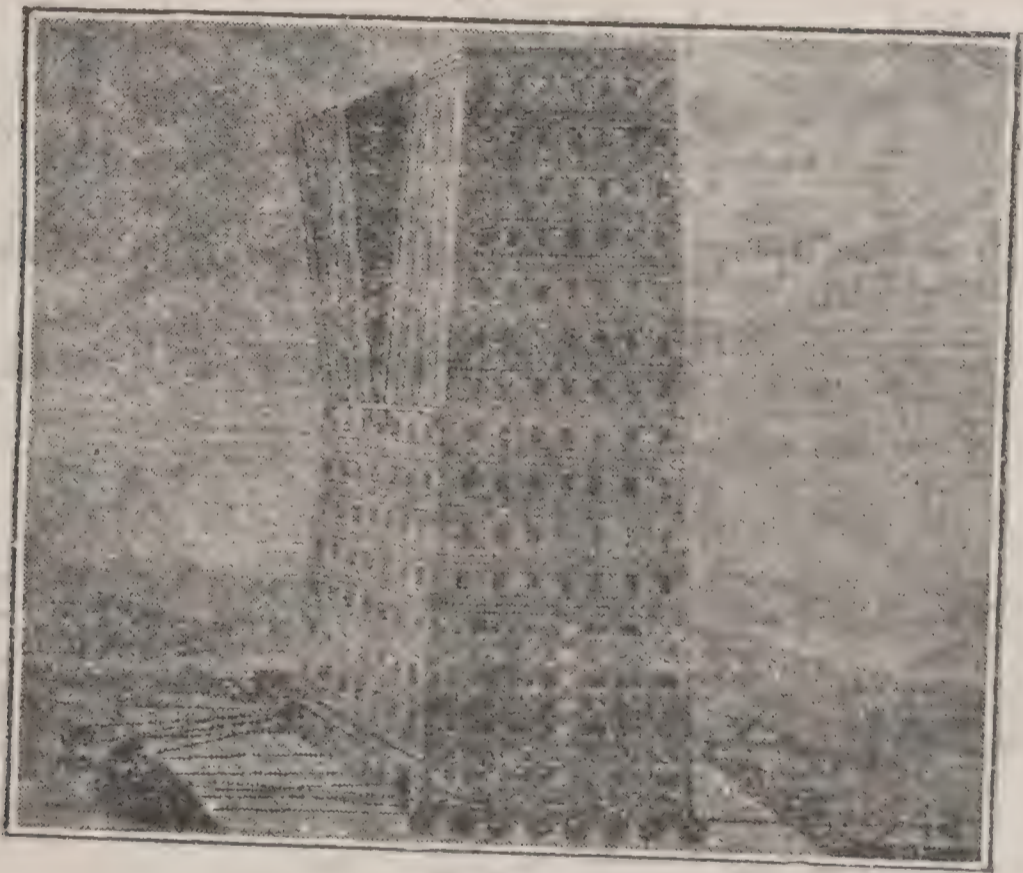
و هجوم الصليبيين على اليزك ✽

في منتصف شهر شوال سنة ٥٨٥ وصلت العساكر المصرية ومقدمها الملك الدادل سيف الدين أبو بكر بن أبوب فلما وصل قويت النفوس به وبعين معه واشتدت ظهورهم وأحضر معه من آلات الحصار ومن الدرق والطارقيات والنشاب والاقواس شيئاً كثيراً وفي منتصف شهر القعدة وصل الاسطول المصري بقيادة حسام الدين لؤلؤ فجأة على مراكب الصليبيين فبغتها وسحقها وبددها وظفر ببطستين كبيرتين بما فيها من أموالهم ورجلهم وغلاتهم وكان عدد مراكب الاسطول خمسين مركباً فيها زهاء عشرة آلاف مقاتل وأرسل السلطان الى عكا في المراكب جماعة من الامراء باجنادهم وأزوادهم فاستظهر بهم من البلد وبالاسطول وحمدوا الله وأخذت العساكر الاسلامية تخرج الى العدو ليلاً وتذيقه مرارة القتل والاسر والسرقه وكانوا يختفون بالحشيش في أجراف الانهار ليفتكوا بمن يرد الماء وقد أرسل صاحب الموصل الى السلطان من أحمال النفط الابيض شيئاً كثيراً مع عزة وجوده ومن التروس والرماح من كل جنس أحكمه وأجوده وأقام السلطان بموضعه بالخروبة مدة الشتاء وكان يزكه وطلائعه لا تنقطع عن الصليبيين فلما هل شهر صفر سنة ٥٨٦ سمع الصليبيون بان صلاح الدين قد سار للصي دوراً والعسكر الذين في اليزك قليلاً وان الاو حال التي في مرج عكا كثيرة تمنع من سلوك من يريد ان ينجد اليزك فانغموا الفرصة وخرجوا من خندقهم على اليزك وقت العصر فقاتلهم المسلمون وحموا أنفسهم بالنشاب حتى فنى نشابهم فحملوا عليهم حينئذ حملة رجل واحد فاشتد القتال وعظم الامر وعلم المسلمون انه لا ينجيهم الا الصبر وصدق القتال فقاتلوا قتال مستقيل الى ان جاء الليل وقتل من الفريقين جمع كثير وعاد الصليبيون

الى خنادقهم . ولما عاد السلطان الى المعسكر بلغه الخبر فندب الناس الى نصره
اخوانهم فاتاه الخبر ان الصليبيين قد وصلوا مأمنهم

✽ احراق أبراج الصليبيين وواقعة الاسطول ✽

كان الصليبيون مدة مقامهم على عكا قد عملوا ثلاثة ابراج من الخشب
عالية جداً طول كل برج منها ستون ذراعاً وعملوا كل برج منها خمس طبقات وكل
طبقة مملوأة بالمقاتلة وغشوها بالجلود المدهونة بالخل وعالجوها بما يمنع النار من
احراقها واصحابو الطارق لها وعملوها بهجل لاجل جرها وتسييرها الى حيث شاؤوا



صورة برج حصار ذو طبقات

وشرعوا في طم خنادقها وزحفوا بها في ٢٠ ربيع أول سنة ٥٨٦
فأشرفت على السور وقاتل من بها من عاينه وانكشف من بالبلد وأشرفت
البلد على الهلاك وكان السلطان لما وجد البلد محصورة رغب بعض الناس في
السباحة ودخول المينا فكانوا واسطة في المفاوضة بينه وبين البلد فأرسل أهلها

أحد العوامين إلى السلطان وأخبروه بتلك الأبراج وبضرورها وانها إذا استمرت
أخذ العدو البلد عنوة فركب مسرعاً بمسكروه وتقدم إلى الصليبيين وقتلهم
من جميع جهاتهم قتالاً عظيماً دائماً يشغلهم عن أهل البلد فافترق الصليبيون
فرفقين فرقة تقاتل السلطان وفرقة تقاتل أهل عكا ولكن خف الأمر عنهم ودام
القتال ثمانية أيام متتابعة آخرها ٢٨ منه وسئم الفريقان القتال وملاوا منه الملازمة
ليلاً ونهاراً والمسلمون تيقنوا من استيلاء العدو على البلد لما رأوا من عجز
من فيه عن دفع الأبراج لأنهم لم يتركوا حيلة إلا عملوها ولم يفدهم ذلك شيئاً
وتابعوا رمي النفط الطيار عليها فلم يؤثر فيها فن الطاف الله بهم ان شخصاً من
أهل دمشق اسمه علي ابن شيخ النحاسين كان في عكا وهو مولع بجمع آلات
النفطين وإيجاد عقاقير تقوي عمل النار . فلما رأى تلك الأبراج وما فعلته
بأهل المدينة شرع في عمل ما يعرفه من تلك الأدوية المقوية للنار ولما فرغ منها
حضر إلى الأمير بهاء الدين قراقوش حاكم البلد وقال له ان يأمر المنجنيقي ان
يرمي بالمنجانيق المحاذي لاحد هذه الأبراج ما أعطيه لكي يحرقه وكان عند
قراقوش من الغيظ والخوف على البلد ومن فيه ما يكاد يقتله فازداد غيظاً بقوله
وقال له قد بالغ أهل هذه الصناعة في الرمي بالنفط فلم يفلحوا فقال له من حضر
لعل الله جعل الفرج على يد هذا ولا يضرنا اذا وافقناه على كلامه فأجابته إلى
ذلك



(صورة آلة لرمى قارورة النفط)

وأمر المنجنيقي بامتنال أمره فرمي عدة قدور خالية من النفط والصلبيون
إذا رأوا القدور لا تحرق شيئاً يفرحون ويرقصون ويلعبون على سطح البرج
حتى علم ان الذي القاه قد تمكن من البرج التي قدرة مملوءة وجعل فيها النار فاشتعل
البرج ورهي ثانية وثالثة فاضطربت النيران في نواحي البرج فاحترق بما فيه من
السلاح والزرديات وكان شيئاً كثيراً وكان الصليبيون قد استهانوا أمر القدور
الاولى لانها لم تفعل شيئاً فاطمأنوا وتركوا السعي في الخلاص ولما احترق
البرج الاول انتقل الى البرج الثاني وقد هرب من فيه خوفاً فاحرقه وكذلك
الثالث وكان ذلك يوماً مشهوداً لم ير الناس مثله والمسلمون ينظرون فرحين وقد
أبرقت وجوههم بعد الكآبة فرحاً بالبصر وخلصهم من القتل وحمل ذلك
الرجل الى صلاح الدين فبذل له الاموال الجزيلة والاقطاع الكثيرة فلم يقبل
منه شيئاً وقال انا عملت ذلك لوجه الله تعالى ولا أريد الجزاء الا منه وأرسل
السلطان بطلب العساكر الشرقية فأول من أتاه عماد الدين زنكي وهو صاحب
سنجار وديار الجزيرة ثم أتاه علاء الدين بن عز الدين مسعود سيره أبوه مقدماً

على عسكره وهو صاحب الموصل ثم وصل زين الدين يوسف صاحب اربل وكان كل منهم اذا وصل يتقدم الى الصليبيين ويقاثلهم ثم ينضم الى الآخريين ووصل الاسطول من مصر فلما سمع الصليبيون بقربه جهزوا اسطولا لالقاءه في طريقه ويقايله فركب صلاح الدين في العساكر جميعها وقاتلهم من كل جهة ليشتغلوا بقتاله عن قتال الاسطول فيتمكن من دخول عكا فلم يشتغلوا وخرج اسطولهم وكانت الناس خرجت على جانب البحر تقوية للاسطول وايئاساً له ولرجالها والتقى الاسطولان في البحر والعسكران في البر واضطربت نار الحرب واستمرت وباع كل فريق روحه وجرى قتال شديد اقشع عن نصرة الاسطول المصري بعد أخذ مركب منه وقتل من باسطول الصليبيين ونهب ما فيه وأخذ منه مركباً أيضاً ودخل الاسطول المصري المنصور الى عكا وكان قد صحبته مراكب من الساحل فيها مير وذخائر وطابت قلوب أهل البلد بذلك وانشرحت صدورهم واتصل القتال بين العسكرين خارج البلد الى ان فصل بينهما الليل وعاد كل فريق الى خيبه وقتل من الصليبيين في هذا اليوم كثيرون لان أهل البلد اشتدوا في قتالهم والاسطول وعساكر السلطان فكان قتال الصليبيين في ثلاث مواضع .

﴿ الحروب الصليبية الثالثة ﴾

(سفر ملك النمسا والمانيا الى فلسطين وما جرى له ووفاته)
ثم أقام الملك فريديريكوس عوضاً عنه في تدبير المملكة مدة غيابه عنها ولده هنريكوس وسافر من راتسبوننا بمسكركه مجتازاً بلاد هونكريا ثم بلغاريا حيث لفت العساكر النمساوية موانع واهانات كثيرة من سكانها فكان كل من كان يقع في ايديهم يعذبونه ويربطونه من رجله في الشجر منكسأه وكان جالساً على تحت القسطنطينية الملك اسحق فلما بلغه قدوم العساكر النمساوية ارسل

الى السلطان صلاح الدين يخبره بذلك ووعدته بمنهم من العبور وأمر عساكره
بمحاربة النمساويين فلما وصل الملك فريديريكوس الى مدينة فيليبوبولي تحقق ان وفده
الذي ارسله الى ملك الروم مسجون بالقسطنطينية وكان يظن ملك الروم صديقاً له
فوجدته عدواً فغضب وأخذ يحارب جميع المدن التي يجتازها حتى انها ملك المدن
الآتية • ادريانوبولي • ديديموتيك • سيليفريا • غالبيولي • وسائر السهول
الواقعة على شاطئ بوربونديا الايمن مع هاليسبوننت وكادت تقع مدينة القسطنطينية
في يده وكانت العساكر المقبلة من بلاد البندقية ومن انكونا ومن جنوى بمراكبهم
قد علمت بما جرى للعساكر الصليبية النمساوية فعزموا على ضرب مدينة
القسطنطينية من البحر فحينئذ خاف الملك اسحاق ملك الروم من هذه الجيوش
فاطلق سراح وفد ملك النمساو قدم الذخائر للصليبيين وهياكلهم ١٥٠٠ مركب
و ٢٦ غلاطه لاجل نزول العساكر النمساوية فيها ونقلهم الى موالي اسيا ولما نزلوا
باراضى اسيا الصغرى مارين بمملكة قليج ارسلان بن مسعود بن قليج ارسلان
تاربهم التركان وظلوا يترصدونهم ويقتلون من انفرده منهم وكان الزمن شتاء
وقد اهلكهم البرد فلما قربوا من مدينة قونية خرج اليهم الملك قطب الدين
ملك شاه ابن قليج ارسلان وحاربهم فلم يقدر عليهم فماد الى قونية وسار الصليبيون
وراءه ولكنهم ضلوا الطريق وساروا في ارض لاما فيها حتى هلكوا من العطش
ومن الجوع وكانوا يترامون في الطرق ويستخرجون دم الخيل ويمتصونه الى
ان وصلوا الى مدينة قونية فارسلوا الى قليج ارسلان هدايا عظيمة وقالوا له
ما قصدنا بلادك ولا اردناها وانما نحن نقصد البيت المقدس وطلبوا منه ان
يأذن لرعيته في اخراج ما يحتاجون اليه من قوت وغيره فاذن في ذلك فاتاهم
ما يريدون فشبوا وتزودوا (وقال المؤرخون النمساويون ان الملك فريديريكوس
لما وصل الى مدينة قونية حاربها حتى امتلكها) وساروا الى بلاد الارمن
فخالهم تعب زائد ومشقة عظيمة وفي ذات ليلة حصلت زلزلة عظيمة وشعروا

بعمق الاسلحة وصهيل الخيل كان جيوشاً قد فاجأهم فتقطعت قلوبهم خوفاً
 ولكنهم لم يروا احداً فكانوا يتساءلون عن سبب ذلك فقالت رؤسائهم ان في
 ذلك رمزاً عن قرب حصول حادث مهول يقومون فيه (وهذا ما ذكره مؤرخوهم
 أيضاً) ثم وصلوا الى بلاد الارمن وصاحبها لافون ابن اصطفان فارس اليهم
 وفداً لمقابلتهم وقدموا لهم جميع ما يحتاجون اليه من ذخائر وزاد وغيره من
 العلف وقدموا لهم الطاعة ثم سار الصليبيون قاصدين انطاكية فحصل لهم من
 التعب مالا يوصف ثم ساروا وكان في طريقهم نهر فنزلوا عنده ونزل الملك
 فريديكوس في النهر ليغتسل ففرق في مكان لا يبلغ الماء فيه وسط الرجل فاعترتة
 قشعريرة شديدة وطلب الاغاثة فاخرجوه ميتاً وحزنوا عليه حزناً شديداً وكان معه
 ولده فاقاموه ملكاً مكانه ولكن الخلاف وقع بينهم فاحب بعضهم العود الى بلادهم
 وبعضهم مال الي تملك اخيه فمادوا وسار ولده فيمن رضى به ملكاً قاصداً انطاكية
 فوصلوها وقد تفشى بينهم الوباء فاهلكهم وبددهم فحسن لهم صاحبها المسير لمشاركة
 الصليبيين في حصار عكا فساروا على جيلة واللاذقية وغيرها من البلاد التي ملكها
 المسلمون وخرج اهل حلب اليهم واخذوا منهم خلقاً كثيراً ومات أكثر من أخذ
 فبلغوا طرابلس واقاموا بها اياماً فكثر فيهم الموت فلم يبق منهم الا ألف رجل وعلى
 قول مؤرخيهم خمسة آلاف نسمة (فانظر الى لطف الله كيف خرجت هذه
 الحملة الصليبية من بلادها نحو ٢٠٠ الف مقاتل وقيل اكثر وكيف بقي منهم
 الف فارس) ثم وصلوا الى عسكر الصليبيين حول عكا فوجدوهم في خلاف وكان
 الملك قليج ارسلان يكتب الي السلطان باخبارهم ويعدده انه يمنهم من العبور في
 بلاده فلما عبروها ارسل يعتذر بالعجز عنه لان اولاده حكموا عليه وحجروا
 عليه وتفرقوا عنه وخرجوا عن طاعته فلما ورد الخبر الى السلطان بعبور الملك
 فريديكوس استشار امراءه فاشار كثير منهم بالمسير الى طريقهم ومحاربتهم قبل

وصولهم الى عكا فقال السلطان بل نقيم الى ان يقربوا منا وحينئذ نفعل ذلك لكلا
 يستسلم من بهما من عساكرنا واكنه سير من عنده من العساكر عسكر حلب
 وجبله واللاذقية وشيزر وغير ذلك ليكونوا في اطراف البلاد يحفظونها من
 العدو فكفى الله المسلمين القتال

﴿ الواقعة العادلية على عكا بين الصليبيين والمسلمين ﴾

لما ارسل السلطان العساكر الاسلامية الى بلادها خوفاً من ملك النمساو علم
 الصليبيون ان العساكر قد تفرقت في اطراف البلاد وان الميمنة قد خفت لان معظم
 من سار كان منها اجمعوا رأيهم واتنقت كلمهم على انهم يخرجون بغتة ويهجمون
 على طرف الميمنة فجأة فخرجوا واستخفوا طرف الميمنة وفيها مخيم الملك العادل
 فلما بصر الناس بهم صاح صائحهم وخرجوا من خيامهم كالاسود من آجامها
 وركب السلطان وصاح منادياً بالاسلام وكان هو اول راكب وهو كالفاودة
 لولدها الثاكلة لو حيدها ثم ضرب الصنوج فاجابته صنوج الامراء من اماكنها
 وركب الناس وسارع الصليبيون في قصد الميمنة حتى وصلوا الى مخيم الملك
 العادل قبل ان تركب جميع العساكر ودخلوا في وجاقه وامتدت ايديهم في
 السوق واطراف الخيم بالنهب والغارة وركب العادل واستركب من يليه من
 الميمنة كالطواشي قايماز النجمي وعز الدين جرديك النوري ووقف ووقف
 مخادع حتى يوغل بهم طمهم في الخيم ويشتغلوا بالنهب وكان كمان ولما علم
 باشتغالهم بالنهب صاح بالناس وحمل بنفسه يتقدمه ولده الكبير شمس الدين
 مودود وحمل بحملته من كان يليه من الميمنة واتصل الامر بجميع الميمنة حتى
 وصل الصائح الى عسكر الموصل وهجموا على العدو هجمة الاسود على
 فرائسها وأوقعوا فيهم القتل فعاد الصليبيون هاربين الى خيامهم وعلى أعقابهم
 ناكسين والسيف يعمل فيهم وصاح صائح السلطان في الناس يا أبطال الموحدون

هذا عدوكم قد أهلككم الله منه وقد داخله الطمع حتى غشى خيامكم بنفسه
فبادر الى اجابة دعوته أهل حياضه وخاصة ثم عسكر الموصل يتقدمهم علاء
الدين ولد عز الدين ثم عسكر مصر يتقدمهم سنقر الحلبي وتتابعت العساكر
وتحاربت الابطال وقامت سوق الحرب فلم يكن الا ساعة حتى ترامى الصليبيون
مصرعي كأنهم أعجاز نخل خاوية وغطت قتلاهم الارض من خيم الملك العادل
الى خيامهم فكان أولهم بالحيام الاسلامية وآخرهم بنحيام العدو مصرعي على
التلول والوهاد وكان ما بين العسكرين ما يزيد عن فرسخ مفروش باشلائهم ولم
ينج من القوم الا النادر وأسرت نقر يسير لان السلطان أمر بان لا يبقوا على أحد
وكان هذا جميعه في الميمنة وبعض القلب اما الميسرة فما اتصل الصائح بهم
الا وقد نجز الامر وقضى القضاء على العدو لبعده المسافتين وكانت هذه الواقعة ما
بين الظهر والمصر ثم أمر السلطان العساكر الاسلامية بالرجوع وكانت النصره
في هذا اليوم عظيمة جداً للمسلمين ولم يقتل منهم الا عشرة انفس ومن
الصليبيين ثمانية آلاف وقال مؤرخوهم بان عسكر الصليبيين لما رأى
عساكر السلطان قد سافرت طمع في الباقي وطلب من رؤسائهم حرباً عمومية
ضد المسلمين فتموهم فلم يمتنعوا وخرجوا بدون ارادة رؤسائهم ويعترفون
بالواقعة كما تقدم ويقولون هذا جزاء مخالفتهم لاوامر الرؤساء : وكان المسلمون
الذين بالبلد ينظرون الى هذه الواقعة من أعلى السور ولما علموا بكسرة الصليبيين
خرجوا من البلد وأوقعوا في عسكر الصليبيين قتلاً ونهباً حتى انهم أخذوا القدور
وفيهما الطعام وكثيراً من الاقشة

✽ حصار عكا من البحر ودخول الزاد اليها قهراً ✽

لما رأى الصليبيون اتصال المدد من البحر الى عكا عزموا على محاصرة الميناء
من البحر لمنع دخول سراكب المسلمين اليها وكان ورد للصليبيين مدد من البحر

من فرنسا وبين وانكليز وايطاليين تحت رياسة قائدهم هنريكوس كونت دى
شيبانيا ومعه من آلات الحرب والحصار شيء كثير . وكان السلطان قد أمر
يشحن بطسة كبيرة بالفلال والبصل والخبز والفم وغير ذلك من الميرة من
ميناء بيروت لان أهل البلد قد اشتدت حاجتهم الى الطعام والميرة فركب في تلك
البطسة جماعة من المسلمين وتزبوا بزى الافرنج حتى حلقوا لحاهم ووضعوا
الخنازير على سطح البطسة لتظهر من بعد وعلقوا الصلبان وجاءوا قاصدين بالمد من
البعده حتى خالطوا امراكب العدو فخرجوا اليهم واعترضوهم في الحراقات والشواني
وقالوا لهم نراكم قاصدين بالمد واعتقدوا انهم منهم فقالوا اولم تكونوا اخذتم البلد
فقالوا نأخذ البلد بعد فقالوا نحن نرد القلوع الى العسكر ولكن وراءنا بطسه
أخرى في هوائها فانذروهم حتى لا يدخلوا البلد وكان وراءهم بطسة أفرنجية
قد اتفقت معهم في البحر قاصدين العسكر فنظروا فرأوها فتصدوها لينذروها
فاشتدت البطسة الاسلامية في السير واستقام لها الريح حتى دخلت ميناء البلد
وسامت والله الحمد وكان ذلك في أواخر شهر رجب سنة ٥٨٦ ثم أرسل بهاء
الدين قراقوش والى البلد والحاجب حسام الدين لؤلؤ مقدم الاسطول الى
السلطان فى أول شعبان يذكر ان له انه لم يبق بالبلد ميرة الا قدر يكفى البلد
الى ليلة النصف من شعبان لا غير فاسرها يوسف فى نفسه ولم يبيدها لاحد
لامن خاصته ولا من الجيش خشية الشيوع والبلوغ الى العدو فتضعف به قلوب
المسلمين وكان قد كتب السلطان الى مصر بتجهيز ثلاث بطس مشحونة
بالاقوات والادام والمير وجميع ما يحتاج اليه فى الحصار بحيث يكفيهم ذلك
طول الشتاء فاقامت البطس الثلاث من الديار المصرية ولججت فى البحر تتوخى
النوتية به الريح التى تحملها الى عكا فطابت لهم الريح حتى وصلوا اليها ليلة
النصف من شعبان وقد قويت الازواد ولم يبق عندهم ما يطعمون الناس فى ذلك
اليوم وخرج أسطول العدو يقاتل البطس والعساكر الاسلامية تشاهد ذلك من

الساحل والناس في تهليل وتكبير وقد كشف المسلمون رؤوسهم يتهلون الي الله تعالى في القضاء بسلامتها الي البلد والسلطان على الساحل كالوالدة الشكلي يشاهد القتال ويدعور به بنصره وقد علم من شدة القوم ما لم يعلمه غيره وفي قلبه ما في قلبه والله يشبهه ولم يزل القتال حول البطس من كل جانب والله يدفع عنها والريح يشتد والاصوات قد ارتفعت من الطائفتين والدعايخرق الحجب حتي وصلت بحمد الله سالمة الي ميناء البلد وتلقاها أهل عكا تقي الامطار عند جذب وكان دخولها وقت العصر
 رابع عشر شعبان

﴿ احراق منجنيقات الصليبيين ومراكبهم ﴾

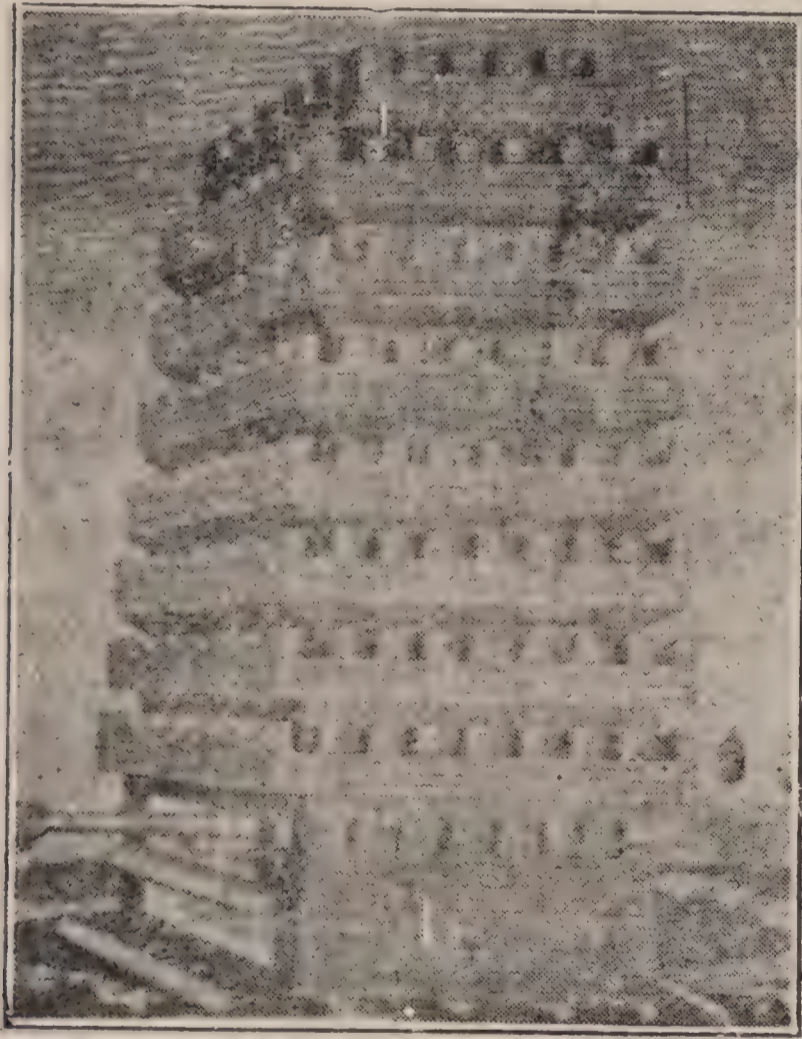
وإذاء الامانة بعد الموت ﴿

ونصب الصليبيون على البلد منجنيقات هائلة محكمة على السور وتواترت حجارتها حتى أثرت فيه أثراً بيناً وخيف من غائلته فاخذ سهمان من الجرخ العظيم وأحرق نصلاهما حتي امسيا كالشعلة من النار ثم رميا في المنجنيق الواحد فعلقا فيه واجتهد الصليبيون في اطفاء النار فلم يقدر واوهبت ريح شديدة فاشتعل اشتعالاً عظيماً واتصل الالهيب بالآخرفا حرقه واشتدت نارهما بحيث لم يقدر أحداً يقرب من مكانهما ليحتمل في اطفائهما وكان في اثناء ذلك يرسل السلطان الكتب والمال المخصوص بنفقات المساكر التي داخل البلد بواسطة أناس عوامين ومن غريب ما حصل ان عواماً من هؤلاء العوامين اسمه عيسى مسلماً أخذ كتاباً من السلطان وشد على وسطه ثلاثة اكياس داخلها الف دينار وعام في البحر كما دته (لانه كان يغطس بذلك من وراء مراكب العدو ويخرج في الميناء من البحر) فاتاه القضاء المحتوم وكان كلما يصل الي البلد يرسلون طائراً الي السلطان فيعلم بوصوله فلما انتظر السلطان الطائر عن هذه الرسالة غابطاً الطائر فاستشعر السلطان بهلاك عيسى العوام فلما كان بعد أيام بينا الناس

على شط البحر في البلد واذا البحر قد قذف اليهم ميتاً غريقاً فافتقدوه فوجدوه
عيسى السوام ووجدوا على وسطه الذهب وشمع الكتب وكان الذهب نفقة
المجاهدين فما روى من لم يمكنه ان يؤدي الامانة في حال حياته فاداهما بعد
وفاته الا هذا الرجل الذي برأه الله عما قالوه فيه وكان يوجد برج اسمه برج
الذبان في وسط البحر مبني على الصخر على باب مينا عكا يحرس المينا وكان متي
عبره المركب آمن من غائلة العدو فاراد الصليبيون اخذته لتبقى المينا بحكمهم
ويعتاد دخول شي من البطس الى البلد فتقطع الميرة عنها فاجتهد ليوبولدوك
دي أوطريش وعساكره وعساكر البيزاويه فجعلوا على صواري بطسة كبيرة
برجا ومائوه حطباً ونقطة لاجل ان يسيروا فاذا قاربت البرج ولاصقته احرقوا
البرج الذي على الصواري واهقوه ببرج الذبان ليلقوه على سطحه فيحرقوه
من الاعلى ويقتلوا من فيه من المقاتلة وياخذوه وعبوا بطسة اخرى بالحطب
والوقود على انهم يدفعونها الى ان تدخل بين بطس المسلمين ثم يلهبونها
فتحرق البطس الاسلامية ويهلك من فيها وجعلوا في بطسة ثالثة مقاتلة تحت
قبور عمالوه فيها بحيث لا يصل اليهم نشاب ولا شيء من آلات السلاح حتى اذا
احرقوا ما ارادوا احرقه دخلوا تحت القبور فانهوا ثم احرقوا ما ارادوا وقربوا
البطسة من البرج المذكور وكان طمعهم شديداً لان الهواء كان مساعداً لهم
فاوقدوا النار واشعلوا فيها النفط فانعكس الهواء عليهم واشتعلت البطسة التي
كان فيها البرج الخشبي باسرها واجتهدوا في اطفائها فما قدروا واهلك من كان
بها من المقاتلة ولم يصب البرج بضرر (برج الذبان) ثم احترقت البطسة التي كانت معدة
لاحراق مراكب المسلمين فوثب المسلمون عليها فاخذوها . وأما البطسة التي كان فيها
القبور فانهم انزعجوا وخافوا وهموا بالرجوع فاختلغوا واضطربوا واضطراباً عظيماً
فانقلبت واهلك جميع من بها لانهم كانوا في قبور لم يستطيعوا الخروج منها فكان ذلك
من اعظم آيات الله وقدره الله كيدهم في نحرهم

واقعات الدبابات والخندق والكمين

انشأ الصليبيون دبابات من حديد تشبه البرج على عجل تتحرك بها وفيها
المقاتلة ولها رأس عظيم برقبة شديدة من حديد وهي تسمى كبشاً ينطح بها
السور بشدة وعنف فهدمه بتكرار النطح وآلة أخرى وهي قبو وفيها رجال أيضاً
ولها رأس محدود كرأس المحراث ويسمى سفود فرأس الكبش مدور يهدم بثقله والسفود
يشق بحدته



(صورة الدبابات لنقب الاسوار)

وفي ثالث رمضان سنة ٥٨٦ زحف الصليبيون على البلد في خلق لا يحصى
يدباباتهم فامهلهم أهل البلد حتى نشبت محالب اطماعهم فيه وسحبوا الآتهم
المذكورة حتى كادوا يلبصقونها بالسور وتحصن منهم في الخندق جماعة عظيمة
فاطلق المسلمون عليهم الجروح والنجانيق والسهام والسيقان وصاحوا بصيحة

الرجل الواحد وفتحوا الأبواب وهجموا على العدو من كل جانب وكبسوه في الخنادق فهربوا واعمل السيف في من بقي في الخندق منهم ثم هجموا على دباباتهم فالتوا فيها النار والنفط وتمكنوا من احراقها لهرب المقاتلة فكان طيب شديد وارتفعت الأصوات بالتكبير والتهليل وسرت النار بالدبابات من واحدة الى أخرى فاحترقت كلها وعاق المسلمون في الكبوش الكلاب الحديد فجروها وهي مشتعلة حتى أخذوها وأدخلوها في البلد وكانت منشأة من آلات هائلة عظيمة فالتى عليها الماء حتى برد حديدتها بعد أيام فكانت زنته مائة قنطار وفي يوم الاثنين حادي عشر شوال اقام من الصليبيين على البلد الملك فريدريكوس الصغير ملك النمسا بفرقة عظيمة لمحاصرته وخرج باقي معسكرهم ومعه ميرة أربعة أيام للجيش والحيل وكان يزك السلطان محيما على تل العياضية فلما رأى السلطان ذلك نقل ائقال المسلمين الى ميمون وهي على ثلاثة فراسخ من عكا وكان قد عاد اليه من سافر من عساكره بعد وفاة ملك النمسا فالتى الصليبيين بجيش عرصرم تام التعبئة وولى اولاده الافضل على والظاهر غازي والظاهر القلب وأخاه العادل أبا بكر الميمنة المؤلفة من عساكر مصر ومن انضم اليها وكان في الميسرة عماد الدين صاحب سنجار و تقي الدين صاحب حماه ومعه الدين سنجر شاه صاحب جزيرة ابن عمر مع جماعة من أمراءه واتفق ان السلطان أخذه مفص كان يعتاده فنصب له خيمة صغيرة على تل مشرف على العسكر ونزل فيها ينظر اليهم فسار الصليبيون شرقي نهر هناك حتى وصلوا الى رأس النهر فرأوا عساكر المسلمين وكثرتها فارتاعوا ولقيهم الجاليشية وامطروهم من السهام ما كاد يستر الشمس فتحولوا الى غربي النهر وثبت الجاليشية على قناهم حتى تجمعوا ولزم بعضهم بعضاً وكان مقصد الجاليشية ان يحمل الصليبيون عليهم فيلقاهم المسلمون وياتحم القتال فيكون الفصل ويستريح الناس ولكن الصليبيين ندموا على مفارقة خنادقهم فلزموا مكانهم وباتوا ليلاً فلم يكن

الغد عادوا نحو عكا ليعتصموا بخندقهم والجاليشية في اكتافهم يقابلونهم تارة
 بالسيوف وتارة بالرمح وتارة بالسهم وكلما قتل منهم قتيلاً أخذوه معهم اثلاً يعلم
 المسلمون ما أصابهم ولولا ذلك الالم الذي حدث للسلطان لكانت هذه الواقعة هي
 الفصل (وانما الله أمره هو بالغه) فلما بلغوا خندقهم واستكنوا بها لا يخرجون عاد
 المسلمون الى خيامهم وقد قتلوا من الصليبيين خلقاً كثيراً وفي الثالث والعشرين منه
 كمن جماعة من المسلمين وتحرش بالمد وجماعة أخرى نخرج اليهم بعض عسكر
 الصليبيين فقاتلوهم يسيراً وطاردوا متقهقرين فقتلهم الصليبيون حتى جازوا الكمين
 فخرج عليهم من فيه فمزقوهم ولم يفلت من سيوفهم احد

﴿ في دخول البديل العسكري عكا ﴾

لما حل فصل الشتاء وعصفت ارياح خاف الصليبيون على مراكبهم التي
 يحاصرون بها عكا لانها لم تتمكن من المينا ولا امكنها رد المسلمين عن دخول
 البلاد فسيروها الى بلادهم صور وغيرها فانفتح طريق عكا في البحر وأرسل
 أهلها الى السلطان يشكون الضجر والملل والسامة وكان بها الامير حسام
 الدين أبو الهيجاء السمين مقدماً علي جندها فامر السلطان باقامة البديل وانفاذه
 الى البلد واخراج من فيها وأمر أخاه الملك العادل بمباشرة ذلك فانتقل الي
 جانب البحر ونزل تحت جبل حيفا وجمع المراكب والشواني فكان يرسل
 عليها الى عكا كل جماعة تقدم عليه من المساكر فيحتل البلد ويخرج جماعة
 قد دخل اليها عشرون اميراً وكان بها ستون فكان الذين دخلوا اقل من الذين
 خرجوا وأهمل نواب السلطان تجنيد الرجال وانفاذهم وكان على خزانه ماله
 قوم من النصارى فكانوا اذا جاءهم جماعة قد تجندوا تفننوا عليهم بانواع
 شتى تارة باقامة معرفة وتارة بغير ذلك فتفرق بهذا السبب خلق كثير وزاد
 الامر خطارة تواني صلاح الدين نفسه لو توفقه بنوابه واهمال النواب فانهى

الشتاء والامر كذلك وكان من جملة الامراء الذين دخلوا عكاسيف الدين على بن
 أحمد المشطوب وعز الدين أرسل مقدم الاسدي به بعد جاولي وذلك في غرة سنة ٥٨٧
 وكان قد اشار بهض الامراء على السلطان بان يرسل الى من بهما النفقات الواسعة
 والذخائر والاقوات الكثيرة ويأمرهم بالمقام لانهم قد جربوا وتدريبوا واطمأنت
 نفوسهم على ما هم فيه فلم يفعل السلطان ذلك خوفاً من ان ضجرهم وملاهم بحملهم
 على الفشل

سفر العساكر الصليبية الثالثة في البحر وماجري ملك الانكليز

بسيديا وقبرص وزواجه

بعد ان تماهد ملك فرنسا فيليبس أوغسطس وملك الانكليز ريكاردوس
 الملقب بقلب الاسد على المقابلة في مدينة ميسينا بجزيرة سيديا (صقايه) لنصرة
 الصليبيين باراضي فلسطين سار ملك فرانساعن طريق جنوى وسار ملك الانكليز
 الى مرسيايا وانتظر اسطوله فلم يحضر حتي مل الانتظار فركب سفناً صغيرة
 وقصده ميسينا وأوعز الى جنده ان يركبوا الاسطول حين وصوله ويلحقوا به
 وأخيراً التقى الجيشان في ميسينا على حدود سيديا مايلي ايطاليا وكان لريكاردوس
 أخت اسمها جوانا تزوجت بوايم ملك سيديا فمات في شرح شبابه واختلس
 الملك من أرملة أمير اسمه تنكريد واستولى على أموال زوجها فعلم بذلك
 ريكاردوس في أثناء اقامته بميسينا فعزم على محاربة أهل سيديا ورفع علمه على
 أسوار ميسينا

ولما رأى ذلك الملك فيليبس ملك فرنسا اغتاط منه فامر عساكره
 بانزال العلم الانكليزي من على السور فعزم ريكاردوس على محاربة فيليبس ولكن
 ملك فرانسالكونه أكبر سناً من ملك الانكليز لم يرغب في هذه الحرب وأعمال
 السلاح المهد لمحاربة المسلمين ضد الصليبيين فركب مراكبه وسار قاصداً

فلسطين وأما ملك الانكليز فانه تهديد تنكريد ملك سيسايا فأرضاه بمال
مقداره عشرون الف أوقية من الذهب . وكان ريكاردوس قد خطب برنجار يادى
نافار ولم يتأت له الاقتران بهافي انكلترا خوفاً من التأخر عن الجهاد فأشار
بحملها اليه في صقاية فجاءت بها والدته ووقت السفر قد دنا فأجل الزفاف الى
وقت آخر وعهد بخطيبته الى أخته جوانا أرملة وليم ملك صقلية المتقدم
ذكرها وركب اسطوله وهما معه وسار قاصداً المشرق فهبت عليهم انواء
شديدة قذفت بمراكبهم الى سواحل كريد فافتقد ريكاردوس الاسطول فعلم
ان ثلاثاً من سفنه قد ضاعت وفيها خطيبته وحاشيتها فانفذ من يبحث عن
السفن فأنبأوه ان اثنتين منها جنحتا عند سواحل قبرص وان ملكها اسحق قتل
النوتية وحجر على النساء في ليموسا وطلب من ريكاردوس ان يقدم اليه
ليعقدا مؤتمراً فعضب ريكاردوس لذلك غضباً شديداً وسبه بالانكليزية ويقال
انها المرة الوحيدة التي تكلم بهار ييكاردوس بالانكليزية لانهم كانوا يستعملون
اللغة الفرنسية القديمة (النورماندية) اذ ذاك وأسرع ريكاردوس الى قبرص
وخرج الى البر بعساكره وقبض على ملكها وأوثقه بسلاسل من فضة
وانغمس وجوده هناك فرصة للاقتران بخطيبته برنجاريا فزفت اليه وكان
ريكاردوس قد الف اثناء اقامته في صقلية جمعية من الفرسان سماها (جمعية
السير الازرق) لان أعضاءها كانوا يلبسون في أنفازهم اليسرى سيوراً
من جلد أزرق وقد تماهدوا على فتح عكا فسار ريكاردوس بجيشه قاصداً
تلك المدينة

✽ وصول الصليبيين الى عكا ومحاصرتهم لها وقتل بعض أمراءهم ✽



(صورة فيليبس أوغسطس ملك فرنسا)

وصل الملك فيليبس ملك فرنسا الى عكا في ثاني عشر ربيع الاول سنة
٥٨٧ ففرح به الصليبيون وجعلوه رئيساً عليهم وكتب السلطان صلاح الدين
الى عز الدين سامة متولى بيروت بمحاربة من يمر به من الصليبيين وكان في اثناء
اقامة الملك ريكاردوس ملك الانكليز بجزيرة قبرص قد سافرت بهض سرا كبه
قاصدة عكا فخرج عليها عز الدين واستولى على خمس سراكب محلووة رجالا
ونساء وأموالا وخيلا وتقدم الصليبيون الى عكا فنصبوا عليها المنجنيقات وذلك في

رابع جمادى الاولى وأرسل أهل عكا الى السلطان بالاستنفار العظيم والتماس
 أن يشغل العدو عنهم فركب السلطان بعسكره وكان هذا دأبه معهم كلما ضيقوا
 على البلد فاذا زحف اليهم رجعوا عن الحصر واذا رجع عنهم عاودوه وكانت
 العلامة بين السلطان وأهل البلد انه متى زحف العدو عليهم دقوا صنوجهم فتدق
 صنوج السلطان اجابة لهم وكان السلطان مخيماً على شفرعم واستبعد منزلته
 فتحول الى تل العياضية تاسع جمادى الاولى ثم وصل الملك ريكاردوس في
 ثالث عشره وكان السلطان لماعلم بقرب وصوله قد أمر بتجهيز بطسه كبيرة
 مملوأة بالرجال والعدد والاقوات فتجهزت وسارت من بيروت وفيها سبعمائة
 مقاتل فلقبها ريكاردوس فقاتلها وصبر من فيها على القتال واحتاطت بهامراكب
 الانكليز من كل جانب ولما شس من بهامن الخلاص نزل المقدم الى اسفلها وهو
 يعقوب الحلبي مقدم الجندارية فخرقها خرقاً واسعاً لئلا يظفر بها العدو ومن فيها
 وما معهم من الذخائر ففرق جميع ما فيها واما وصل ريكاردوس الى عكا كما تقدم
 فرح به الصليبيون وقويت شوكتهم وبالغوا في محاصرة البلد وقتل أهلها ليل
 ونهاراً واسرعوا الى طمي الخندق وكانوا يرمون فيه جثث الاموات وصنعوا
 دبابه عظيمه ذات أربع طبقات الاولى من خشب والثانية من رصاص والثالثة
 من الحديد والرابعة من النحاس وكانت تملو على سور البلد ويركب فيها المقاتلة
 تخاف منها أهل البلد وقربها أصحابها من السور فواصل المسلمون رشقها بالنفط
 ليلاً ونهاراً الى ان احترقت وزادت شكوى أهل البلد لاستفحال أمر العدو
 ومواصلة قتالهم ليلاً ونهاراً من حين قدوم ريكاردوس ثم ناب كلامن ريكاردوس
 وفيلبس مرض شديد فارسل ريكاردوس الى السلطان صلاح الدين يطلب
 دجاجاً وطيراً وأرسل ثانية يطلب فاكهة وثلاجاً فارسل اليه كل ما طلب والقتال
 مستمر من الصليبيين وأهل البلد حتى ضعفت الحامية وبقي أكثر المسلمين
 يدون نوم عدة ايام لاليل ولا نهاراً وفي سابع جمادى الآخر ركب السلطان

بالمسكر الاسلامي وزحف على خنادق القوم حتى دخل فيها المسكر وجري
 قتال عظيم وهو كالوالدة الشكلى يحرك فرسه من طلب الى طلب ويحث الناس
 على الجهاد وينادي بنفسه بالاسلام وعيناه قد غرقنا بالدمع وكما نظر الى عكا وما
 حل بها من البلاء وما يجرى على من بها من المصاب العظيم اشتد في الزحف والحث
 على القتال ولم يأت كل في ذلك اليوم طعاما ولم يهجم الليل عاد الى الخيم وقد أخذ
 منه التعب والكآبة والحزن ثم ركب سحرا أو أصبحوا على ما أمسوا عليه وفي ذلك
 اليوم وصلت مطالعة من البلد يقولون فيها اننا قد باغ بنا العجز الى غاية ما بعدها
 الا التسليم ونحن في الغدان لم تعملوا معنا شيئا نطلب الامان ونسلم ونشترى مجرد
 رقابنا وكان هذا أعظم خبر ورد على المسلمين فرأى السلطان مهاجمة العدو فلم
 يساعده المسكر لان رجال الصليبيين وقفوا كالسور المحكم البناء بالسلاح والزنبورك
 والنشاب من وراء أسوارهم وهجم عليهم بعض المسكر من اطرافهم فنبتوا
 وذبوا غاية الذب ثم ان الصليبيين بعدما عيبتهم الحيلة في الاستيلاء على البلد وانهم كلما
 عملوا ابراجاً أو دبابات أو كبوشاً أو غيرها يجرقها المسامون فمدوا الى اقامة
 سور من تراب يستترون وراءه للمحاربة كي لا يصيبهم نشاب ولا سهام من المسلمين
 باعلى سور البلد ثم أخذوا يمدونه شيئاً فشيئاً الى أن صار قريباً من سور البلد
 فاختار المسلمون لان العدو قرب منهم وليس في وسعهم ايصال أى اذى اليه
 لان السور التراب لا تؤثر فيه النار ولا السهام ولم تزل الحرب قائمة حتى ضمنت
 نفوس أهل البلد وتمكن العدو من الخنادق فلاحها ونقبوا سور البلد وحشوه
 وأحرقوه فوقعت بدنة من الباشورة ودخل بعض الصليبيين منها فاجتمعت أهل
 البلد على هذا الثقب وقتلوا ما يزيد عن المائة وخمسين نفساً وكان من ضمنهم
 كل من روطروا . وتيبود دي شامبانيا . والكونت دي بلوازوا استفانوس دي
 ساندارا . وغوى دي شاتيامون . وجفروا دي أومالا . وفيس كونت دي
 شاتا لارولت . وفيلورانت دي انجارس . وراول دي كوزي ثم ان بعض

الصلبيين أراد الصعود على سور البلد وكان في مقدمتهم الباريك كلامان
ف نصب سلهماً وصعد عليها الى أن بلغ السور وتبعه بعض رجاله ونصبوا السلام
فتكر دست بهم ووقفوا جميعاً ولم ينالوا مرادهم وأما الباريك فان المسلمين
تكاثروا عليه وقتلوه

﴿ طلب الصالح ودخول الصليبيين عكا ﴾

تابع السلطان صلاح الدين زحفه وهجامة على معسكر الصليبيين لكي
يشغلهم عن محاربة أهل البلد ولكنهم لم ينفكوا عن قتالهم ومضايقتهم فامر قائم
النجمي بان يزحف هو وأصحابه الى اسوار العدو وترجل جماعة من امراء
الاكراد كالجناح وأصحابه وهو أخو المشطوب وزحفوا حتى بلغوا أسوار العدو
ونصب قائم غاز عامه بنفسه على سورهم وقاتل عن العلم ووصل عز الدين جرديك
النوري وسوق الزحف قائمة فترجل هو وجماعته وقاتل قتالاً شديداً وبات المعسكر
تلك الليلة على الخيل تحت الحديد منتظراً نجاح الامل ولم اعلم السلطان بان عكا
قد وهنت أرسل الى جماعة من فيها سراً وقال لهم خذوا من العدو حذراً واتفقوا
واخرجوا ليلا من البلد يداً واحدة وسيروا الى جانب البحر وصادموا العدو
بالقهر واتركوا البلد بما فيه فشرعوا في ذلك واشتغل كل منهم باستصحاب ما
يملكه ولم يعلم ان التهاء به يهلكه فتمكنوا من المراد حتى اسفر الصباج ولم يصح
كذلك في الليلة الثانية لوصول الخبر الى الصليبيين فخرسوا الجوانب والابواب
ثم ان الامير سيف الدين علي بن أحمد الهكاري المعروف بالمشطوب وكان هو مقدم
المعسكر في البلد خرج الى ملك فرانسوا فيلبس أو غسـطوس وقال له انا قد
أخذنا منكم بلاداً كثيرة وكنا نهدم البلد وندخله ومع هذا اذا سألونا الامان
أعطيناكم وحميناكم الى ما نهمم واكرمناهم ونحن نسلم البلد وتعطينا الامان علي
أنفسنا وبعد مداولة ملك فرانسوا مع ديوان المشورة العسكري قال انه لا يعطي

الامان للمسلمين الا بعد ان يرجعوا مدينة القدس وجميع البلاد التي استولوا
 عليها بعد حرب طبرية (سواحل سوريا) (فانظر فرق المعاملة بين المسلمين
 في استيلائهم على المدن من الصليبيين وكيف كانوا يعطونهم الامان ويوصلونهم
 الى الجهات التي يريدونها ومعاملة هؤلاء الصليبيين لمساكر عكا المسلمين وعدم
 اعطائهم الامان) فاغلظ المشطوب له القول وانصرف عنه ولما دخل البلد
 بهذا الخبر خاف جماعة من الامراء فاخذوا لهم بركوسا وهو مركب صغير
 وركبوا فيه ليلا خارجين الى العسكر الاسلامي منهم عز الدين ارسل وحسام الدين
 عمر تاش ابن الجاولي وسنقر الوشائي وهو من الاسدية الاكابر ثم ان سيف
 الدين المشطوب اتفق مع الصليبيين على تسليم البلد بجميع ما فيه من الآلات
 والعدد والمراكب ومائتي الف دينار والف وخمسة أسير مجاهيل ومائة أسير
 معينين من جانبهم يختارونهم و صليب الصليبوت علي انهم يخرجون بانفسهم سالمين
 وماءهم من الاموال والاقمشة المختصة بهم وذراريهم ونسائهم وضمنوا لكونراد
 صاحب صور عشرة آلاف دينار لانه كان واسطة الصلح ولاصحابه اربعة آلاف
 ولما وقف السلطان على ذلك انكره وأعظمه وعزم على ان يكتب اليهم بانكار
 ذلك وجمع أمراءه وأصحاب مشورته فمأخض المسلمون الاوقد ارتفعت
 أعلام الصليبيين على اسوار البلد وذلك ظهيرة يوم الجمعة ١٧ جمادى الآخرة
 سنة ٥٨٧ وهكنا دخلوا البلد صلاحاً بعد حصار سنتين وسفك دماء كثيرة
 وموت نيف ومائة ألف مقاتل كما قال مؤرخوهم ونصه (بعد ما يذيف عن
 مدة سنتين من حصار هذه المدينة باتعاب وشدايد وأعمال كالية وحروب
 شديدة دخلها المسيحيون آمنين في اليوم الثالث عشر من شهر حزيران سنة
 ١١٩١ ونشروا بيارق الصليب فوق أسوارها فهذه كانت نهاية حصار عكا الذائع
 الصيت الذي فيه سفكت دماء عظيمة المقدار والصليبيون ندبوا فيه فقدان عدد
 وافر من كل ذي رتبة من الشجعان ضمن نحو مائة معركة حربية خصوصية

وتسع حروب عمومية عظيمة حدثت أمام اسوار هذه المدينة بما كرت كانت
اجواقها تحضر وتبتدى بالحرب بعد ان تكون العساكر التي قبلها قد تلاشت اما
تماماً أو في اكثر اجزائها بعد ان تصل المراكب العديدة التي كانت تتوارد من
جميع مين بلاد المغرب حاملة طغمة من المقاتلين الذين كانوا يتقاطرون
من دكين نزولاً حول تل طورمان وفوق ارمال بيولوس وبالاجمال انه في مدة
هذا الحصار قد حصدت سيوف الاسلام وأنواع الامراض الرديئة من
الصليبيين نحو مائة ألف مقاتل) وكان لما اتفق المشطوب مع الصليبيين
على الصلح حدد لتحصيل المال والاسرى مدة شهرين فلما حلفوا له على
ذلك سلم البلد اليهم ودخلوا سالماً فلما ملكوه غدروا واحتاطوا على من فيه
من المسلمين وعلى اموالهم وجسومهم وأظهروا انهم يفعلون ذلك ليصل اليهم ما
يبدل لهم وراسلوا السلطان في ارسال المال والاسرى والصليب حتى يطلقوا
من عندهم فشرع في جمع المال فلما اجتمع عنده من المال مائة الف دينار
جمع الامراء واستشارهم فاشاروا بان لا يرسل شيئاً حتى يجددوا الحلف باطلاق
اصحابه وان يضمن رجال جمعية الداوية (الهيكليين) ذلك لانهم اهل دين يرون
الوفاء فراسلهم صلاح الدين في ذلك فقال الداوية لا تخلف ولا نضمن لاننا نخاف
غدر من عندنا ثم قال ملوك الصليبيين اذا سلمتم الينا المال والاسرى والصليب
فلنا الخيار في من عندنا فيئذ علم صلاح الدين عزمهم على الغدر فلم يرسل
اليهم شيئاً وأعاد الرسالة اليهم وقال نحن نسلم اليكم هذا المال والاسرى والصليب
ونعطيكم رهناً على الباقي وتطلقون اصحابنا وتضمن الداوية الرهن ويحلفون
على الوفاء فقالوا لا تخلف ولا نفعل شيئاً من ذلك بل تسلمون المال الذي تحصل
والاسرى والصليب وتقتنون بأمانتحتي نسلم اليكم اصحابكم فأبى السلطان ذلك
لعلمه انهم اذا تسلموا المال والصليب والاسرى بدون رهن لا يؤمن غدرهم

قلما رأوه قد امتنع من ذلك أخرجوا خيامهم الى ظاهر خنادقهم بجميع
عساكرهم وركبوا في وقت العصر في اليوم السابع والعشرين من رجب وساروا
حتى اتوا الابرص تحت تل العياضية ثم أحضروا من الاسرى المسلمين نحو الثلاثة
آلاف وأوقفوهم وحملوا عليهم حملة الرجل الواحد فقتلوهم صبراً طعناً وضرباً
بالسيف (وهي نقطة سوداء في تاريخ ريكاردوس) واليزك الاسلامي يشاهد
الصليبيين ولا يعلم ماذا يصنع لبعده عنهم وكان اليزك قد انقذ للسلطان وأعلمه
بركوب القوم ووقوفهم فانفذ الى اليزك من قواه وبعده ان فرغ الصليبيون من
قتل الاسرى حمل المسلمون عليهم وجرت بينهم حرب عظيمة قتل فيها
وجرح من الجانبين خلق كثير ودام القتال الى ان فصل الليل بين الطائفتين
وأصبح المسلمون يكشفون الحال فوجدوا المسلمين الشهداء في مصارعهم
فتولاهم حزن شديد أما الصليبيون فانهم لم يبقوا من الاسرى الا المقدمين
والاقوياء للعمل فتصرف السلطان في المال المجموع وأرسل اسارى الصليبيين وصاب
الصلبوت الى دمشق

✽ رعي علم النمسا في الخندق وسفر ملك فرنسا الى بلاده ✽

لما دخل الملك فيليب ملك فرنسا وريكاردوس ملك الانكليز مدينة
عكا كما تقدم اقتسما بينهما خزان القوت وذخائر الحرب وكل ما كان فيها وكان
الملك فيليب قد استعمل الرفق واللين في عسكره بخلاف ريكاردوس المتصف
دائماً بالحنق وحدة الطبع والشراسة ضد عساكر الصليبيين أنفسهم ومن ذلك انه
عندما دخلوا المدينة ورفعوا اعلامهم على أسوارها رفع ليوبولدوس دوك دي
أو طريش (ملك النمسا) علمه على أحد ابراج المدينة ففضب ريكاردوس من
ذلك وأمر بنزع علم النمسا ورميه في الخندق



ليوبولد ربي اطرش

فلما فعل ذلك تألم ليوبولدوس باطناً ولم يظهر غيظه من هذه الاهانة
وكتماها في قلبه وحرّم على عساكره الانتقام عن هذه الاهانة قائلاً لهم سوف
انتقم بنفسى من عدوى عند وجود الفرصة ثم ان كونراد صاحب صور لما
وجد شدة معاملة ريكاردوس انسحب بهساكره من عكا راجعاً الى
صور

ولهذا السبب أيضاً عزم الملك فيليبس أو غسطلوس ملك فرانس على العود
الى بلاده وخصوصاً لما اعتراه مرض ضيق الصدر ولم يعد يَحتمل كبر ملك
الانكليز ولعله به انه لا يمكنه الاقامة مع ريكاردوس بالمسالمة ففرح بذلك

ريكاردوس لا يعتمد ملك مثل هذا عنه لكونه كان يشاركه في الانتصار والكسب
ثم التمس من الملك فيلبس القسم بانه في رجوعه الى مملكته لا يمارس شيئاً ضد
بلاد الانكليز ولا يتعرض لها مدة غياب ريكاردوس عنها فحلف له على ذلك ثم
سافر من عكا بحراً الى مدينة صور وترك من جيشه الفرنسي عشرة آلاف
محارب تحت رياسة لدوك دي برغونيا ثم سافر من صور قاصداً بلاده وقال
مؤرخوهم (سافر الملك فيلبس بعد ان اهداه السلطان صلاح الدين هدايا عظيمة
لانه كان رأى فيه صفات جليلة بعكس غيره من الصليبيين وانه هو أعظم ملوك
أوروبا ووصل الى مدينة روميه وزار قبور الشهداء وقابله أهلها باحتفالات عظيمة
ثم سار منها الى مملكته فدخل مدينة باريس باحتفال عظيم)

✽ سفر ريكاردوس من عكا وواقعة ارسوف وتخریب عسقلان ✽

بعد سفر الملك فيلبس من عكا الى بلاده صار الرئيس على جميع الصليبيين
الملك ريكاردوس فبعد ترتيبه عكا جعلها مستقراً لزوجته برنجاريا وقد أخذه
طمع فتح البلاد فجمع من العساكر الصليبية مائة ألف ورفع علمه على سارية
مقامة على أربعة دواليب تجر بمجمل في وسط جيشه نوى الاستيلاء على عسقلان
ويافا وقيسارية وكان ذلك في أول شعبان سنة ٥٨٧ وسار نحو حيفا على شاطئ
البحر لا يعتمد عنه فلما سمع السلطان برجيلهم نأدى في معسكره بالرحيل
فساروا وكان على اليك الملك الأفضل نجل السلطان ومعه سيف الدين ايازكوش
وعز الدين جرديك فضايقوا الصليبيين في مسيرهم وأرسلوا عليهم من السهام
فما كاد يحجب الشمس ووقموا على سافة الصليبيين فقتلوا منهم جماعة وأسروا
جماعة فعاد ريكاردوس الى الساقية فحماها وجمعهم وساروا حتى أتوا حيفا
فنزّلوا بها ونزل المسلمون بالقرب منهم وقدم السلطان ثقله الى مجدل بابا ثم سار
الصليبيون الى قيسارية والمسلمون يسايرونهم ويتخطفون منهم من قدروا عليه

فيقتلونه لان السلطان كان قد أقسم انه لا يظفر باحد منهم الا قتله أخذاً بثأر
 من قتلوه ممن كان في عكافهما قاربوا قيسارية لاصقهم المسلمون وقاتلوه
 قتالا شديداً ونزل الصليبيون بنهر القصب وبات المسلمون قرياً منهم وفي أثناء
 اقامتهم على نهر القصب خرج من الصليبيين جماعة مسترسلين وتقدموا على
 البركة فبحر بهم ابن المقدم فعبر اليهم من ورائهم هو ومن معه وهم لم يأخذوا
 من خلفهم الحذر ففاجأهم وفجهم وفرغ من القتل والاسر فيهم قبل ان يدركهم
 المدد ثم نهض الصليبيون اليه وحملوا عليه وجرت وقعة شديدة انتهت بهزيمة
 الصليبيين واحضر الاسارى لدى السلطان ثم رحل السلطان وعبر شعراء
 ارسوف ونزل على قرية تعرف بدير الراهب وكان المسلمون قد سبقوهم اليها ولم
 يمكنهم مسايرتهم لضيق الطريق فلما وصل الصليبيون حمل المسلمون عليهم حملة
 منكراً ألحقوهم بالبحر فقتل منهم كثير والمسلمون يكبرون ويهملون ثم ان
 الصليبيين اجتمعوا وحملوا حملة واحدة وفي مقدمتهم ريكاردوس الشجاع
 وفرسان جمعية ضياف الغرباء (الاسبتارية) وكانت هذه المعركة عمومية وقد
 أظهر فيها ريكاردوس من البسالة والشجاعة العجيبة وقتل من أمراء الصليبيين
 يعقوب دى افسناس وفي حال وقوعه صرخ قائلاً ياريكاردوس انتقم من الاعداء
 عن موتى وولى المسلمون منهزمين لا يلوى احد على احد وكان كثير من السوقة
 قد الفوا القيام وقت الحرب قريباً من المعركة فلما كان ذلك اليوم كانوا على حالهم
 فلما انهزم المسلمون عنهم قتل منهم كثير والتجأ المنهزمون الى الثاب الذي
 فيه السلطان صلاح الدين وكان بالقرب من المسلمين شعراء (غابة) كثيرة
 الشجر فدخلوها وظننها الصليبيون مكيدة فعادوا عنهم وزال عن المسلمين ما كانوا
 فيه من الضيق وقتل من المسلمين اياز الطويل مملوك السلطان صلاح الدين وهو
 من الموصوفين بالشجاعة والشهامة لم يكن في زمانه مثله وقد اشتهرت شجاعته
 بين العسكريين بحيث انه اذا كان في موضع وعرفه الصليبيون خافوا منه وسبب قتله

سقوط جواده فلما رأى السلطان ما حل بالمسلمين سار حتى أتى طلبه فوقف فيه
ودق الصنوج فاجتمع في الطلب خلق كثير ووقفت الصليبيون قبالتهم على رؤس
التلول والروابي ثم جمعوا إلى منزلهم لخوفهم من وجودكمين وتراجعت باقي المساكن
المنهزمة والجرحى وصدم الملك الأفضل وانفتح دمل كان في وجهه ثم سار ريكاردوس
بمعسكر الصليبيين إلى يافا ولم يكن بها أحد من المسلمين فمكروها وأقاموا بها وأخذوا
في بناء الاستحكامات فيها أما السلطان صلاح الدين فانه رحل باثقاله إلى مدينة الرملة
تاسع عشر شعبان وهناك عقد مجلساً من أخيه الملك العادل وأمراء المسلمين
واستشارهم فأشار علم الدين بن سلمان بن جندر بخرابها للمحز عن حفظها
على ما بها ووافته الجماعة على ذلك وقالوا ان الصليبيين قد تقووا بأخذ عكا وما
فيها من الأسلحة فلم تسمح نفس السلطان بتخريبها ونذب الناس إلى دخولها
وحفظها فلم يجبه أحد وقالوا هذه يافا قد نزلوا بها وسكنوا فيها وهي مدينة
بين القدس وعسقلان متوسطة ولاسيبيل إلى حفظ المدينتين فاعمد إلى أشرف
الموضعين فحصنه وحكمه فتقر الرأي على إقامة العادل ومعه عشرة من الأمراء
بقرب يافا حتى اذا تحرك العدو كانوا منه على علم وسار السلطان حتى أتى
عسقلان وضرب خيمته شمالها فبات هناك مهموماً بسبب خراب عسقلان وقال
والله لان افقد اولادى كلهم أحب إلى من ان أهدم منها حجراً واحداً ولكن
اذا قضى الله بذلك لحفظ منفعة المسلمين فكيف أصنع فاستحضر الوالى وأمره
بذلك وقد اجتاز بالسوق والوطاق بنفسه يستنفر الناس لايخربا وقسم السور
على الناس وجعل لكل أمير وطائفة من المعسكر بدنة معلومة وبرجا يخربونه
ودخل الناس البلد ووقع فيه الضجيج والبكاء وشملهم عليه حزن عظيم وكان
هو بنفسه وولده الافضل يحماني الناس على الخراب خشية ان يسمع العدو فيحضر
ولا يمكنهم من خرابها وابعادهم الناس الذي كان ذخيرة في البلد وأمر بحرق
البلد فاحترقت والاخبار تتوارد من جانب الصليبيين بعمارة يافا وكان عرض

سور عسقلان تسعة ازرع وفي بعض مواضع عشرة واحرق برج الاستارية
وذلك لغاية آخر شعبان

﴿ في وقوع ريكاردوس في الاسر ونجاته وعرض زواج ﴾
أخته جوانا بالملك العادل ﴿

لما كان السلطان صلاح الدين مهتما بتخريب مدينة عسقلان وصله من
عز الدين جرديك كتاب يذكرفيه ان الصليبيين قد تقسموا وصاروا يخرجون
من يافا ويغيرون على البلاد القريبة منها ويطلب تحريك السلطان لعله يبلغ منهم غرضاً
في عزلتهم فنزم على الرحيل وفارق عسقلان في يوم الثلاثاء ثاني رمضار سنة ٥٨٧
ونزل بالرملة يوم الابعاء ثلثه وأمر بتخريب حصنها وتخریب كنيسة اللدور كـ
جريدة الى القدس فوصله يوم الخميس رابعه لاجل تقويته وخرج منه يوم الاثنين
ثامنه وفي هذا اليوم خرج ريكاردوس وبعض خاصته للتمتزه والصيدين حقول
صارون وجلس تحت شجرة هو ومن معه من الامراء والعساكر ففاجأته العساكر
الاسلامية فركب هو ومن معه خيولهم ولكن قد كانت احاطتهم العساكر الاسلامية
من كل ناحية فلم يقدروا على المدافعة عن انفسهم فخاف ريكاردوس من سقوطه
بيد المسلمين (فيكان المسلمون لا يعلمون انه الملك) فاراد احد خاصته وهو وليم
دي براتراس المولود في انليم بروفاص بفرانسا ان يحمي ريكاردوس وكان
وليم هذا لابساً ملابس افخر من ملابس ريكاردوس فنادى المسلمين بالعربية
فائلاً (أواه يا شجبان احفظوا لي حياتي أنا هو الملك) فهجم عليه فرسان المسلمين
وشدوا وثاقه وأخذوه أسيراً وبهذه الحيلة نجا ريكاردوس وهرب الى يافا لان
المسلمين فرحوا بامر وليم ظانين انه الملك ولما علموا خطأهم أرسلوه الى
دمشق ليسجن بها . اما ريكاردوس فانه أراد مكافأة هذا الامين على أمانته
فطلب من السلطان صلاح الدين اطلاقه وفداه بشرة امراء من المسلمين

المأسورين عنده وتم ذلك فعلا وكان السلطان قد نزل على النطرون في ثالث
عشره وخيم بها فراسله ريكاردوس يطلب المهادنة



وكانت الرسل تتردد الى الملك العادل أبي بكر بن أيوب باصر ريكاردوس
وأعلموه بان للملك أختاً اسمها جوانا كانت متزوجة بوليم ملك صقلية ومات
ويرغب تزويجها للملك العادل بالشروط الآتية . ان يكون القدس وجميع بلاد
الساحل التي بأيدي المسلمين للملك العادل وتكون عكا وما بيد الصليبيين
من البلاد الى جوانا أخت ريكاردوس وان فرسان جمعية الهيكلين (الداوية)
وجمعية ماري يوحنا المعمدان (الاسبتارية) خاضعين لهذا الاتفاق وان الملك
العادل يقطعهم البلاد والقرى دون الحصون فلما وجد ذلك الملك العادل صواباً
ونافعاً لمصالح المسلمين عرضه على أخيه السلطان صلاح الدين فأجابه الى ذلك

فلم يشاع الخبر في معسكر الصليبيين اجتمع القسيسون والاساقفة والرهبان
عند جوانا أخت ريكاردوس وانكروا عايبها ذلك وخوفوها واتهموها في دينها
وقالوا هذه فضيحة فظيمة ونسبة شنيعة وتكونين عاصية للمسيح فرجعت عن
قصدها

✽ مراسلة ريكاردوس لصلاح الدين بالصلاح وما جرى بعد

ذلك وتعمير بيت المقدس ✽

وبعد ذلك أرسل ريكاردوس الى السلطان صلاح الدين يقول له ان
المسلمين والصليبيين قد هلكوا وخربت البلاد وتلفت الاموال والارواح وان
هذا كله بخصوص القدس والصليب والبلاد وحيث ان القدس متعبدا فلا تنزل
عنه ولو لم يبق منا واحد وأما البلاد فيعاد اليها ما هو قاطع الاردن وأما الصليب
فهو خشبة عندكم لا قيمة لها وهو عندنا عظيم الشأن فيمن به السلطان علينا
ونستريح من هذا العناء الدائم فأرسل له السلطان في جوابه ان القدس لنا كما هو لكم
وهو عندنا أعظم مما هو عندكم فانه مسرى نبينا ومجتمع الملائكة فلا يتصور ان
تنزل عنه ولا تقدر علي التلفظ بذلك بين المسلمين وأما البلاد فهي أيضاً لنا في
الاصل واستيلاؤكم كان طارئاً عايباً لضعف من كان بهامن المسلمين ذلك
الوقت وأما الصليب (صليب الصليبوت) فاتفقنا عندنا قربة عظيمة لا يجوز ان نفرط
فيه الا لصلاح راجمة الى الاسلام. ثم تواتر الخبر ان الصليبيين عزموا على النهوض
فسار السلطان من مخيمه بالنظرون الى الرملة سابع شوال سنة ٥٨٧ وحصلت
واقعة في ناحية يازور في ثامنه وكان النصر فيها للمسلمين وفتد منهم ثلاثة وفي
سادس عشره وقعت واقعة أخرى عظيمة قتل فيها جماعة من الامراء وأسرى
فارسان من الصليبيين معروفان بالبأس سوى غيرهما وقتل منهم زهاء ستين
وورد خبر بان الاسطول المصري استولى على مراكب الصليبيين وفيها مركب

تعرّف بالمسطح وفي ثامن عشره اجتمع الملك العادل وريكاردوس على طعام
ومحادثة وانفصلا على توادد ومطايبة وطلب منه الاجتماع بخدمة السلطان صلاح
الدين فامتنع السلطان وقال الملوك اذا اجتمعوا تقبح بينهم الخاصة بعد ذلك
واذا انتظم امر حسن الاجتماع وفي ثالث القعدة رحل الصليبيون الى الرملة
وأظهروا قصد القدس بتلك الرحلة ودامت الوقعات بين المسلمين وبينهم وفي
الثالث والعشرين من شهره رحل السلطان الى القدس ينوي الاقامة وكان الشتاء
قد حل والغيث قد اتصل فوصل القدس وقت العصر ونزل بدار الاقساء المجاورة
كنيسة القمامة وفي ثالث الحجة وصلت العساكر المصرية بقيادة أبي الهيثم السمين
ومعها أموال وتحويل الصليبيون الى النطرون فقوى السلطان اليك فوقعوا على
سرية فغنموا وساقوا منها الى القدس ما يزيد عن خمسين أسيراً أعدم من قتل منهم
وواقمهم سابق الدين عثمان صاحب شيزر يوم عيد الاضحى ففجر منهم وضحي
واحتوى على عشرة من مقدميهم اسرا وقتلا وانهزم باقي الصليبيين في الجبال
وتركوا خيلهم فغنمها المسلمون ولم يزل المسلمون عليهم مستظهيرين مدة مقامهم
بالنطرون وأخذوا يقطعون الطريق على تجارهم حتى انهم أخذوا قافلة ثقيلة
بما فيها ولم يقدر الصليبيون على تخليصها فرحلوا عائدين الى الرملة في الثاني
والعشرين من شهره وكان السلطان قد شرع في تحصين القدس وعمارة أبراجه
وأسواره وحفر خنادقه وأرسل الى البلاد بجمع رجال هذه الاعمال ففي
هذا اليوم وصل من الموصل خمسون رجلاً لقطع الصخور من الخندق وأقبل
الامراء للعمل فيه وعمل فيه السلطان بنفسه بنقل الحجارة هو وأولاده
وأمرائه وأجناده ومعهم القضاة والعلماء وقد قال الرشيد بن النابلسي من قصيدة
الله عن قصد الصليبيين المقدس

وح الفرنجة بل ويل أهمهم أوما فيهم ليب على العلات يعتبر
فكم نرتهم ضربا اذا انتظموا وكم نظمتهم طعناً اذا انتسروا

كم قد سقيتهم ذلاً فلا عجب ان يموك فلا بدع لجهاهم
 ان عربدو اسفها فالقوم قد سكروا تسمي الي الاسد في غاباتها الحمر
 زاروا نموراً ولا تغنى وقاحتهم اذا اسودك في ابطالهم زاروا
 فحام عن حوطة البيت المقدس لا خوف وحاشاك من خوف ولا ضرر
 هو الشريف وقد ناداك مهتصما فما على مجده من بعدها حذر
 وسوف تستغفر الايام هفوتها وتحصد الفئمة الاوغاد ما بذروا
 وقد قسم السلطان سور البلد على اولاده وأخيه وأجناده فشرعوا في انشاء
 سور جديد وكان يركب كل يوم وينقل الصخر على قربوس سرجه فيتبعه
 الاكابر والامراء في نقل الصخور واهتم السلطان بذلك اهتماماً زائداً

✽ بناء الصايبيين مدينة عسقلان وما جري في أثناء ذلك

وغضب بعضهم ✽

عقد الصليبيون مجلس شورا هم الملكى فقرر مسيرهم الى عسقلان وتعمير
 أسوارها التي هدمها السلطان صلاح الدين وكان هذا على غير مرام العساكر
 الصليبيين فغضب الدوك دى برغونيا وخرج هو وعساكره الفرنساوية من تحت
 سنجق الصليب فأرسل اليه ريكاردوس وقدأ بمصالحته وارجاعه وفي ثالث محرم
 سنة ٥٨٨ سار ريكاردوس بالمعسكر الصليبي الى عسقلان فشرعوا في بناء
 اسوارها وكان ريكاردوس يحتمهم على ذلك ويطوف حولهم ثم ان بعض امراءهم
 شكوا من ذلك التعب وقالوا ما أتينا من بلادنا الى آسيا لنبتني المدن بل لتخايص
 القدس من أيدي المسلمين وكان الامير ليوبولدوس دى أوطريش هو وجيشه
 النمساوي متمماً عن الشغل وقال لريكاردوس اني است حداداً ولا نجاراً ولا
 بناء ثم انه سحب عسكره وخرج عن معسكر الصليبيين بغضب وكذلك بعض
 الامراء قد أهملوا معسكر الصليبيين راجعين الى ورائهم أما ريكاردوس فلم

يهمهم وداوم في بناء السور وفي أثناء ذلك نظر ريكاردوس من بعد دخاناً
ققصده وكان ذلك جماعة من الاسديّة وسيف الدين يازكوج وعلم الدين
قيصر وهم لا يعلمون بما دهمهم فوصل اليهم ريكاردوس وقت المغرب فوقع
عليهم وكانوا فريقين نازلين في موضعين فلما وقع على أحدهم اركب الفريق
الثاني وواقعه حتى ركب الفريق الاول فدافعوه وواقوه وساقوا قدامهم
اثقالهم وخلصوا ناجين وسام المسلمون من أعدائهم ولم يفقد منهم الا اربعة
وكانت وقعة عظيمة دفع الله خطرها وهول ضررها وفي حادي عشره كبس
عز الدين جرديك تبني على من نزل بها من الصايبيين فأوقع بهم البلاء وساق
منهم اثني عشر أسيراً ومتماعاً كثيراً وأغار أيضاً على ظاهر عسقلان في ثاني
صفر وجاء بثلاثين أسيراً وفي ليلة رابع عشر صفر كمنت سرية مقدمها فارس
الدين ميمون القصري عند تبني الى ان عبرت قوافل الفرنج فسانفها باحمالها
واثقالها ونساءها ورجالها

✽ في عزم ريكاردوس على السفر الى بلاده وموت كونراد

صاحب صور وغيره ✽

اجتمعت العساكر الصليبية في سهل عسقلان للاحتفال بعيد الفصح واذا
بوفد قد أقبل من بلاد الانكليز قاصداً ملكهم ريكاردوس وأخبروه بان أخاه
يوحنا خرب المملكة واستولى عليها فلما سمع هذا الخبر جمع اليه رؤساء
العساكر وأعلمهم بما جرى وانه يرغب السفر الى بلاده فتكدروا لذلك
وشرعوا في انتخاب رئيس عليهم بدلا منه يكون ذا كفاءة فانتخبوا الامير
كونراد صاحب مدينة صور ذاك الرجل المشهور بالمكر والدهاء وهو السبب
في تجريد هذه الحروب الصليبية الثالثة وكان كونراد هذا مقبلاً بمدينته فارسوا
اليه وقد أعلمونه بانتخابهم هذا ففرح بذلك أهل مدينة صور وعسكره

وشرعوا في الاحتفال بعيد له وكان ذلك في ثالث عشر ربيع آخر سنة ٥٨٨
 وكان رجالان من الاسماعيلية الحشاشين دخلا مدينة صور قبل ذلك بمدة
 وتصررا وأظهرا الترهيب والتعبد ولزما الكنيسة وشكروا القسيسون والرهبان
 وأحبهما كونراد (وهو لا يعلم بانهما سيكونان قاتليه) ولم يكن يصبر عنهما حتى
 اليوم المذكور الذي هو أعظم الايام يوم ورود الخبر بانتخابه رئيساً على جميع
 العساكر الصليبية وثب عليه الاسماعيليان وجرحاه جراحاً بليغة واختفى
 أحدهما بكنيسة فاتفق ان كونراد حمل اليها لتسد فيها جراحاته فوثب عليه
 الاسماعيلي ثانياً واجهز عليه فقبضوا عليهما وسألوهما عن أسباب ذلك فقالوا
 ان الذي أغرانا هو ريكاردوس (ولكن مؤرخي الصليبيين قد برأوا ريكاردوس
 من ذلك وبعض مؤرخي العرب قال ان السلطان صلاح الدين أرسل الى سنان
 رئيس الاسماعيلية يقول له أرسل من يقتل ريكاردوس أو كونراد ولما علم
 سنان بان قتل ريكاردوس صعب أرسل هذين الرجلين الى صور وجرى ما
 تقدم) ثم بعد قتل كونراد المذكور تزوج أرملة هنري دي شمبانيا وعمه
 ملك فرنسا فيليبس وخاله ملك الانكليز ريكاردوس فأقيم ملكاً على صور ثم ان
 خاله ريكاردوس لتصميمه على السفر تنازل له عن البلاد التي امتلكها فسار
 هنري الى عكا فقابلوه باحتفال لائق بملك لهم . وفي أثناء ذلك قدم من
 بلاد الانكليز وفد آخر جدد قلق ريكاردوس وانزعاجه بما أخبروه عن
 بلبلة مملكته من أعمال أخيه يوحنا وبان الملك فيليبس ملك فرنسا قد هدد
 أماره نورماندية

﴿ في تقرب الصليبيين الى القدس ورجوعهم عنه بقرار

مجلس مشورتهم وما فعله السلطان ﴾

لما أتت الوفود من بلاد الانكليز الى ريكاردوس وعزم على السفر وولى

ابن أخته على بلاد فلسطين أراد ان يظهر أثراً من شجاعته أمام الصليبيين لتكون تذكاراً له فجمع عسكره بجهة الرملة وفي تاسع جمادى الاولى سنة ٥٨٨ سار الى قلعة الداروم فاستولى عليها وخربها وكان السلطان صلاح الدين لدخول فصل الشتاء قد أمر باعادة المساكر الى بلادها (وهو مقيم بالقدس الشريف) ليستريحوا ولم يبق الا بعض المساكر المصرية معه فلما علم بذلك ريكاردوس فرح وظن انها فرصة مناسبة له وأراد اغتنامها فسار بالمساكر الصليبية حتى بلغوا بيت نوبة وبينها وبين القدس عشرون ميلاً وقد أظهم المسلمون بنهبهم وأضعفهم بسابهم يتسلطون عليهم من كل ناحية ويكمنون لهم تحت كل رابية وقد قويت قلوبهم بثبات السلطان بالقدس وفي آخر شهره وصل ريكاردوس الى قلونية وهي على فرسخين من القدس فلما سمع السلطان صلاح الدين بقربهم فرق ابراج البلد على الامراء واستعد للقتال فلما وصلت الصليبيون الى قلونية صب المسلمون عليهم البلاء وتابعوا ارسال السرايا فبلى الصليبيون بما لا قبل لهم به فامر ريكاردوس بمقد مجلس مشورتهم مؤلفاً من أعضاء من جمعية الهيكلين (الداوية) ومن خمسة أمراء فرنساويين ومن خمسة أمراء من أهل سوريا فدام انعقاد هذا المجلس جملة أيام وكان الاعضاء الفرنسيون قد طلبوا حصار القدس عاجلاً لمهمهم بان المساكر الاسلامية في أجازتها وباقي الاعضاء قرروا بان هذه الاشاعات غير حقيقية وانها فقط حيلة وشراك وانه لا يجوز حصار هذه المدينة لانها الآن في غاية القوة خصوصاً لوجود السلطان بها وبعد مناقشات قرروا باغلبية الآراء بعدم حصار هذه المدينة المقدسة والرجوع عنها والتوجه الى الديار المصرية ومحاصرة مدينة القاهرة (فانظر قرار مجلس مشورة الصليبيين الثالثة وكيف انها خرجت من بلادها بقصد تخليص القدس من المسلمين والآن قرروا بعدم حصاره ومحاصرة القاهرة كأن القاهرة هي بيت المقدس الذي فيه قبر المسيح على دعواهم) مع

ان هذا القرار جاء كما قال مؤرخوهم مذهلاً مبهلاً . وكان السلطان صلاح
 الدين أحضر عنده جميع الامراء وفي مقدمتهم الامير أبي الهيجاء السمين
 والمشطوب والاسدية بأسرهم فقام خطب القاضي ابن شداد خطيباً يحثهم على
 الجهاد ومما قاله ان النبي صلى الله عليه وسلم لما اشتد به الامر بايعه الصحابة
 على الموت في لقاء العدو ونحن أولى من تأسى به والمصلحة الاجتماع عند الصخرة
 والتحالف على الموت فلعل ببركة هذه النية يندفع هذا العدو فاستحسن الجماعة
 ذلك ووافقوا عليه ثم شرع السلطان بعد ان سكت زماناً وهو يفكر والناس
 سكوت كأن على رؤوسهم الطير ثم قال الحمد لله والصلاة على رسول الله اعلما
 انكم جند الاسلام اليوم ومنعته وانتم تعلمون ان دماء المسلمين وأموالهم
 وذرائعهم معلقة في ذمكم وان هذا العدو ليس له من المسلمين من يلقاه الا انتم
 فان لو يتم أغنتكم والعياذ بالله طوى البلاد كطى السجل للكتاب وكان ذلك
 في ذمتكم فانكم انتم الذين تصديتم لهذا كاه وأكلتم مال بيت مال المسلمين
 فالمسلمون في سائر البلاد متعلقون بكم والسلام فانتدب لجوابه سيف الدين
 المشطوب وقال يا مولانا نحن مماليكك وعبيدك وأنت الذي أنعمت علينا وكبرتنا
 وعظمتنا وأعطيتنا وأغنيتنا وليس لنا الا رقابنا وهي بين يديك والله ما يرجع
 أحد منا عن نصرتك الى ان يموت وقال الجماعة مثل ما قال فاندسست نفس
 السلطان وانصرف من المجلس ثم اجتمع جماعة المماليك عند أبي الهيجاء
 السمين وأنكروا موافقة الامراء للسلطان على حصار القدس وقالوا انهم
 يخافون ان يحصروا بالقدس ويجري عليهم ماجرى على أهل عكا وحينئذ
 تؤخذ بلاد الاسلام وطلبوا ان يعمل مصاف فاما ان يكون النصر للمسلمين
 فيستولوا على باقي بلاد فلسطين واما ان يكون النصر للصليبيين فيأخذوا
 القدس واذا كان لا بد من الحصار فيكون بعض أقارب السلطان معنا أو هو
 معنا لان الأتراك لا يدينون للاكراد والاكراد لا يدينون للأتراك وكان ذلك

في يوم الخميس وفي يوم الجمعة صلى السلطان صلاة الجمعة وصار يتضرع الى الله سبحانه وتعالى وهو ساجد ودموعه تتقاطر على مصلاه ويطلب من الله النصر ويقول اللهم انصر دينك واحم بيتك المقدس واحفظ عبادك المسلمين انك سميع مجيب وفي صباح يوم السبت وصل مكتوب من عز الدين جرديك في البرية يفيد بان الصليبيين قد رجعوا جميعهم بعد قرار مجلس مشورتهم كما تقدم وكفى الله المؤمنين القتال

وكان ريكاردوس قد استعمل جواسيس من أهل سوريا ليأتوه باخبار المسلمين وكان قادماً بعض عسكر من مصر ومعهم قوافل للتجار فاقاموا بنا بلس أياماً حتى اجتمعوا فأتى الجواسيس الى ريكاردوس وأعلموه بذلك فاصر عسكره بالانحياز الى سفح الجبل وركب في الف فارس وألف راجل فأتى تل الصافية فبات ثم سار حتى أتى موضعاً يقال له الحسى فانفذ السلطان الى هذا الركب يعلمه بنهوض الصليبيين نحوهم وأمرهم ان يبعدوا في البرية فركب ريكاردوس بصفة بدوى (اعزابي) مع بعض جواسيسه وسار حتى أتى الركب وطاف حوله بالصفة المذكورة ورآهم ساكنين قد غشيهم الغمام فعمادوا وترك عسكره وكانت الكلبة قريبة الصباح فبغت الناس ووقع عليهم مخيلة ورجله وداهمهم وكان الشجاع منهم الذي يركب فرسه وينجو وانقسم الركب ثلاثة أقسام قسم قصد البرك مع جماعة من العرب وقسم أوغلوا في البرية مع جماعة من العرب أيضاً وقسم استولى العدو عليه فساقهم بجمالهم وأحمالهم وجميع مامعهم وكانت واقعة شنعاء لم يصب الاسلام بمثلاً من مدة مديدة وتبدد الناس في البرية وتركوا متاعهم وجميع ريكاردوس كثيراً من الخيل والبغال والاقمشة وغيره وسار بالجميع الى معسكره فوصله في السادس عشر من جمادى الآخرة وكان يوماً عظيماً عندهم

﴿استيلاء السلطان على يافا ومحاربة ريكاردوس﴾

وبلغ السلطان في العاشر من شهر رجب سنة ٥٨٨ بان الصليبيين قد خرجوا من عكا قاصدين بيروت فبرز من القدس الى منزلة يقال لها الجيب وجاء العادل من الشرق والظاهر من حلب ورحل السلطان من الجيب الى بيت نوبة ثم رحل الى الرملة فنزل بها على تلال بين الرملة واللد وركب جريدة حتى أتى يازور وبيت حن وأشرف على يافا ثم نزل عليها من الغد ورتب عسكره فجعل في اليمينه ولده الظاهر وفي اليسرة أخاه العادل وركب عليها المنجنيقات وزحف عليها فارسل من بها يطلبون الصلح فاجابهم على قاعدة القدس وقطيعته فرفضوا بذلك وطلبوا الانتظار الى يوم السبت التاسع عشر من رجب اما ان تجيئهم نجدة والاتكون القاعدة على ما استقر فأبى السلطان وأمر بالنقب فحشى وأحرق فوق بعض السور فعلا الغبار مع الدخان فأظلم الافق ومدتجاسر أحد على الدخول خوفا من اقتحام النار فلما انكشف الغبار ظهر وقوف الصليبيين بأسلحتهم في الموضع المهدم وجد السلطان في القتل ورهى المنجنيقات فارسلوا يطلبون الصلح فقال لهم على قطعة القدس فسألوا السلطان ابطال القتال الى ان يأتى من داخل المدينة بقرار الصلح فقال السلطان ما أقدر على منع المسلمين من هذا الامر وقاتل المسلمون قتالا شديداً وأخذوا البلد عنوة ودخلوها ونهبوا من الاقمشة العظيمة والغلال شيئاً كثيراً وبقايا من منهوبات القافلة المصرية وبعد دخول المسلمين استقرت القاعدة على ما قرره السلطان وكان قايماز النجمي في طرف الغور لحمايته من عسكر الصليبيين الذي بعكا فوصل منه كتاب بان ريكاردوس عدل عن قصد بيروت لما سمع باخبار يافا وقد جمع عسكره في المراكب وعزم على قصد يافا فاشتد عزم السلطان على تامة الامر وتسلم القلعة لانه لم يستول بعد

عليها فطلبوا منهم الخروج من القلعة حسب الاتفاق فخرج البعض والباقي
رأى مراكب الصليبيين قادمة فعلموا بانها نجدة لهم فشقوا عصا الطاعة
قابطاً ريكاردوس بنزوله الى البر فخاف من بالقلعة وأرسلوا بطركهم وغيره
في طلب الصلح كما كان ويمتدز عنهم وكان ريكاردوس لما وصل الى ميناء يافا
وجدتها مملوءة بعساكر الاسلام وكذلك المدينة مرفوعاً عليها اعلام المسلمين
فعلم بان المسلمين قد استولوا عليها لاحالة فتأخر عن النزول الى البر ثم بلغه انه
لم ينزل البعض بالقلعة فنزل من المراكب هو وعسكره وحمل على المسلمين فلما
رأى السلطان ذلك قبض على الرسل وأمر بتأخير الأتقال والأسواق الى
يازور فرحل العسكر وتخاف لهم ثقل عظيم مما كانوا يهابوه من يافا واقام
ريكاردوس في موضع السلطان الذي كان فيه لمضايقة البلد وأمر ريكاردوس
من في القلعة ان يخرجوا اليه لتعظيم سواده وبلغ السلطان بان ريكاردوس مخيم
بظاهر يافا بالنفي ورجل من عسكره فاراد كبسه فسار بجريدة ولما تقدم بمن معه
لمحاربتهم وصار يحث العساكر على الثبات قال له الجناح أحد الامراء وهو أخو
المشطوب قل لغلمانك الذين ضربوا الناس يوم فتح يافا وأخذوا منهم الغنيمة
يحملون وكان أيضاً في قلوب العساكر الاسلامية غيظ من حصول الصلح بعد
دخول يافا لان السلطان كان منعهم عن أخذ الغنيمة فلما رأى السلطان ذلك
اعرض عن القتال وسار الى يازور وحصلت مناوشاة بين العساكر الاسلامية
والصليبية أظهر فيها ريكاردوس من الشجاعة ما لم يره أحد فانه استل سيفه وقال
لعن الله من لم يتبعني وهجم على المسلمين هجمات شديدة بنفسه بدون مساعدة
وحمل من طرف اليمين الى طرف اليسرة فلم يترفض له أحد وصار في وسط
العساكر الاسلامية وقد ظنه عسكره انه قتل أو اسر ثم وصل اليهم سالماً وقد
مدحه مؤرخوهم مدحاً فائقاً حتى انهم فضلوا شجاعته على شجاعة الاسكندر
الكبير وعن اعمال يهودا المكابي ورولان وغيرهم

* في مرض ريكاردوس والهدنة بينه وبين السلطان *

في أوائل شعبان سنة ٥٨٨ حصل لريكاردوس مرض فصار يرسل رساله الى السلطان في طلب الفاكهة والتلج والسلطان يرسل له كفايشتهيه وأرسل اليه طبيباً يعالجه وقد أكثر ريكاردوس في طلب الكمثرى والخوخ والسلطان يمدد بذلك بقصد كشف الاخبار عن العدو بتواتر الرسل ثم جاء رسول من ريكاردوس مع الحاجب أبي بكر يشكر السلطان على اسمافه بالفاكهة والتلج وقال أبو بكر ان ريكاردوس انفرده وقال له قل لآخي (يعني الملك العادل) يتبصر كيف نتوصل الى السلطان في طلب الصلح وتستوهب لنا منه عسقلان وأسافر الى بلادى ويبقى هو ههنا بهذه الشردمة ويأخذ البلاد منهم فاييس غرضى الاقامة جاهى بين ملوك أوروبا وان لم ينزل السلطان عن عسقلان فتأخذلى منه عوضاً عن خسارتي على عمارة سورها فارسل السلطان الى الملك العادل بانه اذا تنازل ريكاردوس عن عسقلان فصالحه لان العساكر قد ضجرت من ملازمة البيكار والنفقات قد نفذت ثم ان ريكاردوس تنازل عن عسقلان وعن العوض عنها واستوثق منه على ذلك فمقد السلطان ديوانه يوم السبت ثامن عشر شعبان لاجل تحرير شروط الصلح وتحديد البلاد التي تكون بيد الصليبيين فذكر يافا وأعمالها وأخرج منها الرملة واللد ومجدرل ببارد كرقيسارية وأعمالها وارسوف واعمالها وحيفا وأعمالها وعكا وأعمالها وأخرج منها الناصرة وصورية وأثبت ذلك في الورقة وقال لارسول هذه حدود البلاد التي تبقى في أيديكم فان صالحتم على ذلك فبارك وقد اعطيتكم يدى فينفذ ملككم من يملف في بكرة غدو الا نعلم ان هذه مماطلة وكان من القاعدة ان تكون عسقلان خرابا وان يتفق المسلمون والصليبيون على خرابها واشترط دخول بلاد الاسماعيلية في يد المسلمين وتكون انطاكية وطرابلس في الصلح وان تكون الرملة واللد بينهما

مناصفة وان جميع المسيحيين يزورون القدس بالراحة بدون ممانعة واستقرت
القاعدة على انهم يحلفون يوم الاربعاء الثاني والعشرين من شهره ورضي بذلك
رجال الجميات الرهبانية (جمعية الهيكلين وجمعية القديس يوحنا
المعمدان) وسائر أمراء الصليبيين خلف هنري دي شامبانيا ابن أخت
ريكاردوس وهو المتولى على بلاد سوريا وجماعة من أمراءهم للسلطان على الصلح
وأخذوا يده وحلف لهم الملك والافضل والظاهر وغيرهم وجميع أصحاب
البلاد المجاورة لبلادهم وعقدت الهدنة العامة في البر والبحر والسهل والوعر
لمدة ثلاث سنوات وثمانية أشهر ابتداءً من الحادي والعشرين من شعبان الموافق
أول سبتمبر

﴿ انتهاء الحروب الصليبية الثالثة ﴾

بعد انتهاء شروط الصلح المذكورة بين السلطان صلاح الدين وريكاردوس
ملك الانكليز ورئيس العساكر الصليبية الثالثة أمر السلطان صلاح الدين ان
ينادي في الوطقات والاسواق والمدن ان الصلح قد تم فمن شاء من المسلمين
الدخول في بلاد النصارى فليدخل ومن دخل من النصارى في بلاد المسلمين فلا
احديهم ثم أرسل مائة نقاب ومعهم أمير لاجل الاشتغال في هدم سور عسقلان
الذي بناه الصليبيون كما هو مذکور في شروط الصلح والخروج من بها من
الصليبيين وقد اقام مع النقاين بعض الصليبيين لاتمام هدم السور وكان ذلك
اليوم الذي تم فيه الصلح يوماً مشهوداً بين الطرفين ثم ان جميع العساكر
الصليبية طلبوا زيارة القدس الشريف قبل سفرهم فسارت العساكر الفرنسية
بقيادة دوك دي بورغونيا وبعد الزيارة توفي القائد المذكور وسافرت العساكر
الى بلادها ثم تبعتهم العساكر النمساوية وغيرها لاجل الزيارة وكان السلطان
صلاح الدين يرسل معهم الخفراء الى ان يتموا زيارتهم ويعودوا ولما وجد

ويكاردوس كثرة الزوار من الصليبيين أرسل الى السلطان صلاح الدين لكي يمنع كل من أراد الزيارة ما لم يكن معه تصريح من ريكاردوس ولكن السلطان لما وجد الامراء والقواد قدموا اليه بقصد الزيارة أي ردهم بل شرح في اكرام كل من يرد منهم وامدادهم بالطعام ومباستطمتهم ومحادثتهم وعرفهم أمر ملكهم وانه لم يلتفت اليه وارسل الى ريكاردوس يعتذره ويقول ان اقواماً وردوا علينا لاجل الزيارة فلا يمكن ان استحل منهم وقد مدح السلطان مؤرخوهم ثم أمر السلطان جميع العساكر الاسلامية بالانصراف الى بلادها

﴿سفر ريكاردوس ووقوعه في الاسر ببلاد النمسا﴾

وفي ليلة الاربعاء التاسع والعشرين من شعبان سنة ٥٨٨ سافر ريكاردوس من عكا بعساكره في المراكب قاصداً ببلاده وعند وصوله الى سواحل ايطاليا حصلت انواء عظيمة فغرق بعض مراكبه وكسر الباقي ثم ان هذا الملك أبي ان يسافر الى بلاده عن طريق البر ماراً ببلاد فرانسا (ليكره من الملك فيلبس لهدده ببلاده في غيابه ولم يعلم ما قدر له) وأراد السفر عن طريق بلاد النمسا فسار وحده متنكراً بصفة أحد زوار القدس والتزم ان يمر في مقاطعة الدوك ليوبولدوس دي أوتريش وكان هذا الدوك قد تكدر من ريكاردوس حالما رفع علمه على أحد أبراج عكا ورماه ريكاردوس في الخندق وكان أسره في نفسه ففي أثناء مسير ريكاردوس ببلاده وعلمه بذلك أرسل جنوده يفتشون على ريكاردوس ويقبضون عليه حيثما وجدوه فلما عثروا به قبضوا عليه واحضروه بين يدي الدوك المذكور المملوء عداوة وغيظاً فامر بسجنه في حبس مظلم تحت الارض (وهكذا تم لريكاردوس الشجاع الذي لم يقدر أحد ان يأسره في الحرب أسرفي السلم وحبس تحت الارض في حبس مظلم بعد عزه) واقام محبوساً بدون ان يعلم أحد به بقلعة تنيروس وأما زوجته برنجاريا فكانت في سفينة أخرى

لم يتفلب النوء عليها فنزلت البرسالة ووصلت رومية آمنة فسمعت بما أصاب
سفينه زوجها ولكنها لم تتحقق ذلك حتى رأت منطقة الذهبية تباع في السوق
فلبت تتوقع خبره

❦ في التفتيش على ريكاردوس ووجوده في

السجن ونقله الى سجن آخر ❦

وبعد ذلك صار عظماء الانكليز يرسلون الى جميع ممالك أوروبا
للبحث على ريكاردوس فما وجدوه وكان يوجد شخص اسمه بلونديل احد
خاصة ريكاردوس وكان يحبه ويرتاح الى مجالسته وكان في جملة أهل سفينته عند
غرقها ونجمعه ثم انفصل عنه في بعض المزدحمات ولم يعد يعرف مكانه حتى
سمع بالقبض عليه وسجنه ولكنه لم يعرف اسم السجن فأخذ يفتش السجون
متكراً فلم يقف له على خير فوصل يوماً الى قلعة تيبروس وقد اعياه التعب
(وهو بصفة شاعر بيده عود يضرب عليه وينقى) واستولى عليه اليأس
فأسند كتفه الى سورها وغنى أبياتاً كان قد نظمها هو وريكاردوس معاً فلم
يكذب بدأ بها حتى سمع تكلمها من داخل القلعة فعلم ان ريكاردوس هناك
فأسرع الى والدته الملكة اليونورا وجميع أرباب الحكم في بلاد الانكليز ولما
شاعت هذه القضية خاف ليوبولدوس دوك دي أوطريش من دوام حبس
ريكاردوس فأسرع في ارساله تحت الحفظ الى الملك هنري السادس ملك النمسا
وكان هذا الملك أيضاً عنده عداوة لريكاردوس وحسده على شجاعته فكان
يتربق الفرصة للانتقام منه فلما وصلت عساكر ليوبولدوس اليه ومعهم ريكاردوس
أمر بقيده بسلاسل حديدية

❦ محاكمة ريكاردوس ظلماً واطلاقه من الاسر ❦

لما وصل ريكاردوس الى هنري السادس وقيده بالسلاسل الحديدية أرسله الى

ديوان عظماء المملكة المنعقد وقتئذ في مدينة فورمس فهناك قد صورت البغضاء والحسد لريكاردوس جملة تهم اختلقوها وطلبوا الجواب منه عنها ولكن هذا الشجاع الباسل صاحب القلب القوي لم تزعجه سطوتهم ولا مدة سجنه ولا قيده بالسلاسل الحديدية فاجاب عن كل تهمة بما يفيد براءته ببراهين قوية دامغة فلما ظهرت براءته بكى أكثر رجال الديوان على ظلمه وخرج القضاة أيضاً بعد معرفتهم اختلاق هذه التهم وأما الملك فلم يتنازل عن بغضه وحسده فامر بسجنه دائماً. وأما عظماء الانكليز فكانوا دائماً مجتهدين في خلاص ملكهم بأي طريقة لانهم كانوا يحبونه حباً شديداً فتارة بالمخبرات مع الملك هنري المذكور والتوصل اليه وتارة بتوسط الملوك والأمراء وقد ذهب تمهيم سدي حتى التزموا بتوسيط البابا لماله من الرئاسة الدينية فلم تنجح وساطته وأخيراً أنفذوا اثنين من رؤساء ديور جرمانيا ليفتدياه من ملك النمسا بمئة وخمسين الف مارك فضة وبما ان خزنة الانكليز عجزت عن دفع هذا المبلغ التزمت الملكة اليونورا والدة ريكاردوس بان تكسر جميع الاواني الذهبية والفضية التي في قصرها الملوكي وأخذت أيضاً بعض اواني مقدسة من الكنائس وضربت الجميع مسكوكات لاجل اتمام دفع المبلغ المذكور الى هنري ثم أطلق سراحه فسار الى بلاده محفوقاً بالنجدة والاكرام وفيما هو في نورمنديا جاءه أخوه جون نادماً وجنا أمامه باكيماً مستغفراً فمفاعةه ولما وصل انكلترا قوبل بالاحتفال اللائق.

✽ سفر السلطان الى دمشق بعد الهدنة وعزمه على الحج ✽

بعد الهدنة سار السلطان الى القدس وأمر باحكام سوره وأنشأ به مدرسة ورباطاً وعمارستاناً وغير ذلك من مصالح المسلمين ووقف عليها أوقافاً وصام رمضان بالقدس وعزم على الحج والاحرام منه وكتب الى مصر واليمن بما عزم عليه

وأمر أن يحمل له في المراكب كل ما يحتاج اليه من الزاد والنفقات فأرسل القاضي
الفاضل الى السلطان بمنعه عن السفر وكذلك الامراء قالوا له لا يصح ان تسافر الى
الحج وتترك هذه البلاد على ما بها من الشعب وهذه المماقل التي في الثغور فان حفظها
من أهم الامور ولا تغتر بمقداهدنة فان القوم على ترقب ودأبهم الغدر وما زالوا
به حتى عدل عن هذا العزم وأقام بالقدس الى ان سافر ريكاردوس الى بلاده في
أول شوال سنة ٥٨٨ فعند ذلك عزم السلطان على دخول الساحل جريدة لتفقد
القلاع والحصون وأن يدخل دمشق ويقومها أياماً قلائل ويعود الى القدس سائراً
الى الديار المصرية لتفقد أحوالها والنظر في مناصرها وأقام على القدس عز الدين
جريدك وسار منها في يوم الخميس خامس شوال وجاوز ناحية البيرة ونزل بظاهر
تابلس وكان بها سيف الدين المشطوب وقد ظلم أهلها جملة مظالم فشكا أهلها الى
السلطان فأمر بآزاله ما يشكون منه ثم سار الى بيسان وصعد الى قلعتها المهجورة
ونظر قلعتها المالية وقال الصواب بناء هذه وتخریب كوكب ثم سار منها الى كوكب
نزل بطبرية وهناك حضر بين يديه الامير بهاء الدين قراقوش وكان قد أطلق من
أسره بمكا فتلقاء السلطان بالسرور والفرح وسار في خدمة السلطان الى دمشق
حتى أطلقوا باقي أصحابه المصريين فأخذهم وسار الى مصر ثم سار السلطان الى
قلعة صفد ومنها الى قلعة تبين وجاز على هونين ثم سار الى مرج عيون وجسر
حامد الى ان وصل بيروت فحضر البرنس بوهيه وند صاحب انطاكية بين يدي
السلطان وخدمه فأكرمه السلطان وأنعم عليه وعلى رؤساء عسكره ثم سار
السلطان الى دمشق بعد الفراغ من تصفح أحوال القلاع الساحلية بأسرها والنقدم
بسد خللها واصلاح أجنادها وشحنها بالرجال فدخل دمشق بكرة يوم الاربعاء
السادس والعشرين من شوال فخرج أهلها جميعاً صغيراً وكبيراً نساء ورجالا
للإقائه و عملوا له زينة عظيمة وأقام بها ومعه الافضل والظاهر والظافر
وأولاده الصغار .

﴿ مرض السلطان صلاح الدين ووفاته ﴾

كان السلطان يحب مدينة دمشق ويؤثر الإقامة فيها على سائر البلاد ولذلك أقام بها مدة في رغد وسلام مع ان المنية على عجزها مهاجمة هذا الباسل في ساحة الحرب لم تخف مهاجمته على فراشه وبين أولاده وأخواته ففي يوم الجمعة ١٥ صفر سنة ٥٨٩ ركب السلطان للافاقة الحج فعاد الى منزله كسلام غشيته حتى صفر اوية ثم أصبح في اليوم التالي أكثر كسلاً وضعفاً وما زال المرض يتزايد يوماً فيوماً الى اليوم التاسع من مرضه حدثت به رعشة وامتنع من تناول المشروب واشتد الارجاف في البلد وغشي الناس من الكآبة ما لا يمكن حكايته وكان القاضي ابن شداد والقاضي الفاضل يقيمان عنده الى ان يمضي من الليل ثلثه ثم ينصرفان فكان الناس يتربصون خروجهم الى يقرأوا أحواله من صفحات وجوههما وفي اليوم العاشر من مرضه حقن دفتين فحصل له راحة وبهض الحفة وتناول شيئاً من ماء الشعير وفرح الناس فرحاً شديداً ثم زاد به المرض حتى صار لا يقدر على التكلم ولما رأى الملك الافضل ما حل بوالده وتحقق اليأس منه شرع في تخليف الناس فجلس واستحضر القضاة وعمل له نسخة بين مختصرة تتضمن الخلف للسلطان مدة حياته وبعد وفاته للملك الافضل واعتذر للناس بان المرض قد اشتد وانه يفعل هذا احتياطاً على جاري عادة الملوك فخلف جماعة من الاكابر ولم يحضر أحد من الامراء المصريين وفي الليلة الثانية عشرة من مرضه وهي ليلة الاربعاء ٢٧ صفر اشتد مرضه وضعفت قوته وبات بجانبه الشيخ أبو جعفر امام الكلاسة يقرأ القرآن ويذكره بالله تعالى وكان ذهنه غائباً وذكر الشيخ أبو جعفر انه لما انتهى الى قوله تعالى هو الله الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة . سمعه وهو يقول صحيح وهذه لفظة في وقت الحاجة ولما بلغ الى قوله تعالى . لا اله الا هو عليه توكلت . تبسم وتهلل وجهه وسلمت روحه الى ربه

بعد صلاة الصبح من يوم الاربعاء ٢٧ صفر وكان يوم وفاته يوماً لم يصب
 الاسلام والمسلمون بمثله منذ فقد الخلفاء الراشدون رضى الله عنهم وغنى الملك
 والدنيا وحشة عظيمة وكان الناس يتمنون فداء من يفر عليهم بنفوسهم وكان
 سنه عند وفاته ٥٧ سنة ومدة حكمه ٢٦ سنة في مصر وسوريا فحضر الجميع
 وشيخوا جنازته ودفنوه في الدار التي كان متمرضاً فيها وكانت يديهم شقيقة الفقيده
 ست الشام وفرقت في الناس الصدقات العظيمة من جيبها الخالص وقام بالوزراء
 ولده الافضل ويقول بعض المؤرخين ان السلطان صلاح الدين لم يترك في خزينته
 الخصوصية الا ديناراً واحداً و٤٧ درهماً من الفضة ولم يجدوا في جميع
 صناديقه اثراً للذهب اولا غير من الحجارة الكريمة وذلك مما يدل على فرط
 كرمه لانه اصاب أموالاً كثيرة جاد بها جميعها وكان حلماً حسن الاخلاق
 متواضعاً صبوراً على ما يكره كثير التغافل عن ذنوب اصحابه يسمع من أحدهم
 ما يكره ويتغافل عنه ولا يعلمه بذلك وقد رثاه العماد بقصيدة مائتان انسان
 وثلاثون بيتاً منها

شمل الهدى والملك عم شتاته	والدهر ساءت واقلمت حسناته
أين الذي مذ لم ينزل مخشية	مرجوة رهباته وهباته
أين الذي كانت له طاعاتنا	مبذولة ولربه طاعاته
بالله أين الناصر الملك الذي	لله خالصة صفت نيته
أين الذي مازال سلطاننا لنا	برجي نداء وتقى سطواته
أين الذي عنت الفرنج لبأسه	ذلا ومنها ادركت نارته
اغلال اعناق العدا اسيافه	اطواق أجياد الورى مناته
لم يجد تدبير الطيب وكم وكم	اجدت لطلب الدهر تدبيراته
من في صدور الكفر صدرقاته	حتى تواترت بالصياح قنانه
في نصرة الاسلام يسهر دائماً	ليطول في روض الجنان سباته

لا تحسبوه مات شخص واحد فمات كل العالمين ممااته

تقسيم مملكة صلاح الدين على اولاده وماجري في اثناء الهدنة
ترك صلاح الدين من الاولاد ١٧ ذكوراً وأثني واحدة وهي مؤنسة
خاتون تزوجت ابن عمها ناصر الدين محمد بن سيف الدين الذي لقب بعدئذ
بالمالك الكامل واقتسم كل من اولاده واخوته واولادهم مملكته فيما بينهم غير ان
الحصص لم تكن متساوية فان ثلاثة من اولاده اخذوا اكبرها واقتنع الباقون
بمقاطعات صغيرة وتم كل ذلك بموافقة الامراء . فلقب اول اولاده المدعو
نور الدين بالمالك الافضل وكان من نصيبه مملكة دمشق والشطوط البحرية
وأورشليم (القدس) والبصرة وبناس وسوريا الغربية . ولقب أبو الفتح
الغازي بالمملك الظاهر غياث الدين فاخذ حلب وجميع سوريا الشرقية ومن
ضمنها حران وتل باشر وعيراز والمنبج واقب عماد الدين عثمان بالمملك العزيز
وتولى مصر بجميع أعمالها . ومن هؤلاء الامراء الثلاثة تكونت ثلاث دول
مختلفة هي الدول الايوبية الحلبية والدمشقية والمصرية أمامن بقي من تلك العائلة
فكانوا ولاية على بلاد اقطمهم اياها صلاح الدين قبل وفاته الا انهم كانوا تحت
سلطة هؤلاء الثلاثة فسيف الدين أبو بكر بن أيوب وأخو صلاح الدين الملقب
بالمملك العادل كان حاكماً الكرك والشوبك وناصر الدين محمد الملقب بالمملك
المنصور بن تقي الدين عمر بن شاهين شاه احداخوى صلاح الدين كان أميراً على
حماة والسلامية ومارا . وبهرام شاه الملقب بالمملك الامجد حفيد شاهين شاه
أيضاً كان ملقباً بملك الرها وشمس الدولة طورانشاه بن أيوب الذي كان قد فتح
اليمن بامر أخيه سنة ٥٦٩ كان قد أقام فيها مملكة وكان أخوه توغتنق حاكماً
فيها تحت اسم المملك المعز . وفي سنة ٥٩٠ سار المملك العزيز صاحب مصر بمساعره
وحاصر مدينة دمشق وكان بها الافضل فارسى الى عمه المملك العادل يستنجده

فجاءه وجاءه أيضاً أخوه الملك الظاهر صاحب حلب وجميع الأمراء الأيوبية واجتمعوا بدمشق فعلم العزيز بأنه لا قدرة له على أخذها فترددت الرسل بينهم على الصلح فاستقرت القاعدة على أن يكون البيت المقدس وما جاوره من أعمال فلسطين للعزيز وتبقى دمشق وطبرية وأعمالها للأفضل ويعطى الأفضل أخاه الملك الظاهر جبلة واللاذقية وأن يكون للعادل بمصر اقطاعه الأول واتفقوا على ذلك وعاد العزيز إلى مصر ورجع كل واحد منهم إلى بلده وفي سنة ٥٩١ سافر إلى دمشق ثانياً بقصد محاصرتها واستيلائه عليها وكان ذلك باغراء بعض مماليك أبيه المعروفين بالصلاحية مثل فخر الدين جر كس وسراستقر وغيرهم فسار الأفضل من دمشق واستنجد بعمه الملك العادل وباخيه الملك الظاهر فسبقه الملك العادل ودخل دمشق لثقتهم به ثم ان بعض الأمراء الأسيديّة الذين بقيادة العزيز راسلوا الأفضل والعادل بطلب انحيازهم لهما فقبلاهم واتفقوا بأن الأفضل والعادل يأخذان دمشق فعلم بذلك العزيز فخاف على مملكته فرجع إلى القاهرة ليحفظها وسار كل من الأفضل والعادل إلى ان وصلوا ببلييس فخاف العادل من الأفضل انه اذا أخذ مصر لا يعطيه دمشق فأرسل إلى العزيز بارسال القاضي الفاضل ليتوسط في الصلح فاستقر الأمر بان يكون للأفضل القدس وجميع البلاد بفلسطين وطبرية والأردن وجميع ما بيده ويكون للعادل اقطاعه القديمة ويكون مقوماً بمصر عند العزيز فتعاهدوا وعاد الأفضل إلى دمشق وتبقى العادل بمصر مع العزيز

﴿ استيلاء الملك العادل على دمشق ﴾

لما أقام العادل بمصر رأى ان حصته قليلة ومنصبه حقير بالنسبة لأولاده أخيه فتواطأ مع الملك العزيز على خلع الأفضل عن دمشق وتولية الملك العادل عليها فسار امعا من مصر إلى دمشق وحصرها واستمال أحد أمراء الأفضل واسمه العزيز بن أبي غالب الحمصي وكان الأفضل كثير الاحسان اليه والوثوق به فسلمه

الباب الشرقي ليحفظه فوعد العزيز والعاذل بفتحها لهم في اليوم السابع
والعشرين من رجب سنة ٥٩٢ فدخل منه الملك العادل وبعض رجاله ولما علم
الافضل ان عمه معه بدمشق أيقن ان البلد قد ملكت منه فخرج الى أخيه العزيز
وتحادثا ثم دخلا معاً واجتمعا بهما ثم استقل الملك العادل بدمشق وعاد
العزيز الى مصر وسار الافضل الى بغداد ملتجئاً الى الخليفة الناصر لدين الله
وكانا كلاهما شاعرين فكتب الافضل الى الامام الناصر

مولاي ان ابا بكر وصاحبه
وهو الذي كان قد ولاء والده
فخالفاه وحلا عقد بيعته
فاجابه الامام الناصر بقوله

وافي كتابك يا ابن يوسف معلناً
غصبا علياً حقه اذ لم يكن
فابشر فان غدا عليه حسابهم
بالود يخبر ان أصتلك طاهر
بعد النبي له يثرب ناصر
واصبر فناصرك الامام الناصر

﴿ ابتداء الحروب الصليبية الرابعة ﴾

(تحريض البابا وسفر العساكر الصليبية الرابعة)

لما توفي السلطان صلاح الدين كان البابا على رومية سيلاستينوس الثالث
قرأى تقسيم مملكة صلاح الدين على اولاده وعائلته فاغتم هذه الفرصة وأرسل
منشوراً الى ملوك أوروبا يقول لهم فيه (بان السلطان صلاح الدين قد توفي ومملكته
تقسمت على اولاده وعائلته وكل منهم قد استقل بنفسه وأخذ يطلب منهم الاتحاد
والخروج لتجريد حملة صليبية رابعة والاستيلاء على القدس قبر المخلص اعدم وجود
من يحميه من المسلمين) ولما وصل هذا المنشور الى الملوك لم يلتفتوا اليه لان
الملك ريكاردوس ملك الانكليز بعد اطلاقه من الاسر لم ير الاهتمام الا بصالح

مملكته والاستعداد لمحاربة ملك فرنسا وكذلك الملك فيلبس ملك فرنسا فانه
كان خائفاً على مملكته من ريكاردوس فكان هذان الملكان واقفاً أحدهما للآخر
بالمزاد ولذلك لم يهتما بمنشور البابا أما الملك هنريكوس السادس ملك النمسا
فانه كان قد حرمه البابا من يوم أسر ريكاردوس ولكنه لما وجد البابا عدم
التفات ملوك فرنسا وانكلترا أرسل وفداً الى ملك النمسا المذكور يطلب اليه
الاستعداد لترحل الى بلاد فلسطين وأخذ القدس من المسلمين مذكراً اياه
بمسائل والده فريدريكوس الاول فقبل الملك هنريكوس تجهيز الحروب الصليبية
الرابعة وفي جمعية عظماء المملكة المنعقدة في مدينة فورمس أعلن بالحروب
المذكورة وطلب من القواد والامراء المساعدة فقبل ذلك عدد عظيم من النمساويين
والالمانيين والجرمانيين وجميع البلاد الخاضعة لهذا الملك وكل منهم استلم صليباً
واستعد للسفر الى فلسطين ولما كان هنريكوس دأبه الطمع والجشع وحب المجر
الباطل وكان طامعاً في الاستيلاء على جزيرة سيسيليا فرح بهذا الاستعداد لينال
مرغوبه بهذه الوسيلة. ولما استعد كل الصليبيين للسفر انقسم جيشهم ثلاثة أقسام
وسار كل قسم من طريق مخصوص فالقسم الاول كان برئاسة الدوك دي
ساكس والدوك دي براينت وسافر بحراً من بين البحر البلطى والقسم الثاني
كان برئاسة الكونت دي لامبورك رئيس أساقفه مايا نص فاجتاز نهر الطونه
وسار نحو مدينة القسطنطينية والقسم الثالث كان برئاسة الملك هنريكوس
فسافر الى بلاد نابولي لكي يهلي الحرب التي كان عازماً عليها ضد جزيرة
سيسيليا

✽ وصول الصليبيين الى عكا واستيلاء المسلمين

على يافا وأخذ الصليبيين بيروت ✽

لما وصلت العساكر الصليبية الرابعة الى عكا عزمت على محاربة المسلمين وكان

هنريكوس كونت دي شمبانيا المتولي على بلاد الصليبيين بفلسطين قد عقد هدنة مع الملك العزيز صاحب مصر زاد فيها مدة الهدنة المعقودة بين صلاح الدين وريكاردوس فاخذ يقنعهم بالعودة عن الحرب حتي انتهاء الهدنة فابوا ذلك وخرجوا من عكا غاضبين يقصدون بلاد المسلمين فلما علم بذلك الملك العادل وكان بدمشق أرسل الى الملك العزيز بمصر يطلب ارسال العساكر وأرسل كذلك يطلب العساكر من البلاد الشرقية فجاءه الامراء واجتمعوا على عين جالوت في شهر رمضان سنة ٥٩٣ وبمض شوال ثم سار الملك العادل بجميع العساكر الاسلامية قاصداً يافوق حاصرها وشد في قتالها فملكها وخرب البلد فاعتصم الصليبيون بقلاعها فحاصرها وضايقها وملكها عنوة وقهراً بالسيف وذبح منهم ماينوف عن عشرين الف حسب تقريره مؤرخيه - م وكان هنريكوس كونت دي شمبانيا المذكور لم يزل يبكا وقد عزم على المسير بعساكر الصليبيين لاجل خلاص يافوق وقع من شبك بقصر فمات ثم بعد دفنه ساروا جميع الصليبيين لتجدة يافوق فبلغهم خبر استيلاء المسلمين عليها فمزموا على المسير نحو بيروت والاستيلاء عليها ولم يابغ ذلك الى الملك العادل أرسل اليها بعض العسكر لاجل هدمها وتخريبها فشرعوا في هدم سور المدينة في سابع ذي الحجة فنعهم اسامة (والي المدينة) من ذلك وتكفل بحفظها وعاد عسكر المسلمين منها فالتقوا بالصليبيين بنواحي صيدا وجرى بينهم قتال شديد قتل فيه كثير من الفريقين وحبز بينهم الليل وسار الصليبيون في ٩ منه فوصلوا بيروت فلما قاربوها هرب منها اسامة وجميع من معه من المسلمين فملكها الصليبيون صفواً عفواً بغير حرب ولا قتال فكانت غنيمة باردة وكان بها من أسرى الافرنج ماينوف على تسعة آلاف فاطلقوهم فأرسل العادل الى صيدا من خرب ما كان بقي منها لان صلاح الدين كان قد خرب اكثرها ثم سافرت العساكر الاسلامية الى صور فقطعوا أشجارها وخربوا ما لها من قري وأبراج فلما سمع الصليبيون بذلك رحلوا من بيروت الى

صوروا أقاموا بها ونزل المسلمون عند قلعة هونين وأذن العادل للمساكر الشرقية
بالمودظاناً منه ان الصليبيين يقيمون ببلادهم

✽ مسير القسم الثالث من الجيوش الصليبية الرابعة ✽

سار الملك هنريكوس بالقسم الثالث من المساكر الصليبية الى ان وصل الى
جزيرة سيسيليا فخارب أهلها وانتصر عليها واستعمل في حروبه معها القساوة
والعذابات البربرية حتي تتوج عليها سلطاناً (وكان قد تزوج بقسطانسا ابنة
روجار صاحب الجزيرة وكانت قسطانسا تستحق التملك عليها ولكن قد
زاحها تنكريد واستولى عليها وبعد وفاته كثرت التحزبات الى ان وصل
هنريكوس واستولى عليها) ثم ان هذا الملك عزم على السفر الى فلسطين ليحارب
سنة تكفيراً عن ذنوبه (لانه أصبح محروماً من رأس الكنيسة لمحاربتة
المسيحيين) فارسل الى عظماء مملكته بسفر كل من كان أقدم بالمسير الى الحروب
الصليبية وبعدها استعد للمسير الى فلسطين برئاسة هذا القسم عدل عن هذا
العزم وجعل كوزاد أسقف هيدالكسيم رئيساً عليه فساروا بحراً الى ان وصلوا
الى سوريا ففرح بهم جميع الصليبيين واشتدت قوتهم وعزموا على التوجه الى القدس
ومحاصرته ولما كان ذلك في فصل الشتاء ولم يمكنهم المحاصرة لشدة البرد انتظروا
فصل الربيع

✽ حصار حصن تبينين وقدم العزيز اليه ورجوع

الصليبيين على أعقابهم ✽

وفي أثناء انتظار الصليبيين دخول فصل الربيع لمحاصرة القدس عزموا
على حصار حصن تبينين وكان الملك العادل قد أتاه الخبر في منتصف المحرم سنة
٥٩٤ بانهم يريدون ان يحصروا تبينين فسير اليه عسكرياً يجهونه ويمنعون عنه

وأرسل أيضاً إلى العزيز بمصر يطلب منه أن يحضر هو بنفسه ويقول له ان حضرت
تخير والافلا يمكن حفظ هذا الثغر فسار العزيز مجدأفي من بقي معه من العساكر
ورحل الصليبيون عن صور ونازلوا تبين في أول صفر وقاتلوا من به وجدوا
في القتال ونقبوا من جهاتهم من تحت الجبل فلما علم بذلك من بالحصن وخافوا
ان يمتلكه الصليبيون بالسيف نزل بعضهم إلى الصليبيين يطلب الامان على انفسهم
وأموالهم ليسلموا القلعة فقال هؤلاء المسلمين بعض افرج سوريا ان سلمتم
الحصن استأمركم هؤلاء الصليبيون وقتلوكم فاحفظوا نفوسكم (وكان الخلاف
واقعا بين الصليبيين) فعادوا كأنهم يراجعون من في القلعة ليسلموا فلما صعدوا
إلى الأصرور على الامتناع وقاتلوا قتال من يحمي نفسه فحموها إلى ان وصل
الملك العزيز إلى عسقلان في ربيع الأول فلما سمع الصليبيون بوصوله واجتمع
المسلمين زحوا وخصوصاً لان ليس لهم ملك يجمعهم فاقاموا إلى ان
وصل الملك العزيز في أول شهر ربيع الآخر ورحل هو والعساكر
إلى جبل الخيل المعروف بجبل عاملة فاقاموا أياماً والامطار تهطل فبقى
إلى ١٣ منه ثم سار وقارب الصليبيين وأرسل رماة النشاب فرموهم ساعة
وعادوا ورتب العساكر ليزحف إلى الصليبيين ويجرد في قتالهم فرحلوا
إلى صور في منتصف الشهر ليلا ثم سار المسلمون إلى اللجون وتراسلوا
في الصباح وطال الامر فعاد الملك العزيز إلى الديار المصرية قبل انتهاء
الصالح

وفات الملك هنريكوس السادس وتعيين الملك امورى

على فلسطين وانتهاء الحروب الصليبية الرابعة

لما قتل هنريكوس دي شمانيا ملك فلسطين وترملت زوجته ايزابال

قدم الملك أموري ملك قبرص وتزوج بها وفي أثناء حفلة العرس ورد عليهم ما كدر خاطر جميع الصليبيين وهو نفي الملك هنريكوس السادس ملك النمسا فينئذ عزم جميع الامراء النمساويين والالمانيين على السفر الى بلادهم فركبوا سفنهم الى بلادهم ولم يبق منهم في سوريا الا ملك هو نكريا الذي حصلت بينه وبين العساكر الاسلامية مناوشات بجهة يافا فاحتاطت العساكر الاسلامية برجاله وقتلتهم عن آخرهم وكان قد حضر الكونت دي منتفورت الى سوريا منذ أيام قليلة فطلب من الملك العادل هدنة لمدة ثلاث سنوات فاجابه الى ذلك وكان في شعبان من السنة المذكورة وهكذا فقد انتهت هذه الحرب الصليبية

الرابعة

✽ وفاة العزيز صاحب مصر وتولية ابنه

المنصور وما جرى الا افضل ✽

في شهر محرم سنة ٥٩٥ صار العزيز الى جهة الفيوم للصيد فطارد ذئباً فنفر به جواده فسقط على الارض وأصابته حمى فماد الى القاهرة وحدث له يرقان وقرحة في الامعاء واحتبس طبعه فمات في ليلة العشرين منه وكانت مدة حكمه ست سنين الاشهرأ وكان عمره ٢٧ سنة وأشهرأ وكان في غاية السماحة والكرم والمدل والرفق بالرعية والاحسان عليهم وكان الغالب على دولة العزيز نحر الدين جهاركس فاقام على المملكة ولد العزيز وهو الملك المنصور محمد وكان عمره تسع سنين وشهورأ واتفق الامراء على احضار أحد بني أيوب ليكون انابكا للملك (أى وصياً عليه) فتشارروا بالامر بحضور القاضي الفاضل فاشاروا بالملك الافضل وكان بصرخد فارسلوا اليه فسار محثأ في ٢٨ منه فوصل الى بليس في ٥ ربيع الاول فخرج الملك المنصور للاقائه فترجل له عمه الملك الافضل ودخل بين يديه الى دار الوزارة وهي قد كانت مقر السلطنة وكان الافضل لما

وصل الى بلييس فاتفق ان أخاه الملك المؤيد مسعود صنع له طعاماً وصنع له خمر
الدين مملوك أبيه طعاماً أيضاً فابتدأ بطعام أخيه ليمين حلانها أخوه انه يبدأ به
فظن جهار كس انه فعل هذا انحرافاً عنه وسوء اعتقاد فيه فتغيرت نيته وعزم
على الحرب فحضر عند الافضل وقال ان طائفة من العرب قداقتلوا ويطلب
المسير اليهم ليصلحهم فأذن له الافضل ففارقه وسار مجداً حتى وصل الى القدس
ودخله وتغلب عليه ولحقه جماعة من الامراء الناصرية فقويت شوكتهم واجتمعت
كلهم على خلاف الافضل فأرسلوا الى العادل يطلبون قدومه ليدخلوا معه
الى مصر ليلكوها وكان محاصراً ماردين فلم يقدم اليهم وكان دخول الافضل
القاهرة في ٧ ربيع أول ولما سمع بهرب جهار كس المذكور أرسل اليه ايهود
قأب ويومئذ قام الافضل اتابكا على المنصور بمصر وكان الوزير وقتئذ سيف
الدين يازكج

وأرسل الملك الظاهر صاحب حلب الى أخيه الافضل يشير عليه بقصد
دمشق وأخذها من عمه الملك العادل وان ينتهز الفرصة لاشتغال العادل بحصار
ماردين فبرز الملك الافضل خارج مصر وسار الى دمشق وبلغ الملك
العادل مسيره الى دمشق فترك على حصار ماردين ولده الملك الكامل
وسار فسبق الافضل ودخل دمشق قبل نزول الافضل عليها بيومين
ونزل الافضل على دمشق ثالث عشر شعبان وزحف من الغد على
البلد وجرى بينهم قتال وهجم بعض عسكره على المدينة حتى وصل الى
باب البريد ولم يردهم العسكر فتكاثر أصحاب العادل وأخرجوهم من البلد ثم
تخاذل العسكر فتأخر العادل الى ذيل عقبة الكسوة ثم وصل الظاهر صاحب
حلب لتجدة أخيه فماد الى مضايقة دمشق وداوم الحصار عليها وقتلت الاقوات
عند الملك العادل حتى أهل البلد وأشرف الافضل والظاهر على املاك دمشق
وعزم العادل على التسليم ولكن حصل بين الاخوين منافرة فغضب الظاهر

وترك قتال عمه العادل لآخيه الأفضل وظهر الفشل في المساكر ثم انهما تأخرا
بمخرج الصفري في آخر صفر سنة ٥٩٦ ثم سارا الى رأس الماء ليقبها به الى
انقضاء فصل الشتاء ومنه سار الأفضل الى مصر والظاهر الى حلب ولما
افترقا خرج الملك العادل في أثر الأفضل الى مصر ولما وصل الأفضل الى
بلادهم تفرقت عساكرهم في بلادهم الى الربيع فادر كه عمه العادل فخرج الأفضل
بمن بقي عنده من العسكر وضرب معه مصافاً بموضع يقال له السائح في ٧ ربيع
آخر فانكسر الأفضل وانهمزم الى القاهرة ودخلها ليلاً ثم سار العادل في أثره
وأتى القاهرة وحصرها فجمع الأفضل من عنده من الامراء واستشارهم فرأى
منهم تخاذلاً فارسل الى عمه في الصلح وطلب العوض عن مصر وتسليمها اليه
وأن يكون العوض ميفارقين وحانى وسهيساط فاجابه الى ذلك وتحالفا عليه
وخرج الأفضل من مصر ليلة السبت ١٨ منه واجتمع بالعادل وسار الى صرخد
وأرسل من يستلم البلاد المذكورة فامتنع نجم الدين أبوب ابن العادل عن تسليمه
ميفارقين وسام ماعداها

✽ خلع الملك المنصور وسلطنة الملك العادل على مصر وسوريا ✽

ودخل الملك العادل القاهرة يوم السبت ١٨ ربيع آخر سنة ٥٩٦ ولما
خلاله الجو وثبتت قدمه فيها خلع الملك المنصور محمد بن عبد العزيز في شوال
بعد ان حكم ٢١ شهراً وتولى الملك العادل سلطنة مصر وسوريا وخطب لنفسه
فام يرض بذلك الامراء المصريون فراسلوا أخويه الظاهر بحلب والأفضل
بصرخد وتكررت المكاتبات والمراسلات يدعونهما الى قصد دمشق وحصرها
فليخرج العادل من مصر اليهم فيسلمونها - م مصر فحضر الظاهر والأفضل الى
دمشق وحاصراها وبعد قتال مع من بالبلد وكان العادل أرسل اليها من يحفظها
حصل بين الاخوين منافرة فمادا الى تجديد الصلح مع العادل . واستقرا على ان

يكون للظاهر منييج واقامية وكفر طاب وقرى معينة من المعرة ويكون
 للافضل سيمساط وسروج ورأس العين وحملين ورحلا عن دمشق أول محرم
 سنة ٥٩٨ وسار العادل الى دمشق فوصلها تاسع شهره وما زال يشتغل
 حتى جعل جميع الحكام الايوبيين في الامارات الصغيرة خاضعين لسلطانه وفي جملتهم
 الظاهر والافضل فمادت المملكة الايوبية بمدان انقسمت حصصا الى مملكة واحدة
 تحت سلطان واحد

وفي سنة ٥٩٨ أيضاً أخرج الملك العادل الملك المنصور محمد بن العزيز من
 مصر الى الشام فسار بوالدته واخوته واقام عنده الملك الظاهر بحلب

﴿ الحروب الصليبية الخامسة ﴾

(تحريض البابا اينوشانسيوس الثالث على الحروب الصليبية)

لما جلس على كرسى السدة البطرسيية برومية البابا اينوشانسيوس
 الثالث وعمره ٣٣ سنة أراد أن يجعل له أثراً يذكركر فاخذ يحرض على الحروب
 الصليبية وأرسل الى جميع ملوك أوروبا منشورات بالاتحاد على الحروب الصليبية
 لتخليص قبر المسيح من أيدي المسلمين ثم أرسل نوابا الى الملوك والى جميع قواد
 المساكر ورؤساء الكنائس والى شعوب فرانس وانكلترا وهونكاريا وسيسيليا
 وقد أعلن لهم على انه عازم أن يضحى أعز ماله به بشأن استنقاذ قبر المسيح
 وحيث ان ريكاردوس ملك الانكليز وفيلبس ملك فرانس كانا دائماً متحاربين
 مع بعضهما بخصوص بلادهما فكان لا يمكنهما ترك بلادهما والتوجه للحروب
 صليبية ولذلك قد أرسل اليهما البابا الكردينال بطرس ليتوسط بينهما في الصلح
 باسمه وأن يعقد هدنة بينهما لمدة خمس سنوات فام تحصل ثمرة ولم يتم صلحهما
 وكذلك كان أوثون والى ساكسيا وفيلبس أمير سوابا فانهما كانا يخاصمان أمير
 جرمانيا وجميع مملكة النمسا متداخلة في هذا المشكل ولهذا الاسباب لم تتم

تحريرات البابا . ثم انه كان يوجد في فرانساه كاهن اسمه فولك خورى
 كنيسة نويلى سور فارنا وكان محبوباً عند الشعب لفصاحته وطلاقة لسانه
 حتى انهم كانوا يلقبونه بالقديس فارسل اليه البابا وفداً ومعه تفويض منه
 بإنذارات الحروب الصليبية فقبل فولك هذا التفويض وأخذ بالطواف ومعه
 بطرس دى رزونى لاجل ان ينذر بالحروب الصليبية فسار متجولاً في بلاد
 نورمانديا وفلاندر او بورغونيا فكان يخطب فيهم ويحثهم على الاستعداد للسفر
 الى الحروب الصليبية لتخليص قبر المسيح مفدى العالم ثم سار الى قلعة داكرى
 وكانت هناك جمعية عمومية من رؤساء العساكر في وليمة قد أعد لها لهم تيوبات
 كونت دى شمبانيا وصار يخطب فيهم ويحثهم ويطلب منهم النظر الى البلاد المقدسة
 وما زال بهم حتى ان تيوبات كونت دى شمبانيا وهو أخو هنريكوس ملك
 فلسطين المتوفى وابن أخى سلطان فرانسوا بن أخت سلطان انكلترا قبل التوجه
 الى فلسطين واستنقاذ القدس من المسلمين تحت راية الصليب وتبته كل من كونت
 دى تشارتراس . وكونت دى بلواز وكونت دى سانيول . وسيمان دى منقورت
 ورنهارد . وپرنردوس دى مونتيريل وأخوه والكونت غوتير . والكونت
 يوحنا دى بريانا ومنسى دى ليزلا ورانود دى رايبارا . وهتى دي موغوراسى
 وهو كوزورمباتوس دى بورن وكونت دى أميانس والكونت رانود دى
 بولونيا . وجفر وكونت دى براش وجفر وكونت دى فيلاهدوين والمرشال
 دى شمبانيا

* (سفر العساكر الصليبية الخامسة واتحادهم

مع مشيخة البندقيه) *

اقتنى قواد بلاد فلاندر اتر من ذكروا فاقسم كل من الكونت بودوين
 واسطا كيوس وهنريكوس أخوه ويعقوب دى انسا ومحافظ قلعة بورجس

ويوحنا دي زالاوكونون دي بيوتونا وغيرهم على المسير تحت راية الصليبيين
لانتقاد القبر المقدس وتعين رئيساً عاماً على هذه الجيوش تيوبات كونت دي
شمبانيا ثم اجتمع الرؤساء في مدينة سواسنوس ثم في مدينة كومينا واتفقوا
على ان المراكب تسافر الى المشرق بحراً وان يرسلوا وفداً الى مشيخة
البندقية لاجل ان ترسل صرا كبا لتفهم الى براسيا وسار الوفد الى ان
وصل البندقية في سنة ٥٩٦ وتقدم هذا الوفد بين يدي الدوجا (لقب رئيس
مشيخة البندقية) هنريكوس داندونوا وعرض عليه الرسائل وطلب منه
المساعدة بارسال المراكب لنقل الصليبيين فقال لهم باي شروط فقالوا كما تريد
فاشار الدوجا بطريقتين احدهما ان يرسل صرا كبا لنقل الصليبيين لحمل أربعة
آلاف وخمسة مائة من الفرسان وعشرين الفاً من الرجال وتستطيع ان توسق
الذخائر اللازمة لهذا العسكر لمدة تسعة شهور بشرط ان يدفعوا له خمسة
وثمانين الف وزنة فضة والثانية انه يرسل خمسين مركباً بعساكرهم صلبة
الصليبيين وان جميع الغنائم تقسم بينهم مناصفة أي للصليبيين النصف
وللبندقيين النصف الاخير ثم أرسلوا الشروط الى البابا ليصدق عليها فصدق
عليها ثم عاد رجال الوفد الى الصليبيين فوجدوا تيوبات الرئيس العام مريضاً
ثم مات فانتخبوا رئيساً عليهم بوتيفا سيوس أمير مونتفرات واستلم الصليب
من يد فولك الحوري بمحضر من الاكايروس في كنيسة السيدة مريم البتول ثم
سار الصليبيون من بلاد فرانساجتازوا الجبال الالية وواصلوا الزحف الى ان
وصلوا الى البندقية وهناك قاباهم أهلها باكرام واحترام وقد أعدوا لهم المراكب
اللازمة وزيادة حسب الشروط وطلبوا منهم ان يدفعوا لهم مبالغ ٨٥ الف
وزنة فضة فوجد الصليبيون ان لاقدرة لهم على دفع المبلغ جميعه ودفعوا ثلثه فقط
فلذلك رئيس مشيخة البندقية أجمع امرائه وقال لهم بما ان الصليبيين ليس معهم
الآن باق المبلغ المتفق عليه فارى الاحسن ان تأخذهم مضافي مقابلة باقي المبلغ

لمساعدتنا على اخضاع مدينة زارا التي اغتصبها منا سلطان هونكراف قبل هذا
الرأي رؤساء الصليبيين وأما الصليبيون أنفسهم فأكثروا رفض قبوله وكذلك
الوكيل البابوي بطرس دي كابوا رفض هذا الرأي وقال انه نفاق ولكن الدوجا
هنريكوس أراد ان يجذب الجميع الى رأيه وهذا ويتم مرغوبه وانتصاره على
هذه المقاومة فاجتمع هو ورؤساء عساكره وشعبه في كنيسة القديس مرقس
واتخذ علامة الصليب على صدره وتبعه جميع شعبه فصاروا جميعاً صليبيين
ومتحدين معاً تحت راية الصليب فثبت على رأيه ورفض معارضة الوكيل
البابوي وغيره

﴿ محاربة الصليبيين مدينة زارا والقسطنطينية وغيرها ﴾

سار جميع الصليبيين ومعهم أهل البندقية الى ان وصلوا الى مدينة زارا
وحاصروها مدة أسبوعين وفي كل يوم يقاتلونها وأخيراً انتصروا على من في المدينة
واستولوا عليها واقتسموا غنائمها بالسوية بينهم حسب الشروط ولمناسبة دخول
فصل الشتاء عزموا على الإقامة بهذه المدينة الى ان ينقضي بسلام ثم ارسل اليهم
البابا يوجنهم على محاربتهم المسيحيين وتأخيرهم عن التوجه الى فلسطين فارسلوا
له وفداً لاجل ان يعتذر لهم امامه ويطلب منه المغفرة والبركة فسأحهم البابا ثم انه
قدم للصليبيين وفداً من الملك فيليبس سوابا أحد ملوك النمسا يطلب منهم
مساعدة اليكسيوس ابن ملك القسطنطينية اسحاق وتلايكة عليها (لان عمه
اغتصب المملكة من أبيه وسجنه وسجن أباه بهدمل عينيه بالقسطنطينية فتخلص
الولد المذكور وسافر الى صهره الملك فيليبس) وتمهد بدفع مائتي الف وزنة من
الفضة بصفة مصاريف للصليبيين وأن يضع مملكة الروم كلها تحت طاعة
الكنيسة الرومانية وانه يقدم للصليبيين ما يحتاجون اليه من القوت ويتبعهم الى
بلاد فلسطين أو يرسل معهم عشرة آلاف محارب فانه قد مجلس مشورتهم وبعد

معارضة من بعض الرؤساء قرر قبول هذه الشروط المقدمة لهم وانه في فصل
الربيع ينزلون في المراكب ويسرون الى القسطنطينية . ثم وردت اليهم رسائل
من البابا بتوبيخهم علي ما عزموا عليه فلم يلتفتوا اليه وباشروا في الاستعداد كما
تقرر ثم حضر اليهم اليكسيوس نفسه وجدداما مهمتوسلاته . ثم سار الصليبيون
بالمراكب الى ان وصلوا ميناء دورتسيوس وميناء كورفو وهناك نودي بالامير
الكسيوس ملكاً ثم ساروا في البحر أيضاً وكما وصلوا الى مدينة أوبلد نادوا
بان الملك هو الكسيوس الى ان وصلوا الى مدخل البسفور ورموا مراسيمهم
عند شط مدينة القديس استفانوس ثم قرروا بانتشار اعلامهم على المراكب
وبفك القلوع وعبور كل العمارة في الخليج الكبير وقد ساعدتهم الريح الى ان
صاروا تحت أسوار القسطنطينية فطلبوا الى البرفارس اليهم ملك القسطنطينية
وقتئذ يسألهم عن أمرهم فقالوا للرسول انا حضرنا لاجل رد المملكة الى
الملك الكسيوس بن اسحاق صاحبها الاصلى واذا لم يشأ تسليم المملكة بدون
حرب فاعلمه باننا سنأخذها بالقوة ثم قرر مجلس مشورتهم بانتقال العساكر
الى الجهة الثانية المحاصرة القسطنطينية من كل جهة وكان ذلك في شهر القعدة
سنة ٥٩٩ وانتشبت الحرب بين الفريقتين فتغلبت العساكر الفرنساوية على برج
غلطة وأخذوه ووضعوا علمهم فوقه وفي الوقت نفسه تغلبت عساكر البندقية
على قطع السلسلة الحديدية التي تمنع المراكب من دخول قرن الذهب ودخلوا
في قلب المدينة وتبعهم نحو عشرين الف مقاتل من الفرنساويين وحاصروا
المدينة من البر والبحر وبعد قتال شديد بينهم أظهر فيه الشجاعة أهل البندقية
والدوجا كل النشاط والشجاعة مع انه كان كفيف البصر ثم استولى الصليبيون
على المدينة قهراً واضرموا النار في المنازل القريبة من السور اما الملك فانه
هرب في ظلام الليل ونزل في مركب مع خزائنه وسار مفتشاً على موضع
يلنجيء اليه ثم ان الروم هجموا على السجن واخرجوا منه الملك اسحاق

وأجلسوه على تخت الملكة فإرسى اليه الصليبيون يطلبون منه التصديق على الشروط التي حررها ولده الكسيوس في مدينة زارا وتنفيذ مفعولها فهاله المبلغ المعين ولكنه كتم امره وأظهر رضاه بالتصديق عليه ثم إن الصليبيين توجهوا ولده الكسيوس ليكون شهيداً في الملكة

* ثورة القسطنطينية وامتلاك الصليبيين لها *

وبعد ذلك طاب الصليبيون من الملك المباح المعين في الشروط وإن تكون حاكم الروم خاضعة للبابا فينئذ اجبر الملك الكسيوس بطريك القسطنطينية بالاعتراف بسلطة البابا الدينية ثم أمر بجمع المال من الاعمال ولكنه لم يتم له تسديد المبالغ فأخذ جميع الاواني المقدسة التي بالكنائس وحملها وضربها مسكوكات لاجل تسديد المبالغ ولذلك تضررت الروم باجمعها وانه زاد ضررها أن عساكر الصليبيين الفلامنديين اشعلوا النار في كنيسة ليهود فاحترقوا وانتهت النيران في باقى المدينة فلذلك جاهر الروم بالعداوة للصليبيين بقيادة من يدعى الكسيوس مورزوفلاو قبضوا على الملك الكسيوس وقتلوه ثم ان اباه الملك اسحاق مات حزناً على ولده المذكور فانتخب الروم الكسيوس مورزوفلاو ملكاً عليهم واستعدوا لمحاربة الصليبيين وكذلك الصليبيون استعدوا لمحاربة الروم ونزلوا في المراكب واقتتل الفريقان فتأخر الصليبيون وبعد ثلاثة ايام انتصروا على الروم واستولوا على المدينة عنوة وأوقفوا بأهلها القتل والنهب وصاروا يجولون في المدينة شامري سيفوفهم مشعل مشعلهم ليحرقوا بها الدور فأحرقوا اكثر منازل المدينة فالتجأت النساء الى كنيسة اياصوفيا للاحتباء بها نخرجت الاساقفة والقسس حاملي النجيل امامهم يطلبون من الصليبيين الامان وان يبقوا على أهل المدينة فلم يلتفتوا اليهم فانظر رافة الصليبيين الذين خرجوا من بلادهم بقصد تخليص قبر المسيح وادعاهم بالشفقة على مسيحي المشرق كيف فعلوا في مسيحيين

القسطنطينية من القتل والنهب وحرقت المدينة (وصاروا يقتلون وينهبون حتى
كنيسة اياصوفيا نفسها فقد احرقوا جميع ما فيها من الستائر والتصاوير وغيرها
ونبشوا قبور الملوك المدفونين فيها واخذوا ما بها من الذهب والاحجار الكريمة
ولم يبقوا في المدينة منزلاً بدون نهب وقتل وكذلك احرقوا وكسروا جميع
التماثيل المقامة بالميادين العمومية وقد خرج بطريك الروم هاربا من القسطنطينية
حافي الاقدام تاركاً جميع امتعته لنهب الصليبيين وهرب مورزوفلا في احد
المراكب

* (تويج بودوين على القسطنطينية وما جرى للصليبيين

بها وانتهاء الحروب الصليبية الخامسة) *

بعد امتلاك الصليبيين بلاد الروم شرعوا في انتخاب احدهم ليكون ملكاً
على القسطنطينية فاختاروا ستة اشخاص ومن البندقيين ستة اشخاص وادخلوا
الاثني عشر كنيسة اياصوفيا وطلبوا منهم ان ينتخبوا احد الرؤساء الصليبيين
ليكون ملكاً فاقاموا بالكنيسة يومين ثم خرجوا ونادوا بان الذي يكون ملكاً
هو بودوين كونت دي فلاندر افاقموه ملكاً ثم شرعوا في تقسيم المملكة
ووظائفها فاستخدم بودوين أكثر رؤساء الصليبيين ليكونوا حكماً على البلاد
الرومية وكذلك أهل البندقية وكان ذلك في سنة ١٢٠٤ ميلاديه الموافقة
٦٠١ هجرية ثم انعقد مجلس مشورتهم وقسم المملكة الرومية قسمين قسماً
للفرنساويين والقسم الآخر لأهل البندقية ثم ان بودوين ملك القسطنطينية
قد أرسل رؤساء الصليبيين الى البابا يملونه بما امتلكوه ويعتذرون اليه لتأخرهم
عن التوجه الى البلاد السورية فغضب عليهم لمحاربة اخوانهم المسيحيين وبلغت
انتصارات الصليبيين المذكورة على بلاد الروم اقصى البلاد فسارت خيالة
الجمعيات الرهبانية جمعية الهيكلين وجمعية القديس يوحنا المعمدان اليها ولما

استوطن الصليبيون القسطنطينية ارسلوا الى البلاد حكماوعساكر منهم فكانوا
 كما ذهبوا الى مدينة لاختضاعها يخرج عليهم الروم ويقاتلونهم وهكذا تفرقت
 عساكر الصليبيين في جميع البلاد وعن عساكرهم أهل باغاريافاسروا بودوين
 المذكور وقتلوه فجلس بدلا عنه اخوه هنريكوس دي هالينوات ملكا على القسطنطينية
 ثم ارسلوا الى بلاد فرانسوا واطاليا يطلبون النجدة منهما مستغيثين بأهلها وقد
 اقامت هذه المملكة تحت حكم الفرنساوية نحو سبعة وخمسين سنة ثم استردها
 الروم منهم وهكذا انتهت الحروب الصليبية الخامسة بدن محاربة او قتال مع
 المسلمين

﴿ مناوشات الصليبيين والملك العادل ﴾

واما الملك العادل ظل متمتعاً بملكه العظيم وكما انقضت هدنة بينه وبين
 الصليبيين جددوها وفي سنة ٦٠٤ خرج الصليبيون الذين بطرابلس وحصن الاكراد
 واكثروا الاغارة على بلد حمص وولايتها ونازلوا مدينة حمص وكان جمعهم
 كثيراً فلم يكن لصاحبها اسد الدين شيركوه بن محمد بن شيركوه قوة على دفعهم
 ومنهم فاستجد بالظاهر غازي صاحب حلب وغيره من ملوك الشام فلم ينجده
 أحد الا الظاهر فانه سير اليه عسكرياً اقام عنده ومنع الصليبيين عن ولايته وفي
 هذه السنة أيضاً خرج أهل قبرص علي الاسطول المصري فاخذوا منه سراكب
 وأسروا من بها فارسل الملك العادل الى الملك أموري صاحب عكا في رد ما
 أخذوه وقال له حيث اتنا في صلح فام غدرتم باصحابنا فاعتذر الملك أموري
 وقال ان أهل قبرص ليسوا في طاعتي بل هم تابعون القسطنطينية ثم انه حصل
 غلاء بقبرص وتعذرت عليهم الاقوات فذهب أهلها الى القسطنطينية فاعادوهم
 الى حكم سوريا ثم راسل الملك العادل أموري صاحب عكا فلم ينفصل حال
 تخرج الملك العادل من مصر بالعساكر الكثيرة وقصد مدينة عكا فصالحه صاحبها

علي قاعدة استقرت باطلاق اسرى المسلمين وغير ذلك ثم سار الى حمص ونزل على بحيرة قدس وجاءته عساكر الشرق وديار الجزيرة ودخل بلاد طرابلس وحاصر موضعاً يسمى القليعات واخذه صلحاً واطلق صاحبه وغنم ما فيه من دواب وسلاح وخزبه وتقدم الى طرابلس فتهب واحرق وسبى وغنم وعاد الى بحيرة قدس وترددت الرسل بين الصليبيين في الصلح فاصطلحوا

✽ موت الملك اموري صاحب عكا وتعيين خلفه والتحرير

✽ على الحروب الصليبية السادسة ✽

في سنة ٦٠٦ مات الملك اموري ملك سوريا وماتت زوجته فأرسل الصليبيون المقيمون بسوريا الى الملك فيلبس او غسطن ملك فرانسا يخبرونه بذلك فعين يوحنا بريانا ملكا على سوريا فرضى به البابا وباركه وسار يوحنا المذكور الى فلسطين فقابله الصليبيون باحتفال عظيم وتوجوه بتاج الملك عليهم ولما جلس هذا الملك داخله الطمع فإرسل الى البابا والى ملوك أوروبا يطلب اليهم تجريد عساكر صليبية سادسة لاجل تخليص القدس من المسلمين والاستيلاء على جميع البلاد الاسلامية بسوريا

✽ ابتداء الحروب الصليبية السادسة ✽

(التحرير على الحروب الصليبية السادسة والصليبيون الفتيان ومؤتمر رومية) لما أرسل يوحنا بريانا ملك سوريا الى البابا والى ملوك أوروبا كما تقدم أرسل البابا الى الاساقفة ورؤساء الكنائس في جميع الممالك الأوروبية بالحضور الى رومية لعقد مؤتمر بذلك ولما وصلت رسل يوحنا المذكور الى بلاد أوروبا صاروا يحثون الناس على الحروب الصليبية فتجمع كثير من الشباب تحت اسم الصليبيين واتخذوا الصليبان على صدورهم وساروا مجددين واجتازوا

الجبال الالوية واقليم لومبارديا ونزلوا على ايطاليا وامامهم راية الصليب لاجل
نزولهم في المراكب وتوجههم الى فلسطين فلما علم بذلك البابا باركهم ونزل
اكثرهم بالمراكب فداهمتهم عواصف بحرية فاغرقتهم بمراكبهم قريبا من
الشطوط فامر البابا بانتشاطهم ودفنهم بالشاطئ وبني عليهم كنيسة دعاها
كنيسة الفتيان الابرار وتشتت باقي الصليبيين الفتيان بعد ذلك في البلاد فمنهم
من رجع الى بلاده ومنهم من خدم في فلاحه ارض ايطاليا وفي سنة ٦١٢
انعقد المؤتمر في مدينة رومانية بكنيسة القديس يوحنا تحت رئاسة البابا
اينوشانسوس وقد اجتمع فيه ما بين ٥٠٠ من الاساقفة ورؤساء الكنائس
وكذلك بطريرك القسطنطينية و بطريرك القدس ووكلاء كل من انك
فريدريكوس ملك النمسا وفيلبس ملك فرانسا وملك الانكليز وملك هونكريا
فتمام فيهم البابا خطيبا بفصاحة يصف لهم توب مسيحي الشرق وما يتاسونه من
العذاب وان القدس معطي بازار الحزن الاسود ومقيد بسلاسل حديدية تحت
عبودية الاسلام وصار يحثهم على حض جميع المسيحيين لتحضير عسا كرصليبية
سادسة كي تنقذ قبر المسيح من ايدي المسلمين وبعد عدة جلسات تقرر بان
البابا والكردينالية يتقدمون عشر مداخيلهم لنفقات هذه الحرب المستجدة
وكذلك الكنائس روساء وهرؤوسين يتقدمون نصف عشر مداخيلهم
وتعهد جميع ملوك أوروبا برضاء تام على ابطال الحروب من بلادهم مدة خمس
سنوات وفي سنة ٦١٣ توفي البابا المذكور فتمين خلفاً له البابا أونوريوس الثالث
ولما توسد السدة البطرسية حذا حذو سلفه في التحريض على الحروب الصليبية
السادسة فارسل من عنده وفوداً الى جميع ملوك أوروبا بالتحريض والحث على
تجهيز الحروب الصليبية المذكورة وذكركهم بوعودهم

* (سفر العساكر الصليبية السادسة) *

استمد للسفر تحت علم الصليب كل من الملك اندراوس الثاني ملك هونكري و
 وليوبولدس دوك دي او طريش ودوك بافيرا وغيرهما من الامراء والقواد
 فساروا الى ان وصلوا مدينة سبولاترو وهناك انتظروا قدوم المراكب من البندقية
 كي توصلهم الى فلسطين وسافر من مرسيليا وجينوى وبرنيدياس جيوش كثيرة
 في المراكب الى فلسطين فسبقوا ملك هونكريا ومن معه وكذلك هو كز الاول
 سلطان قبرص فانه عند ما علم باخبار هذه الجيوش الصليبية السادسة اخذ معه
 اشرف دولته وعساكره ونزل بالمراكب من مينايبيسون وسافروا جميعاً
 الى عكا ولما وصلوا اليها كان زادهم قد قل وأرض سوريا كانت وقتئذ مجربة
 فاضطروا للاختف والنهب ثم خرجوا من عكا وأغاروا على البلاد الاسلامية
 وكان الملك العادل بمصر فسار منها توجاً الى الشام

* (محاربة الصليبيين مع الملك العادل وسفرهم الى مصر

وسفر ملك هونكريا و قدوم صليبيين آخرين) *

لما وصل الملك العادل الى الرملة ومنها الى اللد برز له الصليبيون من
 عكا فسار العادل نحوهم فوصل الى نابلس عازماً على ان يسبقهم الى اطراف
 البلاد مما يلي عكا ليجمها منهم فساروا هم فسبقوه فنزل على بيسان من الاردن
 فتقدم عليه الصليبيون في شعبان سنة ٦١٤ هـ عازمين على محاربتهم لعلهم انه في قنيل
 من العسكر لان جنوده كانوا متفرقين في البلاد فلما رأى العادل قربهم منه لم ير ان
 يلقاهم في من معه خوفاً من هزيمة تكون شراً عليه وكان حازماً كثير الحذر
 فنارق بيسان نحو دمشق ليقم بالقرب منها ويرسل الى البلاد ويجمع العساكر
 فوصل مرج الصفر فنزل فيه فاخذ الصليبيون كل ما كان في بيسان من الذخائر

وكانت كثيرة ونهبوا البلاد من ييسان الى بانياس وبشوا سراياهم في القرى الى ان وصلوا الى خسفين وأطراف السوداء ونازلوا بانياس وأقاموا عليها ثلاثة أيام ثم عادوا عنها الى مرج عكا وأقاموا به أياماً ثم خرجوا منه الى صور وقصدوا بلد الشقيف ونزلوا وبينهم وبين بانياس مقدار فرس - خين فنهبوا صيدا والشقيف وعادوا الى عكا وكان هذا في النصف الاخير من رمضان ثم سير الملك العادل ولده الملك المعظم عيسى صاحب دمشق في قسم من جيشه الى نابلس ليمنع الصليبيين عن المقدس اما الصليبيون فانهم ساروا بجمعهم الى ان وصلوا قلعة الطور وهي قلعة منيعة على رأس جبل بالقرب من عكا كان العادل قد بناها حديثاً فتقدم اليها الصليبيون وحاصروها وركبوا عليها المنجنيقات وآلات الحصار وزحفوا اليها وصعدوا على جبلها حتى وصلوا الى سورها وكانوا يملكونه ثم ارتدوا عن القلعة وتركوها وساروا الى عكا وبعد رجوعهم حصل لهم فشل لان معسكرهم كان مركباً من ثلاثة رؤوس وهم ملك هونكريا بعساكره وملك قبرص وملك سوريا وكان معسكرهم مقسماً ان ملك قبرص مرض ومات وكان عازماً على الرجوع الى مملكته وكذلك ملك هونكريا تزم على الرجوع أيضاً ولكنه خاف لوم الصليبيين فأبقى نصف جيشه في سوريا تحت قيادة يوحنا ملك سوريا ورجع هو الى بلاده ثم وردت عساكر صليبية أخرى من بلاد فرنسا واطاليا وكانوا قد تأخروا عن المسير لمحاربة مسلمي اسبانيا وولم يصلوا الى عكا فرح جميع الصليبيين والمسيحيين بقدمهم وعقدوا مجلس مشورتهم فقرر سنر جميع الصليبيين من سوريا الى الديار المصرية ومحاربة المسلمين هناك

﴿ محاصرة الصليبيين لمدينة دمياط ﴾

قصد الصليبيون مدينة دمياط فوصلوها في يوم الثلاثاء ٤ ربيع اول سنة ٦١٥ وهم نحو من ٧٠ الف فارس و ٤٠٠ الف راجل فخيّموا تجاه دمياط في البر الغربي

وحفروا حول معسكرهم خندقاً وأقاموا عليه سوراً وشرعوا في قتال برج دمياط
 وكان برجاً منيعاً في سلاسل من حديد غلاظ تمتد على النيل لتمنع المراكب الواصلة
 في البحر الملح من الدخول الى ديار مصر في النيل وكان البر الذي نزل عليه الصليبيون
 جزيرة محاطة بالنيل من جهة وبالبحر الملح من الاخرى يقال لها جزيرة دمياط
 وكان المسلمون في مدينة دمياط محاصرين حصاراً منيعاً من البحر والبر والسلسلة
 ممتدة بين البرج والسور فحاول الصليبيون امتلاك ذلك البرج لانهم اذا ملكوه تمكنوا
 من العبور في النيل الى القاهرة



(صورة برج دمياط واستيلاء الصليبيين عليه)

وكان هذا البرج مشحوناً بالمقاتلة تأتي اليه المؤن من دمياط على جسر
 خشبي منصوب في عرض النيل وقد انكسر ذلك الجسر بعد مدة فاغتم
 الصليبيون تلك الفرصة واصطنعوا برجاً خشبياً نصبوه على مركبين

موسوقين قيوداً وكان جميع الصليبيين بقيادة يوحنا بريانا ملك سوريا وليوبولدوس
دي او طريش فانزلوا في البرج الخشبي ليوبولدوس برجاله وساروا في النيل لمهاجمة
برج المسلمين فلما رأى المسلمون ذلك تجمهروا في البرج والسور وأخذوا في رمي
السهام والحرايب والحجارة والمنجانيقات على برج الصليبيين فلبت به النار بخاف
الذين نيه ثم انطفأت حالا وتشدد الصليبيون حتى استولوا على برج
المسلمين فبلغ الملك الكامل قدوم الصليبيين ومحاصرتهم دمياط وكان يخلف أباه
الملك العادل على ديار مصر فخرج بمن معه في ثالث يوم من وقوع الطائر بخبر
الصليبيين وأمر والى الغربية بجمع العربان وسار هو في جمع كبير ونزل بمن
معه من العساكر بمنزلة العادلية قرب دمياط وامتدت عساكره الى دمياط لينع
الصليبيين من السور والقتال مستمر أربعة أشهر والملك العادل يسير العساكر
من البلاد الشامية شيئاً بعد شيء

﴿ وفاة الملك العادل ﴾

كان الملك العادل نازلاً بمرج الصفر وقد أرسل العساكر الى ولده الكامل
بالديار المصرية كما تقدم ثم رحل من مرج الصفر الى عالقين فنزل بها ومرض
واشتد مرضه ثم توفي هناك الى رحمة الله في سابع جمادى الاخرى سنة ٦١٥
وكان مولده سنة ٥٤٠ وعمره ٧٥ سنة وكانت مدة سلطنته بمصر نحو عشرين سنة
أواقل وكان حازماً ميقظاً عزيز العقل شديد الآراء ذامكراً وخديعة وصبوراً
حليماً يسمع ما يكره ويفضي عنه واتسع ملكه وكثرت اولاده ورأى فيهم ما يحب
ولم يراحد من الملوك في اولاده ما لقيه العادل فيهم من القوة والشجاعة والملك
وخلف الملك العادل سنة عشر ولداً ذكراً غير البنات ولم يتوفى لم يكن عنده احد
من اولاده حاضر أخضر اليه ابنه الملك المعظم عيسى وكان قد أرسله الى نابلس
لحماية القدس فمات موت أبيه وحمله في محفة وجمل عنده خادماً وطيباً راكباً

الى جانب المحفة والشرا بدار يصاح الشراب ويحملة الى الخادم فيشربه ويوهم الناس ان السلطان شره الى ان دخلوا به قلعة دمشق وصارت اليها الخزائن والبيوتات فأعان موته وتسلم ابنه الملك المعظم جميع ما كان معه ودفنه بالقلمة ثم نقله الى مدرسة العادلية

محاربة الصليبيين بارض دمياط ودخولهم حتى اشمون طناح

واخذ ثورة المسلمين

لما بلغ الكامل موت أبيه وهو بمنزلة العادلية استلم زمام الاحكام اما الصليبيون فألحوا في القتال ولا سيما عند ما علموا بموت الملك العادل وقطموا السلاسل التي كانت تتصل بالبرج لتجوز مرا كبهم في نهر النيل ويتمكنوا من البلاد فنصب الملك الكامل بدل السلاسل جسراً عظيماً في عرض النيل فقاتل الصليبيون قتالاً شديداً الى ان قطموه وكان قد انفق عليه وعلى البرج ما يتوفى على سبعين الف دينار وكان الكامل يركب في كل يوم عدة مرار من العادلية الى دمياط لتفقد الاحوال واعمال الحيلة في كايده الاعداء فامر ان تفرق المراكب في النيل لتمنع الصليبيين عن الابحار فيه فممن الصليبيون الى خليج هناك يعرف بالازرق كان النيل يجري فيه قديماً فحفروه وعمقوا حفرة وأجروا فيه الماء الى البحر الملح وأصعدوا مرا كبهم منه الى بورة على ارض جزيرة دمياط قبالة المنزلة المعسكر فيها الكامل ليقاتلوه منها فلما انزلوا في البورة ابتدأوا بقتاله بحراً وزحفوا اليه مراراً فلم يظفروا منه بطائل ولم يتغير على أهل دمياط شيء لان الميرة والامداد كانت تصل اليهم والنيل يحجز بينهم وبين عدوهم وأبواب المدينة مفتوحة ليس عليها من الحصار ضيق ولا ضرر وكان العربان يغيروا على الافرنج في كل ليلة حتى منعوهم الرقاد خوفاً من غاراتهم فقوى طمع العرب في الصليبيين حتى صاروا يخططونهم نهاراً ويأخذون الخيم بين فيها فسكن لهم الصليبيون عدة كناء

وقتلوا منهم خلقاً كثيراً فكفوا عن مناوشتهم . ثم أدرك الناس الشقاء وهاج
 البحر على مخيم المسلمين وأغرقتهم فعظم البلاء وتزايد الغم وألح الصليبيون في
 القتال حتى كادوا يملكون كل مال المسلمين والمملك الكامل يرسل الرسل
 الى الجهات ويستصرخ اخوته ويستنجد أهل الاسلام على النصارى ويخوفهم من
 غلبة الصليبيين ولا من مجيب . وفي اثناء ذلك تارت بين رجاله ثورة كان زعيمها
 عماد الدين أحمد بن المشطوب أحد كبراء الرجال على ان لا يقبلوا الكامل عليهم سلطاناً
 بعد أبيه وكان ذلك باتفاق مع أخيه الملك الفائز فوقع الملك الكامل في حيرة
 وأوجس خيفة على منصبه ولم ير من ينجده فسار من المادلية الى قرية تدعى اشمون
 طناح (اشموم نطاح) بجريدة فأصبح المعسكر بغير سلطان فركب كل انسان منهم
 هواه ولحقوا بالكامل ولم يتمهلوا لاخذ شيء من خيامهم وذخائرهم وأموالهم
 وأسلحتهم كل ذلك والصليبيون في البر الثاني لا يدرون . وفي ٢٠ القعدة
 سنة ٦١٥ بلغهم ما كان من أمر المسلمين فعبروا النيل الى بردمياط (البر الشرقي)
 آمنين لا ينازعهم منازع وغنموا ما في معسكر المسلمين مما تركوه من أمتعتهم
 وغيرها وكان شيئاً لا يحيط به الوصف فلما بلغ السلطان الكامل ذلك داخله
 وهم عظيم وأوشك ان يفارق البلاد لانه أصبح لا يثق بنفسه ولا بمن حوله
 أمام مدينة دمياط فبقيت محاصرة وقد شدد الصليبيون عليها براً وبحراً وكانت تلك
 السنة ليس أشد منها وطأة على المسلمين وقد أخذ اليأس منهم مأخذاً عظيماً فنيهاهم
 عن ذلك الشأن وفدت عليهم نجدة من الشام بقيادة الملك المعظم عيسى أخى الملك
 الكامل وكان قد تولى على دمشق بعد أبيه المادل فلما علم بما حل بجيوش أبيه
 بعد وفاته أتى في عدة من رجال الشام فأطلعه الكامل على الحال سرّاً وأسر إليه
 ان رأس هذه الطائفة ابن المشطوب فجاء الملك المعظم يوماً على غفلة الى خيمة
 ابن المشطوب واستدعاه فخرج اليه فقال له أريد ان أفوضك سرا في خلوة
 وسار معه وقد جرد المعظم جماعة ممن يشهد عليهم ويثق بهم وقال لهم

اتبعونا ولم يزل المعظم يشاغله بالحديث ويخرج معه من شيء الى شيء حتى
أبعده عن المعسكر ثم قال له يا عماد الدين هذه البلاد لك ونشتمى ان تهبها
وشيثاً من النفقة ثم قال لرجاله تسلموه حتى تخرجوه من الرمل فلم يسعه الا
امتثال الامر لانقراده وعجزه عن المخالفة وعاد المعظم الى أخيه الكامل وأطلعه
على ما جرى ثم جهز أخاه الملك المنصور شريك المتأمرين الى الموصل لاحتضار
النجدة منها ومن بلاد الشرق فمات بسنجار وكان ذلك خديعة لاجراجه
من البلاد فلما خرج هذان الشخصان من المعسكر تحملت عزائم من بقي من الأمراء
الموافقين لهما ودخلوا في طاعة الملك الكامل كرهاً لا طوعاً

﴿ قدوم نجدة للصليبيين بقيادة بيلاجيوس وهدم سور البيت المقدس ﴾

ظل البابا انور بوس الثالث يحث ملوك اوروبا لنجدة اخوانهم الصليبيين
حتى اجتمع لكلمته جيوش كثيرة من بلاد النمسا وبيزا وجنوى والبندقية
وانكلترا وفرنسا فأرسلهم الى اخوانهم بدمياط بقيادة الكردينال بيلاجيوس
بصفته نائب بابوى وأرسل معه خزائن المال الذي جمعه باسم الحروب الصليبية
فسار الكردينال المذكور بهسا كره الى ان وصل الى معسكر الصليبيين باراضى
دمياط وبمديسير عاد الملك المعظم الى دمشق لينظر في أحوال رعيته ثم خشي
من الصليبيين ان امتلكوا دمياط ان يمدوا يدهم الى اورشليم (القدس) فنقوي
سلطتهم فأمر بهدم أسوارها حتى اذا ملكوها لا تزيد قوتهم شيئاً يستحق
الاعتبار

﴿ تشديد الحصار على دمياط واستيلاء الصليبيين عليها ﴾

شدد الصليبيون الحصار على دمياط ومنهوا القوات من الوصول اليها
وحفروا على معسكرهم المحيط بدمياط خندقاً وبنوا عليه سوراً وأهل دمياط
يقاتلونهم أشد القتال ويمانونهم وقد نفذت من عندهم الاقوات وغلت الاسعار

و الملك الكامل كان لا يزال في أشمون ناظراً الى دمياط. وهي محصورة ولا يتدر
 ان يصل اليها وخشي أخيراً ان يياس أهلها من المساعدة فسلموا المدينة فانتدب
 أحد الجندارية المدعو شمائل للدخول الى دمياط لينشط من فيها ويهدمهم بالانقاذ
 فكان يسبح في النيل الى ان يصل الى أهل دمياط. فيوصل اليهم الاخبار ويطلب منهم
 ويعود وبقى على ذلك مدة فحظي بذلك عند الكامل وتقرّب منه حتى جعله
 والياً على القاهرة واليه تنسب خزانة شمائل بالقاهرة. وفي أثناء حصار دمياط
 قاسي المسيحيون في داخلية البلاد اضطهاداً شديداً وكان في الاسكندرية كنيسة
 قديمة البناء على اسم القديس مرقس هدمها المسلمون خيفة ان يباغت الصليبيون
 الاسكندرية من أجلها فيتخذونها حصناً لأنها كانت حصينة البناء كثيرة
 الاعمدة وجعلوها بعد ذلك جامعاً ولا تزال اثارها الى هذا العهد بقرب باب
 القبارى. ثم دخلت سنة ٦١٦ وقد غلت الاسعار بدمياط بما هو فوق الحد
 فبلغ ثمن البيضة عدة دنانير وكان رجال الملك الكامل ينفذون الاقوات الى
 أهل دمياط بحيل مختلفة فكانوا يأتون بحمل ويشقون جوفه ويملأونه فراخاً وفاكهة
 وثقلاً وغير ذلك ثم يخيطون جلده عليها ويرمونه في النيل فيسير منحدرأ مع
 البحرى فاذا جاء أمام دمياط نزل من فيها اليه وأخذوه واقتاتوا بما كان في جوفه
 وكان الصايبيون يمرقون أحياناً هذه الحيل فيأخذون تلك الماؤن ثم توالى هجماتهم
 على من في المدينة فقاتلوهم قتالاً شديداً خصوصاً جميات الرهبان (جمية الطيكلين
 وجمية التيطونيكن أي جمية الشريط الأزرق التي أسسها ريكاردوس قلب الأسد
 ملك الانكليز) ثم أمر الكردينال بيلاجيوس ان يتحد جميع الصليبيين للحرب
 دفعة واحدة برأوبجر أو ان يتسلحوا بالزروخ والزرديات فعملتوا السلام على الاسوار
 ليتسلقوها وشددوا الحرب فجاهد المسلمون حق الجهاد واحرقوا السلام الصليبيين
 بقذف النيران عليها وهجموا على الصليبيين هجمة قوية فقتلوا منهم كثيراً وأغرقوا
 كثيراً من الصليبيون عليهم واشتد القتال فعلم بذلك الملك الكامل فسار بجيشه

وهجم على مخيم الصليبيين لردهم عن محاربة المدينة فالتزموا قتاله ورجع بعضهم
عن المدينة واشتد النزاع بين الملك الكامل والصليبيين وبين هؤلاء ودمياط
فانكسرت العساكر الصليبية في هذه الواقعة وقتل منهم كثير وانهمز منهم كثير
فاتبع الملك يوحنا ملك سوريا المنهزمين ليردهم وصار يرسل الى كل فار من
يرجعه ودامت هذه الحال بينهم أي كلما ضيق الصليبيون على أهل دمياط يصعد
المسلمون الى أعلا البرج ويوقدوا نارا لتنظرهم عساكر الملك الكامل فيعلمون
بان أهل المدينة في ضيق فيهجم الملك الكامل بعساكره على مخيم الأعداء فيرتدون
من محاربة المدينة ليحاربوا الملك الكامل وكانت تتواصل النجيدات من أوروبا
الى الصليبيين بتحريرىض البابا . وفي آخر الأمر زاد الضيق في المدينة وكثرت
الموتى جوعا وامتلات مساكنهم وطرقات البلد منهم وهدمت الاقوات حتى لم
يبق عندهم الا بعض القمح والشعير . وفي يوم الثلاثاء ٢٥ شعبان سنة ٦١٦ هجم
الصليبيون على دمياط فاستولوا عليها وكانت مدة الحصار جميعها ١٦ شهرا و٢٢
يوما فدخلوها واحكموا السيف في من بقى فيها من الأحياء الى ان تجاوزوا الحد
في القتل وكانت الأبخرة الفاسدة تتصاعد عن جثث الموتى فتلحق الأحياء
بهم وكانت تلك الجثث متراكمة في الأسواق والبيوت وعلى الأسيرة فكان
يموت الابن جوعا وليس من يسي الى دفنه فيبقى في مكانه فيلاحقه الاخ ثم
الام ثم الاب وهكذا وجعل الصليبيون الجامع الكبير الذي بدمياط كنيسة لهم باسم
القديسة مريم

* (في شقاق الصليبيين وبناء مدينة المنصورة) *

بعد استيلاء الصليبيين على دمياط قرر مجلس مشورتهم بان تكون دمياط
تابعة للملك يوحنا دي بريانا ملك سوريا . ولما اتصل خبر سقوط دمياط بالملك
الكامل رحل بعسكره بعد سقوطها بيومين ونزل قبالة طلخا على رأس بحر

اشموم ورأس بحر دمياط ليمنع الصليبيين من المسير الى داخلية القطر بحر أو خيم في
 محلة المنزلة واقام معسكره هناك وكان الصليبيون قد قرروا سرعة المسير الى القاهرة
 ومحاصرتها حصل شقاق بين رؤسائهم وخصوصاً لان الكردينال بيلاجيوس
 كان يعتبر نفسه الرئيس الاعلى على جميع الصليبيين وجميع الرؤساء دونه رتبة
 والملك يوحنا دي بريانا ملك سوريا يمتقد انه هو الرئيس والكردينال بصفة
 رئيس ديني فزاد التنافر بينهم فغضب الملك يوحنا وعاد الى مدينة عكا بعسكره ومعه
 الاسرى وترك باقى الصليبيين في دمياط وقدمت نجدات للصليبيين من فرانس والنمسا
 وايطاليا ففرح الكردينال بذلك وعزم على المسير الى مدينة القاهرة فابى رؤساء
 المسافر المشير معه فارسل وفداً الى الملك يوحنا كي يستسمحوه ويرجع الى
 معسكر الصليبيين وقد حصنوا دمياط تحصيناً عظيماً وبثوا رجالهم في القرى يقتلون
 وينهبون وبأسرون

أما الملك الكامل فانه أخذ في تحصين معسكره في المنزلة فامر ببناء الدور والفتادق
 والحمامات والاسواق الى ان صارت مدينة عظيمة واقبوها بالمنصورة اشارة الى
 انتصاره على الصليبيين هناك كما سيأتي وكتب الى المسلمين في سوريا يستحثهم على
 محاربة الصليبيين واخراجهم من ديار المسلمين

* (ماجري للصليبيين بعد ذلك واستيلاء

المسلمين على دمياط) *

ولما عاد الملك يوحنا دي بريانا الى معسكر الصليبيين انعقد مجلس مشورتهم
 وقرر سرعة المسير لمحاصرة القاهرة فتركوا أمتعتهم ومؤنتهم في دمياط بعد ان
 اقاموا فيها حامية كافية وساروا الى ان وصلوا اتجاه المنصورة فيما هو امام سراي
 المنصورة الآن وعسكروا هناك وكان عدد الصليبيين اذ ذاك نحو مائتى الف
 وراجل وعشرة آلاف فارس فقدم المسلمون شوانتهم امام المنصورة وعدتها

مائة قطعة فاصبح المسلمون في ضيق . فامر الملك الكامل ان ينادى بالمسلمين
 للجهاد من سائر القطر فاجتـمع الناس من سائر النواحي من اصوان الى القاهرة
 ونودي بالنفير العام أيضاً فيما بين القاهرة الى آخر الحوف الشرقى فاجتمع عالم
 كثير وانزل السلطان علي ناحية شار مساح الف فارس في آلاف من العربان
 ليحولوا بين الصليبيين ودمياط وسارت الشواني ومعهما حراقة كبيرة على رأس
 بحر المحلة وعليها الامير بدر الدين بن حسون فانقطعت الميرة عن الصليبيين
 من البر والبحر . وفي اثناء ذلك اتت النجيدات للملك الكامل من الشام
 والشرق يتقدمها الملك الاشرف موسى بن العادل وعلي ساقتهما الملك المعظم
 عيسى فتلقاهم الملك الكامل وانزلهم عنده بالمنصورة في ١٣ جمادى الاخرى
 سنة ٦١٨ وتتابع مجيء الملوك حتى بلغت عدة جيوش المسلمين نحو أربعين
 الف فارس فحاربوا الصليبيين وأخذوا منهم ست شواني وأسروا منهم الفين
 ونيفاً فتضعضوا وضاق بهم المقام فخبرهم الملك الكامل بامر الصالح ليخرجهم
 من بلاده فمرض عليهم ان يمطيهم بيت المقدس وعسقلان وطبرية وجبلة
 واللاذقية وسائر الاماكن التي فتحها السلطان صلاح الدين الا الشوبك
 والكرك لانهما أصبحتا ملكاً خاصاً له نالهما بالارث من السلطان صلاح
 الدين وطاب اليهم في مقابل ذلك ان يردوا له دمياط وينسحبوا من القطر
 المصرى فانهقد مجلس مشورتهم ورضى كل من بوحناء ملك سوريا وغيره من
 رؤساء العساكر وأما الكردينال فابي ودخله الطمع وبعد مجادلات أقر رأي
 الصليبيين على طلب تينك المدينين ومبلغ ٣٠٠ الف دينار تعويضاً لما سببه
 الملك المعظم عيسى صاحب دمشق بهدم أسوار بيت المقدس فامتنع المسلمون
 عن التسليم لهم بذلك ثم بعثوا سرية من رجالهم لتسير سرا من وراء معسكر
 الصليبيين وتخرق سدرعة المحلة وكان النيل في معظم ارتفاعه فطافت مياه
 الترعة حتى أغرقت جميع الاراضي التي تفصل جيش الصليبيين من دمياط

فأصبحوا على أرض مثل الجزيرة وقد حال الماء بينهم وبين نجدة أصحابهم
فخافوا سوء المصير وباتوا يشكون قلة الطعام وكثرة المياه ولم يكن باقياً بينهم
وبين دمياط الا طريق ضيق فامر السلطان بنصب الجسور عند اشمون طناح
فعبرت العساكر عليها وملك تلك الطريق فاضطرب الافرنج وضاعت عليهم
الأرض . واتفق محيي، مرمة عظيمة مدداً للصليبيين حولها عدة حراقات
وقدمت كلها بالميرة والاسلحة فقاتلتها شوأتي المسلمين حتي ظفرت بها فانصل
ذلك بالصليبيين فزاد خوفهم وندموا على رفضهم المعاهدة المارذكرها فطلبوا
من الملك الكامل الامان على ان ينسحبوا من القطر المصري جميعه ولا يطلبون
لذلك مقابلاً لقبول منهم الكامل في ٧ رجب سنة ٦١٨ هجرية بان يعطى كل من
الفريقين رهائن فأعطي الصليبيون الملك يوحنا دي بريانا ملك عكا والكردينال
بيلاجيوس نائب البابا رهناً وأعطى الملك الكامل ابنة الملك الصالح وكان سنه ١٥
سنة وجماعة من الامراء فسار الصليبيون الى دمياط وسلموها للمسلمين في ١٩
رجب بعد ان كانوا قد أجهدوا أنفسهم في تحصينها وخرجوا من القطر وبعدهم
بقليل جاءت نجدة عظيمة في البحر الى الصليبيين فشكر المسلمون الله لتأخرها
الى ذلك الحين ثم ارسل الصليبيون الملك الصالح ومن معه الى أبيه فأرسل لهم رهنهم
وتفرق الناس الى بلادهم ودخل الملك الكامل دمياط باخوته وعساكره وكان اليوم
دخوله اليها احتفال عظيم ثم عادوا وأقاموا بالمنصورة أياماً نشده هناك القاضي
الرئيس هبة الله بن محاسن قاضي غزه

وقد أنجز الرحمن بالنصر موعداً
مبيناً وانعاماً وعزاً مؤبداً
وأصبح وجه الشرك بالظلم أسوداً
طفاة وأضحى بالمرآكب مزبداً
صقيلاً كما سل الحسام المهنداً

هندياً فان السعد جاء مخليداً
حيانا له الخلق فتحاً لبابداً
تهلل وجه الأرض بهد قطوبه
ولما طغى البحر الخضم بأهله
أقام لهذا الدين من سل عزمه

فلم ينج الاكل شلو مجندل نوي منهم أو من تراه مقيدا
 ونادي لسان الكون في الارض راقماً عقيرته في الخافقين ومنشدا
 أعباد عيسى ان عيسى وحزبه وموسي جميعاً ينصران محمدا
 فكانت مدة نزول الصليبيين على دمياط الى ان أقلموا عنها ثلاث سنين وأربعة
 أشهر و ١٩ يوماً منها مدة استيلائهم على مدينة دمياط سنة وعشرة أشهر و ٢٤ يوماً
 ثم سار الملك الكامل الى مقر ملكه في القاهرة وانتقل من دار الوزارة التي كانت الى
 ذلك العهد منزلاً للخلفاء وسكن القلعة

✽ ماجرى للملك فريديريكوس الثاني باوروبا

واستيلائه على القدس صلحاً ✽

وبعد رجوع يوحنا دي بريانا الى عكا وجد ملكه في ضعف زايد من القوة
 والمال فسافر الى أوروبا بالأمونة من ملوكها فوصل الى البابا انوربوس الثالث
 فقابله باحترام وكتب له منشورات الى جميع الملوك بالتحريض برسالة تجريده
 صليبية لاستخلاص القبر المقدس من أيدي المسلمين ثم سار يوحنا الى جميع الملوك
 بهذا الشأن فما التفتوا اليه وكان ملك النمسا فريديريكوس الثاني عند وفاة والده
 صغيراً فاقم عليه وصياً البابا اينوشانس يوس الثالث الى ان بلغ وتسلم ملكته فلذلك
 كانت البابوية ذات دالة عليه فكتب اليه البابا يجرضه على المسير بنفسه الى سوريا
 وتجديد الحروب الصليبية ثم سعي في زواج فريديريكوس المذكور بابنة يوحنا سلطان
 سوريا المدعوة بولاندا لتوثيق الملاقة بينهما وتم الاحتفال بهذا الزواج في مدينة
 رومية وفي اثناء ذلك جد فريديريكوس القسم بمسيره الى فلسطين وتخليصه قبر
 المسيح من بد أعدائه واستعد للسفر وقد نادوا في أوروبا بذلك فحضر اليه جملة
 عساكر من الانكليز وفرانسا والمانيا والنمسا وغيرهم وتعين لاجتماع العساكر
 مدينة برنيدس وكان من الرؤساء الذين قبلوا السفر للحروب الصليبية دوك دي بافير

ودوك دي أوطريش ولويس لاندغرافاوساروا بالجيوش فاتحدوا مع عساكر الملك
 فريدريكوس في المدينة المذكورة فاخذ يحثهم البابا بالمسير فنزلوا بالمرآكب في سنة
 ٦٢٤ هـ وبعد مسيرهم من الميناهاجت عليهم الواصف فتشتت سراكبهم وبعد
 ثلاثة أيام عدل الملك فريدريكوس عن المسير الى فلسطين ورجع بمساكره الى مدينة
 انرانتا أما الامير لاندغرافا فبعد نزوله في البحر أخذته حمى فاحق بفريدريكوس
 واجماً الى الميناء المذكورة وبعد أيام قليلة توفى . وكان البابا انوريوس قد توفى
 وتمين خلفاً له البابا غريغوريوس التاسع وهو الذي احتفل بنزول فريدريكوس الى
 البحر ولما بلغه عدوله عن السفر ورجوعه تكدر واعتبره عاصياً . ولذلك أرسل
 منشوراً الى جميع ملوك أوروبا يعلنهم فيه بحرمان الملك فريدريكوس فخارب
 الملك المذكور البابا برومية وأهاناه شديدة أمام الهيكل المقدس وألزمه بالخروج
 من رومية . وفي ٦٢٥ هـ سافر برأقاصداً القدس ولما وصل الى سوريا لم يقابله
 الصليبيون هناك لهمهم انه محروم من البابا وكان الملك الكامل صاحب مصر قد
 خرج منها الى الشام بعد وفاة أخيه المعظم يريد امتلاك دمشق من ابن أخيه
 صلاح الدين داود ابن المعظم ولما سمع بذلك داود المذكور أرسل الى عمه
 الملك الأشرف صاحب البلاد الجزرية يستنجده ويطلب منه المساعدة على دفع عمه
 الكامل فسار الى دمشق فترددت الرسل بينهم في الصلح فاصطالحوا اتفاقاً وسار
 الملك الأشرف الى الملك الكامل فلما اجتمعا ترددت الرسل بينهما وبين الملك
 فريدريكوس واستقرت القاعدة على ان يسلموا البيت المقدس بشرط ان يبقى
 الجامع مع المسلمين ولا يتعرض أحد من الصليبيين للمسلمين فاستهضم المسلمون
 ذلك وأكبروه ووجدوا له من الوهن والنالم ما لا يمكن وصفه وتضرروا من
 ذلك وكذلك جميع الصليبيين أنكروا هذا الصلح لانه على كلام مؤرخهم صالح
 ففاق لحصول الاسلام على جامع شهبأمام قبر المسيح ولذلك أرسل البطريرك الى
 البابا يعلمه وانه وضع المنع على الكنائس المقدسة المستخلصة بهذه الصورة ونهى

الزوار عن زيارتها ثم ان فريديريكوس سار بنفسه ومعه جماعة الى المقدس ولم يتبعه احد من الصليبيين فوجد القمامة والكنيسة وغيرها قد تركها خدوها الرهبان لعدم مقابله لانه محروم فلبس التاج فيها بنفسه من غير احتفال كمناسي وذلك في ربيع الآخرة سنة ٦٢٦ ثم انه حرر رسائل الى البابا والى ملوك أوروبا يخبرهم فيه بامتلاكه القدس ثم أقام بالقدس يومين ولما وجد عدم احترامه عند الصليبيين سافر راجعاً نحو عكا ومنها الى بلاده فر بايطاليا فخارب أهل لومبارديا ثم حارب صهره يوحنا دي بريانا ثم توسل الى البابا غريغوريوس التاسع بالصفح عنه فرأف به البابا وحله من الحرم

﴿ ذكر خلفاء المسلمين ﴾

وكان في سنة ٦٢٢ في آخر ليلة من رمضان قد توفي الخليفة الناصر لدين الله أبو العباس أحمد بن المستضيء بامر الله أبي محمد الحسن وكانت مدة خلافته نحو ٤٦ سنة وعشرة أشهر و٢٨ يوماً وعمره نحو ٧٠ سنة وسبب موته بالدوسنطاريا وكان سيء السيرة ظالماً فتولى الخلافة بعده ولده أبو نصر محمد وتلقب بالظاهر بامر الله فظهر في الرعية العدل والاحسان وأطلق من في السجون ووزع عليهم نقوداً ثم في ١٤ رجب سنة ٦٢٣ توفي الامام الظاهر بامر الله المذكور فكانت خلافته تسعة أشهر و١٤ يوماً وكان نعم الخليفة جمع الحشوع مع الخضوع لربه ثم بويع بالخلافة ابنه الاكبر ابو جعفر المنصور ولقب المستنصر بالله وسلك في الرعية سيرة أبيه في الخير والاحسان والعدل

﴿ مؤتمر مدينة سبولاته ﴾

أرسل الصايبيون بسوريا يطلبون من البابا المساعدة ويخبرونه بان المسلمين يضيقون عليهم ويشنوا الغارة على بلادهم فمقد مؤتمر بمدينة سبولاته في سنة ٦٢٩ حضره الملك فريديريكوس وبتاريخ اورشليم وبتاريخ القسطنطينية

وغيرهم من الاساقفة والرؤساء الكنائسيين فمرض عليهم البابا الرسائل
الواردة له من سوريا وطلب منهم المساعدة والحث والتحريض بالحروب الصليبية
المقدسة وكلفوا جمعية رهبان القديس عبد الاحد وجمعية رهبان القديس
فرنسيس الاكبر بالانذار بالحروب الصليبية بصفة مفوضين من البابا وكذلك
أرسل البابا قسيسين الى كل من بغداد ودمشق ومصر ليجادلوا علماء
المسلمين

﴿ باقى سلطنة الكامل ووفاته وسلطنة ولده العادل ﴾

وأقام الملك الكامل سلطاناً على الديار المصرية بعد أبيه الملك العادل أبي بكر
ابن أيوب وكان قبل وفاة أبيه نائباً عنه على مصر كما تقدم وكان تارة يقيم بمصر وتارة
يخرج منها الى الشام وذلك لقصد توسيع ملكه وأقام ابنه الملك العادل نائباً عنه بمصر
في حال غيابه بالشام وأقام ولده الملك الصالح نجم الدين نائباً عنه في بلاد آمد
وحصن كينا • وحران وغيرها من البلاد الشرقية وفي سنة ٦٣٥ بلغه وفاة
أخيه الملك الأشرف فسار الى دمشق ومعه الناصر داوود صاحب الكرك
فوصلها في جمادى الاولى وحاصرها وفيها أخوه الملك الصالح اسماعيل ثم
استلمها من أخيه المذكور واعطاه بدلا منها بعلبك والبقاع وغيرها وذلك في
١٩ جمادى الاولى وأقام بدمشق ثم اصابه مرض فمات هناك في ٢١ رجب
سنة ٦٣٥ وكان عمره نحو ستين سنة وكانت مدة سلطنته بمصر عشرين سنة ما
عدا مدة نيابته بها قبل ان صار سلطاناً وهي قريباً من عشرين سنة وكان ملكاً
جليلاً مهيباً حازماً حسن التدبير مباشر شؤون المملكة بنفسه وينظر في أمور
الجسور عند زيادة النيل. واصلاحها فعمرت في مدته ديار مصر أتم عمارة وكان
محباً للعلماء ومجلسهم فاتفق رأى الامراء على تخليف العسكر للملك العادل أبي
بكر بن الكامل وهو حينئذ نائب أبيه بمصر خلف له جميع العسكر وانا بوا على

دمشق الملك الجواد يونس بن مودود بن العادل أبي بكر بن أيوب وصار الملك
العادل سائداً على مصر واتفق في سنة ٦٣٦ كل من الملك الجواد يونس
صاحب دمشق والملك الصالح نجم الدين أيوب شقيق سلطان مصر وكان أميراً على
ما بين النهرين على أن يتبادلا الامارات فأتى الملك الصالح إلى دمشق وسار الملك
الجواد يونس إلى ما بين النهرين وكان غرض الملك الصالح من هذه المبادلة
الاقتراب من مصر والسعي لاختلاس الملك من أخيه

﴿ في سجن الملك الصالح نجم الدين أيوب ﴾

لما استقر الملك الصالح بدمشق وردت إليه رسائل من بعض امراء
مصر يطالبون قدومه لاستلام مصر فاقام ولده الملك المغيث فتح الدين عمر نائباً
بدمشق وسار قاصداً مصر وشرع يكاتب عمه الصالح اسماعيل صاحب بعلبك
ويستدعيه اليه وهو محتج ويفتذر عن الحضور ويظهر انه معه ويعمل في الباطن
على امتلاك دمشق وكان الناصر صاحب الكرك قد سافر إلى مصر واتفق مع
الملك العادل على قتال الملك الصالح أيوب وفي سنة ٦٣٧ سار الملك الصالح
اسماعيل ومعه شيركوه صاحب حمص بجموعهم فهاجموا دمشق وحاصروا
القلعة وتسليمها الصالح اسماعيل وقبض على المغيث فتح الدين عمر ابن الملك
الصالح أيوب وكان الصالح أيوب بنا بلس ولما بلغه ذلك فسدت نيات عساكره
عليه وشرع الامراء ومن معه من الملوك بفارغونته ورحل هو إلى الفور ولم يبق عنده
غير مما ليكه واستأذنه حسام الدين فاختار باصره وليس له موضع يقصده فقصد
بنا بلس ونزل بها بمن بقي معه وسمع الناصر صاحب الكرك بذلك وكان قد وصل
من مصر فنزل بمساكره وامسك الصالح أيوب وأرسله إلى الكرك واعتقله بها
وتفرق عنه باقي اصحابه ومما ليكه ولم يبق معه منهم غير جماعة قليلة فارسل أخيه
الملك العادل صاحب مصر يطلبه من الملك الناصر فلم يسلمه له فارسل يهدد الناصر

فلم يلتفت اليه

﴿ استيلاء المسلمين على القدس وما جرى للبابا وقريد ريكوس ﴾

واستمرت تجهيزات الصليبيين للسفر الى سنة ٦٣٥ ثم قدم الى البابا غريغوريوس التاسع بودوين ملك القسطنطينية يطلب مساعدته على الروم فارسل البابا الصليبيين الذين تجمعوا الى القسطنطينية وفي سنة ٦٣٧ بعد اعتقال الملك الصالح بالكرك سار الملك الناصر الى القدس وكان الصليبيون قد عمروا قلعتها بعد موت الملك الكامل فحاصرها وفتحها وخرب القلعة وخرب برج داود ايضاً لانه لما خربت القدس اولاً لم يخرب برج داود فخربه في هذه المرة ثم انه بعد سفر الصليبيين الى القسطنطينية حصل نفور بين البابا المذكور والملك فريدريكوس حتى حصلت بينهما محاربة شديدة برأ وبجراً ثم ان فريدريكوس حاصر مدينة رومية فتخلف أهلها عن البابا فاخذ هذا ذخائر القديسين بطرس وبولس وخرجها من شوارع رومية قاصداً أعداء الرومانيين قائلاً لهم ألا ترغبون في المحاماة عن هذه الوديمة المقدسة المحفوظة في وطنكم وترملونها لتفقد فمادت جميع المساكين الرومانية والنمساوية عن محاربتهم وطردت الملك فريدريكوس ثم تجمعت عساكر صليبية بقيادة تيوبلت الرابع كونت دي شامبانيا سلطان نافار وهو كازدوك دي بورغونيا وبطرس دي دروكس وكونت دي بار وساروا قاصدين سوريا ولما وصلوا هناك تفرقوا كل رئيس بمسكروه يحارب لنفسه

﴿ سلطنة الصالح نجم الدين أيوب على مصر وخلافة المستعصم ﴾

في آخر رمضان سنة ٦٣٧ أفرج الملك الناصر داوود صاحب الكرك عن ابن عمه الملك الصالح أيوب واجتمع عليه مماليكه وسار الناصر والصالح الى قبة الصخرة وتحالفا بها على ان تكون ديار مصر للصالح ودمشق والبلاد

الشرقية للناصر ثم ساراً الى غزه فلما بلغ العادل صاحب مصر ظهوراً من أخيه
 الصالح عظم عليه وبرز بمسكر مصر الى بليس لقصد الناصر والصالح وأرسل
 الى عمه الصالح اسماعيل صاحب دمشق ان يبرز ويقصدهما من الورااء فسار
 الصالح اسماعيل من دمشق فنزل الفوار فبينما الناصر داود والصالح أيوب في هذه
 الشدة بين جيشين قد أحاطا بهما اذ ركبت جماعة من المماليك الاشرفية ومقدمهم
 ايبك الاسمر وأحاطوا على دهليز الملك العادل وقبضوا عليه وجعلوه في خيمة
 صغيرة وعليه من يحفظه وذلك يوم الجمعة ٨ القعدة فكانت مدة ملكه نحو
 سنتين وأرسلوا الى الملك الصالح أيوب يستدعونه فاتاه فرج لم يسمع بمثله
 وسار الملك الصالح أيوب والملك الناصر داود الى مصر ودخل الملك الصالح
 قلعة الجبل في صباح يوم الاحد ٢٤ القعدة المذكور فزينت له البلاد وفرحت
 بمقدمه الناس ثم سار الملك الناصر الى الكرك ولما استوي الملك الصالح على
 سلطنة مصر أخذ في تمكين قدمه فيها فامر في السنة التالية وهي سنة ٦٣٨
 بالقبض على ايبك الاسمر مقدم المماليك الاشرفية والامراء والمماليك الذين
 ساعدوه على خلع أخيه وبايعوه مكانه وقتلهم جميعاً وولى مكانهم من اختبر
 أمانتهم نحوه ثم شرع في بناء قلعة الجزيرة واتخذها مسكناً لنفسه وفي سنة ٦٤٠
 توفي المستنصر بالله في ١٠ جمادى الاخرى وكانت مدة خلافته ١٦ سنة
 و ١١ شهراً ثم تولى الخلافة بعده ولده المستعصم بالله وهو السابع والثلاثون
 من بني العباس

مخاربة الصليبيين بغزه ورجوعهم الى بلادهم

فسار بطرس دي دروكس نحو دمشق فاغار عليها وأخذ من القرى التابعة
 لها غنائم كثيرة من المواشى والبغال ولما علم بذلك باقى الامراء الصليبيين طعموا

في المسلمين وساروا الى نواحي غزه وكان في اثناء ذلك ان قبيصة الخوارزميين
 طردهم جنكيز خان ملك التتر من شرقي آسيا اثناء فتوحاته هناك فجاؤا سوريا
 الشرقية ونزلوا على حدودها فانفذ اليهم الملك الصالح سلطان مصر رسلا عقدوا
 معهم عهدة وعاهدوهم على محاربة الصليبيين وامراء سوريا الذين على دعوتهم
 (لان بعض ملوك سوريا كانوا قد حالفوا صليبيين سوريا على محاربة مصر
 وفي نظير ذلك ساءوهم طبرية وعسقلان والشقيف والقدس فاحتل الصليبيون
 تلك الاماكن) فتجند الخوارزميون واخترقوا سوريا الى ان بلغوا غزه
 فاربوا الصليبيين عند اسوارها وانجدهم سلطان مصر من الجهة الثانية
 بمساكر مصر بقيادة ركن الدين بيبرس مملوك الملك الصالح وكان من اكبر
 مماليكه وهو الذي دخل معه الجبس لما حبس في الكرك فانهزم الصليبيون
 فتبعوهم حتى استولوا على غزه والقدس باسم الملك الصالح وهلك الصليبيون
 الذين بقيادة الكونت دي بار وسامان دي منتفورت عن آخرهم والرئيسان
 المذكوران وقعا في الاسر بايدي المسلمين مع من نجا وأرسلوا الى مصر مع
 بعض رؤوس القنلى ولما بلغ الخبر الى تيوبلت سلطان افار جمع باقي
 الصليبيين في مدينة عسقلان ثم سار منها بقصد نجدة الصليبيين المحاربين فلما
 وصل الى غزه وجد الحرب قد انتهت ودارت الدائرة على اخوانه فاخذ
 الوهن هو وعساكره ومن معه من الصليبيين واقام سوريا جملة شهر ثم جدد
 هدنة مع السلطان الصالح الذي اطلق الاسرى الصليبيين ولم يكن بينهم الكونت
 دي بار فحزنوا عليه حزناً شديداً ثم سافروا كلهم الى بلادهم غامين سلامتهم
 وقدمت عساكر صليبية اخرى الى مدينة عكا بقيادة ريكاردوس دي كوتوبلاس
 ابن اخي ريكاردوس قلب الاسد فلما ارادوا محاربة المسلمين تخلف صليبيو
 سوريا عن مساعدتهم فلذلك جددوا عقد الصالح مع المسلمين واستأذنوا من
 السلطان الصالح في دفن قتلى الصليبيين بنواحي غزه فاذن لهم فدفنواهم ثم زاروا

القدس ورجعوا الى اوطانهم

مخاربة الملك الصالح نجم الدين أيوب وسجن بيبرس *

في سنة ٦٤٢ باغ السلطان الصالح نجم الدين أيوب خبر وفاة ابنه الملك المغيث فتح الدين عمر في حبس الصالح اسماعيل صاحب دمشق فاشتد حزنه وحنقه على الصالح اسماعيل وفي سنة ٦٤٣ سار معين الدين ابن الشيخ بعسكر السلطان الصالح أيوب الى دمشق وحاصرها وكان بها صاحبها الصالح اسماعيل و ابراهيم بن شيركوه صاحب حمص فتسلمها على أن يستقر بيد الصالح اسماعيل بعلبك وبصرى والسواد وتستقر بيد صاحب حمص بلده وما هو مضاف اليها فاجابها معين الدين الى ذلك ثم وصل الى دمشق حسام الدين بن أبي علي ومن معه من العسكر المصري وكان معين الدين بعدما استلم دمشق قد مرض بها ومات فبقى حسام الدين نائبا بدمشق . ثم ان الخوارزميين خرجوا عن طاعة الصالح أيوب وصاروا مع الصالح اسماعيل وانضم اليه الناصر داود صاحب الكرك فساروا جميعاً الى دمشق وحاصروها وغلت بها الاقوات وقاسى أهلها شدة عظيمة لم يسع بمثلها وقام حسام الدين في حفظ دمشق أتم قيام ثم اتفق الحلبيون والملك المنصور ابراهيم صاحب حمص وساروا مع الصالح أيوب وقصدوا الخوارزمية فرحل هؤلاء عن دمشق وساروا نحو الحلبيين وصاحب حمص والنقوا على القصب في سنة ٦٤٤ فاهزمت الخوارزمية هزيمة قبيحة تشتت شملهم بعدها وقتل مقدمهم حسام الدين بركة خان وحمل رأسه الى حلب ومضت طائفة من الخوارزميين مع مقدمهم كشلوخان فلحقوا بالتر وصاروا معهم وانقطع منهم جماعة وتفرقوا في الشام وكفى الله الناس شرهم ولما وصل خبر كسرتهم الى السلطان الصالح أيوب بمصر فرح فرحاً شديداً ودقت البشائر بمصر وزان ما كان عنده من الفيض على ابراهيم صاحب حمص

ثم رحل حسام الدين بن أبي علي الهبذاني بن عنده من العسكر بدمشق ونازل
بعلبك وبها أولاد الصالح اسماعيل وحاصرها وتسلمها بالامان وحمل أولاد
الصالح اسماعيل الى السلطان الصالح أيوب بمصر فاعتقلوا هناك ومعهم أمين
الدولة وزير الصالح اسماعيل واستأذ داره ناصر الدين تغمور فدقت البشائر
بمصر وزينت القاهرة لفتح بعلبك . ثم ان الصالح أيوب استولى على عجلون
لوفاة صاحبها . ثم جهز الأمير فخر الدين يوسف بن الشيخ الى حرب
الملك الناصر صاحب الكرك فسار فخر الدين واستولى على جميع بلاد الملك
الناصر وحاصر الكرك وخرب ضياعها فتولى على جميع البلاد ماعدا الكرك
فانها بقيت بيد صاحبها وفي هذه السنة أيضاً حبس السلطان الصالح أيوب مملوكه
بيرس وهو الذي كان معه لما اعتقل في الكرك وسببه ان بيبرس المذكور مال
الى الخوارزمية والى الناصر داود وصار معهم على استأذنه (سيده) لما أرسله بتجريدة
الى غزه كما ذكر فارسل استأذنه الصالح أيوب واستماله فوصل اليه فاعتقله ثم ان
الصالح أيوب استقدم الأمير حسام الدين من دمشق وانا به بمصر وولى بدلا منه
على دمشق الأمير جمال الدين مطروح وسار الصالح أيوب الى دمشق ومنها الى
بعلبك ثم عاد الى دمشق وفي سنة ٦٤٥ عاد السلطان الصالح أيوب الى مصر ثم
سار الأمير فخر الدين ابن الشيخ وفتح قلعتي عسقلان وطبرية من الصليبيين . ثم
توفي علاء الدين قراسنقر الساقى العادلى احد ممالك الملك العادل بن أيوب
وصارت ممالكه بالولاء للصالح أيوب ومنهم سيف الدين قلاوون الصالحى . وفي
سنة ٦٤٦ أرسل الملك الناصر صاحب حلب عسكراً مع شمس الدين أوأؤ
الأرومى فحاصروا حمص مدة شهرين وبها الاشراف موسى فسلمها اليهم وتموض
عنها بتل باشر مضافا الى ما بيده من تدمر والرحبة فشق ذلك على السلطان الصالح
أيوب وسار الى الشام لارجاع حمص من الحلبيين فوصل دمشق وأرسل عسكر
الى حمص مع حسام الدين فنزل عليها وحاصرها وركب عليها المنجنيقات ووصل

اليه نجم الدين الباذراى رسول الخليفة وسعى فى الصالح بين الصالح والخليين وان
تستقر حص بيدالخليين فاجاب الملك الصالح الى ذلك وأمر العسكر فرحلوا عن
حص بعد ان اشرفوا على أخذها

﴿ التتر باوربا ومؤتمر ليون بفرنسا ﴾

لما ظهر التتر باسيالم يقتنعوا بملكوا بل ساروا بقيادة ريسهم جانكيز خان
الى بلاد أوربا فهجموا على بلاد هونكريا وبلاد النمسا وتهددوا باقى الممالك فوق
الرب فى قلوب ملوك أوروبا واحتراروا فى أمرهم فامر البابا بايقاد حرب مقدسة
ضدهم ولما ناداهم هذا لم يلاق صدى وأرسل ملك النمسا الى سائر الملوك يطلب
اتحادهم لصد هجمات التتر ولكن الرب كان ملأ قلوبهم فلم يلتفت أحد اليه واكتفوا
بالتوسل فى الكنائس يطلبون من الله ازالة هذا العدو وكان الخوارزميون قد
قاتلوا صليبيين سوريا وأهلكوهم كما ذكر فسافر أسقف بيروت فاليران الى بلاد
أوربا يطلب المساعدة فقابله البابا اينوشانسيون الرابع بالحنو والشفقة ووعد
بالمساعدة التامة. ثم ان بودوين الثانى ملك القسطنطينية التمس من البابا أيضاً الاغاثة
لتعزيد كرسى مملكته المائل الى السقوط من الروم لانهم شقوا عليه عصا الطاعة. وكان
البا أيضاً قد تضايق من الحروب الحاصلة بينه وبين ملك النمسا فترك رومية وسار الى
مملكة فرنسا وعقد بهام مؤتمر أعاما فى مدينة ليون سنة ١٢٤٣ فى هذا المؤتمر
(السينودس) حضر الاساقفة وأمرء الشرق وبودوين ملك القسطنطينية ونواب
الملك فريديريكوس ملك النمسا للمداخلة عنه فى التهم الموجهة اليه من البابا فى
الجلسة الاولى التى عقدت فى يوم ١٨ يونيه سنة ١٢٤٥ م افتتح البابا المؤتمر
وعرض عليه الاوجه الآتية . أولا مسألة التتر باوربا . ثانياً انشقاق الروم
ثالثاً غزوات الخوارزميين بسوريا . رابعاً الاضطهاد الذى تسببه الملك
فريديريكوس . فقرر أعضاء المؤتمر ما يأتى . أولاً يلزم اعانة القسطنطينية وتخليص

القبر المقدس وتجريد عساكر لا يقاد حروب صليبية سابعة وان البابا والاساقفة يقدمون
 للنفقة على هذه الحروب عشر مداخيلهم وباقي الاكليريكيين نصف عشر
 مداخيلهم وأصدروا الاوامر اللازمة لتجهيز هذه الحروب . ثانياً قرر بهزل
 الملك فريديريكوس ملك النمسا وذلك بعد مدافعة نوابه التي لم تأت بفائدة ثالثاً أمر
 البابا ان الكردينالية يلبسون اثواب لونها احمر علامة على استعدادهم لسفك دماهم
 في حفظ الكنيسة

﴿ ابتداء الحروب الصليبية السابعة ﴾

(سفر العساكر الصليبية السابعة)

بعد انتهاء المؤتمر السابق الذي أرسل البابا وأعضاء المؤتمر الى الملك لويس
 التاسع سلطان فرنسا يطلبون منه استعدادهم وسيره لخلاص القبر المقدس من
 المسلمين فقبل طلبهم هذا وتب عليه عساكره بالتجهيزات الحربية فنهته عن
 ذلك والدته وأرباب دولته . ثم أصابه مرض تهدد حياته فنذر للمسيح بانه
 اذا شفى توجه بعساكره لخلاص قبره . فلما شفى استلم الصليب وصار يجهز
 العساكر الصليبية السابعة للمسير فاستعد للسفر كل من السلطان المذكور وأخواته
 الثلاثة والكونت دي برانانيا وأولاده والدوك دي برغونيا . والكونت دي
 فلاندر . والكونت دي بار . والكونت دي منتفرت والكونت دي سان بول
 مع ابن أخيه شاتيلون والكونت دي سواسونس والكونت دي فاندوما
 وغيرهم كثيرون والامير جانفيلاصديق الملك لويس التاسع وهو مؤرخ هذه
 الحروب وعقد الملك المذكور جمعية بمدينة باريس لتحديد ميعاد السفر وأقام
 والدته بلانشا نائبة عنه في المملكة مدة غيابه وقد أقسم له رجال حكومته بان
 يحفظوا الطاعة لعائلته ان حدث له شيء في سفره وأرسل البابا منشورات تقرأ
 في الكنائس بمدح الملك لويس التاسع صاحب الحروب الصليبية السابعة والثناء

عليه وسار الملك لويس الى كنيسة القديس ديونسيوس واستلم سنجق الصليب
هناك من يد النائب البابوي كما انه البسه ثوب الحروب الصليبية ورجع الى باريس
وحضر الذبيحة الالهية في كنيسة والدة الاله الكاندرائية



(صورة لويس التاسع ملك فرنسا)

وفي اليوم الثاني سار من باريس ورافقته زوجته مرغريتا وخرجت
توداعه الملكة بلانش والدته وجميع الاكليروس ورجال الحكومة ثم سار من بلاد
فرانسا الجنوبية واجتاز اقليم لانكادوك ونزل في المراكب من ميناء اكس بورتاس
وساروا في البحر المتوسط الى ان وصلوا جزيرة قبرص واقاموا بها ثم انه تفشي في

المفسكر الصايبي مرض وبائي شديد أهلك معظمهم ومات به هناك الكونت دي
دروكس . والكونت دي مونتفرت . والكونت دي فاندوما والارشامبود دي
بوربون وغيرهم

﴿ وصول الصليبيين الى دمياط ومخابرتهم للملك الصالح أيوب ﴾
كان السلطان الصالح أيوب قد فاجأه مرض ثقیل وهو تورم في مابضه
تكون منه ناصور فتح وعسر برؤه وانضاف اليه قرحة في الصدر فلزم الفراش
في دمشق فجاءه منبىء يخبره بهزم الصليبيين على مهاجمة مصر وأخذها وقد
اكثروا من التجنيد ووردت اليهم النجيدات من جميع ممالك أوروبا فلما علم
بذلك وهو مريض لم يسهه الا بمبارحة دمشق فسار في محفة ونزل اشمون طنناح
في أول سنة ٦٤٧ وجمع في مدينة دمياط من الاقوات والزاد والاسلحة وآلات
القتال شياً كثيراً خوفاً من أن يجري على دمياط ماجري في أيام أبيه وجهاز
أسطولا من صناعة مصر وجعل فيه سائر ما يحتاج اليه الجند وسيره شيئاً فشيئاً
وضم الى جنده كثيراً من العربان واكثرهم من بني كنانة جعلهم وراء مقاريس
دمياط وعهد قيادة حامية هذه المدينة الى الامير فخر الدين يوسف ابن شيخ
الشيوخ ففي صباح يوم الجمعة ٢٠ صفر من هذه السنة وردت مراكب الصليبيين
الى دمياط وفيها جموعهم وحال وصولهم بعث ملكهم لويس التاسع الى الملك
الصالح كتاباً نصه (أما بعد فانه لم يخف عليك انى أمين الامة العيسوية كما انه
لا يخفي على انك أمين الامة المحمدية وغير خاف عليك ان عندنا أهل جزائر
الاندلس وما يحملونه الينا من الاموال والهدايا ونحن نسوقهم سوق البقر
ونقتل منهم الرجال ونرمل النساء ونستأسر البنات والصبيان ونخلي منهم
الديار وأنا قد أبديت لك ما فيه الكفاية وبذلت لك النصح الى النهاية فلو حلفت
لى بكل الايمان وأدخلت على الاقساء والرهبان وحملت قدامى الشمع طاعة

للصليبان لكنت واصلا اليك وقاتلتك في أعز البقاع اليك فاما ان تكون البلاد
 لي فياهدية حصلت في يدي واما ان تكون البلاد لك والغلبة على فيدك العايباء
 ممتدة الى وقد عرفتك وحذرتك من عساكر حضرت في طاعتي تملأ السهل
 والجبل وعددهم كعدد الحصى وهم مرسلون اليك باسياف القضاء (فإنما قرىء
 الكتاب على السلطان الملك الصالح وقد اشتد به المرض بكى واسترجع
 فكتب القاضي بهاء الدين زهير بن محمد الجواب (بسم الله الرحمن الرحيم وصلواته
 على سيدنا محمد رسول الله وآله وصحبه أجمعين - أما بعد فإنه وصل كتابك وافت
 تهدد فيه بكثرة جيوشك وعدد أبطالك فنحن أرباب السيوف ومدققل منا
 فرد الاجددناه ولا بغى علينا باغ الا دمرناه ولورأت عينك أيها المغرور حد
 سيوقنا وعظم حرورنا وقتحنا منكم الحصون والسواحل وتخريننا ديار الاواخر
 منكم والاوائل لكان لك ان تمض على اناملك بالندم ولا بدان تزل بك
 القدم في يوم أوله لنا وآخره عليك فهناك تسبيء الظنون وسيعلم الذين ظلموا أي
 منقلب ينقلبون فاذا قرأت كتابي هذا فتكون فيه على أول سورة النحل أتى أمر
 الله فلا تستعجلوه وتكون على آخر سورة ص ولتعلمن نبأه بعد حين ولنعود الى
 قول الله تعالى وهو اصدق القائلين كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله
 والله مع الصابرين وقول الحكماء ان الباغى له مصرع وبغيك يصرعك والى
 البلاء يقبلك والسلام)

﴿ في امتلاك الصليبيين دمياط ﴾

وبعد ذلك عقد الملك لويس التاسع مجلس مشورة الصليبيين ليقرروا
 هل تنزل عساكر الصليبيين الى برد دمياط أو تقيم أياماً بمرابهم للاستراحة
 فقرر سرعة نزلهم فنزل الملك لويس ومعه أخوته وبجانبه أحد الرؤساء
 رافعاً علم الحرب وامامه النائب البابوي حاملاً الصليب واصطفوا للقتال في يوم

السبت ٢١ صفر سنة ٦٤٧ فحصلت بين الفريقين مناوشات قتل فيها بعض
امراء المسلمين ثم حصلت أيضاً مناوشة في البحر بين صراكب الصليبيين
وصراكب المسلمين وفي المساء فر الأمير نجر الدين بغير داع فتبعه بنو كنانة
وخرجوا من المدينة فتبعهم الاهالي في الليل هائمين على وجوههم لا يلتفتون
الى شيء ولحقوا بالعسكر في أشمون نخلت المدينة للصليبيين ففي يوم الاحد
٢٢ من الشهر المذكور سار الصليبيون قاصدين محاصرة المدينة فوجدوها
مفتوحة خالية من سكانها فدخلوها بامان واستولوا على جميع ما فيها من المؤن
والذخائر والاسلحة وعدة الحرب ودخلوا الجامع وجعلوه كنيسة فحسرت سلطان مصر
بذلك خسارة لا تعوض فاشتد نشاط الملك الصالح غيظاً لذلك وجمع اليه بني كنانة وعنفهم
لانهم زامهم على حين لم يكن داع للهزيمة فقالوا نحن لم نفعل ذلك الا بعد ان رأينا الأمير
نجر الدين فاراً ومن ورائه رجاله فامر الملك الصالح باعدام ٥٤ من امرائهم لانهم
خرجوا من دمياط بغير اذنه

✽ استيلاء الملك الصالح على الكرك ووفاته ✽

وفي ٢٤ صفر سنة ٦٤٧ كان عسكر الصالح في المنصورة وحصنها واستعد
للمدافمة وكان الملك الناصر صاحب الكرك قد سار الى حلب مستنجراً بصاحبها
واستتاب على بلاده ابنه عيسى ولقبه الملك المظفر وكان له ولدان آخران أكبر
من عيسى وهما الامجد حسن والظاهر شاذي ففضبا لتقديم أخيهما عيسى إليهما
وبعد سفر أيهما قبضا عليه وتوجه الامجد حسن الى الملك الصالح أيوب وهو
مريض في المنصورة وبذل له تسليم الكرك على اقطاع له ولاخيه بديار مصر
فاحسن اليه الصالح أيوب وأعطاهما أقطاعاً أرضاهما بها وأرسل الى الكرك
من تسليمها يوم الاثنين ١٨ جمادى الاخرى وفرح الصالح بالكرك فرحاً عظيماً
مع ما هو فيه من المرض وفي ليلة الاحد ١٤ شعبان توفي السلطان الصالح نجم

الدين أيوب وكانت مدع سلطنته على الديار المصرية تسع سنين و ٨ أشهر و ٢٠ يوماً
وعمره نحو أربعين سنة وكان مهيباً على الهمة عفيفاً طاهر اللسان والذيل
شديد الوقار كثير الصمت وجمع من المماليك الترك ما لم يجتمع لغيره حتى كان
أكثر أمراء عسكره من مماليكه ورتب جماعة منهم حول دهلينه وسهام
البحرية ولم يبق من أولاده غير الملك المعظم تورانشاه وكان مقبلاً بحصن كيفا
ومات الصالح ولم يوص بالملك لأحد فكان من جملة جواريه جارية تدعى
شجرة الدروهي والدة المعظم تورانشاه فتواطأت مع الأمير نخر الدين وورئيس
الخصي جمال الدين محسن على مبايعة ابنها وكانت عارفة بأمور الحكومة
وسياستها ويقال ان الملك الصالح كثيراً ما عهد إليها ادارة الاحكام اثناء غيابه
عنه في حملاته الحربية . فلما توفي كتبت أمر موته ووقفت في جمهور الأمراء
والأعيان قائلة (ان السلطان يأمركم ان تبايعوا بعده ابنه الملك المعظم غياث
الدين تورانشاه وقد عين الأمير نخر الدين اناك لادارة الاحكام) فبايع جميع
الأمراء . ثم أرسلت هذه الأوامر الى القاهرة فبايع جميع من فيها من القواد
وأعيان السلطنة وبعثت برسائل في ذلك مختومة بختم السلطان الصالح الى جميع
أنحاء المملكة وكان الجميع يظنون ان الملك الصالح لا يزال حياً لكنهم عندما علموا
بان الأمير نخر الدين أرسل قاصداً لاضرار الملك المعظم من حصن كيفا بسرعة الى
القاهرة داخلهم الريب

✽ محاربات الصليبيين وواقعة المنصورة ✽

بعد امتلاك الصليبيين مدينة دمياط وتبوا حاكم فيها وأقامت بها الملكة
مرغريتا وسافروا منها قاصدين مصر الناهرة فوجدوا معسكر المسلمين بالمنصورة
فرددهم عن غرضهم فاقاموا في الموضع الذي قامت به المعسكر الصليبية السادسة
واستمرت بين العدوين المناوشات وأخذت المعسكر الاسلامي تحذقهم بالنبال

وكرات النار التي يسميها مؤرخوهم النيران (الفريجاوزيه) وكان كل يوم يقتل من الصليبيين كثيرون ويأسر منهم خطفاً كثيرون ولما بلغ الصليبيين خبر وفاة الملك الصالح طعموا في البلاد فحاربوا العساكر الاسلامية محاربة قوية وكان الجيش الاسلامي بقيادة الامير نحر الدين فحارب ببسالة كلية . كل ذلك حصل بين الجيشين ببحر أشمون ولم يستطع الصليبيون العبور الى المنصورة وهم لا يملكون طريقاً اليها غير النيل فاتي اليهم بعض من غدر من المسلمين وأخبرهم عن طريق يمكنهم سلكها بسهولة فسارت سرية من فرسان جمعية الهيكليين وجمعية القديس يوحنا المعمدان بقيادة الكونت روبرتوس دي ارتواز شقيق الملك لويس وهاجمت معسكر المنصورة بفتة وكان الامير نحر الدين في الحمام فأنته الاخبار بهجوم الصليبيين فنادى برجاله وخرج للدفاع فأدركه بعضهم فقتله واشتد عزم الصليبيين حتى كادت تدور الدائرة على المسلمين لولا عمالك السلطان الصالح فانهم دافعوا دفاعاً شديداً وانقضوا على الصليبيين انقضاض الاسود على فريستها فقتلوا راول دي كوزي وغويليوم لونكانيه رؤساء الجميات المذكورة والكونت روبرتوس أخ الملك لويس ثم باقى الفرسان فلم يبقوا منهم احداً ولما بلغ خبر هذه الواقعة الملك لويس ومقتل أخيه أمر بوجو رئيس الجيوش بالسرعة في السير الى معسكر المسلمين ومباغتتهم فسار الى ان وصل الى معسكر المسلمين واشتد بينهم القتال تارة بالنبال وأخرى بالرمح ومثلها بالبلطات وبالسيوف وبعد جهاد عجيب وصبر من المسلمين شديد نزل من الصليبيين والى تريشاطو . وهو كز دي اكوستا وراول دي فنوره . وفاريس دي لوبي وأما ارارد دي ايرى فضربه أحد المماليك بسيفه فقد وجهه شطرين فلاحقهم الملك لويس وقوى عزمهم وقد وقع أخوه الثاني الكونت دي انجوعن حصانه فاراد المسلمون أسره فلاحقه لويس وجنده وخلصه من أيديهم واستمر القتال عاماً بين جميع الصليبيين

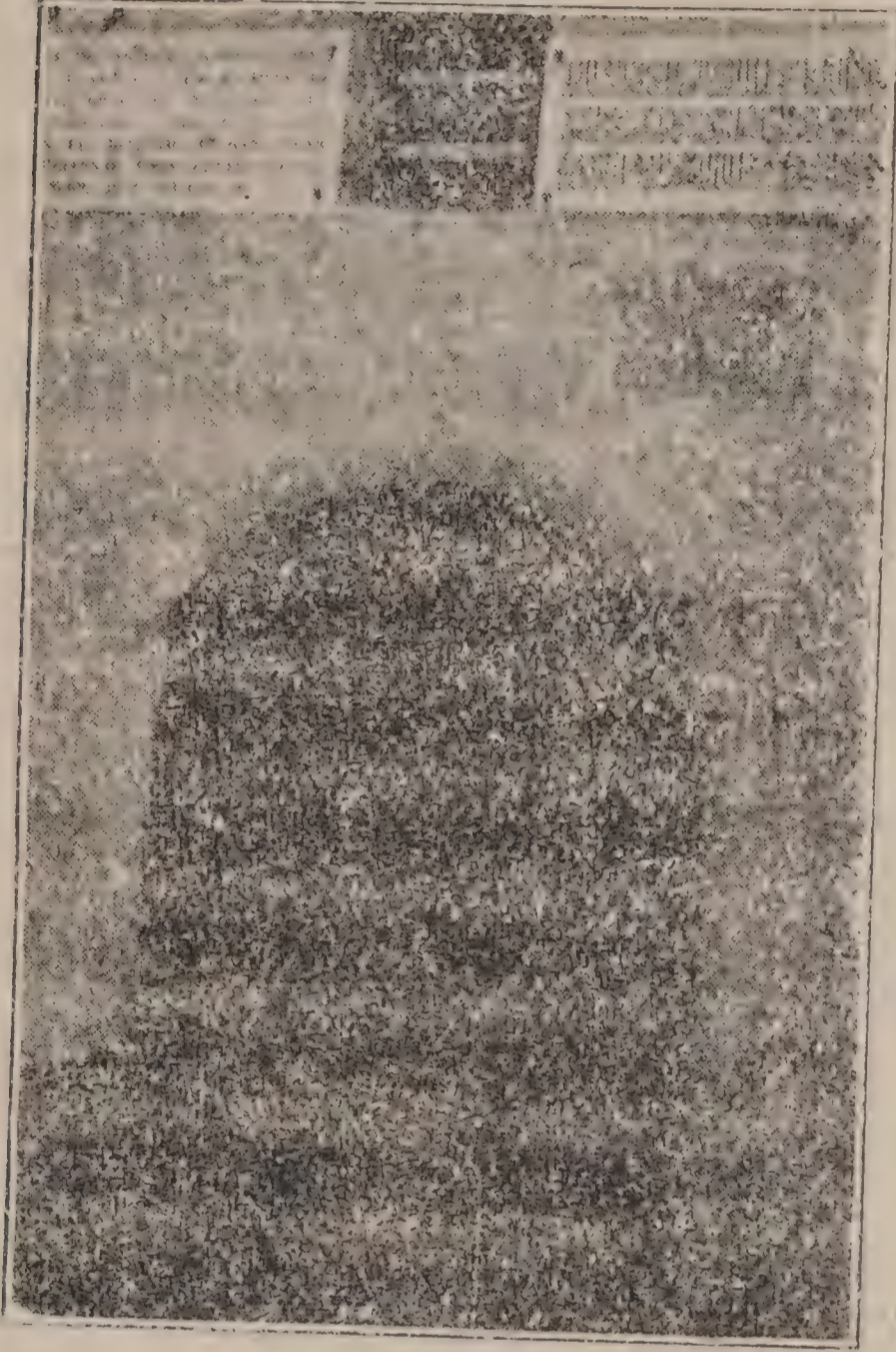
وعساكر المسلمين وقد أعياى الفريقان التعب ولم يكن أحدهما يجسر على تجديد القتال لعظم ما قاسيا من الخسائر . وبعد انقضاء هذه الواقعة المظيمة نزل بمسكن الصليبيين امراض رديئة من كثرة جثث المقتولين منهم وتصاعد العفونة فأفسدت الهواء عليهم فكثير بينهم الموت كأنه وباء ثم أعقب ذلك فناء زادهم واشتد عليهم الجوع وضربهم بسيفه تكميلاً لمصائبهم . لان عساكر المسلمين وقفوا بمرابكهم في البحر بالقرب للمنصورة . وكلما وجدوا مراكب واردة للصليبيين بالقوت هجموا عليها وأخذوها أو ارتدت ثانياً الى دمياط وكذلك الملك لويس نفسه عرض لخفاف جميع الصليبيين ان يموت الملك فاجتمعوا ووعولوا على طلب هدنة لرفع السلاح أياماً مدودة

* قدوم المعظم تورانشاه وسلطنته وواقعة الصليبيين *

(واسر لويس التاسع وغيره)

في ٢١ القعدة سنة ٦٤٧ قدم السلطان غياث الدين تورانشاه من حصن كيفا فاستولى على سلطنته واشتد عزم المسلمين به وضعفت قلوب الصليبيين ووقع القتال بين الفريقين في البر والبحر فأسر المسلمون ٢٢ مراكباً فلهما رأى الصليبيون ما كان من ضعفهم أرسل لويس التاسع يطلب المصالحة على ان يأخذوا بيت المقدس وضواحيه وينسحبوا من مصر بعد اخلاء دمياط فرفض الملك المعظم هذا الطلب وفي ٢ محرم سنة ٦٤٧ عزم الصليبيون على الرجوع الى دمياط فتهقبهم المسلمون حتى أدركوهم عربى فارسكور فاستلحموهم وأخذوا في قتلهم ويقال أنهم قتلوا منهم ٣٠ ألفاً وأسروا الملك لويس التاسع قائد الحملة الصليبية السابعة وقيده بالسلاسل الحديدية وكان الملك لويس واخوته وجميع رؤساء جيشه قد انحازوا الى منية أبي عبد الله وطلبوا

الامان فامنهم الطواشي محسن الصالحى ثم احتاطوا بهم وقبضوا على الملك المذكور
واخوته وجميع الرؤساء



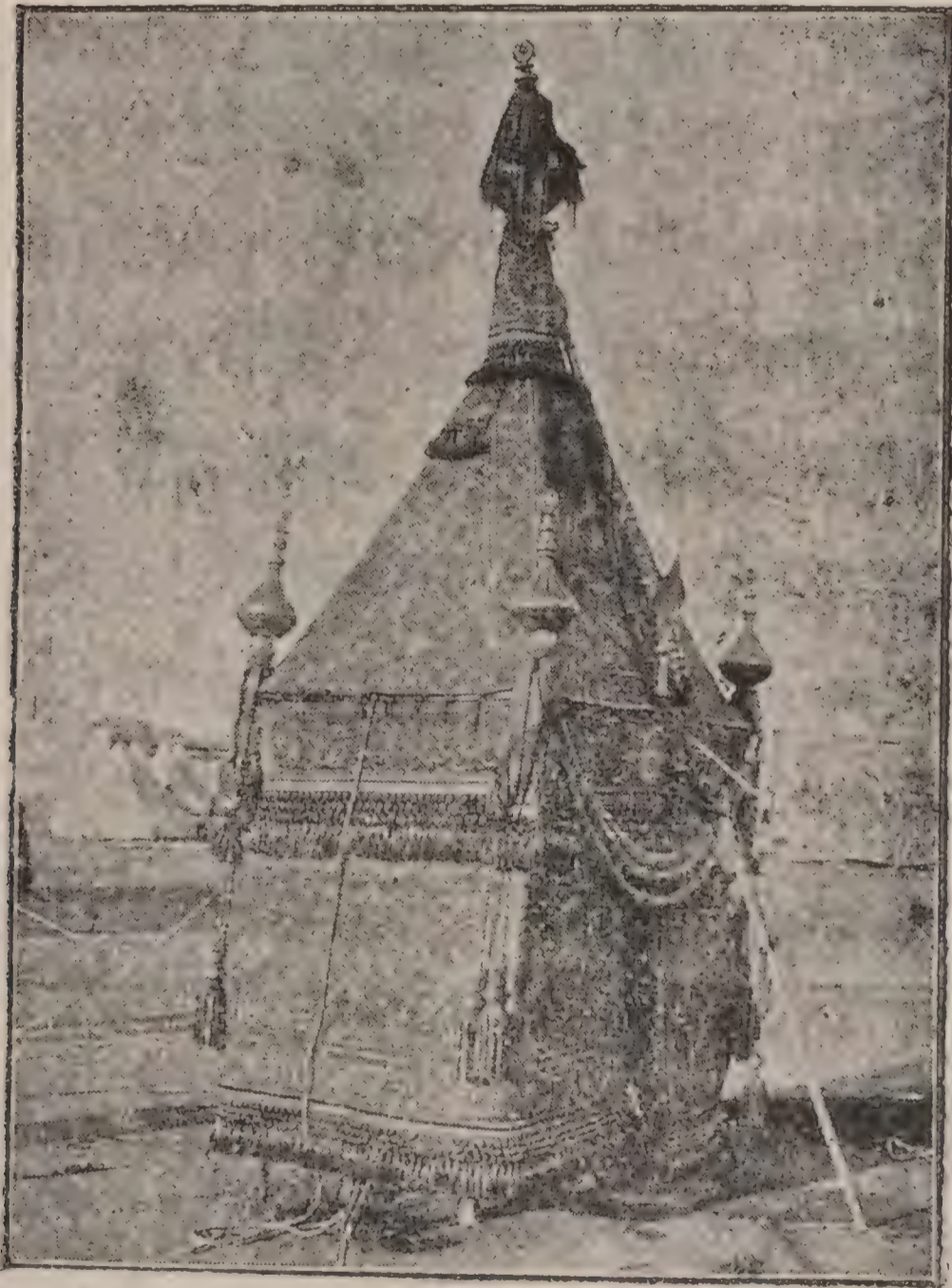
(صورة دار لقمان التي سجن فيها لويس التاسع ملك
فرانسا بالمصورة وهي باقية للآن)

وأحضروهم الى المنصورة وجملوهم في الدار التي كان ينزلها كاتب الانشاء فخر
الدين بن لقمان ووكل بالملك لويس الطواشي صبيح المعظمى ثم رحل الملك المعظم من
المنصورة ونزل بفارسكور ونصب بها برجاً من الخشب
* (قتل المعظم وسلطنة شجرة الدر واطلاق الملك لويس التاسع) *
ثم ان الملك المعظم تور انشاء عزل جميع من كان بيده أزمة الحكومة

من أمراء أبيه ومماليكه وكل منهم بلغه عنه من التهديد والوعيد ما نقر قلبه
منه واعتمد على رجاله الذين قدموا معه من حصن كيفا وكانوا سفلة أراذل
فاجتمعت البحرية على قتله بعد نزوله بفارسكو وهجموا عليه بالسيوف وكان
أول من ضربه ركن الدين بيبرس فهرب الملك المعظم منهم الى البرج الخشبي الذي
نصب له بفارسكور فاطلقوا في البرج النار فخرج المعظم من البرج هارباً طالباً
البحر ليركب في حراقتة فحاولوا بينه وبينها بالنشاب فطرح نفسه في البحر
فادركوه وأتموا قتله في يوم الاثنين ٢٩ محرم سنة ٦٤٨ وكانت مدة اقامته في
المملكة من حين وصوله الى الديار المصرية شهرين وایاماً وبموته انقضت
الدولة الايوبية ولما جرى ذلك اجتمع الامراء واتفقوا على ان يقيموا شجرة
الدر زوجة الملك الصالح في المملكة وان يكون عز الدين ايبك الجاشنكير
الصالحى المعروف بانتركاني اتابك العسكر وحلفوا على ذلك في ١٠ صفر سنة
٦٤٨ وخطب لشجرة الدر على المنابر وكان الدعاء لها بالصورة الآتية
واحفظ اللهم الجبهة الصالحية ملكة المسلمين عصمة الدنيا والدين ذات الحجاب
الجميل والستر الجليل والدة المرحوم خليل زوجة الملك الصالح نجم الدين أيوب
وضربت السكة باسمها وكان نقش السكة (المستصمية الصالحية ملكة المسلمين
والدة الملك المنصور خليل) وكانت قدرزقت من الملك الصالح ولداً اسمه
خليل مات صغيراً (فسميت بهذا الاسم) وكانت صورة علامتها على المناشير
والنواقيع (والدة خليل) ثم دارت المخابرة بين رجال الحكومة المصرية
وبين الملك لويس التاسع المحبوس بشأن اطلاقه هو ومن معه من الاسرى
قم الصالح على ان يدفع ٨٠٠ الف دينار ويسلم مدينة دمياط ويرحل بسلام
وتطلق الحكومة المصرية جميع الاسرى فاستقر الرأي على ذلك وكانت دمياط
لم تنزل مع الصليبيين والعساكر الاسلامية محاطة بها والمملكة مرغريتا تقيم
فيها وهي حامل فوضعت ولداً فسمته تريستان (أى الحزين) وكان الصليبيون

الذين معها بالمدينة وهم البيزاويون والجنويون قد عزموا على ان يهربوا من المدينة
 ويتركوا هذه الملكة فوزعت عليهم جميع ما عندها من الذهب والفضة حتى استمالتهم
 ثم ركب الملك لويس واخوته وبعض الرؤساء وساروا قاصدين دمياط وحوله
 العساكر الاسلامية للاستيلاء على دمياط واستلام المبلغ المقرر فلما وصلها
 سلمها للعساكر المصرية ودفعت ٤٠٠ الف دينار ونزل هو وباقي الصليبيين
 وزوجته بمراكب البحر وسار قاصداً عكا

وهي أول من ارسل الحمل من مصر الى مكة وعينت له أميرا وكانت تعمل
 له المراكب الفاخرة ولا يزال ذلك جاريا الى الآن وعينه



(صورة الحمل)

قال جمال الدين يحيى ابن مطروح في ذلك ابياتاً منها

قال لفرنسيس اذا جئته	مقال صدق عن قؤول نصيح
ايت مصر ايتقي ملكها	تحسب ان الزمر ياطبل ربح
وكل أصحابك اوردتهم	بحسن تدبيرك بطن الضربح
خمين الفأ لا ترى منهم	غير قتيل أو أسير جريح
الهمك الله الى مثلها	لعل عيسى منكم يستريح
اذا كان باباكم بذاً واضحياً	فرب غش قدأني من نصيح
وقل لهم ان اضمروا عودة	لاخذ ثار أو اقصد صحیح
دار ابن لقمان على حالها	والقيد باق والطواشي صيح

* (الملك لويس بعكا وسلطنة ايبك الجاشنكير) *

ولما وصل الملك لويس التاسع الى عكا ببعض رجاله لان الآخريين
سافروا الى بلادهم اجتهد في جمع باقي المبلغ المقرر وقدره ٤٠٠ الف دينار
ولما كمل عنده ارسله صحبة بعض الصليبيين الى الديار المصرية وطلب اطلاق
باقي الأسارى فاستلموا المبلغ وأطلقوا نحو اربعمائة أسير فقط فاغتاض لويس
وأخذ يستعد في تحصين بلاد سوريا واما شجرة الدر فان الناس لم يرتاحوا الى
طاعتها فانفذ السوريون الى الخليفة العباسي في بغداد يستفتونه في أمر هذه
الملكة فكتب اليهم مامفاده (اذا لم يكن بينكم من يصلح لسلطنة اقدم اليكم
فاقيم عليكم من يحكم فيكم أما قرأتم ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم عليهن)
فاستمسك بمالك مصر بهذه الفتوى وتار رفقاً بهم في دمشق وخلصوا طاعة
شجرة الدر وبايعوا سلطان حلب الملك الناصر يوسف الايوبي في ٨ ربيع
أول سنة ٦٤٨ وقتلوا كل من كان في دمشق من المماليك على دعوة شجرة

الدر وفعل مثل ذلك أهل بعلبك وشميمس وعجلون فنشأ بسبب ذلك خصام
 بين مماليك سوريا ومماليك مصر آل الى مواقع حربية فتمكن عز الدين ايبك
 في هذه الانقسامات والاستقلال والجا الامراء شجرة الدر الى الاستقالة فاستقلت
 ثم بويغ عز الدين ايبك على مصر ولقب بالملك المعز الجاشنكير التركماني الصالحى وتزوج
 بشجرة الدر فانضم حزبها الى حزبه . وبعد قليل انقسم المماليك الى حزبين عرفا
 بالهزبين نسبة الى الملك المعز ايبك وبالصالحين نسبة الى الملك الصالح نجم الدين
 وتنازعا النفوذ ففاز الصالحيون

﴿ سفر اخوات الملك لويس الى فرنسا وسلطنة

الملك الاشرف ابن يوسف ﴾

وفي اثناء ذلك ارسلت الملكة بلانشا والدة الملك لويس التاسع ونائبته على
 الملكة الى ولدها المذكور بسوريا تطلب منه سرعة سفره الى مملكته فهزم على
 السفر فاستغاث به صليبيو سوريا وطلبوا منه البقاء معهم خوفاً من استيلاء المسلمين
 على بلادهم بعد سفره فاجاب طلبهم وعدل عن السفر الى مملكته فلما رأى ذلك
 اخواه أى عزمه على الإقامة بسوريا ركب البحر وتبهما باقى الصليبيين وسافروا
 الى بلادهم . وأما المماليك الصالحيون فانهم اجبروا ايبك أن يقبل بمبايعة شاب
 من العائلة الايوبية لم يبلغ الثامنة من العمر وكان فى اليمن واسمه موسى مظفر الدين
 ابن يوسف اتسز ملك اليمن فبويغ فى ٥ جمادى الاولى سنة ٦٤٨ وبأيامه الناس
 ولقبوه الملك الاشرف وتعين عز الدين ايبك اتابكاه غير ان ازمة الاحكام
 ما برحت فى يده ولم يكن الاشرف الا اسماً بلا معنى ومن الغريب تأليف هذه
 السلطنة المزدوجة من أحد سلالة العائلة الايوبية وأحد مماليكها والاغرب من
 ذلك أن يخطب لهما معاً

﴿ حروب بين المماليك والسوريين واتحادهم مع الملك لويس ﴾

﴿ وتخریب دمیاط ﴾

وفي خلال ذلك نهض سلطان دمشق ناصر الدين يوسف الايوبي للاخذ بشار
الملك المعظم فدعى اليه اقاربه امراء العائلة الايوبية للتماضد على ذلك ولتأكيده النجاح
بمسهاه طالب من الملك لويس التاسع مساعده وولما احس بذلك المصريون ارسلوا
الى لويس المذكور مائتي فارس من الاسرى وطلبوا منه عقد معاهدة مقتضاها
ان المصريين اذا انتصروا على صاحب دمشق اعطوا ملك فرانس القديس وان
جميع البلاد التي يستولون عليها تكون مناصفة بينهم فقال الملك لويس الى
معاهدة المصريين واعتذر الى صاحب دمشق بان بينه وبين المصريين هدنة
بعشر سنين

فاتصل امر تلك المخبرات بساطان دمشق فانفذ فرقة من عشرين الف
مقاتل تحول دون اتحاد الجيشين فمثروا بالمصريين في شزة فهاضوهم حتى
ارجعهم الى الصالحية فاجدهم الفارس اقطاي يوم الخميس ١٠ ذي القعدة
سنة ٦٤٩ في العباسية وتقاتلا فانكسر المصريون اولاً فتمقبهم السوريون فجعل
ايبك والفارس اقطاي انهزامهما نحو سوريا ومعهما جماعة من الفرسان
فالتقيا بشمس الدين لولو في شردمة من رجاله فقتلاه وشتتا رجاله فشتد ازرهما
فبادا لمهاجمة سلطان دمشق وكان في معسكره مع شردمة قليلة من الجند . أما
باقي الجيش فكانوا يتعقبون الجيش المصرية المنهزمة فاضطر ناصر الدين الى
الفرار بنفسه فقبضه فلم يدركاه فعادا الى مصر فرأيا الجيش السورية قد دخلت
القاهرة وخاف اهلها ظناً منهم ان النصر لناصر الدين فبايعوه وخطبوا له
الا ان الأئمة لم يوافقوا على تلك المبايعة فلم ينجوا من انتقام ايبك فلما علم المصريون
ان النصر لهم فرحوا جداً وابطلوا مبايعة ناصر الدين أما هذا فلما رأى أمر

انكساره على ما تقدم لم يعد يمكنه اعادة الحرب ثانية فصالح المصريين على أن
 ينجلي لهم عن مصر وغزة وبيت المقدس ولكنه ربح من الجهة الثانية ما كان
 برومه من فساد المعاهدة بين المصريين والصليبيين . ثم اتفق المماليك
 البحرية على تخريب مدينة دمياط خوفاً من قدوم الصليبيين اليها مرة أخرى
 فسيروا اليها الحجارين والفعلة قتلوا هدم اسوارها ومحيط اثارها ولم يبق
 منها سوى الجامع ويمرف بجامع الفتح واخصاص ابنتها بعض الفقراء للسكن
 في قلبها ودعوا ذلك المكان المنشية . أما دمياط الباقية الى هذا المهد فابتدعت
 على انقاض تلك

طلب الملك لويس التاسع النجدة من اوروبا

ووفاة الاشراف بن يوسف

لما علم الملك لويس بفساد المعاهدة المذكورة واتحاد المسلمين خاف على
 بلاد سوريا فارسل الى البابا برومية يطلب منه المساعدة في ارسال نجدة الى
 سوريا وكذلك ارسل الى والدته بلانشا نائبة المملوكة الفرنسية فسار البابا
 يرسل المنشورات بالحث والتحريض على نجدة لويس الى ملوك اوروبا فلم
 يلتفت احد الى اوامره وكذلك في فرانسوا وذلك لعلم الجميع بما حصل للملك
 فرانسوا وغيره من الملوك وانه من عهد الحروب الصليبية الاولى وتجريداتهم
 تذهب هباء منثوراً . وامام من جهة المصريين فان الفارس اقطاي عظم في عيون
 المصريين لما اظهره من البسالة والاقدام في الحروب الاخيرة فلقبه احزابه
 بالملك وتزوج أخت المنصور سلطان حماء واسكنها في القلعة لاتصال جبل
 قريباها بالعائلة الملوكية فاوجس ايبك شراً من انتشار نفوذ الفارس المذكور
 حتى خشى مناظرته في الملك فاخذ يسعى للتخلص منه وكان الفارس زعيماً
 لحزب من المماليك الصالحية وكان يطلبون له المشاركة في الملك مع الملك

الاشرف وما زالواحتي نالوا مطلوبهم فرقى كثيرين منهم وفي جملةهم سيف الدين قطوز الذي صار ملكا بعد ذلك . اما الفارس اقطاي فقتله ايبك وهو داخل بسر اى القلعة ثم خشى الوقوع فى شر أعماله فأمر بقفل أبواب القلعة وأبواب المدينة ولبث يتوقع الحوادث فلم تمض برهة حتى جاء الامراء الصالحيون برئاسة ركن الدين بيبرس وتجمهروا على أبواب القلعة وطلبوا الفارس اقطاي ظنا منهم انه كان مأسورا فرمى اليهم برأسه من على السور فلما علموا بقتله ارتفعت قلوبهم فمدوا الى الفرار قاصدين باب القراطين ففتحوه وساروا قاصدين سوريا وبقى منهم شردمة قبض عليهم وأودعوا السجن فلما تخلص الملك المنز ايبك من طائفة الامراء الصالحين قبض على الملك الاشرف وألقاه فى سجن مظلم فمات فيه تديسا بعد ان حكم سنة وشهرا واستقل ايبك بالسلطنة واستوزر شخصا من نظار الدواوين يدعى شرف الدين هبة الله ابن صاعد الفائزى أحد كتاب الاقباط وكان قد تظاهر بالاسلام فى أيام الملك الكامل وترقى فى خدمة الكتابة وكان طيبا له شهورا بالطب والسياسة فلما صار وزير أقرر على التجار وذوى اليسار وأرباب العقاقير أموالا ورتب مكوسا وهو أول قبطى ولى الوزارة

﴿ انتهاء الحروب الصليبية السابعة ﴾

لما عم الملك لويس التاسع بان أوروبا لا ترسل اليه عساكر صليبية ولا يأتيه أحد من مملكته نفسها خاف من فشله فأرسل الى بلاد الموره ورومانيا وقبرص يطلب الجنود على نفقته فجاءته عساكر منها برواتب شهرية ومصاريف وغيره حتى فرغت خزائنه ولكنه لم يمكنه ان يتقدم لمحاربة المسلمين فحصل له فشل فصرف جهده فى تحصين بلاد الصليبيين بسوريا بالصدء جماعات الهاجمين ثم أتاه خبر من فرانسا يفيد موت والدته الملكة بلانشا نائبة المملكة وطلب سرعة حضوره لاستلام

المملكة فخالا استعداد للسفر ونزل في سرايكة وسار نحو بلاد فرانساً قاصداً مملكته
وبذلك انتهت الحروب الصليبية السابعة

﴿ وفاة ايبك الجاشنكير و سلطنة ولده نور الدين ﴾

ولما استتب المقام لايبك وتخلص من المماليك الصالحية وغيرهم ممن كانوا
ينازعون الملك حسب الجوق قد خلا له وما درى ان شجرة الدر لاتزال واقفة له
بالمصر بعد ان صارت له زوجة فكانت تحول دون كثير من مقاصده ولم يكن
يجسر على مقاومتها مع علمه باستقلالها من مهام الملك على انه لم يستطع احتمال هذا
التقييد والسلطان في يده فجعل يبحث عن طريقة تنقذه من هذه القيود مع علمه
ان مكائد النساء أشد وطأة من ملاقات أبطال الرجال . فادعى انها عقيمة لا يرجو
منها نسلاً فاقنتي عليها سرارى أخريات فولدت له احداً من ولداً دعاه نور الدين على
ثم بلغها انه ساع الى التزوج بابنة بدر الدين لولو ملك الموصل وكان قد أمسك عن
زيارتها فاشتتت حسداً لملها ان هذه الزوجة الاخيرة من بنات الملوك فخافت
ان تحمل حملها من العظمة فاقرت على الكيد به . فينما كان ماراً في ٢٣ ربيع اول
سنة ٦٥٥ في الدهليز السرى الى دار الحريم وثب عليه خمسة خصيان بيض كانوا قد
كنوا له هناك وخنقوه بعمامته وكان ذلك بدسيسة شجرة الدر فاشاعت انه مات
مصر وعاد وكان ايبك ظلوماً غشوماً أسفاً كالدماء . ولم تجسر شجرة الدر تعاطي
الاحكام بنفسها خوفاً من الايقاع بها فجاءت بخاتم الملك الى أميرين من كبار الامراء
وهما جمال الدين عضو غدى وعز الدين الحلبي وطلبت اليهما أمام جثة زوجها ان
يستلمازمام الاحكام فأيا . وكان قتل ايبك في داخل السراى ليلاً ولم يشع الخبر
في القاهرة حتى الصباح التالى . فلما علم أصحابه من المماليك بما حل به
أضمر واعلى الانتقام وكان سن ابنه نور الدين على ١٥ سنة فماتوه ولقبوه بالملك
المنصور وكانت مدة ايبك في الاحكام عشر سنوات و ١١ شهراً شاد في خلالها

بنايات عظيمة وفي جملتها مدرسة دعاها المدرسة المعزية نسبة اليه بناها على ضفة النيل في مصر القديمة وربط لها دخلاً مخصوصاً للنفقة عليها . وهو أول من أقام من ملوك الترك بقلعة الجبل . ولما بويع الملك المنصور قبض على قاتلة أبيه وعهد بها الى نساء بيته فاماتوها ضرباً بالقباقيب على رأسها وطرحوا جثتها في حندق القلعة فأكلت الكلاب نصفها ودفن النصف الباقي قرب مدفن السيدة نفيسة أما الملك المنصور فلم يحكم الامدة قصيرة تحت مناظرة وصيه شرف الدين هبة الله المتقدم ذكره ولم يلبث حتى استبدله بسيف الدين قطوز مع لقب اتابك أي وصي الملك ونائبه ولما تولى سيف الدين هذا المنصب استقدم اليه المماليك الصالحية من سوريا وعقد معهم مجلساً أقروا فيه على عدم لياقة نور الدين للاحكام نظر الصغر سنه وأذاعوا ذلك فأنزلوا نور الدين في ٤ ذي القعدة سنة ٦٥٧ بعد ان حكم سنتين

﴿ استيلاء التتر على بغداد وانقراض الدولة العباسية ﴾



(صورة هولاء كو ملك التتر)

في أول سنة ٦٥٦ قصد هولاء كو ملك التتر مدينة بغداد وملكها في ٢٠ محرم عنوة وقتل الخليفة المستعصم بالله وسبب ذلك ان وزير الخليفة مؤيد الدين

ابن الملقمى كان رفضياً وكان أهل الكرخ روافض فحرت فتنة بين السنة
والشيعة ببغداد على جرى عادتهم فامر أبو بكر ابن الخليفة وركن الدين دويدار
العسكر فهبوا الكرخ وهتكوا النساء وركبوا منهن الفواحش فغضبهم ذلك على
الوزير ابن الملقمى وكاتب التتر واطمعتهم في ملك بغداد وكان عسكر بغداد يبلغ
مائة الف فارس فتمطمعهم المستعصم ليحمل الى التتر متحصلاً اقطاعاتهم وصار
عسكر بغداد دون عشرين الف فارس وارسل ابن الملقمى الى التتر اخاه يستدعيهم
فساروا قاصدين ببغداد في جحفل عظيم وخرج عسكر الخليفة لقتالهم ومقدمهم
ركن الدين الدويدار والتقوا على مرحلتين من بغداد واقتتلوا قتالاً شديداً
فانهزم عسكر الخليفة ودخل بعضهم ببغداد وسار بعضهم الى جهة الشام ونزل
هولا كو على بغداد من الجانب الشرقي ونزل باجو وهو مقدم كبير في الجانب
الغربي على قرية قبالة دار الخلافة وخرج مؤيد الدين الوزير ابن الملقمى الى
هولا كو فتوثق منه لنفسه وعاد الى الخليفة المستعصم وقال له ان هولا كو يبيك
في الخلافة كما فعل بسطان الروم ويريد ان يزوج ابنته من ابنك أبي بكر وحسن
له الخروج الى هولا كو



(صورة الخليفة المستعصم بالله)

فخرج اليه المستعصم في جمع من اكار اصحابه فانزل في خيمة ثم استدعى

الوزير الفقهاء والامائل فاجتمع هناك جميع سادات بغداد والمدرسون وكان
منهم محبى الدين ابن الجوزى وأولاده وكذلك بقي يخرج الى التتر طائفة بعد
طائفة فلما تكاملوا قتلهم التتر عن آخرهم ثم مدوا الجسر وعدى باجو ومن
معه وبنوا السيف في بغداد وهجموا دار الخلافة وقتلوا كل من كان فيها من
الاشراف ولم يسلم الا من كان صغيراً فاخذ أسيراً ودام القتل والنهب في بغداد
نحو أربعين يوماً ثم نودي بالامان

وأما الخليفة فانهم قتلوه ولم يقع الاطلاع على كيفية قتله فقبل خنق وقيل
غرق في دجلة وقيل غير ذلك وكان المستعصم ضعيف الرأي وكانت خلافته
نحو ١٦ سنة وهو آخر الخلفاء العباسيين ببغداد وكان ابتداء دولتهم في سنة
١٣٢ وكانت مدة ملكها ٥٢٤ سنة تقريباً وعدد خلفائهم سبعة وثلاثون
خليفة

﴿ سلطنة المظفر سيف الدين قطوز وانتصار المصريين على التتر ﴾

وسيف الدين هذا شريف الاصل من عائلة ملوكية خلافاً لسلفه فهو
ابن مودود شاه ابن أخ ملك خراسان فتح التتر بلاده فتشتت عائلته ولما
تولى سلطنة مصر لقب بالملك المظفر وحالما استوى على السلطنة قبض على
نور الدين وأمر بقتله فحاول العلامة شرف الدين المدافمة عنه فصلبه على باب
القلعة . ثم لاح له ان دمياط بعدان دكت أسوارها لم يمد شىء يعيق مراكب
العدو عن المرور في النيل فامر بدم مصب النيل هناك وبعث بفرقة من
الحجارين فمضوا وقطعوا كثيراً من الحجارة والقوهار فيه حتى ضاق وتمذرو سير
المراكب منه الى دمياط وهو على ذلك الى اليوم فان المراكب الكبيرة لا تستطيع
المرور فيه فتتقل البضائع منها الى الجروم والمتواتر على السنة البعض ان
سبب ذلك وجود جبل أورمل منجمع هناك . ثم كاتب ركن الدين بيبرس

البندقدارى الملك المظفر قطوز فبذل له الامان ووعدده الوعود الجميلة فجاء
 بپرس الى مصر فى جماعة من أصحابه فأقبل عليه الملك المظفر واكرمه وانزله
 فى دار الوزارة واقطعه قليوب وأعماله فى خلال ذلك جاء القاهرة قائد تترى
 ناقلا منشوراً من هولاء كو ملك المغول (التتر) حفيد جانكيز خان وكان التتر
 قد انتشروا فى جميع أسيا الشمالية والشرقية واستولى هولاء كو بعد بغداد
 الموصل وحلب ودمشق وجميع السواحل البحرية حتى قدم مصر فبعث اليها
 منشوراً ونصه (من ملك الملوك الحاكم من الغرب الى الشرق أعظم الخانات
 هولاء كو خان فاتح الفتوحات الغربية صاحب الجيوش العديدة الى أهل مصر
 فيا أهل مصر لا تخاطروا بانفسكم فى محاربتى لانكم ان فلتتم اذا انتم مخذولون
 فاقتدوا بغيركم من سكان حلب والموصل) فلما قرأ قطوز ذلك المنشور وعلم
 ما كان من أمر فتوحات هذا التترى وما هو عليه من القوة والمنعة أوجس خيفة
 غير ان جيوشه كانوا قد حاربوا الجيوش الصليبية وانتصروا عليها ولم يزل فى
 نفوسهم عزة الظفر وانفة النصر فاستخفوا بقول هولاء كو واصروا على القتال
 فحشدهم قطوز وجهزهم بما يلزم من العدة والسلاح واستقدم اليه قبائل العربان
 وفرق فيهم وفى سائر جيشه نحواً من ٦٠٠ الف دينار جمعها من الضرائب التى
 اقامها على المصريين مما دعاه تصقيع الاملاك وزكاتها واحدث على كل انسان
 ديناراً يؤخذ منه وأخذ تلك التركات الاهلية فكان يجمع منها ٦ آلاف ديناراً
 سنوياً . ثم سار من القاهرة الى الاقادة التترى فى غاية شعبان سنة ٦٥٨ هـ وما كاد الجيشان
 يلتقيان حتى اتصل بهولاء كو خبر موت أبيه منجوخان ملك التتر فاضطر الى
 العود حالاً ليطالب بحقوق الوراثة فعاد تاركاً فى سوريا قسماً من نخبة فرسانه تحت
 قيادة نسيبه ونائبه كتبوغا لمحاربة قطوز فالتقىا فى فلسطين فى عين الجالوت
 فالتحم الجيشان فانهمزمت التتر هزيمة قبيحة وأخذتهم سيوف المسلمين وقتل مقدمهم
 كتبوغا واسرا بنه وتعلق من سلم من التتر برؤوس الجبال وتبعتهم المسلمون

فانقوهم وهرب من سلم منهم الى الشرق فأرسل ركن الدين بيبرس البندقدارى
 فى أثرهم فتبعهم المسلمون الى أطراف البلاد الشرقية فتضاعف شكر المسلمين
 لله تعالى على هذا النصر العظيم لان القلوب كانت قد يشتت من النصره على التتر
 لاستيلائهم على معظم بلاد الاسلام ولانهم ما قصدوا اقلها الا فتحوه ولا عسكرياً
 الا هزموه فابتهجت الرعايا بالنصره عليهم وفى يوم دخول المظفر دمشق أمر
 بشنق جماعة من المتسبين الى التتر فشنقوا وكان من جملتهم حسين الكردى
 طيردار الملك الناصر يوسف وغنم المصريون غنيمة كبيرة تكفى لاغناء
 كل المشرق لانها تحتوى على أثنى ما نهبه هولاء من أغنى المدن أثناء
 فتوحاته

* قتل الملك المظفر وسلطنة الظاهر بيبرس البندقدارى *

وبينما كان الملك المظفر قطوز عائداً من سوريا الى الديار المصرية أتحدت
 المماليك الصالحية على قتله ومنهم ركن الدين بيبرس البندقدارى وانص مملوك
 نجم الدين الرومى الصالحى والمهاروتى وعام الدين صفن أغلى وساروا معه
 يتوقعون الفرصة فلما وصل قرب الصالحية وقد سبقه العساكر الى الصالحية
 فبينما هو سائر وحوله الامراء اذ مر بين يديه أرنؤب برى وكان مولعاً بالصيد
 فسار فى أثره فى خرض الصحراء وساروا معه الامراء المذكورين فلما بعدوا
 تقدم اليه انص وشفع عنده فى انسان فاجابه الملك المظفر قطوز الى ذلك فاهوى
 لتقبيل يده وقبض عليها فحمل عليه ركن الدين بيبرس حينئذ وضربه بالسيف
 واجتمعوا عليه ورموه عن فرسه ثم قتلوه بالنشاب وذلك فى ١٧ ذى القعدة
 سنة ٦٥٨ ثم دفنوه فى قبر صغير قرب قبر خلف فخشى ذوو الفقيد ان تبلغ
 موسى لحاهم فتفرقوا فى مصر السفلى لا يظهرون على أحد فكانت مدة
 ملكه احدى عشر شهراً و ١٣ يوماً وسار بيبرس بعد ذلك ورفقاه حتى

وصلوا الى الدهليز بالصالحية وكان عند الدهليز نائب السلطنة فارس الدين
 اقطاعي المستعرب فسأهم نائب السلطنة المذكور وقال من قتله منكم فقال له
 بيبرس أنا فقال له اقطاعي اجلس ياخوندي مرتبة السلطنة فجلس واستدعيت
 العساكر للتحلف فحلفوا له في اليوم المذكور أيضاً



الفيهر بيبرس السقدي

واستقر بيبرس في السلطنة وتلقب بالملك القاهر ركن الدين بيبرس
 الصالح ثم بعد ذلك غير لقبه عن الملك القاهر وتلقب بالملك الظاهر لأنه بلغه

ان القاهر لقب غير مبارك وأضاف اليه أبو الفتوح وكان يلقب أيضاً بالعلوي
وبالبندقداري نسبة الى سيده المسمى علاء الدين بندقدار الصالحى ثم سار
الملك الظاهر بيبرس الى القاهرة فدخلها وكانت مزينة للملك المظفر فاستمرت
الزينة للملك الظاهر بيبرس ولم يات له امر السلطنة جعل بهاء الدين وزيراً وبيلى
بك وهو من أعز أصدقائه من المماليك خزنداراً واستقدم من بقي من عائلة
قطوز فامنهم وضمهم اليه واطلق من في السجون جميعاً بغير استثناء واكثر
من العطايا لرجالهم وابطل كثيراً من الضرائب التي كانت قد ضربها سلفه
كتصحيح الاملاك وتقويمها وأخذ زكاة ثمنها في كل سنة وجباية دينار كل
انسان وغير ذلك وأعلن أمره هذا على لسان الخطباء في المنابر . على انه مع
ذلك لم ينل رضاء كل الرعية لاسيما السوريون فانهم شقوا عصا الطاعة وبايعوا
الامير سنجر الحلبي حاكم دمشق ولقبوه بالملك المجاهد فارسل الظاهر بيبرس
عسكراً بقيادة علاء الدين البندقدار سيده لقتال علم الدين سنجر الحلبي
فوصلوا الى دمشق في ١٣ صفر سنة ٦٥٩ فخرج اليهم الحلبي لقتالهم وكان
صاحب حماه وصاحب حمص مقيمين في دمشق ولم يخرجوا مع الحلبي لقتال
العساكر المصرية فاقتتل الحلبي مع علاء الدين فولى الحلبي واصحابه منهرمين
الى قلعة دمشق واقام بها الى ان جن الليل فهرب منها الى جهة بعلبك فتبعه
العسكر وقبضوا عليه وحملوا الى الديار المصرية فاعتقل ثم اطلق واستقرت
دمشق في ملك الظاهر بيبرس واقامت الخطبة له بها وبغيرها من سوريا مثل
حماه وحلب وحمص واستقر علاء الدين ايدكين البندقداري نائبا بدمشق
لتدبير أمورهما ثم رحل صاحب حماه وصاحب حمص من دمشق الى بلادهما
ثم أرسل الظاهر بيبرس مرسوماً الى علاء الدين البندقدار نائب دمشق بالقبض
على بهاء الدين بغدى الاشرفي وعلى شمس الدين اقوش البرلى فبقي علاء الدين
متوقفاً الفرص لتنفيذ ذلك فقبض على بهاء الدين وخرج اقوش البرلى من دمشق

ليلاً ونزل بالمرج فارس إلى علاء الدين إليه يطيب قلبه فلم يلتفت إليه وسار إلى حلب ودخلها وأخرج منها فخر الدين الحمصي بحيلة واستبد فيها وجمع العرب والتركان واستعد لقتال عسكر مصر ثم أرسل الظاهر بيبرس جمال الدين المحمدي الصالحى لقتال البرلى ثم رضى عن علم الدين سنجر الحلبي وجهازه بعسكر وراء المحمدي ثم أردفه بهز الدين الدمياطي بعسكر آخر وساروا الجميع إلى حلب لقتال البرلى فطردوه منها

✽ انتقال الخلافة العباسية إلى الديار المصرية ✽

في رجب سنة ٦٥٩ قدم إلى مصر جماعة من العرب ومعهم شخص أسود اللون اسمه أحمد زعموا أنه ابن الامام الظاهر بالله محمد ابن الامام الناصر وأنه خرج من دار الخلافة ببغداد لما ملككم النتر فمقد الملك الظاهر بيبرس مجلساً حضر فيه جماعة من الاكابر منهم الشيخ عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام والقاضي تاج الدين عبد الوهاب بن خلف المعروف بابن بنت الاعز فشهد أولئك العرب ان هذا الشخص المذكور هو ابن الظاهر محمد بن الامام الناصر فيكون عم المستعصم واقام القاضي جماعة من الشهود اجتمعوا باولئك العرب وسمعوا شهادتهم ثم شهدوا بالنسب بحكم الاستفاضة فثبت القاضي تاج الدين نسب أحمد المذكور ولقب المستعصم بالله أبا القاسم أحمد وبإيمانه الملك الظاهر بيبرس والناس بالخلافة واهتم الملك الظاهر بامره وعمل له الدهاليز والجمدارية وآلات الخلافة واستخدم له عسكرياً فاصبحت القاهرة من ذلك الحين مقر الخلفاء العباسيين غير ان سلطتهم لم تكن تعتبر الا من وجهها الديني فنط وكانوا يقبون بالائمة وقد رافق نزول العباسيين بالقاهرة فخط عم سائر القطر فتشاءم الناس بحلوهم . اما بيبرس فلم يأل جهداً في استجلاب الاقوات من سائر جهات سوريا وغيرها وتفريتها على الناس فانقد

فتوحات الملك الظاهر بيبرس ووفاة المستنصر

وخلافة الحاكم بامر الله *

ثم أراد بيبرس ان يسترجع مدينة بغداد للخلفاء العباسيين فانقدم الخليفة المستنصر بالله جنداً عظيماً وبرز معه الظاهر بيبرس وتوجهوا الى دمشق فنزل الظاهر بالقلمة ونزل الخليفة في جبل الصالحية ونزل حول الخليفة امرأته واجناده وجهز الخليفة عسكره للمسير الى بغداد طمعاً في انه يستولى عليها ويجمع عليه الناس فسار الخليفة المستنصر من دمشق بعسكره وركب الملك الظاهر وودعه ووصاه بالتأني في الامور ثم عاد الملك الظاهر من توديعه الى دمشق ثم سار الى الديار المصرية ثم وصلت اليه كتب الخليفة المستنصر بانه قد استولى على عانة والحديثة وولى عليهما و قبل ان يصل الخليفة ومن معه الى بغداد لاقاهم التتر في الطريق فخاربوهم وشذتوا شملهم وقتلوا الخليفة ولم يجلس على كرسي الخلافة الا خمسة اشهر وعشرين يوماً قبايعوا في القاهرة الخليفة الحاكم بامر الله بعد ثبوت نسبه واقامه الظاهر بيبرس في برج محترزاً واشرك له الدعا في الخطبة لا غير ثم امر السلطان الى كل من سنقر الرومي وصاحب حماه وصاحب حمص ان يسيروا الى انطاكية وبلادها للاغارة عليها فساروا اليها ونهبوا بلادها وضايقتوها ثم عادوا فتوجهت المساكن المصرية صحبة سنقر الرومي الى مصر ووصلوا اليها ومعهم ما ينوف عن ثلثمائة أسير فقابلهم الملك الظاهر بالاحسان والانعام ثم سار بيبرس بتجريدة اخرى لفتح قلعة الكرك انتقاماً من صاحبها الملك المغيث فتح الدين عمر وسبب ذلك ان بيبرس قبل توليته سلطنة مصر كان قد ترك امرأته عند المغيث فتح الدين وقاية لها مما كان يقاسيه من الاسفار والعذاب وعهد اليه رعايتها فلم يحترم هذا حرمة الدين والشرف ففتك بها بغير وجه الحق فانصل ذلك بيبرس

وكان قد تولى سلطنة مصر فثار فيه حب الانتقام فجرد المساكر وسار الى الكرك وحاصر قلعتها وكانت منيعة الجانب طالما امتعت على كبار الفاتحين ومنهم السلطان صلاح الدين ثم تمكن بيبرس من القبض على المفتاح فتح الدين احتيالا وسلمه الى امرأته فقتلته بالقباقيب على مثل ما قتلت عليه شجرة الدر فأمنت الكرك بغير رئيس فسلمت وصارت جزءاً من مملكة مصر فأرسل بيبرس اليها بدر الدين اليسرى الشمسى وعز الدين أستاذ الدار في يوم الخميس ٢٣ جمادى الآخرة سنة ٦٦١ ثم عاد الى الديار المصرية

﴿ محاربات الظاهر بيبرس مع الصليبيين بسوريا ﴾

ولما عاد بيبرس الى القاهرة حشد جيشاً كبيراً لمحاربة الصليبيين بسوريا وسار به في سنة ٦٦٣ الى ان وصل مدينة قيسارية في ٩ جمادى الاولى فحاصرها وضايقها وفتحها عنوة في ١٥ منه بعد محاصرتها ٦ أيام ثم أمر بهدمها ثم سار منها الى ارسوف فآزها وفتحها في شهر جمادى الآخرة ثم أرسل الملك الظاهر بيبرس قسماً من جيشه الى ساحل طرابلس ففتحوا القليعات وحلب وعرقا ونزل هو على صفد في ٨ شعبان سنة ٦٦٤ فحاصرها وضايقها بالزحف وأقام عليها آلات الحصار وقدم اليه وهو على صفد الملك المنصور صاحب حماه ثم التصقت المساكر بالقلعة وكثر القتل والجرح في المسلمين الى ان فتحها في ١٩ منه بالامان ثم قتل أهلها عن آخرهم وسار الى دمشق فلما دخلها واستقر فيها جرد عسكرياً ضحماً قدم عليه الملك المنصور صاحب حماه وأمره بالمسير الى بلاد الارمن فسارت المساكر حتى نزلت على بلاد سيس في نوى القعدة وكان صاحب سيس هيثوم بن قسطنطين قد حصن الدرنيدات بالرجال والمنجنيق وجعل عسكريه مع ولديه على الدرنيدات لقتال العسكر الاسلامي ومنعه وما انتشب القتال حتى غلبتهم مساكر المسلمين وأوقعت فيهم القتل

فأفنتهم عن آخرهم قتلاً وأسراً وقتل أحد ولدهم هيثوم وأسر الآخر وهو ليفون
وانتشرت العساكر الإسلامية في بلاد سيس وفتحوا قلعة العامودين وقتلوا أهلها
ثم عادت العساكر وقد امتلأت أيديهم من الغنائم فلما وصل خبر هذا الفتح العظيم
إلى الملك الظاهر بيبرس رحل عن دمشق إلى حماه فقامية حيث التقى بعساكره
منصورة ولما وصلوا إلى بلد قارا أمر بنهب أهلها وقتل كبارهم وكانوا نصارى يسرقون
المسلمين ويبيعونهم خفية للصليبيين وأخذ مبياتهم بمالك فتربوا بين الترك في
الديار المصرية فصار منهم جنود وأمرائه ثم عاد الظاهر إلى الديار المصرية
على طريق الكرك فجعل به فرسه عند بركة نوزا فانكسر فخذه وحمل في
حفرة إلى قلعة الجبل

﴿ اصلاحات الملك الظاهر بيبرس ﴾

لما رجع الظاهر بيبرس أخذ يستعد لحروب جديدة وينظم داخلية فإبطال
ضمان المزر وجهاته وأمر بإزالة الخمر وإبطال المنكرات وتمتددة بيوت المسكرات
ومنع الحانات والفواحش بجميع أقطار مملكة مصر والشام فظهرت من ذلك البقاع
وعادت البلاد إلى الهدوء والرغد فقال أحد الشعراء المعاصرين

ليس لا بليس عندنا أرب غير بلاد الأمير ماواه
حرفته الخمر والحشيش مما حرمتا ماء ومرعاه

ثم رأى أن بعض الرعية لا يزالون على ما كانوا أقدماء عادوه من الفواحش فامر بمنع
النساء الخواطي من التعرض للبقاء ونهب الحانات التي كانت معدة لذلك وسلب
أهلها جميع ما كان لهم ونفى بعضهم وحبس النساء حتى يتزوجن وكتب بجميع ذلك
توقفاً قريء في المنابر ثم علم أن الطواشي شجاع الدين عنبر المعروف بصدر الباز
يشرب المسكر فشنته تحت قلعة الجبل ولا شك أن الملك الظاهر لم يشدد في إبطال جميع

هذه المنكرات الالهية يقيناً ان استعمالاتها يورث الفقر والذل ويخمد الهمة ويضعف
عزة النفس ويفضب الله

وكان في سنة ٦٦٢ قد بنى دار العدل القديمة تحت القلعة وصار يجلس بها لعرض
العساكر في كل يوم اثنين وخميس وكان ينظر في أمر المتظلمين بنفسه فاذا كان لاحد
مظالمة يأتي بنفسه بدون احد يمنعه ويشكو مظالمته للسلطان وهو يأمر في الحال
بصرفها بوجه الحق

﴿ فتوحات الظاهر بيبرس ببلاد الصليبيين بسوريا ﴾

في شهر جمادى الآخرة سنة ٦٦٦ توجه الملك الظاهر بيبرس بمساعره
المديدة الى الشام وفتح يافا وتملكها من الصليبيين ثم سار الى انطاكية ونازلها في
مستهل رمضان وحاصرها وضيق عليها وقتانها وفر صاحبها بوهيم وندى طرابلس
الى طرابلس فشدد الحصار وزحفت العساكر الاسلامية على انطاكية فملكوها
بالسيف في يوم السبت رابع رمضان وقتلوا أهلها وسبوا ذرارهم وغنموا منهم
أموالاً جلية وفي ١٣ رمضان استولى الظاهر على حصن بقراس وكان أهله قد
تركوه فشحنه الظاهر بالرجال وجملة حصناً للسلامين وفي شهر شوال وقع الصلح
بين الملك الظاهر بيبرس وبين هيثوم صاحب سيس على انه اذا حضر صاحب
سيس سنقر الاشقر المأسور عند المتر (كان المتر قد أخذوه من قلعة حلب لملكها
هو لاكو ملكهم) وان يسلم به سناود در بساك ومرذبان ورعيان وشيخ الحديد
يطاق له بيبرس ابنه ليفون فدخل صاحب سيس على ابنا الملك النتر وطالب منه
سنقر الاشقر فاعطاه اياه فarsله الى الظاهر بيبرس وسلم در بساك وغيرها
من البلاد المذكورة ما عدا جهتنا وأطاق الظاهر ابنه ليفون وعاد الى
الديار المصرية

﴿ حج الملك الظاهر بيبرس ﴾

وفي سنة ٦٦٧ هـ نزم الملك الظاهر بيبرس على اداء فريضة الحج وكان طريق الحج من مصر الى مكة المشرفة في صحراء عيذاب فيركبون النيل من ساحل الفسطاط الى قوص بمصر اليليا ثم يركبون الابل من قوص فيقطعون صحراء عيذاب الى البحر الاحمر حيث ينزلون فيه الى جعدة ساحل الحجاز وهكذا يودهم الى مصر وكانت قوافل النجار من الهند واليمن والحبشة تأتي مصر على هذه الطريق أيضاً وصحراء عيذاب اذ ذاك أهلة بالسكان أمينة المسلك وبقيت طريق الحج على مثل ذلك الى هذه السنة اذ تغيرت بالطريق التي سار فيها الملك الظاهر كما يأتي وأما التجار فما زالوا يقدمون مصر عن طريق الصحراء الى سنة ٧٦٠ ومن ذلك الحين قلت أهمية مدينة قوص فصارت في حالة تشبه حالتها في الوقت الحاضر بعد ان كانت مدينة زاهرة بالتجارة والعمارة ففى ٢٥ شوال سنة ٦٦٧ رحل الظاهر بيبرس من الفوار ووصل الى الكرك وأقام بها أياماً وتوجه من الكرك في ٦ القعدة الى الشوبك ورحل من الشوبك في ١١ منه ووصل الى المدينة النبوية في ٢٥ منه ووصل الى مكة في ٥ الحجة وبعداً الفريضة كسا الكعبة بالديباج وكذلك الحجرة النبوية ووقف لها وقفاً وعمل لها مفتاحاً ثم سار منها فوصل الكرك في آخر الحجة سنة ٦٦٧ وفي أول محرم سنة ٦٦٨ سار من الكرك فوصل دمشق بغتة وتوجه منها في يوم فوصل الى حماه في ٥ منه وتوجه من ساعتها الى حلب ولم يلبث به العسكر الا وهو في الموكب معهم ثم عاد الى دمشق في ١٣ منه ثم توجه الى القدس فزاره ثم رجع الى الديار المصرية فوصل القاهرة في ١٣ صفر وهكذا ثم سياحته الجهادية والدينية لها

ثم سار الظاهر بيبرس بعساكره الى بلاد الاسماعيلية فتسلم مصيف في العشر

الاولى من رجب سنة ٦٦٨ ثم عاد الى حماه ومنها الى دمشق في ٢٨ منه ثم رحل
الى مصر القاهرة

﴿ الحروب الصليبية الثامنة ﴾

(في التحريض على الحروب الصليبية الثامنة)

في سنة ٦٥٩ قام الروم على الصليبيين الذين تملكوا على القسطنطينية وقتلواهم
واستخلصوها منهم بقيادة زعيمهم مخائيل باليولوغوس الذي أقاموه ملكا عليها
(كانت الحملة السادسة للصليبيين اغتصبوها وصارت تابعة لهم الى ان خلاصها
مخائيل المذكور وعادت لاروم) فسافر من نجامن الصليبيين من القسطنطينية الى
البابا كليمنطوس الرابع وكذلك استولى السلطان الظاهر بيبرس على البلاد
السورية من الصليبيين أرسلوا الى البابا المذكور يطلبون منه المساعدة والمعاونة
فأرسل منشورا الى جميع ملوك أوروبا يخبرهم فيه بان الروم استولوا على القسطنطينية
وان بيبرس قد استولى على انطاكية وغيرها من بلاد سورية ويطلب منهم مساعدة
اخوانهم الصليبيين وتشكيل عساكر صليبية ثامنة لاجل ذلك وخصوصا لاستخلاص
قبر المسيح من أيدي المسلمين (وهي حججهم الواهية في كل حرب) وحيث ان ملوك
أوروبا عاموا بان جميع التجريدات والعساكر التي سبق تشكيلها وارسالها سواء كان
لسوريا أو لمصر أو للقسطنطينية لم تأت بفائدة لاوروبا غير فقد العساكر واقفاء
المال فلذلك لم يلتفتوا الى منشورات البابا ولا الى نوابه الذين كان قد أرسلهم
لهذه الغاية

* (تجهيز العساكر الصليبية الثامنة بقيادة

لويس التاسع ملك فرنسا) *

وبعد جهد شديد قبل الملك لويس التاسع ملك فرنسا تجهيز عساكر صليبية

ثامنة بقيادته كما فعل أولادهم انه أمر بانمقاد جمعية في مدينة باريس من عظماء المملكة
 بقصر لويلاثم حضر بنفسه هذه الجمعية ومعه نائب البابا حامل بيديه اكليل الشوك
 الذي تكلم به المسيح (على زعمهم وهو الآن محفوظ في كنيسة صريم العذراء
 الكاتدرائية بباريس) فقام لوييس وقال لمن في الجمعية بانه عزم على تجهيز حروب
 صليبية ثامنة وطلب منهم مساعدته والتوجه معه ثم قام النائب البابوي وطلب منهم
 انقاذ اخوانهم المسيحيين بالشرق فاستلم الملك لوييس صليب الحرب من يد النائب
 الرسولي وتبعه ثلاثة من اولاده ثم تبهم عدد وافر من رؤساء الكنائس ثم بوحنا
 كونت دي برانانيا . وتيبوت ملك نافار . والفونسوس دي بريانا . والكونتات دي
 فلانديرا ودي سان بول . ودي مارشا . ودي سواسون وغيرهم وعزم بعض أمراء
 أوروبا على تجهيز عساكر كما فعل سلطان فرانسوا مثل ادوارد ملك الانكلز
 وغاستون ملك بيان وملك البرتغال وغيره . ثم ان لوييس المذكور استعد في تجهيز
 عساكره للمسير بها وحيث انه وجد نفسه شيخاً كبيراً خاف على مملكته اذا مات
 هو في الحرب فعزم على تقسيمها على ورثته فقسمها على اولاده الاربعة المذكور
 وكذلك على بنتيه اللتين لم تزوجا وعلى زوجته مرغريتا وذلك التقسيم يكون
 بعد مماته ثم اقام وكيلين على مملكته بصفة نواب الملك وهما متي دي فاندوم
 وسيمان دي ناظلا

﴿ سفر العساكر الصليبية الثامنة ﴾

توجه الملك لوييس الى كنيسة القديس ديونيسيوس للتبرك بها ثم حضر
 الذبيحة بكنيسة الكاتدرائية بباريس وسار الى مدينة اغوزمورتاس المعينة لاجتماع
 جميع العساكر الصليبية بها وكان قبل حضور الملك لوييس المذكور الى هذه المدينة
 قد سافر بعض العساكر الصليبية الثامنة من اقليم اراغون وغيره قاصدين بلاد فلسطين
 ولما اجتمع الملك لوييس وعساكره في هذه المدينة عقد مجلس شوراه الحربى

للتداول في خطة السفر والبلاد التي يقصدونها فالبعض رأى المسير الى الديار
المصرية والبعض رأى المسير الى تونس عاصمة الغرب وكان من هؤلاء الملك لويس
لانه قال ان المغاربة طالما تمدوا على بحرية فرانسوا وغيرها من أوروبا وبعد المداولات
تقرر مسير العساكر الصليبية الثامنة الى تونس ومحاربتها واستعدت بالنزول في
المراكب والمسير الى تونس

✽ وصول الصليبيين الى تونس ومحاربتها ✽

سارت العساكر الصليبية في البحر الى ان نزلوا بانقراض مدينة قرطاجنة القديمة
واقاموا فوق طلالها و عملوا خندقا حول معسكرهم وكان صاحب تونس يدعى أبا
عبدالله محمد بن أبي زكريا الحفصي الملقب بالمستنصر بالله فجمع أمراء مملكته واستشارهم
في صد الصليبيين عن النزول الى البر أو بتركهم ينزلون الى البر ويحاربهم فقال بعضهم
اذا صدناهم عن النزول أمام الحامية فربما ساروا ونزلوا على ثغر من الثغور
فامتلكوه واستباحوه واستصعبت مهابتهم فوافق السلطان على هذا وأرسل
الى جميع الثغور بالتحفظ ونادى السلطان في الناس بالاستعداد والتفريخ ثم أرسل
الى جميع الممالك النابتة له يطلب المدد فجاءه أبو هلال صاحب بجاية وجاءته
جميع العرب وسدويكش ووطاسه وهوارة وقد أمده مملوك المغرب من
زنانة وسرح اليه محمد بن عبد القوي عسكر بنى توجين لنظر ابنه زيان وعقد
السلطان قيادة العسكر الى ستة رؤساء وهم اسماعيل بن أبي كلداس. وعيسى بن
داود. ويحيى بن أبي بكر. ويحيى بن صالح وأبي هلال عياد صاحب بجاية. ومحمد
ابن عبو وأمرهم جميعاً راجع لامر يحيى بن أبي بكر ويحيى بن صالح واجتمع
كثير من المسلمين والفقهاء والمرابطين لمباشرة الجهاد واستعدوا غاية الاستعداد
فقال أحد أدباء تونس وهو أحمد بن اسماعيل الزيات
يا فرئيس هذه أخت مصر فتها لما اليه تصير

لك فيها دار ابن لقمان قبر وطواشيك منكر ونكير
 (فقد ر الله وفاة الملك لويس التاسع وهو محاصر لها كما سيأتي فحسن فألهم)
 ثم ان الصليبيين حاصروا مدينة تونس وذلك في شهر القعدة سنة ٦٦٨

✽ محاربات الصليبيين ووفاة الملك لويس التاسع ✽

بعد حصار مدينة تونس نشب القتال بين الفريقين وكانت الحرب سجالات
 وكان الصليبيون منتظرين قدوم الكونت دي انجو كارلوس أخي لويس وهو
 صاحب جزيرة سيسيليا وفي سنة ٦٦٩ فرغت ذخائر وقوت العساكر الصليبية
 فاعتراهم داء الدسنتاريا والحمى الخبيثة وفي زمن قصير هلك منهم نحو النصف
 وكان ذلك في فصل الصيف والحرب شديدة فاصطنعت العساكر الاسلامية آلات
 يرمون بها الرمل على معسكر الصليبيين عند هبوب الرياح القبيلة فتنزل فوقهم
 كأنها محمية في أتون نار ومما زاد في مصائب الصليبيين هجمات العرب
 والسودانيين عليهم حتى أخذهم الضجر والمال ومات منهم الكونت دي
 تامورس ودي فاندوما . ودي مارشاه . ودي موغرانسي ودي بيانودي بريك
 ثم لحقتهم ابن الملك لويس المدعو تريستان (الحزين) الذي ولد في مدينة دمياط
 كاسر (ولد في حصار مدينة وتوفي في حصار أخرى) ثم شارك الملك لويس
 التاسع جيشه في الامراض بعد وفاة ابنه المذكور وورقده في فراشه ثم احضر
 ابنه البكري فيلبس ووريثه على تخت المملكة وأخذ يوصيه بمملكته واخوته
 وغير ذلك ثم مات

✽ سفر كارلوس صاحب سيسيليا الى تونس وحصول

الصالح وانتهاء الحروب الصليبية الثامنة ✽

وبعد موت الملك لويس التاسع ملك فرانسأ ترأس على الجيوش ابنه فيلبس

ثم توارد قدوم مراكب صليبية في البحر ونزل الرجال منها الى البر وكانوا
عساكر كارلوس صاحب سيسيليا وفي أثناء نزولهم الى البر لم يجدوا أحداً من
الصليبيين قد حضر لمقابلتهم فساروا الى ان وصلوا الى معسكر الصليبيين وسار
كارلوس الى ان وصل الى خيمة لويس التاسع فوجده ميتاً فبكي عليه وبعد
ذلك عقدوا مجلس مشورتهم للنظر في أمرهم فقرروا استمرار الحصار والمخاربة
وبعد مناوشات جرت بينهم تقرر الصلح في شهر ربيع الاول سنة ٦٦٩ على
ما يأتي بان السلطان استنصر بالله يخضع لكارلوس ملك سيسيليا ويدفع له جزية
سنوية ويدفع له مصاريف هذه الحروب البالغ مقدارها ٢٢٠ الف وزنة من
الذهب وفي نظير ذلك ينسحب الصليبيون من البلاد التونسية وبعد تمام شروط
الصلح التي أمضيت من ملوك فرانسوا وسيسيليا ونافار سار الصليبيون ونزلوا
بمراكبهم وساروا الى بلادهم وفي أثناء سيرهم فاجأهم عواصف شديدة
أغرقت أكثر مراكبهم ثم ان كارلوس نزل في مملكته ومعه صندوق داخله
قرب الملك لويس بصفة ذخيرة ووضعها في كنيسة دير مونتسريال قرب مدينة
ساليرنو وأما فيلبس الثالث ملك فرانسوا فداوم مسيره الى بلاده ومعه جثة والده
وأخيه تريستان ولما وصل الى باريس وضهم في كنيسة القديس ديونيسيوس
في مدفن ملوك فرانسوا وهكذا انتهت الحروب الصليبية الثامنة

✽ بقية الحروب الصليبية ✽

من حيث ان الحروب الصليبية الثمانية قد انتهت كما تقدم ولكن بعض
بلاد سوريا لم تنزل في حكم الصليبيين لذلك التزمنا بمتابعة التاريخ الى افتتاح
المسلمين باقى البلاد من الصليبيين وانقراضهم من أسيا كما سيأتي

✽ باقى فتوحات الظاهر بيبرس ✽

وفي سنة ٦٦٩ توجه الملك الظاهر بيبرس من الديار المصرية الى الشام ونازل

حصن الاكراد في تاسع شعبان وحاصره وضايقه ودام القتال فشدد حصاره الى ان فتحه بالامان في ٢٤ منه ثم رحل الى حصن عكا ونازله في ١٧ رمضان وجد في قتاله وملايكة بالامان في آخر رمضان وعيد الظاهر عيد الفطر عليه. وفي شوال تسلم قلعة العليقة وبلادها من الاسماعيلية ثم سار الى دمشق ومنها الى حصن القرين ونازله في ثاني القعدة وزحف عليه وتسلمه بالامان ثم أمر بهدمه وعاد الى مصر وكان قد جهز اسطولا من عشر شواني لغزو قبرص فتكسرت في مرسى اليمسوس وأسر الفرنج من كان بتلك الشواني من المسلمين فاهتم السلطان بممارة اسطول بدله

وفي سنة ٦٧٠ توجه الظاهر الى دمشق فاغارت التتر على عينتاب وعلى الروج وقيطون الى قرب فامية فاستدعي الظاهر عسكرياً من مصر بقيادة بدر الدين البيسرى فلما اتصل ذلك بالتتر عادوا من حيث أتوا ثم سار الظاهر بالعسكر الى حلب ومنها الى مصر فماد التتر وحاصروا البيرة ونصبوا عليها المنجنيقات وضايقوها فتجند اليهم بيبرس وسارت معه فراته تحت قيادة الامير قلاوون الالفي فالتقى الجيشان عند بيرة واشتد الحرب بين المسلمين والتترو اراد عبور الفرات الى بر البيرة فقاتله التتر على المخاضة فاقتحم الفرات وهزم التتر فرحلوا عن البيرة وتركوا آلات الحصار بحال فصار للمسلمين ثم عاد الظاهر الى الديار المصرية وفي هذه السنة أيضاً تسلمت نواب الملك الظاهر بافي حصون الاسماعيلية وهي الكهف والمينقة وقدموس

وفي سنة ٦٧٣ سار الملك الظاهر بيبرس من الديار المصرية بجيوشه الى أرمينيا ففتحوها وغنموا منها غنائم كثيرة ثم عاد الى مصر ففرشوا له القاهرة بالبسط والسجاد الثمين احتفالاً بموده ظافراً

وفي سنة ٦٧٤ قدم سوريا اباكا خان بن هولا كوخان وحاصر البيرة ثانية فلاقاه الامير قلاوون بفرقة من الجيوش المصرية وارجمه على أعقابهم

فصر بيبرس من بسالنه واتخذ ابنته غازية خاتون زوجة لابنه السيد بركة خان
ليكون ابنه في المستقبل آمنا في حمى حميه . وفي هذه السنة أيضاً ارسل الظاهر
بيبرس الامير افسنقر ومعه عز الدين ايبك الافرم لافتح بلاد النوبة فافتحا
اصوان بعد ان استوليا على جميع مصر العليا . وفي هذه السنة أيضاً حارب بيبرس
برقة وافتحها

وفي رمضان سنة ٦٧٥ سار بيبرس بعساكره الجرارة الى الشام حتى
وصل الى حلب ثم الى النهر الازرق ثم سار الى ابلاستين فوصل اليها في القعدة
والتقي بها جمعاً من التتر بقيادة تناون فتحارب الفريقان في أرض ابلاستين يوم
الجمعة عشر القعدة فانهزم التتر وأخذتهم سيوف المسلمين وقتل قائدهم تناون
وقال كبرائهم واسر منهم جماعة كثيرة ثم سار الى بلاد الروم ثم عاد منها

* (وفاة الملك الظاهر بيبرس) *

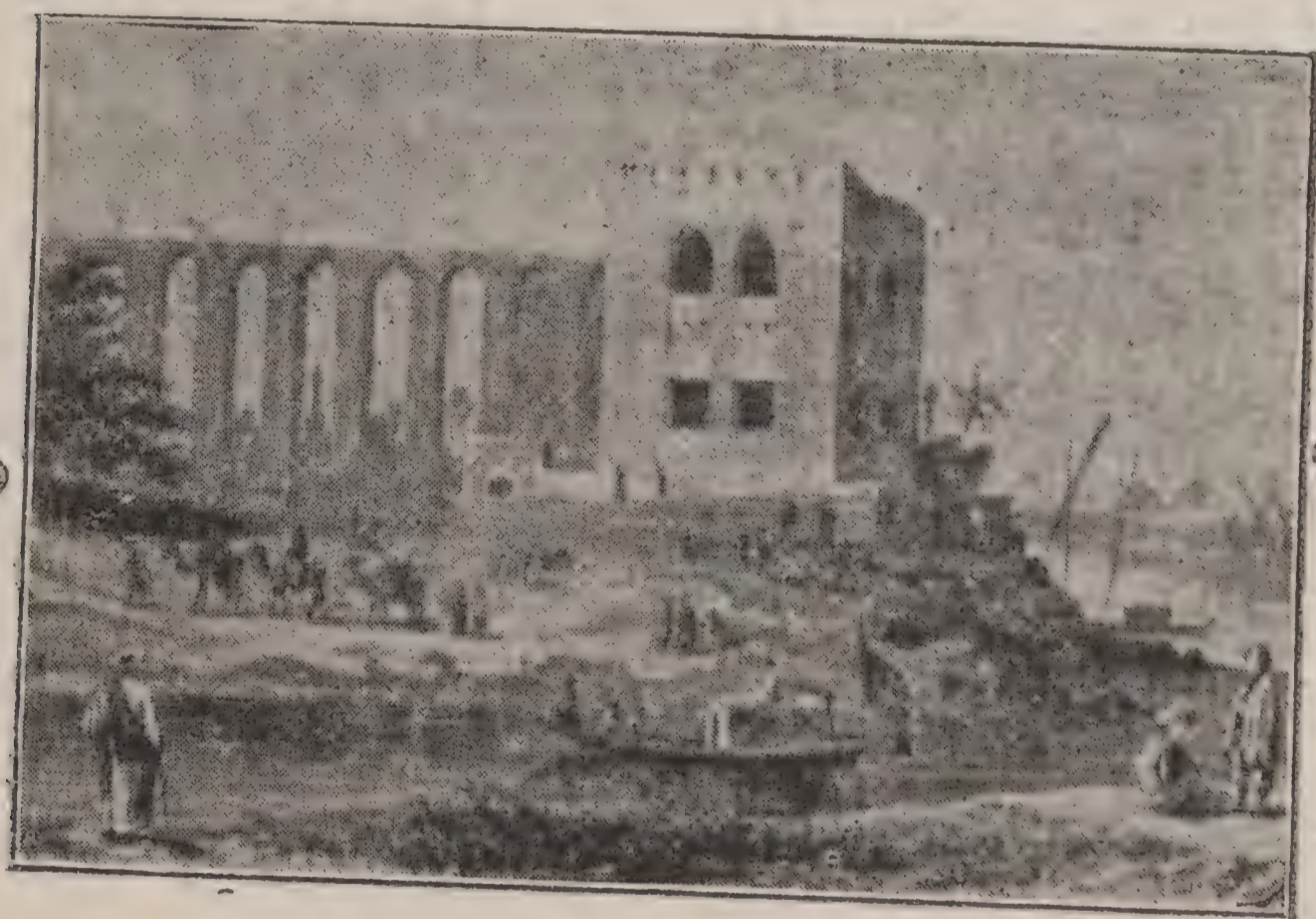
في يوم الخميس ٢٧ محرم سنة ٦٧٦ توفي الملك الظاهر بيبرس أبو الفتوحات
الصالحى النجمى بدمشق وقت الزوال عقب وصوله من بلاد الروم وسبب
موته انه انكسف القمر كسوفاً كلياً وشاع بين الناس ان ذلك يدل على موت
رجل جليل القدر فاراد الملك الظاهر ان يصرف التأويل الى غيره فاستدعي
بشخص من اولاد الملوك الايوبية يقال له الملك القاهر ولد الملك الناصر داود
ابن المعظم عيسى وأحضر قزاً (كاساً) مسموماً وأمر الساقى فسقا الملك القاهر
وشرب بعده الملك الظاهر ناسياً فمات الملك القاهر عقيب ذلك واما الملك الظاهر
فخصات له حمى محرقة وتوفى في التاريخ المذكور وهكذا كانا قبلى الخرافات
قبجها الله ما ضعف حجتها وما أشد وطأها وكنتم نائبه ومملوكه بدر الدين
تتليك المعروف بالحزندار موته وصبره وتركه فى قلعة دمشق الى ان تمت
تربيته بدمشق قرب الجامع فدفن فيها وارثحل بدر الدين تتليك بالمساكرومهم

المحنة مظهر أن الملك الظاهر فيها وأنه مريض حتى وصل الى دياره مصر وكان
الملك الظاهر قد حلف المساكر لولده بركة خان ولقبه الملك السعيد وجماله
ولى عهده فوصل تنليك الخزندار بالجزائر والعسكر الى الملك السعيد بقاعة
الجليل وعند ذلك اظهر موت الملك الظاهر وجلس ابنه الملك السعيد للعزاء
وكانت مدة حكمه ١٧ سنة وشهرين وعشرة أيام وكان ملكا جليلا عجولا كثير
المصادر لرعيته وديا وبنه طويل القامة مليح الشكل سريع الحركة فارساً
مقداماً . وترك من الذكور ثلاثة وهم السعيد محمد بركة خان وقدمك بعده
وسلامش وهذا ملك بعده أيضاً والمسعود خضر . وترك من البنات سبعا . ومما
فتح الله على يده من أيدي الصليبيين قيسارية وأرصوف وصفد وطبرية ويافا
والشقيف وانطاكية وبقراص والقصير وحصن الاكراد واقربن وحصن عكا
وصافيتا ومرقية وحلب وقد ناصفهم على المرقب وبانياس وطرسوس وادنة
والمصيصة وغيرها من مدن بر الاناضول وصار الى يده مما كان في أيدي المسلمين
دمشق وبعلبك وعجلون والبصرى وصرخند . والصلات . وحمص وتدمر
والرحبة وتل باشر . وصهيون . وبلاطس . وقلعة الكهف والقدموس . والمايكة
والخواني والرصافة . ومصياف . والقلمة . والكرك . والشوبك وفتح بلاد
النوبة وبرقة

آثار الملك الظاهر بيبرس

ومن أعماله المأثورة انه عمر الحرم النبوي وقبة الصخرة بيت المقدس
وزاد في أوقف الخليل وعمر قناطر شبرامنت بالجزيرة وسور الاسكندرية
ومنار رشيد وردم فمحردياط ووعر طريته وعمر الشواني وعمر قلعة دمشق
وقلع الصيبية وبعلبك والصلات وصرخند وعجلون وبصرى وشيزو وحمص
وعمر المدرسة بين القصرين بالقاهرة والجامع الكبير بالحسينية وجعله الفرنساويون

عند مجيئهم الى مصر قلعة وهو البناء القديم في سكة الظاهر وجعلته الحكومة
مخازن للاقوات. وحفر خليج اسكندرية القديم وبشره بنفسه وبني هناك قرية
سماها الظاهرية وحفر بحر اشمون طناح وجدد الجامع الازهر بالقاهرة وأعاد
اليه الخطبة وعمر بلد السعيدية بالشرقية بمصر وبني القصر الابق في دمشق ومن
آثاره في القاهرة أيضاً قناطر السباع وهي عبارة عن سلسلة من قناطر ممتدة
عرضاً من جوار فم الخليج الى قلعة الجبل ولا بد للمتوجه من القاهرة الى مصر
القديمة من أن يقطعها هذا اذا لم يمر من تند فم الخليج فانه اذا يمر بجانب
متشأها



(صورة السبع سواقي ومجرى المياه)

وهي تنتهي من طرفها الغربي بالسبع سواقي بجانب فم الخليج والسبع
سواقي هو بناء قديم فيه سبعة دواليب لرفع المياه من النيل وتحويله الى قناة على
تظهر هذه القناطر ليجرى الماء فيه الى قلعة الجبل وجعل عليها سباعاً من
الحجارة ولذلك قيل لها قناطر السباع والقناطر المذكورة لم يزل يوجد بعضها
وكان محباً لركوب الخيل الجيادورمي النيل فانشأ ميداناً دعاه ميدان القبق

ويقال له أيضاً الميدان الأسود وميدان العيد والميدان الأخضر وميدان السباق
وكان شاغلاً بقعة من الأرض تمتد بين النقرة التي ينزل إليها من قلعة الجبل
وبين قبة النصر التي هي تحت الجبل الأحمر وبني فيه مصطبة سنة ٦٦٦ للاحتفال
برمي الشباب والتمرين على الحركات العسكرية وكان يحث الناس على لعب الرمح
ورمي الشباب ونحو ذلك فكان ينزل كل يوم إلى هذه المصطبة من الظهر فلا
يركب منها إلى العشاء وهو يرمي ويحرض الناس على الرمي والنضال والرهان
فما بقي أمير ولا مملوك إلا وهذا شغله وما برح من بعده وأولاده ومن بعدهم
يمارسون هذا الميدان بجميع أنواع الألعاب الحربية وكان يقوم بنفقات جميع
هذه الأعمال بدون أن يسلب الأهالي درهماً واحداً فوق ما اعتادوا دفعه
من الضرائب لأن الغنائم التي كان يكسبها من أعدائه كانت تساعد كثيراً في
النفقات

﴿ سلطنة الملك السعيد بركة خان ﴾

في شهر ربيع أول سنة ٦٧٦ بايموا الملك السعيد بركة خان بالسلطنة
بعد أبيه الظاهر بيبرس حسب وصيته وأقام بدر الدين تليك الخزندار اتابكا
وكان تليك (بلباي) في الأصل مملوكا ابتاعه بيبرس بثمن بخس إلا أنه ارتقى
في خدمته حتى صار أمين خزائنه (خزندار) ثم استحق بعد طول الخدمة
الصادقة الأمانة أن يكون وصياً على ابنه في مهام السلطنة وكان للملك السعيد ثقة
كبرى في تليك حتى أنه التى إليه كل مهام الدولة فسعدت مصر في بادئ الأمر إلا
أنها ما لبثت حتى تعكر كأس صفائها بوفاة ذلك الوصي الأمين الحكيم ولم يكن الملك
السعيد واثقاً بأحد من أمراءه ليعهد إليه مهام السلطنة لأنه كان يظن أنهم هم الذين
سعوا في قتل وصيه ولكنه لم يتأكد ذلك فنفر منهم فوقع اختياره على أقسنقر
فأخ النوبة فولاه الاتابكية وبعد سير خنته في إحدى أبراج الاسكندرية فتبا عبد

الامراء عن هذا المنصب !

✽ سفر الملك السعيد والاغارة على ارمينية ✽

في سنة ٦٧٧ سار الملك السعيد بركة خان الى الشام وصحبه المساكر فلما وصل الى دمشق جرد منها المساكر صحبة الامير سيف الدين قلاوون وجرى أيضاً صاحب حماه فماروا ودخلوا بلاد سيس (الارمن) وشنوا الغارة عليها وغنموا منها غنائم كثيرة ثم عادوا الى جهة دمشق واتفقوا على خلع الملك السعيد من السلطنة لسوء تدبيره وعبروا على دمشق ولم يدخلوها فارسل اليهم الملك السعيد واستعطفهم ودخل عليهم بوالده فلم يلتفتوا الى ذلك واتموا السير فركب الملك السعيد وساق وسبقهم الى مصر وطلع الى قلعة الجبل وسارت المساكر في اثره

✽ خلع الملك السعيد بركة خان ✽

وفي شهر ربيع اول سنة ٦٧٨ وصلت المساكر الخارجون عن طاعة الملك السعيد بركة خان وحصروه بقلعة الجبل فحاصر عليها كثير من كان معه من الامراء مثل لاجين الزيني وغيره واخذوا يخرجون واحداً بعد واحد من القلعة وينضموا الى المسكر الذي يحاصرها فلما رأى الملك السعيد ذلك اجابهم الى الانخلاع من السلطنة وأن يعطي الكرك فاجابوه الى ذلك وانزلوه من القلعة وخلعوه في ربيع الاول وسفروه من وقته الى الكرك صحبة بيدعان الركني وجماعة معه فوصل اليها وتسلمها بما فيها من الاموال

✽ سلطنة الملك العادل سلامش وخلاعه ✽

بعد خلع الملك السعيد كما تقدم اتفق اكابر الامراء مثل بدر الدين البيسرى الشمسي وايتمش السعدي وبكتمش الفخري أمير السلاح وغيرهم على سلطنة بدر الدين سلامش ابن الملك الظاهر بيبرس ولقبوه الملك العادل وذلك في ربيع

أول سنة ٦٧٨ وعمره اذ ذاك سبع سنين وشهور وأقاموا الامير سيف الدين
قلاوون الالفي وصياً عليه وخطب لاعدل وضربت السكة باسمه . ولم يكن هم هذا
الوصي الا خلع ذلك السلطان الصغير وفي شهر رجب من تلك السنة تمكن من مراده
فبعته الى قلعة السكرك منفياً واستام هوزمام الاحكام وطلب المبايعة فبايعه الناس
ولقبوه بالملك المنصور

﴿ سلطنة الملك المنصور قلاوون الالفي ﴾



المنصور قلاوون الالفي

ولما استوى قلاوون على كرسى السلطنة استوزر نحر الدين وكان كاتب
 سره الخصوصي وكان سنقر الاشقر بدمشق قد استقل بها وحلف له امرائها
 وعساكرها وتلقب بالملك الكامل وفي سنة ٦٧٩ هـ جهز الملك المنصور قلاوون
 عساكر مصر مع علم الدين سنجر الحلبي وبدر الدين بكتاش وبدر الدين
 الايدمرى وعز الدين الافرم فسارت العساكر المذكورة الى الشام وبرز
 سنقر الاشقر (الملك الكامل) بعساكر الشام الى ظاهر دمشق والتقى
 بالقربان في ١٩ صفر فولى سنقر وعساكره الشاميون مهزمين ونهبت العساكر
 المصرية اثقالهم واستولوا على دمشق وتولى عليها باسم الملك المنصور قلاوون
 جملة حكام الدين لاجين السلحدار . ثم ان سنقر الاشقر كاتب اباكه
 خان ملك التتر اطعمه في تملك البلاد ثم سار سنقر واستولى على بعض
 البلاد السورية ثم تصالح مع الملك المنصور قلاوون واعطاه بعض البلاد مثل
 الشفر وبكاس

✽ محاربة التتر ✽

وفي سنة ٦٨٥ هـ خرج التتر الى سوريا بجيشين الواحد تحت قيادة اباكه
 خان بن هولاكو والاخر مؤلف من ثمانين الف فارس تحت قيادة اخيه
 منجوتيمور حتى وصلوا حصن فسار السلطان قلاوون بالجيوش الاسلامية من
 دمشق الى جهة حصن وارسل الى سنقر الاشقر يستدعيه حسب اتفاق الصلح
 فصار سنقر من صهيون ثم وصل الى قلاوون الملك المنصور صاحب حماه ثم
 وصل سنقر ومعه ايتمش السهمدي والحاج ازدمرو علم الدين الدويدارى ورتب
 السلطان قلاوون عسكره ميمنة وميسرة وكان رأس الميمنة الملك المنصور
 صاحب حماه ثم بدر الدين البيسري دونه ثم علاء الدين طبرس الوزيري
 ثم ايبك الافرم ثم جماعة من العسكر المصري ثم عسكر الشام ومقدمهم

حسام الدين لاجين وكان رأس الميسرة سنقر الاشقر ثم بدر الدين بكتاش
 أمير السلاح وكان بر الميمنة العرب وبر الميسرة التركان وكان شاليش القلب
 حسام الدين طر نطاي ومن أضيف اليه والتقى الفريقان بظاهر حمص في
 الساعة الرابعة في يوم الخميس ١٤ رجب وأنزل الله نصرته علي القلب والميمنة
 من المساكر الالامية فهزموا من كان قبالتهم من التتوروكبوا قفاهم يقتلونهم
 وكان منجوتيمور قبالة القلب فانهزم أيضاً وأما ميسرة المسلمين فانها انكشفت
 وتم بيعها الهزيمة وساق التتري أثرهم ثم علموا بنصرة المسلمين عليهم وهزيمة
 جيشهم فولوا منهزمين على أعقابهم فتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون ولما وصل
 خبر هذه الكسرة الى اباكه خان وهو محاصر الرحبة رحل عنها وكتب بهذا الفتح
 الى جميع البلاد الالامية وسافرت المساكر الى بلادها وسافر السلطان
 قلاوون الى دمشق والاسرى بين يديه وأما منجوتيمور فانه مات بعد أيام وفر
 اباكه خان الى حمدان فسمه أخوه الثالث تيكودار أوغلان وتولى الحكم بعده
 وأظهر دين الاسلام ولقب بأحمد خان

﴿فتح حصن المرقب من الصليبيين وغيره﴾

في شهر ربيع أول سنة ٦٨٤ سار السلطان سيف الدين قلاوون بمساكره
 المصرية والشامية ونازل حصن المرقب (لجمية القديس يوحنا المعمدان) وهو في
 غاية العلو والحصانة لم يطمع أحد من الملوك قبله في فتحه فلما زحف العسكر عليه
 أخذ الحجارون ينقبون فيه ونصبت عليه عدة من جنبيقات ولما تمكنت النقب
 من أسوار القلعة طلب أهل الامان فاجبهم على ان يخرجوا بما يقدرون على حمله
 غير السلاح وتسلمه في يوم الجمعة ١٩ منه ونصبت الاعلام الالامية باعلاء وكان
 يوماً مشهوداً وأمر السلطان بحمل أهل حصن المرقب الى ما منهم ثم قرر أمر الحصن

ورحل عنه

وفي سنة ٦٨٥ أرسل السلطان قلاوون نائب سلطنته حسام الدين
طرنتاي الى الكرك فحاصرها وتسلمها بالامان وعاد ومعه أصحاب الكرك
جمال الدين خضر وبدر الدين سلامش أولاد الملك الظاهر بيبرس فاقاموا بمصر
مدة ثم اعتقلهما

وفي سنة ٦٨٦ أرسل السلطان قلاوون حسام الدين المذكور الى قلعة صهيون
فحاصرها ونصب عليها المنجنيقات وضايقها فاجابه صاحبها سنقر الاشقر الى تسليمها
بالامان في ربيع أول ثم سار طرنتاي الى اللاذقية وكان بها برج للصليبيين يحيط
به البحر فحاصر البرج وتسلمه بالامان وهدمه ثم سار الى مصر وأرسل أيضاً في هذه
السنة السلطان عسكرياً بقيادة علم الدين سنجر المسروري المعروف بالخياط الى النوبة
فساروا اليها وغزوها وغنموا وعادوا

وفي سنة ٦٨٧ توفي الملك الصالح علاء الدين علي ابن قلاوون وكان ولي
عهد وسلطنته في حياته وكان مرضه بالذوسنطاريا فحزن عليه والده حزناً
عظيماً

﴿ثورة المماليك وقتل الرعية﴾

وتمرد المماليك ونبذوا الطاعة فنضب السلطان عليهم غضباً أعظمي بصره
حتي لم يعد يميز المجرم من البريء فساق الجميع بمصا واحدة وأعمل فيهم
السيف ثلاثة أيام متواليمة حتي غصت الاسواق بجثثهم رجالا ونساء وأولاداً
فجاء العلماء الى السلطان واخذوا يخففون من غيظه ويبينون له رجه عسفه فأنته
بما جاءه من الاستبداد الفاحش فدماً لا مزيد عليه وتكفيراً لذلك أمر
ببناء البنايات والتكايا رحمة بالمساكين وذوي الاسقام ومن أجل ذلك أيضاً
بنائه الملك الناصر المستنفي الشهر المعروف بالبيارستان . وكان المماليك

الى ذلك الحين يلبسون لباس الزينة بما يناسب جمالهم فامر قلاوون أن
يغير الممالك ملابسهم فمنعهم من استعمال الوشي والزينة بالذهب وعن الضفائر
الطويلة التي كانوا يجعلونها في اكياس من حرير وجمال حالتهم من اللباس وغيره كما
تقتضيه حالة رجال الحرب

﴿فتح طرابلس من الصليبيين﴾

بعد وفاة والده الصالح علاء الدين على وحزنه عليه أمر بتجهيز حملة
لافتتاح طرابلس من يد الصليبيين تسليمة له عن هواجسه فسار بمساكره في
محرم سنة ٦٨٨ الى ان وصل الى مدينة طرابلس فإزها ونصب عليها عدة
من جنيقات ولازمها بالحصار واشتد عليها بالقتال حتى فتحها يوم الثلاثاء ٤ ربيع
آخر ودخلها المسكر عنوة فهرب أهلها الى المينا فنجوا بعضهم في المراكب وقتل
أكثرهم وسبيت ذراريهم وغنم منهم المسلمون غنيمة عظيمة وكان في البحر
قريبا من طرابلس جزيرة يقطنها كثير من الصليبيين فافتحم المسكر الاسلامي
البحر وعبروا بنحوهم الى الجزيرة فقتلوا جميع من فيها من الرجال وغنموا جميع
ملابسها من النساء والاولاد

﴿وفاة الملك المنصور قلاوون وآثاره﴾

بعد فتح طرابلس عاد الملك المنصور قلاوون الى الديار المصرية فجاءه وقد
من قبل ملك اراغون الفونس عقده معه معاهدة في ١٣ ربيع أول سنة ٦٨٩. ثم
عزم على فتح مدينة عكا من الصليبيين. غير ان كل ذلك لم يكن ليشفله عن أحزانه
وما زال كئيباً فاتاه مرض في العشر الاخير من شوال فتوفي يوم السبت ٦ القعدة
سنة ٦٨٩ فاحتفل بجنائزه احتفالاً حضره جمع غفير من جهادية ومملوكية وشيعوه
الى البمارستان حيث واروه التراب ولا يزال مقامه هناك الى هذا العهد وكانت مدة
حكومه ١١ سنة و ٣ أشهر و ٦ أيام

ومن آثاره الباقية الى هذا اليوم جامع الشهر ومقامه وكلاهما داخلان في
 بناء بیمارستان الذي يشاهده المار في شارع النحاسين تجاه جامع الصالح نجم
 الدين أيوب بعد ان يتجاوز خان الخليلي ولا تزال هذه الابنية رغماً عن تكرار
 السنين قوية العماد تتجلي فيها المظمة والقوة ومهارة الصناع الا بیمارستان فانه
 أصبح أقرب الى الاثر من المين. وفي مقام هذا السلطان مثل ما في غيره جماعات
 من النساء والاطفال هم في الغالب من ذوى الامراض جاؤا يطلبون الشفاء وهم
 يأتون في أيام السبت ولهم في ذلك أساليب مختلفة فبعضهم يضع الطفل المريض تحت
 المحراب ويجلس مصلياً وبعضهم يأتي بشىء من الليمون ويصهره على حجر هناك
 ثم يلمسه بلسانه طلباً للشفاء ومن أعماله ميدانه الذي عرف بالميدان السلطاني
 جعله في موضع بستان الخشاب حيث موردة البلاط وكان يتردد اليه كثيراً ولا
 يمر عليه من قلعة الجبل حتى يركب قناطر السباع فتضرر من علوها وقال لمن
 حوله انى عند ما أركب الى الميدان وأمر بهذه القناطر يتألم ظهري من علوها وأشاع
 بعضهم انه أراد بالحقيقة نزع آثار من كان قبله ليقى الفخر له فامر بهدمها جميعها
 وبنائها ثانية فبنيت ولكن السباع لم توضع عليها ففند ما رأى السلطان ذلك أمر
 بإعادتها فاعيدت السباع الى أماكنها. وما يحكى عنه انه كان يجهل في بنايته أما كن
 مخصوصة يضع فيها الحبوب طعاماً للطيور. وكان قلاوون سبياً لأخراج السلطنة
 من يد نسله كما كان الملك الصالح نجم الدين ابونى باستكثاره من المماليك
 الشرا كسة حتى جمع منهم نحواً من ١٢ ألفاً جعل منهم بطانته وكان يلقب
 بعضهم بالالفي أى المبتاع بالف دينار وبعضهم بابى المعالى وغير ذلك

﴿ سلطنة الملك الاشرف ﴾

وتولى السلطنة بعد قلاوون ابنه البكر صلاح الدين خليل ولقب بالملك
 الاشرف وكان جلوسه في ٧ القعدة سنة ٦٨٩ ثم قبض على حسام الدين طر نطاي

نائب السلطنة وفوض نيابة السلطنة الى بدر الدين بيدرا والوزارة الى شمس الدين محمد بن السلقوس

﴿ في فتح عكا وانقراض الصليبيين ﴾

وفي سنة ٦٩٠ سار الملك الاشرف بالمساكر المصرية قاصداً عكا وأرسل الى المساكر الشامية وأمرهم بالحضور ومعهم المنجنيقات فتوجه الملك المظفر صاحب حماه وعم الملك الافضل وعسكرهم الى حصن الاكراد وتسلموا منه المنجنيقات وكان هناك منجنيق عظيم يسمي المنصوري حمل مائة عجلة ثم ساروا الى ان وصلوا عكا فنزلت المساكر الاسلامية عليها (على عكا) في أوائل جمادى الاولى واشتد عليها القتال ولم يفلق الصليبيون غالب أبوابها بل كانت مفتوحة وهم يقاتلون فيها فحاصر المسلمون المدينة ونصبوا عليها المنجنيقات وفي بعض الايام خرج الصليبيون وكسوا المسلمين فنكأر عليهم المسلمون فولى الصليبيون مهزمين الى البلد واشتدت مضايقة المسلمين لمكاحتى فتحوها عنوة في يوم الجمعة ١٧ جمادى الآخرة بالسيف ولما فتحها المسلمون هرب جماعة من أهلها بالمراكب وغنم المسلمون من عكاشيثاً يفوق الحصر من كثيره ثم استنزل السلطان من تحصن بالأبراج من الصليبيين وقتلهم ثم أمر بهدم مدينة عكا ومن غرائب الاتفاق ان الصليبيين استولوا على عكا من السلطان صلاح الدين الايوبي في يوم الجمعة ١٧ جمادى الآخرة سنة ٥٨٧ وقتلوا من بها فقدر الله عز وجل ان المسلمين يفتحونها في يوم الجمعة ١٧ جمادى الآخرة سنة ٦٩٠ على يد السلطان الملك الاشرف صلاح الدين وقتل من فيها فكان التاريخان مثل بعضهما كذلك لقب السلطانين. ولما فتحت عكا القى الله الرعب في قلوب جميع الصليبيين الذين بساحل الشام فاخلوا صيدا أو بيروت وتسلمها الشجاعى في أواخر رجب وكذلك هرب اهل مدينة صور فتسلمها السلطان ثم تسلم عكا في مستهل

شعبان وفي ٥ منه تسلم طرسوس واتفق لهذا السلطان من السعادة ما لم يتفق لغيره
من فتح هذه البلاد الصليبيين بغير قتال وتكاملت بهذه الفتوحات جميع البلاد
الساحلية وانقرضت دولة الصليبيين من الشام والسواحل بعد ان كانوا قد اشرفوا
على أخذ الديار المصرية فله الحمد والمنه

(انتهى)



الحمد لله اولاً وآخراً

بمؤن الله وحسن توفيقه قد تم طبع هذا الكتاب النفيس والسفر الجليل
الذي جمع من شتات الحروب الصليبية ما تفرق . ووعى ما عبثت به يد التبديل
فكاد ان يتمزق . ولا غرو فهو اول كتاب وضع في العربية موضعاً أسماء من
ورد ذكرهم في تلك الحروب بالضبط الشافي . والاعتناء الكافي . حتى جاء
جليلا في الوضع جميلاً بالطبع . لم ينسج له على منوال . ولم يسبق بمثال
تأليف حضرة الكاتب الأديب . والمنشئ الأريب . سيد أفندي علي الحريري
حيث طرزه احسن تطريز . وجاء فيه بكل نادر عزيز . مرموقا بنظر صاحب
السعادة والاقبال . والفخر والجلال . ذى المجد الباذخ . والشرف المؤثر الشاهخ من
له الفضل . الاعم سعادتوا عبد السلام باثماً الموباحي الانخم . شكر الله مسعاه الجليل
وجزاه عن اهل الادب الجزاء الجميل . وقد بزغ بالطبع بدر تمامه . وفاح . سكب
ختامه . بالمطبعة العمومية . بمصر المحمية . في اوائل رجب سنة ثلاثمائة وسبعة عشر
بعد الالف هجرية . على صاحبها ازكي السلام وابهي التحية



بعون الله وحسن توفيقه قدمت الطبعة الثانية لهذا السفر الجميل مزينة بصور
الملك الصليبيين والمسلمين وبعض الحصون وآلات الحرب المستعملة وقتها مما
زاده رونقا وبهاء بمطبعة النيل بمصر في ٢٥ مايو سنة ١٩١١ الموافق ٢٦ جمادى
الاولى سنة ١٣٢٩

* اعتذار *

من ذا الذي ترضى سجاياه كلها كفى المرء نبلا ان تعد معائبه
جاء في الصحيفة ٢٢٨ بياض كبير لم يسمع وضع صورة ريكاردوس ملك
الانكليز الملقب بقلب الاسد ولذا وضعت صورته في الصحيفة التالية وترك
بياض الصحيفة المذكورة ووضع به مشطا مع أن باقي العنوان موجود
بالصحيفة التالية وذلك وقع سهوا من عمال المطبعة

ووقعت سهواً بعض غلطات مطبعية في كتابنا هذا لا تخفى على الادباء فترجو
ممن يقع نظره على شيء من ذلك ان يسبل عاياه ستر المذرة فان المذرة عند كرام
الاساس مقبول

وان تجد عيباً فسد الخلالا فجل من لا عيب فيه وعلا



* فهرست *

* كتاب الاخبار السنية في الحروب الصليبية *

صفحة

- ٣ اهداء الكتاب
 ٥ مقدمة الطبعة الثانية
 ٦ مقدمة الطبعة الاولى
 ٨ أسباب الحروب الصليبية
 ١٠ مؤتمر مدينة بلاصانس بايطاليا
 ١٠ مؤتمر مدينة كليرمون بفرانسا
 ١٤ الحروب الصليبية الاولى
 ١٦ دخول الصليبيين أسيا وهلاك هذه الجيوش في نيقية
 ١٦ الحملة الثانية من الحروب الصليبية الاولى
 ١٨ ما جرى للصليبيين في القسطنطينية
 ٢١ الصليبيون في أسيا واستيلاؤهم على قونية
 ٢٥ وصول الصليبيين الى طرسوس واختلافهم
 ٢٧ أخبار بودوين على شطوط نهر الفرات
 ٢٨ محاصرة الصليبيين انطاكية وامتلاكها
 ٣٢ محاصرة المسلمين انطاكية وظهور الحربة المقدسة
 ٣٤ مسير الصليبيين من انطاكية قاصدين بيت المقدس
 ٣٦ محاصرة الصليبيين لبيت المقدس واستيلاؤهم عليه
 ٤٠ واقعة عسقلان وانتصار الصليبيين فيها
 ٤٠ انتهاء الحروب الصليبية الاولى وسفرهم الى أوطانهم

- ٤١ الحروب الصليبية الجديدة
 ٤٣ محاصرة غودافرو مدينة ارسور
 ٤٤ اجتماع الامراء الصليبيين بالقدس وانتخاب قانون لحكومتها
 ٤٥ موت غودافرو سلطان القدس
 انتخاب بودوين سلطاناً للقدس
 ٤٦ خلافة الامير باحكام الله وواقعة عسقلان
 ٤٧ بوهيموند أمير انطاكية وما جرى له
 ٤٩ استيلاء الافرنج على عكا
 ٥٠ محاصرة مدينة طرابلس
 ٥١ باقى ولاية بودوين الاول على القدس
 ٥٣ جمعيات الرهبان الصايبيين
 ٥٤ فى ولاية بودوين الثانى
 ٥٥ وفاة الامام المستظهر بالله العباسى وخلافة ولده المسترشد بالله
 ٥٥ واقعة ايلغازى مع الصليبيين بحدود انطاكية
 ٥٧ قتل الافضل بن بدر الجمالى وزير مصر
 ٥٨ محاربة بلك بن هرام مع جوسلين أمير الرها وأسرهم
 ٥٨ محاربة بلك مع بغدوين ملك القدس وأسرهم
 ٥٩ ورود أهل البندقية للاشتراك مع الصليبيين
 ٥٩ استيلاء الصايبيين على مدينة صور
 ٦١ محاصرة الصليبيين لمدينة حلب واستيلاء البرسقى عليها
 ٦٢ فى خلوص بودوين الثانى ملك القدس من الامير
 ٦٢ استيلاء البرسقى على كفر طاب

- ٦٣ قتل المأمون بن الباطني ووزير خليفة مصر الآمر
- ٦٣ أخبار الاسماعيليين وامتلاكهم قلعة بانياس
- ٦٤ محاربة طفتكين اتابك مع بودوين الثاني
- ٦٥ في الاختلاف الواقع بين الخليفة المسترشد بالله العباسي والسلطان محمود
- ٦٨ وفاة عز الدين البرسقي وولاية عماد الدين زنكي الموصل ومحاصرة الصايبيين حلب
- ٧٥ قتل الاسماعيليين بدمشق واتحادهم بالافرنج
- ٧٦ محاصرة الصايبيين دمشق وانهمز امهم
- فتح عماد الدين زنكي حصن الاثارب ومحاصرة قلعة حارم
- ٧٤ وفاة الآمر بأحكام الله وخلافة الحافظ لدين الله بمصر
- ٧٣ وفاة جوسلين صاحب الرها
- وفاة بودوين الثاني ملك القدس
- ٧٤ في تملك فولك دي الينو على القدس
- وفاة السلطان محمود
- ٧٥ استيلاء شمس الملوك على بانياس
- محاربا فولك ملك القدس نائب حاب
- ٧٦ استيلاء شمس الملوك على حصن شقيف تيرون ونهبه بلاد الافرنج
- ٧٧ قتل الخليفة المسترشد بالله وخلافة الراشد بالله
- ٧٨ غزو العساكر الاتابكية بلاد الافرنج
- ٧٨ خلع الخليفة الراشد بالله وخلافة المنتفي لامر الله
- ٧٩ استيلاء المسلمين على حصن وادي بن الاحمر
- ٧٩ استيلاء زنكي على قلعة بعيرين

- ٨٠ في مسير ملك الروم يوحنا كومنينوس الى بلاد الشام
- ٨٣ محاصرة زنكي دمشق واستيلاء الافرنج على بانياس
- ٨٥ وفاة فولك ملك القدس وتولية ولده بودوين الثالث
- ٨٥ فتح زنكي مدينة الرها والبلاد الجزرية
- ٨٦ قتل اتابك عماد الدين زنكي وتولية اولاده
- ٨٧ عصيان أهل الرها واستيلاء نور الدين عليها
- ٨٨ ابتداء الحروب الصليبية الثانية
- طلب الصليبيين النجدة من البابا ومن ملوك أوروبا
- ٨٩ جمعية فينزا الاى بفرانسا
- ٩١ تحريض الملك كونراد ملك المانيا بتحامده مع الصليبيين
- ٩٢ جمعية مدينة اناطوليس بفرانسا والاستعداد لسفر الصليبيين
- ٩٢ سفر الصليبيين واجتماعهم بالقسطنطينية
- ٩٣ أخبار الصليبيين في القسطنطينية
- ٩٥ مسير العساكر النمساوية والالمانية
- ٩٥ سفر العساكر الفرنسية
- ٩٧ المشورة بالحروب الصليبية الثانية
- ٩٨ محاصرة الصليبيين مدينة دمشق
- ٩٩ استيلاء نور الدين على حصن الزبيدة
- ١٠٠ انهزام الافرنج بيفرى
- ١٠١ قتل رايوند صاحب انطاكية
- ١٠٢ وفاة الحافظ لدين الله خليفة مصر وولاية الضافر بامر الله
- ١٠٢ أسر جوسلين

- ١٠٤ قتل ابن السلار وزير الخليفة الظافر ووزارة عباس
- ١٠٤ امتلاك الصليبيين مدينة عسقلان
- ١٠٥ استيلاء نور الدين على مدينة دمشق
- ١٠٦ قتل الخليفة الظافر وولاية ابنه الفائز
- ١٠٩ محاصرة نور الدين حصن حارم
- ١٠٩ انتصار العساكر النورية على الافرنج
- ١١٠ محاربة المصريين بن غزة وعسقلان
- ١١٢ وفاة الخليفة الفائز بنصر الله وولاية العاضد لدين الله الملوي
- ١١٣ وفاة الخليفة المقتدى لامر الله المباسي وخلافة المستنجد بالله
- ١١٤ تاريخ جامع سيدنا الحسين رضي الله عنه
- ١١٥ قتل الصالح بن رزيق وزير مصر
- ١١٥ وفاة بودوين الثالث وولاية أخيه أموري
- ١١٦ وزارة شاور ووزارة ضرغام بعده
- ١١٧ في دخول أسد الدين شيركوه مصر أول مرة
- ١٢١ فتح حارم
- ١٢٢ فتح بانياس
- ١٢٣ في دخول أسد الدين شيركوه مصر المرة الثانية
- ١٢٤ محاربة أسد الدين شيركوه المصريين والصليبيين
- ١٢٦ استيلاء أسد الدين على الاسكندرية ومحاربة المصريين والصليبيين
- ١٢٦ في رجوع أسد الدين والصليبيين من مصر
- ١٢٨ في محاربة نور الدين بلاد الافرنج
- ١٢٨ في تجهيز الملك أموري عسكريه للاستيلاء على الديار المصرية

- ١٢٩ استيلاء الصليبيين على بلبيس
- ١٣٠ محاربة الصليبيين مدينة القاهرة
- ١٣١ دخول أسد الدين شيركوه مصر ثالث مرة
- ١٣٣ قتل شاور ووزارة أسد الدين شيركوه
- ١٣٤ حكم الملك المنصور أسد الدين شيركوه ووفاته
- ١٣٦ وزارة الملك الناصر صلاح الدين يوسف
- ١٤٥ قتل جوهر مؤتمن الخلافة وواقعة العيد
- ١٤٢ محاصرة الصليبيين ثغر دمياط
- ١٤٤ مسير نجم الدين أيوب وباقي عائلته الى مصر
- ١٤٥ محاربة نور الدين حصن الكرك والزلزلة الكبرى
- ١٤٧ محاربة صلاح الدين بلاد الصليبيين
- ١٤٧ وفاة الخليفة المستنجد بالله وخلافة المستضيء بأمر الله
- ١٤٨ وفاة الخليفة العاضد لدين الله بمصر والخطبة فيها لبني العباس
- ١٥١ محاربة نور الدين الصليبيين بناحية حصن عرقه وغيره
- ١٥٢ بريد الحمام
- ١٥٢ النفور بين صلاح الدين ونور الدين
- ١٥٤ محاربة نور الدين وصلاح الدين الصليبيين
- ١٥٥ فتح بلاد النوبة
- ١٥٦ وفاة نجم الدين أيوب وبعض سيرته
- ١٥٩ استيلاء بهاء الدين قراقوش على طرابلس الغرب وغيرها
- ١٦٠ استيلاء شمس الدولة تورانشاه على بلاد اليمن
- ١٦١ ظهور المؤامرة وصلب اعضائها

- ١٦٣ وفاة الملك العادل محمود اتابك نور الدين
- ١٦٤ حصار الصليبيين حصن بانياس وعودهم عنه
- وفاة الملك أموري وتولية ابنه الملك الأبرص
- ١٦٥ ورود أسطول جزيرة صقلية ومحاصرة الاسكندرية
- ١٦٧ واقعة الكنز وقتله
- عزم صلاح الدين على السير إلى بلاد سوريا
- ١٦٨ حكم قراقوش وبناء القلعة والسور وغيرهم
- ١٧١ مسير الملك الناصر صلاح الدين إلى سوريا واستيلاءه على دمشق وغيرها
- ١٧٥ في استقلال صلاح الدين بالملك وسلطنته
- ١٧٦ حرب السلطان مع المواصلة وهدنة الصليبيين
- ١٧٨ ماجرى للسلطان مع الحشيشيين
- ١٧٩ استيلاء تورانشاه على حضر موت واستيلاء قراقوش على بعض بلاد الغرب
- ١٨٠ حصار حلب وحرب الاسماعيلية
- ١٨١ تقوية أسطول مصر وبعض فتوحات
- ١٨٢ حرب للسلطان مع الصليبيين، واقعة الرملة
- ١٨٣ محاربة الصليبيين حماه وحارم ورجوعهم إلى بلادهم
- ١٨٤ مسير السلطان صلاح الدين إلى سوريا ومحاربة الصليبيين
- ١٨٥ محاربة الصليبيين بمرج عيون، انتصار الأسطول المصري
- تخريب حصن بيت الأحزان
- ١٨٧ محاربة الأسطول المصري ميناء عكا
- ١٨٨ وفاة المستنصر بالله وخطبة الناصر لدين الله
- محاربة السلطان بلاد الأرمن

- ١٨٩ وفاة شمس الدولة وورود الشريف للسلطان ورجوعه الى مصر
- ١٩٠ محاربة عز الدين فرخ شاه رانود صاحب الكرك
- ١٩١ وفاة الملك الصالح اسماعيل بن نور الدين
- في سفر السلطان صلاح الدين الى الشام ومحاربة الصليبيين
- ١٩٣ محاصرة بيروت برأوبجراً ومسير السلطان الى الموصل
- الصليبيون في البحر الاحمر او بحر القلزم وهلاكهم
- ١٩٥ استيلاء السلطان على حلب
- في تنزل بودوين الرابع وولاية بودوين الخامس
- ١٩٦ منارشات الصليبيين مع العساكر الاسلامية
- ١٩٧ محاصرة الكرك ودخول السلطان بلاد الصليبيين
- مرض السلطان وصلاحه مع عز الدين صاحب الموصل
- ١٩٨ وفاة بودوين الخامس وولاية غوى دي لوزينانا
- حساب المنجمين بنجراب الكون
- ١٩٩ اختلاف الصليبيين وانجياز رابموند الى السلطان صلاح الدين
- ٢٠٠ غدر رانود صاحب الكرك بالهدنة
- واقعة صفورية وحصار الكرك
- ٢٠١ فتح طبرية ومجلس مشورة الصليبيين
- ٢٠٣ واقعة حطين واخذ المسلمين صليب الصليبيات
- ٢٠٥ اخذ قلعة طبرية
- ٢٠٦ فتح عكا وغيرها من الحصون
- ٢٠٧ فتح تبين وصيدا وجيبيل وبيروت
- ٢٠٨ فتح عسقلان وما يجاورها من البلاد والحصون

- ٢٠٩ فتح البيت المقدس شرفه الله
- ٢١٥ اظهار محراب المسجد الاقصى والصخرة المقدسة ومحراب داود
- ٢١٧ أول خطبة بالمسجد الاقصى بعد فتحه
- ٢٢٢ حصار مدينة صور وفتح هونين
- ٢٢٥ في التحريض على طاب الحروب الصليبية الثالثة
- ٢٢٦ صالح فرانسوا انكلترا وتحريضهم على الحروب الصليبية
- ٢٢٧ ضربة المشور للحروب الصليبية الثالثة
- ٢٢٨ موت ملك الانكليز وتولية ولده ريكاردوس وذبج اليهود
- ٢٣٠ التحريض على الحروب الصليبية ببلاد النمسا
- ٢٣١ في اتحاد فرانسوا انكلترا السير الى سوريا
- حصار حصن كوكب وفتح بعض البلاد
- ٢٣٢ فتح جبلة واللاذقية وغيرهما وخبر اسطول صقلية
- ٢٣٤ فتح حصن صهيون وغيره من الحصون
- ٢٣٥ فتح بكاس والشغر والسرمانية وبرزية
- ٢٣٧ فتح حصن دريساك وحصن بفراس
- الهدنة ورجوع السلطان عن انطاكية وفتح الكرك وصفد وكوكب
- ٢٤٠ في ابناء استحكامات عكا وحصار شقيف ارتون
- ٢٤١ مناوشات بين الصليبيين وعساكر المسلمين
- ٢٤٣ محاصرة الصليبيين عكا ومحاربتهم ومصارعة الصبيان
- ٢٤٧ ورود المدد للصليبيين وواقعة عكا الكبرى
- ٢٥١ وصول العساكر المصرية والاسطول المصري وهجوم الصليبيين على اليزك
- ٢٥٢ احراق ابراج الصليبيين وواقعة الاسطول

- ٢٥٥ الحروب الصليبية الثالثة
- سفر ملك النمسا والمانيا الى فلسطين وما جرى له ووفاته
- ٢٥٨ الواقعة العادلية على عكا بين الصليبيين والمسلمين
- ٢٥٩ حصار عكا من البحر ودخول الزايد اليها قهراً
- ٢٦١ احراق منجنيقات الصليبيين ومراكبهم واداء الامانة بعد الموت
- ٢٦٣ واقعات الدبابات والخندق والكمين
- ٢٦٥ في دخول البديل المسكري عكا
- ٢٦٦ سفر العساكر الصليبية الثالثة في البحر وما جرى لملك الانكليز سيديايا
وقبرص وزواجه
- ٢٦٨ وصول الصليبيين الى عكا ومحاصرتهم لها وقتل بعض امراءهم
- ٢٧١ طلب الصالح ودخول الصليبيين عكا
- ٢٧٤ رمي علم النمسا في الخندق وسفر ملك فرانسالى بلاده
- ٢٧٦ سفر ريكاردوس من عكا وواقعة ارسوف وتخریب عسقلان
- ٢٧٩ في وقوع ريكاردوس في الاسر ونجاته وعرض زواجه لخته جوانا بالملك
المادل
- ٢٨١ مراسلة ريكاردوس لصلاح الدين بالصلاح وما جرى بعد ذلك وتعمير بيت المقدس
- ٢٨٣ بناء الصليبيين مدينة عسقلان وما جرى في اثناء ذلك وغضب بعضهم
- ٢٨٤ في عزم ريكاردوس على السفر الى بلاده وموت كونراد صاحب صور وغيره
- ٢٨٥ في تقرب الصليبيين الى القدس ورجوعهم عنه بقرار مجلس مشورتهم وما
فعله السلطان
- ٢٨٩ استيلاء السلطان على يافا ومحاربة ريكاردوس

- ٢٩١ في مرض ريكاردوس والهدنة بينه وبين السلطان
- ٢٩٢ انتهاء الحروب الصليبية الثالثة
- ٢٩٣ سفر ريكاردوس ووقوعه في الاسر ببلاد النمسا
- ٢٩٤ في التفتيش على ريكاردوس ووجوده في السجن ونقله الى سجن آخر
محاكمة ريكاردوس ظلما واطلاقه من الاسر
- ٢٩٥ سفر السلطان الى دمشق بعد الهدنة وعزمه على الحج
- ٢٩٧ مرض السلطان صلاح الدين ووفاته
- ٢٩٩ تقسيم مملكة صلاح الدين على اولاده وما جرى في اثناء الهدنة
- ٣٠٠ استيلاء الملك العادل على دمشق
- ٣٠١ ابتداء الحروب الصليبية الرابعة
تخريض البابا وسفر العساكر الصليبية الرابعة
- ٣٠٢ وصول الصليبيين الى عكا واستيلاء المسلمين على يافا واخذ الصليبيين بيروت
- ٣٠٤ سير القسم الثالث من الجيوش الصليبية الرابعة
حصار حصن تبين ووقوع العزيز اليه ورجوع الصليبيين على اعقابهم
- ٣٠٥ وفاة الملك هنري كوس السادس وتعيين الملك امورى على فلسطين وانتهاء
الحروب الصليبية الرابعة
- ٣٠٦ وفاة العزيز صاحب مصر وتولية ابنه المنصور وما جرى للافضل
- ٣٠٨ خلع الملك المنصور وسلطنة الملك العادل على مصر وسوريا
- ٣٠٩ الحروب الصليبية الخامسة
تخريض البابا اينوشانيوس الثالث على الحروب الصليبية
- ٣١٠ سفر العساكر الصليبية الخامسة واتحادهم مع مشيخة البندقية
- ٣١٢ محاربة الصليبيين مدينة زارا والقسطنطينية وغيرها

- ٣١٤ ثورة القسطنطينية وامتلاك الصليبيين لها
- ٣١٥ تويج بودوين على القسطنطينية وما جرى للصليبيين بها وانتهاء الحروب
الصليبية الخامسة
- ٣١٦ مناوشات الصليبيين والملك العادل
- ٣١٧ موت الملك أموري صاحب عكا وتعيين خلفه والتحريض على الحروب
الصليبية السادسة
- ٣١٧ ابتداء الحروب الصليبية السادسة
- ٣١٧ التحريض على الحروب الصليبية السادسة والصليبيون الفتيان ومؤتمر رومية
- ٣١٩ سفر المسافر الصليبية السادسة
- ٣١٩ محاربة الصليبيين مع الملك العادل وسفرهم الى مصر وسفر ملك هولنديا
وقدوم صليبيين آخرين
- ٣٢٠ محاصرة الصليبيين لمدينة دمياط
- ٣٢٢ وفاة الملك العادل
- ٣٢٣ محاربة الصليبيين بارض دمياط ودخولهم حتى اشبهون طنناح وانشاد
ثورة المسلمين
- ٣٢٥ قدوم نجدة للصليبيين بقيادة بيلاجيوس وهدم سور البيت المقدس
- ٣٢٥ تشديد الحصار على دمياط واستيلاء الصليبيين عليها
- ٣٢٧ في شقاق الصليبيين وبناء مدينة المنصورة
- ٣٢٨ ماجرى للصليبيين بعد ذلك واستيلاء المسلمين على دمياط
- ٣٣١ ماجرى للملك فريدريكوس الثاني باوروبا واستيلائه على القدس صلحاً
- ٣٣٣ ذكر خلفاء المسلمين
- ٣٣٣ مؤتمر مدينة سبولات

- ٣٣٤ باقى سلطنة الكامل ووفاته وسلطنة ولده العادل
- ٣٣٥ فى سجن الملك الصالح نجم الدين ايووب
- ٣٣٦ استيلاء المسلمين على القدس وماجرى للبابا وفريدريكوس
- ٣٣٦ سلطنة الصالح نجم الدين ايووب على مصر وخلافة المستنصر
- ٣٣٧ محاربة الصليبيين بغزة ورجوعهم الى بلادهم
- ٣٣٩ محاربة الملك الصالح نجم الدين ايووب وسجن بيبرس
- ٣٤١ التمر باوروبا ومؤتمر ليون بفرانسا
- ٣٤٢ ابتداء الحروب الصليبية السابعة
- ٣٤٣ سفر العساكر الصليبية السابعة
- ٣٤٤ وصول الصليبيين الى دمياط ومخابرتهم للملك الصالح ايووب
- ٣٤٥ فى امتلاك الصليبيين دمياط
- ٣٤٦ استيلاء الملك الصالح على الكرك ووفاته
- ٣٤٧ محاربات الصليبيين وواقعة المنصورة
- ٣٤٩ قدوم المعظم تورانشاه وسلطنته وواقعة الصليبيين واصر لويس التاسع وغيره
- ٣٥٠ قتل المعظم وسلطنة شجرة الدر واطلاق الملك لويس التاسع
- ٣٥٣ الملك لويس بىكا وسلطنة ايبك الجاشنكير
- ٣٥٤ سفر اخوات الملك لويس الى فرانسا وسلطنة الملك الاشرف بن يوسف
- ٣٥٥ حروب بين المماليك والسوريين واتحادهم مع الملك لويس وتخریب دمياط
- ٣٥٦ طلب الملك لويس التاسع النجدة من اوروبا ووفاة الاشرف بن يوسف
- ٣٥٧ انتهاء الحروب الصليبية السابعة
- ٣٥٨ وفاة ايبك الجاشنكير وسلطنة ولده نور الدين
- ٣٥٩ استيلاء التتر على بغداد وانقراض الدولة العباسية

- ٣٦١ سلطنة المظفر سيف الدين قطوز وانتصار المصريين على التتر
- ٣٦٣ قتل الملك المظفر وسلطنة الظاهر بيبرس البندقدارى
- ٣٦٦ انتقال الخلافة العباسية الى المديار المصرية
- ٣٦٧ فتوحات الملك الظاهر بيبرس ووفاة المستنصر وخلافة الحاكم بأمر الله
- ٣٦٨ محاربات الظاهر بيبرس مع الصليبيين بسوريا
- ٣٦٩ اصلاحات الملك الظاهر بيبرس
- ٣٧٠ فتوحات الظاهر بيبرس ببلاد الصليبيين بسوريا
- ٣٧١ حج الملك الظاهر بيبرس
- ٣٧٢ الحروب الصليبية الثامنة
- ٣٧٢ في التحريض على الحروب الصليبية الثامنة
- ٣٧٢ تجهيز العساكر الصليبية الثامنة بقيادة لويس التاسع ملك فرنسا
- ٣٧٣ سفر العساكر الصليبية الثامنة
- ٣٧٤ وصول الصليبيين الى تونس ومحاصرتها
- ٣٧٥ محاربات الصليبيين ووفاة الملك لويس التاسع
- ٣٧٥ سفر كارلوس صاحب سيسيليا الى تونس وحصول الصلح وانتهاء الحروب الصليبية الثامنة
- ٣٧٦ بقية الحروب الصليبية
- ٣٧٦ باقى فتوحات الظاهر بيبرس
- ٣٧٨ وفاة الملك الظاهر بيبرس
- ٣٧٩ آثار الملك الظاهر بيبرس
- ٣٨١ سلطنة الملك السعيد بركة خان
- ٣٨٢ سفر الملك السعيد والاغارة على ارمينية

- ٣٨٢ خلع الملك السعيد بركة خان
٣٨٢ سلطنة الملك العادل سلامش وخلعه
٣٨٣ سلطنة الملك المنصور قلاوون الاني
٣٨٤ محاربة التتر
٢٨٥ فتح حصن المرقب من الصليبيين وغيره
٢٨٦ ثورة المماليك وقتل الرعية
٣٨٧ فتح طرابلس من الصليبيين
٣٨٧ وفاة الملك المنصور قلاوون وآثاره
٣٨٨ سلطنة الملك الاشرف
٣٨٩ في فتح عكا وانقراض الصليبيين

(تمت)

تقاريف

جاءنا هذا التقريف من سعادة الفاضل اللوذعي الكبير والمؤلف

الشهير صالح بك حمدي حماد

﴿ الاخبار السنوية ﴾

﴿ في الحروب الصليبية ﴾

من أطلى الحوادث التاريخية أخبار الحروب الصليبية ووقائعها الشهيرة التي قام فيها الغرب على الشرق تلك القوة المشهورة بدافع التعصب الديني فساق ملوك أوروبا الكبار وعياهلها العظام لذلك العهد الجيوش الجرارة والجحافل وعبأوا الاساطيل وشحنوها بالعدد والمقاتلة قاصدين الشرق وأهله من المساميين لسحقهم في القدس والشام ومصر وتونس فانتشبت الحروب وقامت على ساق وقدم بين المسيحيين والمسلمين وكانت سجالات واستمر هذا العدوان الجنوني كما يسميه مؤرخو الغرب بين اليوم زهاء المائتين من السنين لم تنقطع فيها نيران الحروب من حين لآخر ولم تفتقر همة ملوك الفرنج

عن الهجوم على الشرق باغراء جماعة القسوس وبدعوى استخلاص القبر
المقدس من أيدي المسلمين مما عاب به أبناء الاجيال المتأخرة
تلك الاجيال الماضية وان كانت تلك الحروب قد أفادت أهل أوروبا
الفوائد الجليلة في رقيهم المادى والادبى بما استفاداه الصليبيون
من آداب الشرق وعلومه وفنونه التي كانت ركناً ركيناً في المدينة
الحاضرة بأوروبا

فاخبار هذه الحروب وتفصيل وقائع تلك الكروب وبيان
أسبابها ومسبباتها وسير ملوكها مثل (نور الدين) و (صلاح الدين)
و (ريكاردوس) الملقب (قلب الاسد) و (الملك الظاهر) و (لويس
التاسع) ملك فرنسا الخ كل هذا مما يحلوا بناء هذا العصر دراسته
ولقد صنف في أخبار هذه الحروب أناس كثيرون غير أنى
والحق يقال ما رأيت كتاباً جامعاً لأخبارها ووقائعها مثل هذا
الكتاب الذى عني بتأليفه وجمعه منذ اثني عشر عاماً حضرة الاديب
الفاضل سيد أفندى على الحريري وتحرى فيه الجمع وحسن
التنسيق والتحقيق حتى صار بذلك مما يرجع اليه ويعول عليه ولقد
أعاد طبعه الآن مرة ثانية مزيّناً بالرسم على بصور الكثير من

ملوك الصليبيين والمسلمين فجاء كما ترى سفراً جليلاً واثراً جميلاً
 قل أن يستغنى عنه أديب أويضن به على مكتبته أريب فك
 القاهرة في ٢٠ مايو سنة ١٩١١

صالح

حمدي حماد



وجاءنا هذا التقرير من سعادة العالم المحقق والاثري المدقق
 التحرير على بك بهجت وكيل دار الآثار العربية

﴿ الاخبار السنية في الحروب الصليبية ﴾

تصفحنا هذا الكتاب المستطاب فرأيتني بين عاملين آسف
 يتردد بين الجوانح على ضعف العناية بدرس التاريخ بين ناشئتنا
 ومعلمينا وفرح يسري عن النفس ذلك الترح بما أراه من نهوض
 بعض كتابنا وأخذهم بأسباب العمل على نشر صحيح الاخبار واحياء
 دارس الآثار. التاريخ عظة الانام وصرآة الايام ولا شيء فيما اعتقد
 انفع لانجاح نهضتنا العلمية وانجع في تقويم اخلاقنا الاجتماعية
 كدراسة تاريخ اسلافنا الصالحين واثاننا المتقدمين ولقد رأيت

كتب التاريخ العربية كالبحور الزواجر ليس اصطفايا الآلى فيها
يسهل المنال على كل طالب ورأيتها كلما بعدت بها الايام تضاءت عن
الافهام . لذلك كان من انفع الوسائل لنجاح نهضتنا وضع مؤلفات
جديدة على اساليب حديثة تقرب تلك الحوادث الماضية الى طالبها
وتبين اسبابها ونتائجها ومن هذا القبيل كتاب الاخبار السنوية في
الحروب الصليبية قرأته فرأيتها سهلا الموردا جميل الوضع حسن الترتيب
قد فصل شتات الحوادث تفصيلا ومحرى صحة اسانيدها فكان
جديرا بالرجوع اليه والتعويل عليه والله لا يضيع أجر من أحسن

عمله

علي بهجت

وكيل دار الآثار العربية





MAIN STACKS

This book belongs to the
SILAS BRONSON LIBRARY
an agency of the
City of Waterbury
to maintain free library service.

This library was founded in 1869
through a bequest from
Silas Bronson.

It is administered by an elected
Board of Agents, and is supported
largely by city appropriations.

D158

H36

1911